



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية



## التفكير اللساني في أعمال عبد الرحمن الحاج صالح-رحمه الله-

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم تخصص لغة وأدب عربي.

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

مزازي عبد القادر

من إعداد الطالبة:

بودية فتيحة

أعضاء لجنة المناقشة:

جامعة مستغانم

رئيسا

أستاذ التعليم العالي

- حفار عزّ الدين

جامعة مستغانم

مشرفا

أستاذ التعليم العالي

- مزاري عبد القادر

جامعة مستغانم

عضوا مناقشا

أستاذ محاضر "أ"

- إبراهيم بلقاسم

جامعة وهران

عضوا مناقشا

أستاذ التعليم العالي

- منصوري ميلود

جامعة سيدي بلعباس

عضوا مناقشا

أستاذة محاضرة "أ"

- إبراهيمي فاطمة

جامعة وهران

عضوا مناقشا

أستاذ التعليم العالي

- مسعود أحمد

الموسم الجامعي: 1440هـ-1441هـ/2019م-2020م.



## شكر وتقدير

أحمد وأشكر الله عزّ وجلّ وحده الذي هداني إلى سبيل العلم ويسرّ  
لي طريقه وأعانني عليه، فالله أحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحبّ ويرضى.  
أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الكرام الذين لم يخلوا عليّ بنصائحهم  
وتوجيهاتهم القيّمة، وأخصّ بالذكر الأستاذ المشرف "مزاري عبد القادر"  
والأستاذ "بلخوان محمّد كمال" اللذين لن أنسى فضلهما الكبير عليّ  
فجزاهما الله عنّي خير جزاء.  
كما أتقدّم بالشكر إلى كلّ الأساتذة على تعاونهم معي.



أهدي هذا العمل

إلى:

قرّة عيني: الوالدين الكريمين، إخوتي وأخواتي

وإلى رفقائي الحاضر منهم والغائب.

# المقَدِّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح العرب لسانا، وأعذبهم بيانا، سيّدنا  
محمد النبي الأمي، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله  
وأصحابه الطيبين الطاهرين.  
أما بعد:

لقد أدرك علماءنا على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والفلسفية والمعرفية ما للعلوم اللسانية من  
أهمية بالغة في جميع العلوم والمعارف، خاصة ذات العلاقة بالنصّ القرآني؛ إذ تعتبر اللسانيات  
(linguistique) من أهمّ العلوم الإنسانية، وأوسعها مجالا خاصّة في النصف الثاني من القرن  
العشرين، وقد اكتسبت في فترة وجيزة بفضل ما توصلت إليه من دقّة علمية ومنهجية صيتا  
عظيما.

تعتبر دراسات "فردينان دي سوسير" (1857-1913) Ferdinand de Saussure النشأة  
الأولى للدراسات اللسانية، تتالت بعدها الدراسات على تفرّعاتها المختلفة، على أنّ هذا لا ينفي  
عدم وجود هذا النوع من الدراسات قبله، خاصّة ما تعلق بالدراسات العربية؛ فقد استعمل العرب  
تسمية "علم اللسان" قديما وحديثا، وأطلقوها على الدراسة الخاصّة بـ "اللسان" تمييزا لها عمّا هو  
خارج عنها من العلوم الأخرى، وقد ورد هذا المصطلح في العديد من المؤلفات القديمة من  
أمثال: "إحصاء العلوم" للفارابي و"المخصّص" لابن سيده و"المقدّمة" لابن خلدون وغيرهم كثير  
مما استدعى الكثير من المتأخّرين العرب إلى دراسة مثل هذه المواضيع وإعطائها حقّها وعدم  
الجري وراء الدراسات الغربية دون سبرها بمعيار الحكمة والاستقراء العميق لها وإرجاعها إلى  
أصولها الأولى.

إلا أننا نجد من مفكرينا العرب من التزم بالبحث في هذا الجانب ردحا طويلاً من الزمن، ومن أمثال هؤلاء البروفسور الجزائري "عبد الرحمن الحاج صالح" (1927-2017) الذي يحلو للبعض تلقيه بـ "أبي اللسانيات" لما له من دور بارز وفعل في هذا المجال خاصة مع ما يملكه من تكوين أزهرى وآخر غربي، فقد درس بالأزهر بمصر وتحصل على دكتوراه دولة في اللسانيات من جامعة "السوربون" بباريس، وهو بهذا يكون قد جمع بين مدرستي التراث والحداثة، وله باع طويل في هذا المجال.

تتعرض اللسانيات العربية الحديثة بالتحليل اللساني للثقافة اللغوية العربية الحديثة؛ لذلك فإنها تعقد صلات بين الخطاب اللساني العربي القديم، وبين الخطاب اللساني الغربي والعربي الحديث والمعاصر، وهي الصلات التي بإمكانها أن تبين لنا المصادر الأساس التي نهلت منها الدراسات اللسانية العربية الحديثة، وتحدد الأسس النظرية والمنهجية، وتحدد المنطلقات والاتجاهات وتكشف عما استفادته دراسة اللغة العربية من هذه المعرفة الجديدة.

ومما لا شك فيه أن اللسانيات من العلوم التي كان لها الأثر الواضح في كثير من الدراسات اللغوية وغير اللغوية منذ ظهورها في الغرب، فانتقلت الدراسات اللسانية إلى العالم العربي عن طريق الترجمة، وأخذ اللسانيون العرب مناحي مختلفة منها، فهناك من قصر وجهته على تطبيق النظريات الغربية على اللغة العربية بكل حذافيرها مما تعدر عليه الأمر في قضاياها اللغوية، واتجاه آخر يرفض تطبيق مطلق النظريات الغربية مركزاً في ذلك على اللغة العربية وخصائص اللسان العربي، وهناك من زاوج بينهما في محاولة إثبات أصالة التراث العربي، وما نوه به النحاة واللغويون القدامى أمثال الخليل وسيبويه مؤسساً بذلك لللسانيات العربية الحديثة، تمثل هذا عند الباحث الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح - أبو اللسانيات العربية الحديثة في الجزائر - مما استفاد من الخطاب اللساني العربي القديم من فكر الخليل وتلاميذه من منبع المنهج العلمي الذي طبقه على اللغة العربية، ليضيف بذلك لللسانيات العربية الحديثة والتراث العربي إبداعاً علمياً جديداً تمثل في كثير من فروع اللسانيات العربية الحديثة؛ كاللسانيات العربية الحاسوبية، واللسانيات العربية الصوتية الإلكترونية في علم الأصوات، واللسانيات العربية التعليمية واللسانيات العربية العيادية، وغيرها من الفروع اللسانية العربية الحديثة، فيترك أثره العلمي الإبداعي في مؤلفاته المميزة والتي من بينها: كتاب بحوث ودراسات في علوم

اللّسان، وكتاب: بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية جزئيين، وله أيضا كتاب: السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، كما نجد كتابا آخر: منطق العرب في علوم اللّسان، وكتاب الخطاب والتّخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، وكتاب البنى النحوية، وهذه المؤلّفات كلّها جاءت ضمن سلسلة علوم اللّسان عند العرب، وقد احتوت الدّراسات اللّغوية والنّحوية والأصولية والبلاغية والدّلالية، وما يتّصل بها من معارف نحوية وقواعد لغوية وفكر في الأصوات واللّهجات وفي علم القراءات، وتحمل مؤلّفاته بين دفتيها ألوانا من العلم متميّزة ولمحات من الفكر القديمة والمستجدة، ونماذج من النّظريات اللّسانية والنّحوية والبيانية، تقتضي الاهتمام والتدقيق والتحرير فيضع لهذه الموضوعات أطرا خاصّة وتفريعات متشعبة متشاجرة، تُمثّل مرحلة عريقة ينضج فيها الفكر اللّساني العربي الحديث لفهم علم اللّغة العربية بجزئياتها وكليّاتها، وعلاقة كلّ منها بما يحيط بها أو يقرب منها ويجاورها في تبويبات متميزة، وتقسيمات وتوجيهات ومصطلحات في اللّغة العربية ليتبين عمق الفكر وجلاء المعنى، وبعد النّظر، وسعة الأفق، وبراعة الاستدلال، وأصالة الاستنتاج. فما هي طبيعة الفكر اللّساني عند عبد الرحمن الحاج صالح في التّأصيل اللّساني للّسانيات العربية الحديثة؟ وعلامّ تعقد الصّلات بين الخطاب اللّغوي العربي القديم، وبين الخطاب اللّساني الغربي والعربي الحديث والمعاصر؟ وماذا أضافت اللّسانيات العربية الحديثة للتّراث العربي؟ وما هي إضافات عبد الرّحمن الحاج صالح في هذه الدّراسات اللّسانية الحديثة؟ وما أثر إنجازاته اللّسانية العلمية على اللّغة العربية والباحثين العرب؟ وما هي آفاقها المستقبلية للّغة العربية؟

ويقتضي الحديث عن لسانيات التّراث الوقوف أوّلا عند الإشكالية العامّة التي يندرج ضمنها هذا الصّنف من الكتابة اللّسانية العربية الحديثة، أي ما اصطلح على تسميته في الفكر العربي الحديث بإشكالية «الأصالة والمعاصرة» قضية الفكر العربي الأولى والأساسية.

وتتمحور هذه الإشكالية- كما هو معروف- حول التّراث ودوره في الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وكيفية استغلاله وتوظيفه في حياتنا المعاصرة، فهل نأخذ بآراء الغرب أم بآراء أسلافنا حكما على مواجهة ما نصادفه من قضايا ومشاكل؟ هذه الإشكالية التي أرقت الباحثين العرب المعاصرين في بحوثهم اللّسانية في اللّغة العربية، نجد لها الحلّ الحقيقي اليانعة بالفكر اللّغوي العربي التّراثي عند عبد الرحمن الحاج صالح؛ فقد انكب على التّراث بوصفه المصدر الأساس الذي يسقى منه البحث اللّساني المعاصر، وأبدى حينها كفاءة عالية

في عرض الحقائق التاريخية وكشف الزائف منها، ولا يقدر على هذا إلا من كان واسع الاطلاع على مصادر الدراسات اللغوية عند العرب، والغربيين على حدّ السواء، في دراسة اللغة، مميّزا بين أصول هذه، عارفا بأصول تلك مزوّدا بمعرفة دقيقة واعية بمنطق أرسطو، وهي صفات قلما تجتمع عند الباحث العربي في زماننا، وبها تمكن من المقارنة الموضوعية بين البنيوية الغربية والنحو العربي في زمان الخليل وسيبويه، ووقف عند الفروق الجوهرية بينهما ووجه نقدا صارما للبنيوية في نزعتها الوصفية المغالية كونها تعارض الاحتكام إلى المعيار وترفض كلّ محاولة إلى تعليل الظواهر اللغوية.

وقد كانت معرفته بالتراث، ومعرفته باللسانيات الغربية صنوين، وهذه الأخيرة لا يضاهيه فيها باحث عربي معاصر؛ كونه تلقّف التراث من منبع عذب عربي في مصر (الأزهر)، ثم تلقف علم اللسانيات العامّة الغربية من منبعها الأصلي، ومن أفواه مؤسّسيها مباشرة في بوردو وباريس، وتحصل على التبريز في باريس ودكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة باريس- السوربون- بل وقد تتصلّ معارفه حتّى لدى اليونانيين القدامى الذين بنيت على تصوراتهم اللسانيات الغربية .

لقد وجد "الحاج صالح" تناسبا غريبا بين ما توصّل إليه، وبين الأوضاع النظرية والمنهجية التي امتاز بها فكر "الخليل بن أحمد الفراهيدي" وتلميذه "سيبويه" ومن تابعهم، وبين الأوضاع العلمية الحديثة، ممّا استدعاه إلى البحث في هذا الشأن طويلا، والذي أطلق عليها اسم "النظرية الخليلية الحديثة"، إذ استقين أنّ الدراسات اللغوية لن يكون لها أي شأن إن لم يرجع أصحابها إلى "الخليل بن أحمد" ويحاولوا تفهّم ما قصده هذا العبقرى بتعليلاته لظاهرة اللغة، وهذا بدوره لا يتمّ إلا بالرجوع بداية إلى كتاب "الكتاب" لسيبويه وآراء "أبي علي الفارسي" و"ابن جنّي" و"الرّضي الاسترأبادي"، وهو بذلك يشير إلى أهمية المفاهيم الخليلية الأصيلة؛ إذ لم تهتد اللسانيات بعد-حسب رأيه-إلى ما يماثلها لفهم بعض الأسرار اللغوية التي ما تزال-عند أكثر الباحثين-غامضة مستغلّفة وذلك مثل الحركة في مقابل السكون، فهذا المفهوم أعمق بكثير من المفهوم السكوني، الذي يجعل من الكلام مجرد مقاطع موصولة بعضها ببعض، وهذا ممّا لم يكتشفه بعد اللسانيون الغربيون ولم ينتبه له فقهاء العربية في زماننا، لعدم إجرائهم المقارنة

النّزیهة -المجرّدة من الأحكام المسبقة- ومفاهیم المتأخّرين بین النّظریات الحدیثة و بین نظریة النّحاة الأوّلین.

ونتیجة للجهود الجبّارة الّتی قام بها البروفیسور رحمة الله علیه، ارتأینا أن نزیح الستار عن هذا التّفکیر اللسانی الفذّ، و ننتبّع أساسیات ومرجعیات هذا الفکر العظیم من خلال الرجوع إلى کتبه الّأنفة الذکر، و الّتی تبین الفروق بین علم اللسان عند العرب القدامی و اللسانیات الحدیثة انطلاقا من "دی سوسیر" وصولا إلى "تشومسکی"، لنتبیین الجوهر العمیق الذی نادى به "عبد الرّحمن الحاج صالح" فی بحوثه العلمیة للغة العربیة انطلاقا من أنّ بناء مستقبل عربی أصیل له خصوصیته الذاتیة و الموضوعیة أمر غیر وارد خارج نطاق التّراث .

وعلى هذا الاعتبار راح تصوّرنا یرسی معالمه على إشکالیة تتماشى و الطّرح المقدمّ آنفا و الموسومة ب: "التّفکیر اللسانی فی أعمال عبد الرّحمن الحاج صالح"، و لدراسة هذا الإشکال دراسة علمیة و منهجیة اقتضت طبیعة الموضوع أن یتوزّع هیکله الخارجی إلى خطّة لا تخرج عن مدخل و ثلاثة فصول و خاتمة.

تناولت فی المدخل، و المعنون بـ"الإطار التّاریخی للسانیات عند عبد الرّحمن الحاج صالح" نشأة اللسانیات بدءاً من الهنود فالرومان، و الیونان وصولا إلى الدّراسات اللسانیة الحدیثة فی أوروبا و أمريكا، و کلّ هذا من وجهة نظر الحاج صالح، ثمّ ختمت بالحديث عن الدّراسات اللسانیة العربیة الحدیثة.

أمّا الفصل الأوّل" واقع الدّراسات اللسانیة العربیة"، فقد اشتمل على مبحثین: المبحث الأوّل: "إشکالیات الدّرس اللسانی العربی الحدیث"، و من هذه الإشکالیات الّتی ركّزت الحدیث حولها إشکالیة الانفصال بین النّظریة و التّطبیق، إشکالیة التّرجمة، المصطلح، و موقف اللسانیین العرب من التّراث، و المبحث الثّانی: "المناهج اللسانیة العربیة الحدیثة"، و من أهمّ هذه المناهج: المنهج البنوی، المنهج التّحویلی و المنهج الوظیفی.

وأمّا الفصل الثّانی: "التّفکیر اللسانی عند الحاج صالح بین الأصالة و الإبداع"، فقد اشتمل أيضا على مبحثین: المبحث الأوّل: "المنطقات اللسانیة لعبد الرّحمن الحاج صالح"، و قد ركّزت

خاصة على مكانة الخليل في الدراسات اللسانية العربية، ثم أهم منطلقات الحاج صالح اللسانية، والتي من بينها تبنيها لمصطلح "علم اللسان" و "البنوية" بدلا من البنيوية، حديثه عن مفهومي الأصالة والمعاصرة، ومنهجه في البحث والتأليف، ودفاعه عن القدامى ونقصه بهم خاصة "سيبويه" و"الخليل" وغيرهما، ليؤسس بذلك نظريته (النظرية الثانية) المسماة "النظرية الخليلية الحديثة"، فجاء بذلك المبحث الثاني موسوما بـ"النظرية الخليلية الحديثة"، وهي المنبثقة عن تفكير ودراسة معمقة للتراث العربي الأصيل، وركزت في هذا المبحث خاصة على: مفهوم هذه النظرية (المنطلقات، المحفزات والغايات)، أصالة هذه النظرية، مناقشة فكرة تأثير المنطق الأرسطي في النحو، المفاهيم الأساسية للنظرية (مفهوم الاستقامة، الانفراد، الموضع والعلامة العدمية، اللفظة والعامل...)، ولعلّ أبرز ما قدمه الحاج صالح مشروعان ضخمان كبيران؛ أما الأول منهما فهو نظرية بناها على أصول ومبادئ النظرية النحوية العربية القديمة وسماها النظرية الخليلية الحديثة. هذه النظرية اللسانية تعدّ استمرارا للجهود الأصيلة التي قدمها علماء العربية المتقدمون مراعين فيها خصوصية هذه اللغة وتميزها وقداستها، أمثال: الخليل، وسيبويه وأبي علي الفارسي، والسّهيلي، والرّضي الأسترياذي ... وأما الآخر فما زال في طور البحث ومحاولة التّفعيل، وهو مشروع قوميّ يمثّل تحديًا كبيرا، هذا المشروع هو مشروع الذّخيرة اللّغوية وهذا ماتتاولت الحديث عنه في الفصل الثالث والأخير، الموسوم بـ: "إسهامات عبد الرحمن الحاج صالح في ترقية اللغة العربية"، و قد عالجت من خلاله في المبحث الأول: اللسانيات الحاسوبية (حوسبة التراث اللغوي العربي)، منطلقة من تعريف اللسانيات الحاسوبية Computational Linguistics، ثم الإشارة إلى اتجاهات البحث والتأليف فيه عند العرب باختصار، فالحديث عن أهم مشروع قام به عبد الرحمن الحاج صالح، وهو الذخيرة العربية (حوسبة التراث) والمعالجة الآلية للغة العربية وجهوده الفذة في ذلك، وبالنسبة للمبحث الثاني: "تعليمية اللغات"، فقد خصّص هذا المبحث الأخير للحديث عن العيوب الحقيقية التي يعانيها تعليمنا للعربية، وأهم ما قام به عبد الرحمن الحاج صالح لخدمة وترقية اللغة العربية لتواكب متطلبات العصر.

وأخيرا الخاتمة: التي حاولت فيها تلخيص أهمّ النّقاط التي تعرضت لها في الفصول الثلاثة مسلّطة الضوء على التّفكير اللّساني عند عبد الرّحمن الحاج الصّالح، والذي حاول طيلة حياته في دعوته للتراث، التأسيس للسانيات العربية الحديثة من المنطلقات والاتجاهات التّراثية التي ثبتت دراساتها عند الذين نادوا بالدراسات اللّسانية الغربية، ليصلوا في الأخير إلى حقيقة أنّ كلّ ما ذكره الغرب لم يخرج عمّا ذكره علماء التّراث العربي القدامى.

ولدراسة هذه الإشكالية، اقتضى منّا المقام أن نستعين ببعض المناهج التي نراها تخدم هذا النوع من البحوث، وفق ما تقتضيه طبيعة البحث العلمي، منها المنهج الوصفي، والتاريخي والمنهج المقارن - في بعض الأحيان - غير أنّه لا بدّ أن نشير إلى أنّ كلّ فصل يفرض منهجا معيّنًا، وهذا لطبيعة الطرح من جهة وطبيعة التناوّل من جهة أخرى.

أمّا فيما يخصّ المصادر والمراجع التي سنتعامل معها إن شاء الله تعالى، فنشير إلى البعض منها والتي لا يستغني البحث عنها، وفي مقدّمتها مؤلّفات الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وخاصة: بحوث ودراسات في علوم اللّسان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية بجزئيه ومجموعة من المقالات التي نشرت في مجلّة اللّسانيات، كتاب **خولة طالب الإبراهيمي**: مبادئ في اللّسانيات، **فردينان دي سوسير**: دروس في الألسنية العامّة، تعريب صالح القرماضي، محمّد الشّاوش، محمّد عجينة، **د.مصطفى غلفان**: في اللّسانيات العامّة تاريخها، طبيعتها موضوعاتها، مفاهيمها، **أحمد مختار عمر**: البحث اللّغوي عند العرب، أندري مارتيني: مبادئ في اللّسانيات العامّة ...، فضلا عن جملة من المقالات لأصحابها: **د. ميلود منصوري البشير** إبيرير، **محمّد صاري**، **الشريف بوشحدان**، وغيرها كثير. هذا إضافة إلى مجموعة من المقالات التي نشرها "الحاج صالح" في مجلة اللسانيات منذ سنة 1972، والمجمّع الجزائري للغة العربية، وغيرها .

ولا أدعي فضل السّبق في هذا الموضوع؛ إذ وجدت بعض الدّراسات الأكاديمية(رسائل ماجستير ودكتوراه) التي عالجت الموضوع نفسه تقريبا ولكن من وجهة نظر مختلفة، من مثل رسالة معالي هاشم علي أبو المعالي الموسومة بـ "الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث

واللسانيات المعاصرة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجاً، وهي أطروحة شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، جامعة بغداد، سنة 2014، وقد استعنت بها كثيراً في موضوعي، إضافة إلى رسالة دكتوراه لسعاد شرفاوي المعنونة ب: "الجهود اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح (قراءة في الآثار، المنهج، ومواطن الاجتهاد)"، من جامعة قاصدي مرباح ورقلة، سنة 2016-2017، كما وجدت الكثير من الرسائل التي تناولت الحديث عن المدرسة الخليلية الحديثة خاصة .

ولم يخل هذا البحث من بعض المعوقات والصعوبات خاصة في بداية البحث؛ حيث عانيت من قلة المصادر والمراجع، وأهمها ما تعلق بمؤلفات الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، ولكن بعد أن انتقل إلى رحمة ربه، وجدت الكثير من المقالات والمنشورات المتعلقة بالموضوع، فتملّكني العجب من رجل عانى الأمرين في حياته، ثم حينما يتوفاه الله نجد من يشمر ساعديه ليثري البحث اللغوي بما لذ وطاب، أمّا فيما يخصّ المادة العلمية، فقد عانيت من صعوبة حصرها وجمعها نظراً لتشعبها واتساعها، ولكن والحق يقال مهما قلنا ومهما بحثنا فإننا لن نفي الرجل حقه.

وختاماً فإنّي لا أدعي لهذه الأطروحة الكمال، أو خلّوها من الهنات والمآخذ، فتلك مغالطة حاولت تجنبها وعدم السقوط فيها، فإن كنت بلغت الغاية المرجوة فمن الله وحده لا شريك له وتلك نعمة وفضل منه عظيم، وإن قصرت فمجتهد يرجو أن يكون له من اجتهاده نصيب. وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل، وأن يكون خالصاً لوجهه إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله أولاً وآخراً .

مستغانم شهر مارس 2019.



المدخل:

- الإطار التاريخي للسانيات عند عبد الرحمن الحاج صالح.

لقد شهد مطلع القرن العشرين تحوُّلاً مهمًّا في تاريخ الفكر اللساني الحديث، خاصَّة ما تعلق بأعمال "فردينان دي سوسير"<sup>1</sup> Ferdinand de Saussure (1857-1913م) والتي ظهرت في محاضراته الموسومة بـ"محاضرات في اللسانيات العامَّة" Cours de linguistique générale؛ إذ تعدّ أفكاره مرحلة جديدة في تاريخ اللسانيات، استطاع من خلالها -على حدِّ علمهم - أن يعطي الإطار العام لهذا الحقل المعرفي والمجالات التي يدرسها مفهوماً وإجراء ولكنّ هذا لا يلغي كون الفكر اللساني هو امتداد لتطوُّر الدرس اللغوي القديم .

إنّ اللسانيات التي تعني الدراسة العلمية للغة كما هو شائع بين أوساط الدارسين لها، تنهل كباقي العلوم الأخرى من منابع الدراسات القديمة، ولا يمكن أن تستغني عنها أبداً، وهذا ما يلاحظ عند بعض الباحثين الذين كتبوا في اللسانيات وطوّروا مناهجها، وتطرّقوا إلى النظريات اللغوية القديمة محاولين إحياءها وإعادة بعض جوانبها<sup>2</sup>.

لقد أصبح علم اللسان من أهمّ العلوم الإنسانيّة وأوسعها مجالاً وأكثرها نفوذاً ونجوعاً، لا بالنسبة إلى ما كان عليه فيما مضى فقط، بل بالنسبة أيضاً إلى ما استفادته العلوم الإنسانية الأخرى من تجديد عميق بتطبيقها لمناهجه الخاصّة على مواضيع أبحاثها؛ فقد لاحظ المختصون في هذه العلوم النجاح الباهر الذي كللت به جهود زملائهم في الـ (Linguistique)

<sup>1</sup> ولد سوسير في جنيف 1857 في بيت امتاز أفراده في العلوم الدقيقة، ولكنّه أظهر ميلاً إلى الدراسات اللغوية، دخل الجامعة وتابع فيها دروساً في مختلف العلوم لشدة تعطشه إلى العلم، وبقي متعلّقاً بالرياضيات وعلوم اللسان، وفي سنة 1876 قرّر مصيره بذهابه إلى "ليبتييس" والتحاقه بحلقة اللغويين الألمان. وأنهى هناك رسالته المعنونة بـ"رسالة في النظام الأصلي للمصوتات في اللغات الهندية الأوربية" سنة 1878 ونال بها سهرة عظيمة في زمانه، ثمّ قدّم سنة 1879 أطروحته المسماة بـ"استعمال حالة الجرّ المطلق في اللّغة السنسكريتية" وطبع في جنيف سنة 1881 وهو ابن 22 سنة. استقرّ بباريس أشرف فيها على منشورات جمعية باريس اللغوية واعتنى بتدريس النحو المقارن والتاريخي. ثمّ في جامعة "جنيف" أنشأ كرسي التاريخ المقارن للغات الهندية الأوربية له خاصّة سنة 1891، وبقي شاغلاً له إلى 1896 ثمّ اختفى عن الأنظار. عاد سنة 1907 إلى التدريس بعض إلهام طلبته عليه. بعد وفاته 1913 جمع اثنان من طلبته وهما "بالي" و"سيشوهاي" دروسه، فنشراها سنة 1916 بعنوان "دروس في علم اللسان العام". ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر الجزائر 2007، ص 151، 152. وينظر: فردينان دي سوسور: علم اللّغة العام، ترجمة د. يوثيل يوسف عزيز ومالك يوسف المطليبي، دارآفاق عربية، بغداد 1985، ص 3-4.

<sup>2</sup> - أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطوُّر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 3 2007، ص 7 .

بعد أن أعاد هؤلاء النظر في كل المعلومات والمناهج التي تركها لهم الباحثون السابقون. وما كانت في الحقيقة إعادة نظر فحسب بل ثورة على المفاهيم والأساليب المسلمة التي ما كان يجرؤ أحد قديما على جدالها وإنزالها من مستوى التقديس الأعمى إلى مستوى النظر والتّمحيص، بل كانت في الواقع ثورات توالى طيلة قرن ونصف أنعشت البحث العلمي أيّما إنعاش، ونتج عن هذه الحركات الفكرية العميقة التي تزعزعت لها المباني النظرية الغربية القديمة تفاعل منهجي واسع النطاق، إذ صار كل فن من فنون الدراسات الإنسانية يصبو إلى تحصيل نفس النتائج من حيث الكم والكيف بامتناله نفس المناهج والنظريات.<sup>1</sup>

إنّ المفاهيم التي بُنيت عليها هذه النظريات لم تنشأ من العدم، بل هي نتيجة تطوّر طويل استمرّ عدّة قرون؛ إذ نجد "جورج موانان Georges Mounin" يحدّد تاريخ نشوء اللسانيات بحسب نظرة الباحث إليها، فمن الممكن أن يقال إنّها نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد أو في سنة 1816 مع بوب (Bopp) أو في سنة 1916 مع سوسور، أو في سنة 1926 مع تروباتسكوي (Troubetzkoy) أو في سنة 1956 مع تشومسكي<sup>2</sup>.

يقدم عبد الرحمن الحاج صالح في حديثه عن نشأة علم اللسان وأطواره جملة من الافتراضات التي تثبت أقدم تحليل لغوي قام به الإنسان، ويرى أنّها أقرب إلى الحقيقة منها إلى محض الافتراض لثبوتها عقلا، وعدم معارضة النّقل لها أيضا- على حدّ قوله- إذ يقول: " إنّ علم اللسان كما قلنا لم ينشأ طبعاً من العدم فلا بدّ أن تكون قد سبقته مفاهيم عديدة على مرّ الأيّام تصوّرها الإنسان جيلا بعد جيل، وقد يكون الكثير منها على كبير من الصّحة، فإنّ

<sup>1</sup>- ينظر، د. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط2007 ص7.

<sup>2</sup>- ويشير بتاريخه هذا (على الترتيب) إلى ظهور الأبحاث اللسانية لأول مرة في الهند (القرن الخامس قبل الميلاد)، وظهر أول كتاب في النّحو المقارن واللسانيات النظرية ألفه فرانس بوب (صدر في سنة 1816)، وظهر أول تأليف في اللسانيات البنوية مع سوسور (صدر بعد موته وجمع بعض أصحابه لما أملاه عليهم من الدروس، في سنة 1916) وعرض أول دراسة للصوتيات الوظيفية (الفنولوجية) للغوي الروسي تروباتسكوي، وأخيرا نشر أول محاولة في النّحو التحويلي والتفريعي مع تشومسكي. عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص48.

الآدميين ما صاروا موصوفين بذلك إلا لأنهم استطاعوا أن يتواضعوا على مصطلحات صوتية ليبلغ كل واحد منهم للآخرين ما في ضميره، فصارت هذه الأصوات الرمزية عوناً لهم على التعايش والتعامل، بل وسيلة - وهم غير شاعرين - لتنمية مداركهم العقلية وكسب المعارف الضرورية لجلب المنافع ودفع المضار... فتدبروها وتأمّلوها حتى جاء أحدهم - ولا ندري من هو - ففكر ملياً في حيلة تحفظ الكلام الزائل الذي تفنى حروفه أحدها تلو الآخر بمجرد ما تحدث<sup>1</sup>... فما وجد أحسن من تمثيله تمثيلاً ملموساً بأن يصور نقشا على الحجر معاني الكلم بصور ترمز من قريب أو بعيد إلى تلك المعاني، فمكّن بذلك لأول مرة في التاريخ البشرية بني جنسه من أن يخاطب بعضهم بعضاً وبينهم مسافة بعيدة، كما مكّنهم من مخاطبة الأجيال التي لم تحضر بعد.<sup>2</sup>

ثم يفصل الحاج صالح الحديث عن توفّق الإنسان بعد قرون من ذلك إلى طريقة في التحليل سلّطها على مدارج الكلام، ثم إلى الصّفة الجوهرية التي يتّصف بها اللسان البشري وعرف أنّ له مستويين من التحليل هما مستوى العناصر الدّالة ومستوى العناصر غير الدّالة فجاءت الكتابة تصويراً رمزياً للهجاء بعد أن كانت تصويراً رمزياً للمعاني، وليس أدلّ على ذلك " من وجود كتابة مثل هذه في تلك العصور العتيقة (القرن الخامس عشر قبل الميلاد) لدليل واضح على قدم البحث والتتقيب عن مباني الكلام."<sup>3</sup>

وبعد كلّ هذا التحليل حول قدم المحاولات التحليلية لمباني اللسان؛ نجد الحاج صالح يؤكد " أنّ هذا لا يجوز لنا أن نقول بأنّ علم اللسان قد عرف مفهومه وثبتت أقدامه واكتملت فنونه

<sup>1</sup> - هذا لكونها أصواتاً تنتشر في الهواء بالتموج فتزول بزواله.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 49-50.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص: 51. ونسبة هذا الاختراع إلى الفنيقيين أمر محقّق، مجمع عليه الآن (خصوصاً بعد اكتشاف آثار أو غاريت، المدينة الفينيقية العريقة برأس شمريّة الواقعة في الشمال الغربي من سوريا سنة 1929، وقد اكتشف الأثريون الكثير من لوحات الطين الأكادية نقشت عليها قوائم من أسماء الأشياء المختلفة باللّغة السومرية، وما يقابلها من الأكادية، وكذلك عند الفنيقيين من أهل أوغاريت وجدت عندهم قواميس بأربع لغات. وهذا يدلّ على اهتمام الإنسان منذ أبعد العصور بدراسة مفردات اللّغة. ينظر عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص: 51 (الهامش) وص 55.

ونظريّاته ومناهجه في هذا العصر الطاعنفي القدم، لأنّه ينبغي لكلّ ذي دراية أن يميّز بين أطوار نشوء العلوم وأطوار نضجها واكتمال مادتها ووسائلها... وعلى هذا فإنّ المحاولة الأولى في تحليل اللسان علميا غير المادّة العلمية الناضجة التي تكدّسها عقول العلماء وأعمالهم على مرّ الأيام.<sup>1</sup>

وبهذا نجد أنّ الحضارات القديمة قد اهتمّت بالدراسات اللغوية اهتماما متفاوتا في الدّرجة والعمق؛ ومن بين الجهود التي نشير إليها:

### 1- جهود الهنود:

لقد كان اهتمام الحضارات القديمة بالدراسات اللغوية متفاوتا في الدّرجة والعمق، وتعدّ جهود النّحاة الهنود أقدم ما وصل إلينا؛ فقد اهتمّ عدد منهم بدراسة اللّغة السنسكريتية ووضع القواعد لكيفية نطق الحروف السنسكريتية وكيفية استخدامها<sup>2</sup> وكان ذلك للمحافظة على النصوص الدينيّة متمثلة في كتاب "الفيدا" المقدّس وحماية اللّغة السنسكريتية من التّحريف، هذه النصوص التي تمّ تناقلها بطريقة شفوية قد انحدرت من المرحلة الفيديّة حوالي 1200 ق.م، ثم طرأت عليها تغييرات عدّة عبر العصور المتتالية، فبرزت لهجات تختلف عن اللّغة الأولى، الشّيء الذي دفع النّحاة الهنود إلى دراسة اللّغة بشكل عام والأصوات بشكل خاص، لتمكين أهل العقيدة من الفهم والنّطق الصّحيحين للكتب المقدّسة في الطّقوس والشّعائر<sup>3</sup>.

وقد سمّيت هذه المرحلة بـ "النّحو التّقليديّ"؛ فالهنود يولون عناية بالغة بالنّحو لأنّه الوسيلة الوحيدة التي تقوم ألسنتهم وتحفظ كتبهم المقدّسة من الانحراف، وفي هذا الصّدّد يقول "أحمد مختار عمر" عنهم: "إنّ الماء هو أقدس شيء على الأرض، والكتب المقدّسة أكثر قداسة من الماء، ولكنّ النّحو أكثر قداسة من الكتب المقدّسة."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص: 53.

<sup>2</sup> - ينظر، محمود حجازي: البحث اللّغوي، دار غريب للطباعة والنّشر، الفجالة، مصر، 1994، ص 9-10.

<sup>3</sup> - ينظر، أحمد مومن، المرجع السابق، ص 12.

<sup>4</sup> - أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند الهنود وأثره على اللّغويين العرب، دار الثقافة، بيروت 1972، ص: 37.

وأشهر بحث في الدراسات اللغوية الهندية القديمة كان من إنجاز العلامة الهندي الشهير "بانيني" panini الذي قام بتحليل كل مظاهر لغة الهنود وتقنينها، وألف في القرن الرابع الميلادي كتابه "Ashtaydhyay" أي الكتب الثمانية؛ حيث قام بتحليل مظاهر اللغة السنسكريتية<sup>1</sup>، فوضع فيه قوانين وقواعد نحوية بلغته ومنهجه، ولا يتسنى فهم أية قاعدة إلاّ بفهم القواعد السابقة، ويظهر من كلامه أنّ أكثر ما يقوله كان قد سبقه إليه عدد كبير من النحاة، وعدد الذين ذكرهم بانيني ثمان وستين شخصاً، وهذا يدلّ على أنّ نحوهم أقدم من هذا العهد.<sup>2</sup>

وقد تميّز نحوه بخصائص ثلاث تبيّنتها فيما بعد اللسانيات الحديثة وعدّها منطلقات أساسية ومنهجية في كلّ دراسة لغوية، وهي الشمولية أي الدراسة الشاملة لكلّ الجوانب المتعلقة باللّغة، الانسجام أي عدم التناقض الكليّ والمستمر في دراسة الظاهرة اللغوية الاقتصاد أي الاقتصاد في استخدام الكلمات والإيجاز في التعبير عن النتائج؛ وذلك باستعمال أسلوب علمي محض، يسود فيه الاختصار تستعمل فيه رموز الجبر ويتفادى فيه الحشو والتكرار.<sup>3</sup> ومن ثمة فإنّ الدراسات اللغوية الهندية قد شملت فروع علم اللّغة المختلفة من أصوات وصرف ونحو ومعجم، هذا إضافة إلى دراسات أخرى في فقه اللّغة، ولكنها برغم ذلك احتوت على مسلمات عامّة وحقائق علمية مجرّدة وبخاصّة في حقل الصّوتيات.<sup>4</sup>

ويشير الحاج صالح إلى أنّ البحث في مجال النّحو استمرّ عدّة قرون بعد ذلك حتّى في زمان ازدهار الحضارة العربية؛ " ففي القرن السابع بعد الميلاد ظهر كتاب

<sup>1</sup> - ينظر، نهاد الموسى: نظرية النّحو العربي في ضوء مناهج النّظر اللّغوي الحديث، دار البشير، الأردن، ط2 1987، ص:20.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص:62.

<sup>3</sup> - ينظر، أحمد مومن، المرجع السابق، ص:14.

<sup>4</sup> - ينظر، أحمد مومن، المرجع نفسه، ص: 15.

"فاكياياديا" لمؤلفه "بهاترهاري" في علم اللسان السنسكريتي، وقد بلغ عدد الكتب الهندية اللغوية ما يفوق الألف، وكانت عندهم ما لا يقل عن عشر مدارس ومذاهب في النحو واللغة، وهذا عمل عظيم ما رأينا له مثيلا فيما قبل ولا بعد إلا ما أنتجه الفكر العربي القديم والفكر الأوربي الحديث.<sup>1</sup>

لم يكتف اللغويون الهنود بوصف لغتهم وتحليلها فقط، بل تجاوزوا ذلك إلى البحث النظري وفي هذا الصدد يقول الحاج صالح: "ولهم في هذا الميدان بعض المكاسب سبقوا بها أيضا غيرهم إلى النظريات الحديثة؛ وذلك مثل نظريتهم في ماهية الصوت اللغوي، وهي نظرية الـ"سبهوتا"؛ فقد انتبهوا إلى الفرق القائم بين الصوت كظاهرة فيزيائية عامة، والصوت كظاهرة فيزيائية فيزيولوجية خاصة بالكلام وبين الصوت الحامل لمدلول، وهو ما يدركه المتكلم والمخاطب من الصفات السمعية الصوتية التي تكفي لفهم المدلول؛ فالصوت عموما هو "دهفاني" والصوت الكلامي كلفظ هو الـ"سبدا" وأما الصوت الدال الذي لا يتغير فهو الـ"سبهوتا" ومعناه الأصلي هو التّجسس والانتشار (ضد الانطواء)".<sup>2</sup>

لقد بنى الهنود دراستهم على المشاهدة والاستقراء<sup>3</sup>، وليس من محض التأمل كما سيفعل الفلاسفة اليونانيون، "فما خرجوا إلى تلك المعارف من نظرية سابقة، بل تصفحوا جزئيات لغتهم ومجاري كلامهم من مشافهة بعضهم لبعض (بهاسا)، وبالنظر

<sup>1</sup> - أما بالنسبة للنحو العربي فقد أحصى السيوطي 2209 شخصا ممن ألف أو كان له كلام في اللغة والنحو من أول ظهور النحو حتى القرن التاسع الهجري. وأما اللسانيات في الغرب فقد سجل مؤتمر العلوم اللسانية الذي انعقد في بوكورشت في سنة 1967م أسماء الباحثين والواردين من هذه البلدان ما يقرب الألفين. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 62.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: المصدر نفسه، ص: 68.

<sup>3</sup> - استمر هذا الاستقراء إلى أن زالت المشافهة باللغة السنسكريتية (بعد القرن الثالث ق.م) فقامت الدراسة الفيلولوجية بعد ذلك مقام المشاهدة المباشرة. ينظر عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 63. (الهامش).

في النصوص القديمة (شنداس) فكانت مناهجهم بذلك علمية حقيقية، مستوفية لجميع شروط العلم كما نفهمه اليوم.<sup>1</sup>

وعلى العموم فإنّ اللسانيات الهندية قد بلغت من الدقة العلمية وسعة المعلومات ما لم تبلغه الحضارة اليونانية في البحث اللغوي فلسفياً كان أو نحوياً، تعليمياً أو نظرياً اللهمّ إلا فيما أخذته من اللسانيات العربية، وأنّ اللغويين الغربيين ما استطاعوا أن يصلوا إلى الفهم الصحيح للمفاهيم الصوتية، ومفاهيم الصوتيات إلا بعد اطلاعهم على التراث الهندي.<sup>2</sup> وفي الحقيقة فإنّ اكتشاف السنسكريتية من قبل بعض الباحثين الغربيين أعطى دفعة قوية للسانيات المقارنة التي ميّزت القرن التاسع عشر وخاصة النظرية النحوية التي وضعها "بانيني" والتي كان لها الأثر الملموس على لسانيات القرن العشرين.

## 2- جهود الإغريق:

قام الإغريق ببحوث لسانية في اتجاهات كثيرة، وكانوا أول المنظرين اللسانيين في العالم؛ حيث أولع النحاة الإغريق بالنظر العقلي والمنطقي في اللغة والنحو، وقد كانت بداية الدراسات اللغوية عندهم على يد السفسطائيين<sup>3</sup> الذين جعلوا اللغة خاضعة للقياس

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق ، ص62-63.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص:68.

<sup>3</sup> - السفسطائيون: السفسطائية sophism كلمة يونانية مشتقة من اللفظة «سفسطة» سوفيسما (sophisma) ، التي تعني الحكمة والحق. وقد أطلقها الفلاسفة على الحكمة المموهة والحذاقة في الخطابة أو الفلسفة، كما أطلقت على كل فلسفة ضعيفة الأساس متهافتة المبادئ كفلسفة الربيبة (الشكية) والسفسطائية حركة فلسفية غير متكاملة ضمن نظام، ظهرت في القرن الخامس قبل الميلادي، ومركزها أثينا، وهي فلسفة عملية تقوم على الإقناع لا على البرهان العلمي أو المنطقي، وعلى الإدراك الحسي والظن، وعلى استعمال قوة الخطابة والبيان والبلاغة والحوار الخطابي، والقوانين الجدلية الكلامية بهدف الوصول إلى الإقناع بما يعتقد أنه الحقيقة، وبهذا المعنى أصبحت السفسطائية عنواناً على المغالطة والجدل العقيم واللعب بالألفاظ وإخفاء الحقيقة. من أشهر السفسطائيين: بروتاغوراس، وجورجياس، وأنتيفون. اعتقد بروتاغوراس بأنه يجب اتباع الأعراف والطقوس القديمة للمحافظة على تماسك المجتمع. واشتهر جورجياس بأفكاره الشكوكية المحرّضة فكرياً. أما أنتيفون، فقد ركّز على الفرق بين القانون المدني والسعي الفطري للإنسان للحصول على

ويعدّ "أفلاطون" (347 ق.م) أقدم فيلسوف أخبرنا عن اهتمام اليونانيين بمسائل اللّغة وتطلّعهم إلى أسرارها في كتاب "قراطولوس" الذي يبيّن أنّ المسائل المطروحة فيه كان يرجع عهدها إلى زمان " فيثاغورس" في القرن السادس قبل الميلاد.<sup>1</sup> وأوّل من فرّق بين الاسم والفعل باعتبارهما العنصرين الأساسيين في الجملة، فقسّم الجملة إلى اسمية وفعلية؛ فالأسماء عنده هي العبارات التي تدلّ عمّن يقوم بالحدث في الجملة، وأنّ الأفعال هي العبارات الدّالة على حدث أو صفة في الجملة، وبهذا يكون قد عدّ الأفعال والصفات قسماً واحداً وهذا التّقسيم مبني على تصوّر عقلي منطقي محض يعكس مكوّنات القضية الفلسفية<sup>2</sup>، وتحدّث عن نشأة اللّغة ورأى أنّها من صنع الطّبيعة (الطّبيعيين) أي أنّها "انحدرت من أصل تحكّمه قوانين خالدة غير قابلة للتغيير"<sup>3</sup>. واختلف في ذلك عن الاصطلاحيين (العرفيون) الذين يرون بزعامة "أرسطو" (322-384 ق.م) أنّ اللّغة وليدة العرف والتقليد، وأنّ المفردات يمكن أن نغيّرها عندما نشاء، وأن اللّغة تكون كقوّة بشكل متساو بمجرد قبول هذا التغيير. وقد أدّى هذا النقاش إلى البحث عن العلاقة بين أشكال الكلمات ومعانيها، فأكدّ الطّبيعيون على التّطابق الموجود بين كلّ دال ومدلول، وحسب "أفلاطون" فإنّ الكلمات ظهرت لتلبيّ حاجيات الإنسان الضّرورية للتّواصل، والبحث في أصول اللّغة يؤدّي إلى اكتشاف حقائق الطّبيعة وفهم ظواهر الكون حسب اعتقاده.<sup>4</sup>

ملدّات الحياة، وكان يعتقد أنّ الناس غالباً ما يستطيعون تحقيق منافع شخصية عن طريق التلاعب بالقانون والعمل وفقاً لنزواتهم الفطرية إذا ما استطاعوا الإفلات من العواقب. المصدر: من قسم: الفلسفة والعلوم النفسية والإنسانية الموقع: <http://www.arab-ency.com>

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 71.

<sup>2</sup> - ينظر، أحمد مومن، المرجع السابق، ص 17.

<sup>3</sup> - John Lyons, Introduction to théoretical linguistique, London 1968, p4. نقلا عن أحمد

مومن، المرجع السابق، ص 15.

<sup>4</sup> - ينظر أحمد مومن، المرجع نفسه، ص 16.

ويعدّ "أرسطو طاليس" تلميذ أفلاطون، المؤسس الحقّ للنحو الأروبي التقليدي، وقد أقرّ تقسيم الكلمة عند "أفلاطون" ولكنّه أضاف إليه قسماً ثالثاً هو الروابط التي تؤدي وظيفة نحوية، وينسب إليه نظرية بنية العبارة التي تتكوّن من مسند ومسند إليه، وبهذا يعدّ أوّل من وضع أسس التحليل النحوي.<sup>1</sup> كما اكتشف أيضاً صيغ الفعل المختلفة في اللّغة الإغريقية، وأكّد على أنّ التغيّرات المنتظمة في أشكال الفعل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم زمن حدوثه، وتدلّ على الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وقد مزج "أرسطو" بين النحو والمنطق، ولا يزال هذا المزج يصبغ النحو التقليدي إلى يومنا هذا.

وتعدّ المدرسة الرواقية التي أسّسها "رينون" (300 ق.م) أهمّ مدرسة فلسفية في "أثينا" بعد أرسطو لعنايتها بالمسائل اللغوية والفلسفية، وقد أضاف الرواقيون إلى أقسام الكلام القسم الرابع والخامس، وهما الأدوات والقرائن، ووضعوا نظرية تركيب الجملة التي تعتمد على تحليل أنواع الإسناد في الجملة الفعلية والتميز بين اللازم والمتعدّي من الأفعال، والمبني للمعلوم والمبني للمجهول. كما صاغ الرواقيون ثنائية الصيغة والمعنى مميّزين في اللّغة بين «الدالّ» و«المدلول» (الذين يذكّرنا بشكل لافت للنظر باصطلاح دي سوسير الدال signifiant والمدلول signifie) أمّا النصوص المرتبطة بالموضوع فيصعب تفسيرها، ولكن يبدو أن المدلول لم يكن صورة ذهنية بشكل كامل بل كان شيئاً ما في ذهن المتكلم والمستمع يقابل نطقاً معيّناً في اللّغة (وهذا يشبه إلى حد ما توحيد دي سوسير للصوت والفكرة عن طريق اللّغة)<sup>2</sup>.

وخلاصة القول إنّ نحاة الإغريق قد نظروا إلى العالم بمنظار فلسفي، فأثّر ذلك على نظرتهم للّغة والنحو، واهتموا بوصف لغة أجدادهم، وطبّق نحوهم الذي صمّم خصيصاً للغتهم على كلّ لغات العالم تقريباً، والسّر في نجاحه يعود إلى كونه أقرب إلى الطبيعة البشرية ممّا سواه، ولأنّه بُني على مبادئ فلسفية ومنطقية لها علاقة كبيرة

<sup>1</sup> - ينظر، أحمد عبد العزيز دراج، الاتجاهات المعاصرة في تطوّر دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد، الرياض السعودية، ط 2003، ص 38.

<sup>2</sup> - ر. ه. روبنز: موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، تر أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت نوفمبر 1997، ص 37.

بالفكر البشري،<sup>1</sup> وإلى يومنا هذا ما انفكت كتب النحو المدرسية تستعمل نفس المصطلحات التي تداولها جيل بعد جيل وتناقلوها عبر الزمان، منذ عهد أرسطو إلى العصر الحاضر، ويرى عبد الرحمن الحاج صالح أنّ هذه المصطلحات لا تزال رائجة ولم تكسد سوقها رغم رثتها وقلة موافقتها لمقتضيات هذا العصر، وفي هذا الصدد يقول: "...نخص بالذكر كتاب كوانتيليانوس الذي صار عماد كلّ نحوي وأول كتاب طبع في الدنيا! وبدأ المثقفون منذ سنوات يتركون شيئاً فشيئاً هذه المفاهيم العتيقة ويستبدلونهم بمفاهيم علم اللسان الحديث وقد تمّ ذلك على مستوى الجامعات ومعظم التعليم الثانوي والابتدائي، وهذا لا يعني أنّهم تركوا كلّ شيء، بل حافظوا على ما يبدو أنّه صحيح منها حتّى يأتي يوم يحتمّ عليها الزوال أو التّكليف والتّطور. هذه سنة الله في أرضه."<sup>2</sup>

### 3- جهود الرّومان:

كانت العلوم اللّغوية الرّومانية تطبيقاً للفكر اليوناني؛ إذ أنّ النّحاة الرّومان أخضعوا جميع الظواهر اللّغوية اللّاتينية لقوانين اللّغة اليونانية، وكان "فارو" varro " (116-27 ق.م) أول مؤلّف لاتيني تناول القضايا اللّغوية، وقد كتب نحواً للغة اللّاتينية تحت عنوان "اللّغة اللّاتينية" De Lingua latima " بلغ ستاً وعشرين جزءاً وقد نال هذا الكتاب تقديراً كبيراً في زمانه وفي السنوات المتتالية له، وقد اهتم بالصّرف والاشتقاق والتّوليد، والنحو، وقد قال بأنّ اللّغة تتكوّن من مجموعة متناهية من المفردات التي فرضت على الأشياء لتسهيل عملية التّواصل، وتعمل بطريقة توليدية بوصفها مصدراً لأعداد هائلة من المفردات عن طريق إجراء تغيّرات متتالية في حروف الكلمات ومعانيها.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - أحمد مومن، المرجع السابق، ص 23.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 81 (الهامش).

<sup>3</sup> - ينظر، أحمد مومن، المرجع السابق، ص 25.

ونجد الكثير من الرومانيين ممن اهتموا بالنحو من أمثال "كونتيليان" (kuintilian) (35م-90م) و"بريسيان" (prisciane) (512م-560م) الذي واصل أبحاثه في وصف لغة الأدب اللاتيني القديمة، وتعدّ مؤلفاته الطريق الذي يربط القديم بالعصور الوسطى في علم اللغة.<sup>1</sup> ونجد الكثير من النحويين الرومانيين، ولكنهم لم يخرجوا كثيرا عن النظرية اللغوية التي جاء بها علماء الإغريق باستثناء بعض الإضافات الطفيفة أو الشروح الوافية .

#### 4-العلوم اللسانية عند العرب:

وأما في العصور الوسطى المتأخرة، فقد كان للعربية والعبرية مكانة في أوروبا وخاصة العربية التي دخلت بلادا كثيرة نتيجة انتشار الدين الإسلامي في معظم أراضي الشرق الأدنى وشمال إفريقيا، وتعدّ اللغة العربية من اللغات السامية التي ظلت محافظة على أهم خصائصها كونها كانت في بوتقة معزولة عن العالم في شبه الجزيرة العربية، ولا تستعملها إلا القبائل العربية، وقد كان لهذه البيئة العربية في العصر الجاهلي أثر كبير على اللغة والأدب؛ إذ يقول "عمر توفيق سفر آغا: "أدى انقسام العرب إلى قبائل متفرقة إلى تعدد اللهجات، وصارت كل قبيلة تطلق على المسمى الواحد اسما يختلف عن اسمه عند الأخرى، كما أنّ كل قبيلة كانت تضع أسماء كثيرة للمسمى الواحد؛ ذلك لأنّ عدم تعدد البيئة البدوية وضيقها أدى بالعربي إلى أن يعنى بكلّ ما حوله صغيرا كان أم كبيرا، وبكلّ دقائقه، ومن هنا كثرت المفردات والجموع وتعددت الأضداد."<sup>2</sup>

أشار الحاج صالح إلى الألفاظ التي كان يستعملها اللغويون العرب للدلالة على المفهوم العام الذي تصوّروه لعلم اللسان والمفاهيم الخاصة المفرّعة عليه؛ إذ يقول: "إنّ لفظة "لغة" كانت تطلق عند النحاة واللغويين على عدّة معانٍ زيادة على ما يفهم من

<sup>1</sup> - ينظر، ر.ه روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص: 100-101.

<sup>2</sup> - عمر توفيق سفر آغا: الأدب العربي ونصوصه، مراجعة منير البعلبكي، الدار البيضاء، ط3 1996، ص16-17 نقلا عن أحمد مومن، المرجع السابق، ص35-36.

تحديد ابن جني لها وهو اللسان بوجه عام... وأن مفهوم العام الذي عُرف للفظ (اللغة) ما عُرف في الحقيقة إلا بعد نهاية القرن الثاني الهجري، وأن الأصل في الدلالة عليه هو ما استعمله القرآن الكريم (لا توجد فيه كلمة أخرى لهذا المدلول غير "اللسان") والشعر الجاهلي والإسلامي وما نقل من كلام النحويين قبل وفاة سيبويه، وكل ما أُلف في ذلك العهد في العربية والفقه والحديث، وغير ذلك من العلوم الإسلامية، لا يوجد فيها إلا لفظ "اللسان" وكلما استعملت كلمة "لغة" فيها فهو للدلالة على الكيفية الخاصة التي يمتاز بها قوم عن قوم - عربا كانوا أم عجماء - في تأدية لفظ معين إما في النطق به أو صياغته أو تركيبه، وهذا يراه حسب رأيه - واضحا في كتاب سيبويه ودفاتر العلماء المستقرئين للغات العرب.<sup>1</sup>

وقد استدلل الحاج صالح على مفهوم هذا العلم من كتاب "إحصاء العلوم" لأبي نصر الفارابي؛ وذلك من خلال قوله: "علم اللسان" في الجملة ضربان: أحدهما، حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلم ما يدل عليه شيء منها، والثاني "علم قوانين تلك الألفاظ" والقوانين في كل الصناعة: أقاويل كلية، أي جامعة، ينحصر في كل واحد منها أشياء كثيرة مما تشتمل عليه الصناعة، حتى يأتي على جميع الأشياء التي هي موضوعة للصناعة أو على أكثرها، وتكون معدة إما ليحاط بها ما هو من تلك الصناعة، لئلا يدخل فيها ما ليس منها أو يشذ عنها ما هو منها، وإما ليتمحن بها ما لا يؤمن أن يكون قد غلط فيها غلط. وإما ليسهل بها تعلم ماتحتوي عليه الصناعة وحفظها.<sup>2</sup>

إن الألفاظ الدالة في لسان كل أمة ضربان: مفردة، ومركبة. فأما المفردة: كالبياض والسواد والإنسان، والحيوان. والمركبة: كقولنا الإنسان حيوان، وعمر أبيض. فالمفردة: منها ماهي ألقاب أعيان، زيد وعمر ومنها مايدل على أجناس الأشياء وأنواعها، مثل

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 82.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص 85.

الإنسان، والفرس، والحيوان والبياض والسواد. والمفردة الدالة على الأجناس والأنواع: منها أسماء، ومنها كلم، ومنها أدوات.<sup>1</sup>

ويعلق الحاج صالح على كلام الفارابي قائلاً: "بهذا الكلام القيم يتضح لنا مفهوم علم اللسان الذي يتصوره العرب، فلاحظ بالخصوص العبارات "في لسان كل أمة"... فإنها تدل بوضوح على عدم اقتصار الفارابي في تقسيماته لموضوعات علم اللسان معين، وهذه نظرة لم يسبق لنا أن رأيناها عند النحاة المتقدمين من غير العرب ولا من جاء بعدهم من النحاة الأوربيين في القرون الوسطى حتى القرن الثالث عشر، حيث تمكّنوا من الاطلاع على تأليف العرب وخصوصاً هذا الكتاب، ويجب أن نذكر أنّ الفارابي عاشر مدّة طويلة النحوي الممتاز أبا بكر بن السراج وأفاد منه كل هذه المعلومات التي يذكرها هنا، وهي راجعة في الأصل إلى ما استخرجه النحاة من العربية، ويوافقهم في بعض هذه الأشياء خاصّة باللسان العربي والبعض الآخر- كانقسام الكلم إلى اسم وفعل وحرف- عام الوجود (وهو قول النحاة)، وأقدم كتاب رأينا فيه هذا المقتضب للمبرد شيخ ابن السراج"<sup>2</sup>.

وعلى الرغم من إعجابه الكبير بآراء الفارابي وكتابه، وأسبقيه هذا الكتاب إلى تحديد مفهوم علم اللسان بما يوازي ما وصل إليه علم اللسان الحديث، إلا أنه يؤكد على أنه ليس مصدراً لكل ما يوجد في علم اللسان الحديث؛ وفي هذا الصدد يقول: "لا نعني بذلك طبعاً أنّ ما قاله الفارابي في هذا الكتاب- وفي غيره ممّا ترجم أيضاً إلى اللاتينية- هو مصدر كل ما يوجد الآن في علم اللسان الحديث. فإن في هذا العلم أموراً كثيرة ابتدعت في زماننا، بل مقصودنا هو أنّ المفهوم الذي تصوّره العرب لعلم اللسان (علم يتناول العام والخاص من الأحداث اللغوية، أي ما تشترك فيه جميع اللغات، وما تختص به وما ينقسم إليه من أقسام غير معروفة قبل بهذه الدقة)، هو أوّل مفهوم كان يمكن أن تتطرق منه الـ Linguistics فيما بعد."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 85.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص: 86-87.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 87-88. (الهامش)

قارن الحاج صالح بين مصطلح علم اللسان ومصطلح "فقه اللغة" الذي بدأ العرب باستعماله في القرن الرابع الهجري؛ للدلالة على الدراسة المعمّقة للغة لا اللسان كلّ، وموضوع هذا العلم " هو البحث عن الفوارق اللغوية الناتجة عن التعارض بين الوضع والاستعمال وما يترتب على ذلك من التفريع الدلالي وتشعبات المعاني، فهي دراسة تتعرّض للمفردات بصفة خاصّة من حيث تتوّع معانيها، أمّا بتتوّع تصوّرات الأشخاص بصفة عامّة، وإمّا بتتوّع استعمالها اللّهجي أو الاصطلاحي، وحتّى البلاغي أحياناً".<sup>1</sup>

وعلى هذا فإنّ فقه اللغة عند العرب هو امتداد وفرع لعلم اللغة أو علم متن اللغة الذي يدرس " الموضوعات اللّغوية" أي ما وضع من الألفاظ المعينة السماعية؛ وقد قصره المتأخرون على أوضاع المفردات فقط، وكان اللّغويون المستقرون يهتمّون أيضا بالتراكيب على مثل اهتمامهم بالمفردات إلا أنّ مهمّتهم في ذلك كانت مقصورة على الجمع والاستقراء والتثبيت من وجودها بالفعل في كلام الفصحاء من العرب، ويتركون تحليلها للنحاة، إن لم يكونوا هم بأنفسهم نحاة (وكذلك تحليل المفردات في صورتها وبنيتها).<sup>2</sup>

وقد اهتمّ العرب بعلم النّحو أيّما اهتمام، والذي ترجع نشأته إلى خشية المسلمين على القرآن الكريم من مخاطر اللّحن والتّحريف، واختلفت الرّوايات في واضع علم النّحو:

- ففريق من العلماء ينسبه إلى أبي الأسود الدّولي (69هـ) بأمر من علي بن أبي طالب بأمر من زياد بن أبيه أو بتشجيع من الإمام ابن عباس رضي الله عنهما أو بأمر من سيّدنا عمر رضي الله عنه.
- وفريق ينسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

<sup>1</sup>- لقد شغل هذا الأمر كلّ العلماء في القرن التاسع عشر، وهو الدّراسة المقارنة التاريخية للغات، أو ما كانوا يسمّونها في أوّل أمرها " النّحو المقارن" أو الفيلولوجيا التاريخية والمقارنة. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 88.

<sup>2</sup>- ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص 89.

-وفريق ينسبه إلى نصر بن عاصم (ت89هـ) أو عبد الرحمن بن هرمز (ت117) أو يحيى بن يعمر (129هـ)، وهؤلاء جميعاً تلامذة أبي الأسود الدؤلي.  
ولكن أكثر الناس على نسبة النحو إلى أبي الأسود الدؤلي، وبعضهم جعله منسوباً إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقليل نسبته إلى نصر بن عاصم أو عبد الرحمن بن هرمز.<sup>1</sup>

وقد كان لأبي الأسود الدؤلي جهود في الشكل والتثقيب عندما انتشر اللحن بين غير العرب من المسلمين، فكان يقول للكاتب: "إذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتيها فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعته شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين."<sup>2</sup> فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره.

كما نجد "الخليل" أيضاً يبتكر علامات أخرى غير علامات أبي الأسود الدؤلي وفي هذا الصدد يقول محمد بن يزيد: "الشكل الذي في الكتب عمل الخليل، وهو مأخوذ عن صور الحروف، فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف، لئلاً تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف"<sup>3</sup>.

أشار إلى هذه القضية ابن خلدون في مقدمته بقوله: "...وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب، واستتبقت القوانين

<sup>1</sup> - شرف الدين علي الزجاجي: في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، مصر 2002، ص89. ومن الدارسين من يضيف إلى جانب أبي الأسود الدؤلي كلا من نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز، ينظر، شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة 1992، ط7، ص15-16. كما أنّ بعض المستشرقين وحتى بعض العرب من أنكروا على أبي الأسود وضع النحو سواء منه أو بإيعاز من الإمام علي بن أبي طالب، كون العقل العربي لم يصل إلى ذلك القدر من التطور في بداياته ليأتي بتلك التقسيمات للكلم التي اتّسمت بهذا القدر من التطور في بداياته ليأتي بتلك التقسيمات المنطقية للكلم، إنّما حصل ذلك بعد تطور العقل العربي وتأثره بالفلسفة والمنطق اليوناني. ينظر، محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص: 63. وهناك من ادّعى وجود فرق بين العربية والنحو، وأنّ أبا الأسود نسب إليه حقاً وضع العربية من خلال نقط المعجم، فظن الرواة أنه واضع النحو، وفرق بين العربية والنحو ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص16.

<sup>2</sup> - أبو عمرو عثمان الداني: المحكم في نقط المصحف، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر، ط2، 1997، ص:4.

<sup>3</sup> - أبو عمرو عثمان الداني، المصدر نفسه، ص7.

لحفظها... ثم استمر ذلك الفساد بملايسة العجم ومخالطتهم، حتى تأدى الفساد إلى حفظ الموضوعات الألفاظ فاستعمل الكثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم، ميلا مع هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لريح العربية فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين... فشمّر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي<sup>1</sup>.

لقد أدى "الخليل بن أحمد الفراهيدي"<sup>2</sup> دورا كبيرا في بناء نظرية عربية كاملة شملت كل مستويات اللغة من صوتيات ونحو ودلالة، وهذا ما جعل تمام حسّان يقول عنه: "إن دوره في بناء النظرية النحوية يضعه في منزلة بين النحاة لم يبلغها أحد قبله، ولا أحد بعده حتى تلميذه سيبويه، فقد كان الفضل الأكبر لسيبويه أنه جمع واستوعب وسجّل فأما الخلق والابتكار فقد كانا من نصيب الخليل في الأغلب الأعم مما استمل عليه كتاب سيبويه... فجمع مادته كما قال هو للكسائي من بوادي الحجاز ونجد وتهامة... ولم يقف من الانتفاع بهذه المادة عند إكمال النظرية النحوية فقط، وإنما انتفع بها أيضا في حقل اللغة"<sup>3</sup>.

ونجد "عبد الرحمن الحاج صالح" أيضا يشيد بآراء "الخليل بن أحمد" النحوية فيقول: "فلا نحو علمي إلا عند "الخليل بن أحمد" وأتباعه وبعض العباقرة بعده، فهذا النحو لا يعرفه على حقيقته - فيما أعلم - لا المثقفون ولا اللسانيون العرب إلا القليل

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2004، ص:567.

<sup>2</sup> - عكف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على دراسة آرائه ردحا من الزمن، وأسس مدرسة أسماها "المدرسة الخليلية الحديثة" نسبة إليه، وهي مدرسة أصيلة تعتمد على الفكر اللغوي العربي بدون تعصب ولا تبعية. ينظر التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012 ص85.

<sup>3</sup> - تمام حسّان: الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، أميرة للطباعة، 2000 م، القاهرة، ص 22-23.

بل لا يعرفه الأولون إلا بإسقاطهم مفاهيم ابن مالك عليه وآخرون إلا بإسقاطهم البنيوية الغربية عليه أو اختباره بمقاييس مذهب من مذاهب اللسانيات<sup>1</sup>.

كما يجمع النحاة العرب على أنّ النحو العربي قد بلغ ذروته على يد "سيبويه" (ت180هـ) في القرن الثاني للهجرة، الذي اعتمد دراسة الظواهر اللغوية على طريقة تجمع بين الوصفية والمعيارية، ويعدّ مؤلفه "الكتاب" أول مصنف نحويًا اشتمل بالإضافة إلى النحو على علوم اللغة العربية كالصّرف والبلاغة والصّوتيات، حيث راح يتناول فيه أساليب الكلام في إطار تبليغه للمعنى وتبعًا لقواعد النّظام التّحوي والسيّاق الذي يجري فيه؛ إذ جعل من نسج العبارة وما فيها من حسن أو قبح أو استقامة أو استحالة، ومن المعنى وما فيه من صدق أو كذب، وعن هذا المعنى الأخير يقول سيبويه في مستهل كتابه (هذا باب الاستقامة من الكلام والاستحالة. فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب) ثمّ يفسّر عبارته هذه قائلاً: "فأمّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأتيتك غدا. وأمّا المحال: فإنّ تنقض أول كلامك بآخره فنقول: أتيتك غدا وسأتيتك أمس، وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحو ذلك، وأمّا المستقيم القبيح فإنّ تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكى زيدا يأتيتك وأشباه ذلك. أمّا المحال الكذب فإنّ تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناني: أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان الرباط، ط1، 2009، ص85.

<sup>2</sup> - أبو بشر عمرو سيبويه: الكتاب، ج 1، دار صادر، لبنان، ص8.

وإضافة لكلّ هذا لا يمكن إغفال الدور الذي أدته مدرستا الكوفة والبصرة النحويتين، لما كان بينهما من خلاف وتنافس شديد في القضايا النحوية؛ إذ اتجهت كلّ مدرسة اتجاهاً معيناً، فركّزت الأولى على الانتظام الدقيق والطبيعة المنتظمة للغة كوسيلة للخطاب المنطقي ويمكن أن تكون الفلسفة الإغريقية وأفكار أرسطو قد أثرا على أساليب تعليم اللغة العربية<sup>1</sup>، وقد لقيت مصطلحات هذه المدرسة رواجاً كبيراً بين الباحثين والدّارسين، إذا ما قورنت بمدرسة الكوفة التي غلب عليها طابع النقل والوصف والأخذ بالأشياء كما وجدت<sup>2</sup>.

وبدأت تظهر معها بعض المسائل اللغوية التي ظهرت عند علماء اليونان والرومان وغيرهم فرأى بعضهم أنّ اللغة اصطلاحية وضعت لتسيير التّواصل الاجتماعي؛ وهذا رأي المذهب الوضعي الذي قال به "أرسطو" و"ديودورس" و"شيشرون"، وإليه ذهب "أبو عليّ الفارسيّ وتلميذه "ابن جنّي" وطائفة من المعتزلة<sup>3</sup>. إذ يقول ابن جنّي في تعريفه للغة: "أما حدّها فإنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"<sup>4</sup>.

وقد أظهر ابن جنّي ميله إلى المذهب الوضعي، ولكنّه لم يقطع به، بل وازن بين أدلة المذهبين ثمّ قال: "إلا أنّ أبا عليّ رحمه الله قال لي يوماً: هي من عند الله. واحتجّ بقوله سبحانه: "وعلم آدم الأسماء كلّها"<sup>5</sup>، وهذا لا يتناول موضع الخلاف، وذلك أنّه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة، فإذا

<sup>1</sup> - نجد "عبد الرحمن الحاج صالح" يشير إلى أنّ النحو العربي لم يتأثر بمنطق أرسطو لا في نشأته قبل سيبويه ولا بعد ذلك ويعطي مثالا عن الإسناد بقوله: "إنّ تحليل النحاة العرب للكلام المفيد إلى عنصرين: المسند والمسند إليه لا يعني أبداً أنّهم نظروا إلى الجملة على أنّها حكم منطقي؛ لأنّ غرضهم كما قال الزجاجي غير غرض أرسطو إذ الذي قصدوه هو الجانب اللغوي الصّرف للكلام كما أنّ أرسطو كان يهتم فقط الجانب المنطقي منه، ويصرّح بذلك، ويحدّر من أن يتخذ الكلام الذي لا يمكن أن يوصف بأنّه صدق أو كذب مثل صيغة الأمر وصيغة كل طلب موضوعاً من موضوعات المنطق. أمّا النحاة العرب فإنّهم يهتمون بالكلام كخطاب مهما كان. فلو اقتبسوا ذلك من المنطق ليحدروا مثل أرسطو أنّ غرضهم هو أعمّ من الحكم وليس هو التمييز بين الصّدق والكذب في ذاتهما، فهذا لم يقلوه أبداً، وسنفضّل في هذا الأمر في الفصول القادمة، إن شاء الله. ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر الجزائر، 2012 ص 41.

<sup>2</sup> - ينظر، أحمد مومن، المرجع السابق، ص 39.

<sup>3</sup> - ينظر، مصطفى صادق الرّافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1- 1424هـ/2003، ص 39.

<sup>4</sup> - أبو الفتح ابن جنّي: الخصائص، تحقيق محمّد عليّ النّجار، المكتبة التوفيقية، مصر، ط1، ج1، 2015، ص 101.

<sup>5</sup> - سورة البقرة: الآية 31.

كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به، وقد كان أبو علي رحمه الله أيضا قال به في بعض كلامه.<sup>1</sup>

بحث "ابن جنّي" في وضع اللّغة ونشأتها وحكم اشتقاقها ومقابلة موادها بعضها ببعض" ولو جمعنا ما كتبه ابن جنّي بصدد النّظرية اللّغوية العامة في كتابه "الخصائص" وما كتبه عن الصّوتيات في كتابه "سر صناعة الإعراب" لوجدنا أنّ دراسته تناولت اللّغة من جميع جوانبها وعلى كلّ المستويات.<sup>2</sup>

كما رأى البعض الآخر أنّها توقيفية بمعنى أنّها وحي وتوقيف من الله سبحانه وتعالى في الوضع، وهو مذهب "أفلاطون" من القدماء، وبه أخذ "ابن فارس" والأشعري وأتباعهما من علماء العرب وحبّتهم في ذلك قوله عزّ وجلّ: "وعلم آدم الأسماء كلّها."

لقد ساهمت الكثير من الأسماء العربية البارزة من أمثال "أبو عمرو بن العلاء" (ت154هـ) الكسائي (ت197)، الفراء (ت207)، أبو العباس المبرّد (ت285هـ)، أبو عليّ الفارسي (ت377هـ) والرّماني (ت385) وغيرهم في بناء صرح لغوي ضخم، شهد له الكثير من الكثير من الباحثين إذ يقول أحد المستشرقين: "إنّ علم النّحو أثر من آثار العقل العربي لما فيه من دقّة في الملاحظة ونشاط في جمع ما تفرّق، وهو لهذا يحمل المتأمل فيه إلى تقديره، وبحقّ للعرب أن يفخروا به".<sup>3</sup>

وهذا الذي جعل يوهان فك- أحد المستشرقين- يقول عنه: "ولقد تكفّلت القواعد التي وضعها النّحاة العرب...بعرض اللّغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها... حتّى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى لا يسمح بزيادة المستزيد".<sup>4</sup>

وبعد هذه النّظرة الموجزة لما أنتجه العرب، وهذه الشهادات التي أدلى بها بعض الباحثين يتأكّد وبحقّ أهمية الدّراسات النّحوية العربية وما وصلت إليه من مستوى علمي رفيع ونضج

<sup>1</sup> - ابن جنّي: الخصائص، ج1، ص110.

<sup>2</sup> - بلملياني بن عمر: تراث ابن جنّي اللّغوي والدّرس اللّساني الحديث- دي سوسير نموذجا- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2015، 1، ص32.

<sup>3</sup> - أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند العرب، عالم الكتب القاهرة، ط6، 1988، ص160.

<sup>4</sup> - أحمد مختار عمر، المرجع نفسه، ص160.

فكري كبير لم يتوصّل الغرب إلى كثير منه إلا في القرن العشرين، فلا أحد ينكر قيمة النحو على الرّغم ممّا شابه من شوائب، وما وجّه إليه من نقد<sup>1</sup>.

### 5- الدّراسات اللّغوية في أوروبا في القرون الوسطى:

دخلت البلدان الأروبية في سبات عميق دام عدّة قرون إثر انهيار السؤدد الرّوماني؛ أي بعد "برسيانوس" و"دوناتوس" والنّحاة الذين عاصروهما حتّى القرن الثّاني عشر، لقد أولع جميع المثقّفين حينذاك بكلّ ما أنتجه الأدب اليوناني والأدب الرّوماني، واستمرّ الحال كذلك حتّى طرأت على الثقافة الغربية تلك الأحداث التي مكّنت الغرب من الاحتكاك للمرّة الأولى بالحضارة الإسلاميّة مباشرة؛ فكانت الحروب الصليبيّة أولاً، ثمّ صدمات حربيّة أخرى وقعت في كل من إسبانيا وصقلية، فتبعتها، بعد اطلاع الأوربيين على رقي المسلمين، حركات اقتصادية واستطلاعية واسعة النطاق، ورحلات في طلب العلم من أوروبا إلى عواصم الأندلس والمغرب العربي تزايد عددها يوماً بعد يوم، وبدأت عند ذلك ترجمة الكتب العربيّة إلى اللاتينية، وبدأ المترجمون بكتب الفلسفة والمنطق والطب والعلوم الطبيعيّة والرياضيّة فانكبّ النّاس على دراستها<sup>2</sup>، وعند ذلك تسرّبت إلى أذهانهم من بين المفاهيم اليونانيّة والعربيّة مفاهيم لغويّة جديدة استحسّنها وامتثلوها فأدخلوها في دراستهم، وهكذا يكشف اليوم مؤرخو اللسانيات أنّ الكثير من مفاهيمها التي اعتبرونها جديدة كان قد أشار إليها المدرسيون (Scolastiques) في القرون الوسطى<sup>3</sup>.

لما تدفّقت الكتب العربيّة وآل الأمر في معاهد العلم إلى أولئك الذين انهالوا وتهافتوا عليها زرعوا مباني المجتمع المثقّف، وكانت ثورة على المعياريّة والتقليد، إلّا أنّ هذه الثّورة لم تتجح،

<sup>1</sup> - ومن النّقد الذي وجّه إليه تناول النّحاة لمسائل غير عمليّة، بل عقدهم أبواباً كاملة غير عمليّة مثل أبواب الاشتغال والتنازع ... وتفريعمهم للمسائل واشتقاقها، فقد اضطرب النّحاة في صور تعبيره اضطراباً شديداً، وإذا بحثت في كلام العرب عن أمثلة وشواهد لكلّ ذلك لا تجد لمعظمه وجهاً بل لا تجد له ذكراً. ينظر: أحمد مختار عمر، المرجع نفسه، ص: 151.

<sup>2</sup> - أغلب هذه التراجم جرت في إسبانيا ابتداء من القرن الثّاني عشر. وأشهر المترجمين هم Gundissalinus في عاميتهم Gondisalvi، وابن داود اليهودي Avendauth و Girardo Gremonensi المتوفى في 1187 و Hispanus Johanes وغيرهم وكان سبقهم إلى ترجمة الكتب العلميّة بعض الرهبان في صقلية. ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص: 90. (الهامش).

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص: 89-90.

فالعريب أنّ كلّ هذا الذي أحدثوا سرعان ما دخل في حيز التسيان بعد القرن الخامس عشر، وما بقي إلا عند عدد قليل جدا من العلماء تفتنوا إلى قيمته فتناقلوه جيلا بعد جيل في عزلة تامّة عن جمهور الناس، حتّى آل إلى فون هومبولت وفردينان دي سوسور في القرن التاسع عشر.<sup>1</sup>

أمّا فشل الحركة المنطقية اللغوية وتقهرها بعد القرن الخامس عشر، فيمكن أن تنحصر في أسباب عدّة من بينها استمرار عادة التقليد حتّى عند هؤلاء الثائرين على التقاليد التعليمية النحوية، لأنهم وإن كانوا قد تفتنوا إلى عمقها وجمودها، فإنهم ما فعلوا أكثر من أن استبدلوا تقليدا بتقليد؛ إذ بعد أن وجّهوا أنظار الناس إلى النقص الفظيع الذي كان يتّصف به التعليم والبحث ونبهوهم على ضرورة الرجوع إلى النّظر واستخدام الوسائل العقلية وأهميّة ما وجدوه في التّراث اليوناني، وما نقل إليهم ممّا أبدعه العلماء العرب، فإنهم لم يتجاوزوا كلّ ذلك، بل بقوا في غالب الأحيان مردّدين لأقوال أرسطو والفارابي وابن سينا وغيرهم ولم يزيدوا عليهم الشيء الكثير. هذا إضافة إلى بكور الزمان الذي نشأت فيه هذه الحركة وعدم نضج العقول - لعدم تعميم التعليم - وقلة استعداد المثقّفين على الإبداع والخلق وتحصيل المعارف الجديدة، وكل هذا يعلّل أيضا الوضع الاجتماعي الذي كانوا يعيشون فيه.<sup>2</sup>

يرى الحاج صالح أنّ جمود الفكر الأوروبي في القرون الوسطى، وجمود الفكر العربي بعد القرن السادس الهجري يتشابهان شيئا ما؛ فالتقليد واحد في جميع بلدان الدنيا، وممّا يدلّ على التّحجّر الفكري في كلّ عصر وبلد، الاستهثار بالشّروح والتّعاليق والاقتصار عليها وحدها وعدم الرجوع إلى الأصول أبدا، بل الاشمئزاز من النصّ المتقدّم الأصلي وتفضيل النصّ المتأخّر الذي هو عالة عليه لايزيد عليه ولايوضّحه، بل يشوّهه وينقص عنه قيمته، والهوس الذي يصيب المقلّدين من المؤلّفين وهو الولوع الجنوني باختصار المطوّلات وتطويل المختصرات، كلّ ذلك بدون فائدة إلا الإلغاز والحشو والميل إلى نظم القواعد شعرا وإفناء العقل في تحليل الأشياء التّافهة، وتحصيل الحاصل، هذا وليس كلّ شرح يصدر عن مقلّد بل هناك من الشّروح مايزيد العلم تقدما، مثل شرح السّيرافي لكتاب سيبويه، ولكنّ السّيرافي لم يكتف بتزديد عبارة

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص: 90.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 95-96.

سيبويه بصور مختلفة من اللفظ، بل دخل في أعماق معانيه فأثرها أيما إثراء، وكذلك هو الحال بالنسبة إلى شرح ابن جنّي لتصريف المازني، فكأنه كتاب ابتدعت أكثر معانيه، ثم إنّ العصور التي تلت القرن السادس قد شاهدت ظهور بعض الأفاضل العباقر من العلماء، وذلك مثل الرّضي الاستربادي وابن تيمية وابن خلدون، إلا أنّهم كانوا غير منسجمين مع معاصريهم الذين غلب عليهم التقليد.<sup>1</sup>

## 6- الدراسة اللغوية في أوروبا من القرن السادس عشر إلى التاسع عشر:

ظهرت في القرن السادس عشر لأول مرة في أوروبا دراسات في اللغات غير الأوروبية، وذلك ناتج عن كثرة الرّحلات والتّوسّع الاستعماري والتّبشيري" فقد رحل بعض الرّهبان إلى الصّين واليابان وأمريكا واهتموا بلغات الشعوب والأقوام الذين اتصلوا بهم هناك كما ألف G.Postel كتابا في نحو اللغة العربية، وبدأ النّاس يحزرون المعاجم المتعدّدة اللغات، ونذكر منها الـ R.Calepino Dictionary في إيطاليا في 1502 في سبع لغات والـ Mithridates (طبع في زوريخ في 1555) وقد ذاع صيته في أكثر بلدان أوروبا<sup>2</sup>، وقد بدأ العلماء الاهتمام أيضا بدراسة اللّغة اليونانية واللّغة العبرية، وحملهم على هذا ذلك الولوع بالأدب القديمة ورغبتهم في الاطلاع على اللغة الأولى لادميين، وكانوا يظنّونها العبرية لنزول الكتاب المقدس بهذه اللّغة.<sup>3</sup>

استمر الاهتمام باللغات الأجنبية في أوروبا في القرن السابع عشر (وسيستمر إلى يومنا هذا) وتزايد عدد المعاجم بكيفية عجيبة، وظهرت أيضا ترجمات للكتاب المقدس بعدة لغات في المجلّد الواحد، أمّا الدّراسات لأصوات اللّغة فبدأت تأخذ شيئا فشيئا صبغة علمية حقيقية، وذلك بعد أن ظهرت تلك الأوصاف التّعليمية للغات الأجنبية في القرن السابق وحفزتها المجادلة حول إصلاح الكتابة، فظهر في هولندا كتاب Spreckonst لبطرس مونتانس 1635 يصف فيه الأعضاء الصائتة وحركتها عند التّصويت، وأكثر من وُقّق شيئا ما في تصوير مخارج الحروف

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، (الهامش) ص:96.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص:99.

<sup>3</sup> - فيما يخص تفضيلهم للغاتهم القومية الحديثة أو القديمة فهو من محض العصبية وذلك كتفضيل الشعوبية قديما للفارسية واليونانية على سائر اللغات وما رد عليهم بعض الأدباء العرب فأداهم ذلك إلى تعصّب مماثل لتعصب العجم وغيرهم. ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص:98-111.

هو " جون ويليكس " John Wilkins في كتابه (towards real character) نشر في 1669).<sup>1</sup>

وجد الدراسات اللغوية في هذا عصر قد شهدت نشاطات فكرية كبيرة؛ إذ اشتدت العناية باللغة وكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد كإحياء اللهجات الأوروبية المتنامية واكتشاف اللغات الجديدة ، والاهتمام بالآداب بمختلف أشكالها، ومن أشهر المدارس التي ذاع صيتها في فرنسا وخارجها مدرسة "بوررويال" port royale والتي تأسست سنة 1637م وعدت بحق دراسة قائمة على مبدأ المنطق وإجراءاته التطبيقية، ولكنها حلت سنة 1661م نتيجة الصراعات الدينية والسياسية في فرنسا آنذاك، وأول ما نشر من أعمالهم "النحو العام والعقلي" Gramaire générale et raisonnée سنة 1660م وقد تضمن هذا النحو نماذج من اللغة الإغريقية واللاتينية والعبرية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى، وظل ذلك محل اهتمام النحاة الغربيين لأزيد من قرنين كاملين من الزمن، وأعيد نشره في عام 1830م.<sup>2</sup>

وقد آمن أصحاب هذه المدرسة بالعقل واعتبروه مصدر كل معرفة وأسمى من كل الحواس - ومستقلا عنها، ومن ثمة راحوا يبحثون عن السمات المشتركة بين جميع اللغات، بغض النظر عن الاختلافات الناشئة عن البنية السطحية، ورأى هؤلاء النحويون في العقل البشري قوة لا تضاهى، ففضلوا الفيلسوف الفرنسي "ديكارت" على الفيلسوف "أرسطو"، ولا يزال هذا المذهب العقلي مهيمنا على النحويين وعلماء اللسانيات إلى يومنا هذا.<sup>3</sup>

ينفي الحاج صالح هذا الربط بين ديكارت وبورويال؛ ذلك أن: "الغلط الذي يرتكبه جميع اللغويين الأوروبيين هو الربط بين ديكارت وبورويال، فإن صح أن يكون هذا الأخير ديكارتي المذهب فيما يخص المنهجية العامة كتحليل مادة البحث إلى أجزائها الأولية والانتقال من البسيط إلى المركب التي عرضها في كتابه المشهور "الخطاب في المنهاج" فإنه أرسطوطاليسي في غالب معانيه اللغوية المنطقية، أما ديكارت، فهو أول من دعا في أوربا إلى استعمال الاستنتاج الرياضي في جميع البحوث، بل هو الذي وضّح - لأول مرة - أسرار هذا الاستنتاج

<sup>1</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص 99.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد مومن، المرجع السابق، ص 46-48.

<sup>3</sup> - ينظر: أحمد مومن، المرجع نفسه، ص 49-50.

وميزته الخاصّة وبماذا يفارق استنتاج المنطق الأرسطي، وما نشرت هذه الأفكار إلا بعد وفاته في إبان القرن الثامن عشر.<sup>1</sup>

وإذا انتقلنا إلى القرن الثامن عشر، نجده يمتاز بكثرة البحث والتأليف في اللغات البشرية، وأمور اللّغة بصفة عامّة، فما من أحد من أعلام الأدب والفلسفة والعلوم، وحتى السياسة إلا وقد حاول أن يدلي برأي في هذا الموضوع، واستمرّ كذلك البحث في النحو النظري في أكثر بلدان أوروبا، وخصوصا في فرنسا وإنكلترا، وصدرت فيه كتب كثيرة جدًا حتى قيل عن هذا القرن إنه عصر النحو العام والنظريات اللّغوية، وقد ظهر فيه علّمان من نوابغ الفكر الفلسفي واللّغوي وهما كوندياك(Condillac من 1714 إلى 1780) وجيمس هاريس(1709-1780)<sup>2</sup>، كما ظهرت في هذا العصر أيضا بعض المحاولات في تحقيق القرابة بين اللغات، وكان "ليبينيتيس" قد دعا إلى جمع الأحداث اللّغوية وتدوينها، وأصدر في بداية هذا القرن كتابا مفيدا ينقض فيه ما ادّعاه العلماء منذ القرن السادس عشر من أنّ العبرية هي أم اللغات كلّها لأسباب دينية ويجعل مبدأ اللغات في أقدم ما يتصوّر من العصور، وقسم لغات الغرب والشرق التي كان يعرفها إلى فصيلتين كبيرتين: السّامية واليافثية نسبة إلى سام ويافت ابني نوح، وكل فصيلة تنقسم عنده إلى أقسام أخرى: اللغات الإيطالية والسّلتية والجرمانية والسّلافية واليونانية بالنسبة إلى اليافثية، واهتم النّاس في ذلك الزمان اهتماما كبيرا بمبدأ اللغات وقرابتها، وهذا الاهتمام في ذاته قديم جدًا، غير أنّ العلماء جدّ مختلفين في كيفية التّعريض لهذا الشّكل، وقد بدرت عند ذلك بوادر المقارنة العلميّة التي ستزدهر في القرن التاسع عشر أيّما ازدهار.<sup>3</sup>

وقد سمّيت هذه المرحلة بمرحلة الفيلولوجيا، وتعنى هذه المرحلة بدراسة وتفسير النّصوص القديمة مستحضرة اللّغة ليست كغاية في ذاتها وإنّما وسيلة فقط.

## 7- القرن التاسع عشر (عصر الدّراسات المقارنة والتاريخية):

لقد مهّد القرن الثامن عشر لعلماء القرن التاسع عشر سبل المقارنة العلمية بين اللّغات؛ فقد أدّى اكتشاف الأوروبيين للحضارات الإنسانيّة غير الأروبية إلى إخراجهم من الإطار الفكري

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 106.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 105.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 108-109.

الضيق الذي كانوا يعيشون فيه، ومكّنتهم من المقارنة بين معاييرهم الفكرية واللغوية ومعايير غيرهم من الأمم<sup>1</sup>، وأهمّ حدث أحدثه هذا الاتصال المستمر هو اكتشافهم للقرابة الجوهرية بين لغاتهم - وخصوصا اليونانية واللاتينية- من جهة وبين السنسكريتية من جهة أخرى، وإن كان قد تكلم عنها افراد قلائل من الأوروبيين من قبل ذلك، إلا أنّ الشعور الكامل بهذه القرابة قد تمّ بعد احتلال الإنكليز للهند احتلالا منتظما أي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر؛ وقد تفتّن إلى ذلك عدد من العلماء وأبرز هؤلاء هو "وليامز جونز" (1746-1794) الذي كان قاضيا في مدينة "كلكتا"، ونذكر هنا بعض ما قاله أمام الجمعية الآسيوية البنغالية في 1786: "إنه يوجد بين اليونانية واللاتينية وبين السنسكريتية "من القرابة الوثيقة سواء في موادها اللفظية وصيغتها النحوية ما لا يمكننا أن نجعله من محض الصدفة، ولا يسع أي عالم في اللغة، أن يتأمل هذه اللغات الثلاث، إلا أن يعترف أنّها قد تفرّعت عن أصل واحد ربّما ليس له وجود الآن ولسبب مماثل لهذا، إلا أنّه أقلّ قوّة يمكننا أن نفترض أن السلّية والقوطية... هما والسنسكريتية من أصل واحد أيضا، وكذلك الفارسية القديمة فقد تدخل هي أيضا في هذه الفصيلة".<sup>2</sup>

وبهذا يعد وليام جونز المكتشف وبطريقة موضوعية العلاقة بين اللغة الهندية القديمة السنسكريتية واللغة اليونانية واللاتينية وبعض اللغات الأروبية الأخرى، وتعدّ سنة 1786 بداية اللسانيات التاريخية والمقارنة، وهي السنّة التي أعلن فيها رسميا "وليامز جونز" للجمعية الملكية الآسيوية عن القرابة التاريخية بين هذه اللغات، وكان ذلك في وقت ازداد فيه التكالّب الاستعماري على الدّول الضعيفة، ولكن والحقّ يقال إنّ عددا من المفكرين الغربيين قد سبقوا "جونز" إلى الإعلان عن وجود علاقات متينة بين السنسكريتية واللغات الأوروبية، ولكنّها كانت عبارة عن ملاحظات منفردة لم تلق العناية اللائقة بها، ومن أمثال هؤلاء الإيطالي "فيليبو ساسيتي" (Filippo Sansseti) الذي تحدّث عن التشابه الكبير بين اللغة السنسكريتية واللغات

<sup>1</sup> - هذه المقارنة لم تمسّ إلا خاصّتهم في بداية الأمر، أمّا اتّصالهم في القرون الوسطى بالحضارة العربية فقد مسّ خاصّة خاصّتهم. ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 109.

<sup>2</sup> - وليام جونز: مجلة البحوث الآسيوية، ج 1، ص 422، نقلا عن: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 115.

الإيطالية، وأيضا الفرنسي "كوردو" (Père Coeurdoux) الذي كشف عن وجود علاقات بين الفرنسية والسَّنسكريتية ولغات أروبية أخرى، وهناك غيرهم.<sup>1</sup> وبهذا أيضا أصبح الهمّ الوحيد للساني، هو البحث عن الصفات المشتركة بين اللغات القديمة السَّنسكريتية، اليونانية واللاتينية وما يربط بينها من علاقات، سواء ما تعلّق بالجانب الصوتي أم التركيبي أم الدلالي، وهو ما مثّل بداية مرحلة الفيلولوجيا المقارنة. ويمكن القول إنّ الدّراسات اللّغوية في هذا العصر اختلفت كثيرا عن المرحلة الأولى من حيث المنهج، فلم يعد الاهتمام متوقفا على كتابة قواعد اللّغات الأروبية المتنامية بل تعدّاه إلى دراسة بعض اللّغات الشرقية والإفريقية ووصف الأصوات اللّغوية وتحليلها، وهكذا نشأت شيئا فشيئا طرق المقارنة العلمية بين اللّغات.

لقد تكوّنت قبيل هذا الكثير من الحلقات لدراسة اللّغات الشّرقية وقد ساعدت كثيرا على تنمية المقارنة بتلقينها العدد الكبير من لغات الشّرق للطلبة والباحثين، وأهم هذه الحلقات بل أخطرها لأنّها جمعت كل الباحثين تقريبا الذين سينالون حظّا وافرا من الشهرة في القرن التّاسع عشر في علوم اللسان هي حلقة العالم الفرنسي "سلفستر دي ساسي" Silvestre de Sacy 1758-1838، وقد امتاز هذا الباحث الجليل القدر عن سابقه وحتى عمّن سيأتي بعده بمعرفة واسعة جدا للّغات الشّرقية، وما نشره أهلها قديما في الدّراسات اللّغوية وكان متضلعا بالخصوص في علوم اللغة العربية<sup>2</sup>؛ إذ يقول عنه الحاج صالح: "إنّ ما أنتجه من الدّراسات في النّحو العربيّة وما ترجمه إلى الفرنسية من كتب النّحو والتّجويد القديمة يدل بوضوح على أنّه أدرك - إدراكا لا بأس به - مفاهيم النّحاة العرب ومناهجهم."<sup>3</sup> ثمّ يضيف قائلا: "رغم أنّ قلنا من معرفة دي ساسي لمقاصد النّحاة العرب، فإنّ الكثير ممّا تركوه من التّحليلات العميقة والمفاهيم الدّقيقة

<sup>1</sup> - ينظر، أحمد مومن، المرجع السابق، ص 61.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 115-116.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص: 116.

ماكان يمكن أن يفهم في ذلك العصر لعدم خوض الغربيين بعد في هذا النوع من البحث ونخص بالذكر مناهج الوصف البنوي ومفهومي الأصل والفرع والطريقة التقريبية، وكذلك مفاهيم الصوتيات العربية التي هي مخالفة تماما لمفاهيم اليونان والهنود أيضا، وذلك مثل مفهوم الجهر والهمس.<sup>1</sup>

غير أن فكرة المقارنة ومحاولة اكتشاف القرابة بين بعض اللغات والبرهنة على تفرعها<sup>2</sup> أو عدم تفرعها من أصل واحد، كل هذا لم يرتح له "دي ساسي" ولم يرض به، إذ لم يقتنع بأهمية الأفكار الجديدة، بصحتها وفائدتها العلمية لأنها لم تتضح بعد، وكانت في أول أمرها جد مرتبطة بالرومانسية والقومية، ثم إن مناهجها لم تكن هي أيضا على جانب كبير من الصحة والدقة أول ما ظهرت، وزد على ذلك أنه كان متشبعا بمبادئ النحو الوصفي التعليلي (وقدت تأثر بأقوال كوندياك) وهو يمثل في زمانه ذلك المذهب الذي تناقله عدد من العلماء منذ القرن الثالث عشر من طريق جيمس هاريس (Harris) وسنكتيوس (Sanctius) الإسباني عن النحاة

<sup>1</sup> - في هذا الصدد قال أحد الباحثين الأوروبيين: "ماحصل مستشرقونا إلا في زمان متأخر على المعلومات الصوتية الكافية، على أقل تقدير، لفهم ماتركه العرب من ملاحظات، وهي ملاحظات في الغالب صحيحة تمام الصحة؛ فـ "دي ساسي" مثلا لم يفهم شيئا من التقسيمتين الهامتين ... يذكر بعد ذلك تقسيم الحروف إلى مجهورة ومهموسة ثم إلى شديدة ورخوة، ولا يزال بعض اللغويين مستشرقين وغير مستشرقين يطيلون الكلام عن المفاهيم الصوتية الصرفة: الفيزيائية والفزيولوجية من دون أن يعتمدوا في ذلك على تجارب منتظمة بل ومن دون أن يكونوا دخلوا قط في مخبر من المخابر الصوتية". عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص: 116.

<sup>2</sup> - أما فكرة التطور كتحوّل يعترى اللغات عبر الزمان فنجدها عند النحاة الأولين من طبقة الخليل ومن جاء بعده فكثيرا ماكان الخليل يفسر ظواهر اللغة بالرجوع إلى حالة أقدم يفترضها (بمقارنة في باطن اللغة وهذا مايفعله الآن أهل اللسانيات) وذلك كتفسير لكلمتي "لن" و"ليس" بأنهما مركبتان من مادتين التصقتا فصارتا كلمة واحدة بكثرة الاستعمال، وفهمه غيره على أنه تفسيرا بنويا محضا غير هذا، إنما قول الخليل يمكن أن يصحح على أساس التأصيل الزماني، وأما سيبويه فكان أميل إلى التفسير بالبنية ولكنه يعلم مع ذلك أن بعض الظواهر لا يمكن أن تفسر إلا باعتبار العامل الزماني ويظهر ذلك في قوله: "فإن كان غريبا ولا نعرف الذي اشتق منه فإتأ ذاك لأننا جهلنا ما علم غيرنا أو يكون الآخر لم يصل إليه علم الأول المسمي" (268/1). ثم إن التفسير والتحليل في النحو العربي أكثره بنوي لا تاريخي وقد نبه ابن جني على ذلك في باب رائع من أبواب الخصائص سماه: "باب مراتب الأشياء وتنزيلها تقديرا وحكما لا زمانا ووقتا" وقال في صدره: "هذا الموضوع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه" (256/1)، وما أصدقه على بعض معاصرنا، ولكن بالرغم من أن هاتين الفكرتين وجدتا عند الألمعيين من علمائنا القدامى إلا أن تحديد القرابة وتتبع التطور عبر الزمان بكيفية علمية مستفيضة لم يحقق إلا على أيدي العلماء الغربيين في القرن التاسع عشر. ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 118-119.

العرب مباشرة أو عن لغوي وفلاسفة السكولاستيك عن فلاسفة العرب<sup>1</sup>، وساعده على التمسك بهذا المذهب تحمسه للمنهجية النحوية العربية، إلا أن اطلاعه على نحو ومنطق "بوروايال" قد جعله يخلط هو أيضا بين المفاهيم التعليلية العربية الصميمة والتّحليل المنطقي الأرسطوطاليسي، وقد ترك لنا كتابا في النحو العام نشر في باريس سنة 1799 وعنوانه: *Principes de grammaire générale*.<sup>2</sup>

وتعدّ سنة 1816 عند عامّة اللّغويين الأوربيين من الجيل السّابق سنة ميلاد اللّسانيات كعلم، لصدور أوّل كتاب تحلّل فيه لأوّل مرّة في التّاريخ عدّة لغات من الوجهة التّاريخية وعلى أساس المقارنة العلمية، لغرض علمي بحث ويتجنّب فيه فرض الحدود والمعايير (*prescription*) والتأمّل الفلسفي والتّحليل الأرسطوطاليسي، وصاحب هذا الكتاب هو فرانز بوب Franz Bopp (1791-1867)، فلاوّل مرّة في أوروبا يتتبّع الباحث الظواهر اللغوية كظواهر وأحداث على مثل ماكان علماء الفيزياء والأحياء يتتبّعون الحوادث الطّبيعية كظواهر وكأحداث، ولا يقتصرون على النّظر في بعضها ويطرحون بعضها الآخر لاستحسانهم ذلك واستقباحهم هذا فيكونون قد أخضعوا نظرهم لمحض التّحكم.<sup>3</sup>

واستمرت الدّراسات المقارنة بعد ذلك على أساس الفكرة السّابقة، وكثرت البحوث المتخصّصة واقتصر بعض العلماء على المقارنة في داخل كل فصيلة، فما من فصيلة هندية-أوربية إلّا وجاء من تناولها بالبحث الدّقيق بنفس المناهج؛ فهذا ميكلوسيش Miklisisch (1813-1891م) ينشر من سنة 1852 إلى 1875م النّحو المقارن للغات السّلافية في خمس مجلدات ومعجما لمفرداتها في 1862-1865م.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص: 116-117.

<sup>2</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص: 118-119.

<sup>3</sup> - الكتاب بعنوان: "نظام تصاريف الأفعال في السنسكريتية بالمقارنة بينه وبين نظام اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية". واستمر في بحوثه فنشر بين 1824 و1852م الكتاب الذي صار عماد كل المختصين في المقارنة وهو *vergleichend Grammatik* الذي حلّ فيه بالمقارنة الصّوتية الأنظمة الصّوتية (ولم يهتم في أول أمره بالأصوات) والتّصريفية والتركيبية للغات المذكورة، وزاد عليها الأرمنية والليتوانية والسّلافية والقوطية (ورجع أيضا إلى الفارسية القديمة) وكان تمكّن من النّظر في هذه اللّغات بفضل ما نشر من الوثائق القديمة والدّراسات الكثيرة في ذلك الزمان. ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص: 117-118.

<sup>4</sup> - ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص: 120-121.

وعندما ينتقل إلى الحديث عن عصر الدراسات المقارنة والتاريخية في القرن التاسع عشر في أوروبا يشير الحاج صالح إلى فكرة التطور اللغوي عند العرب قائلا: "أما فكرة التطور كتحوّل يعتري اللغات عبر الزمان فنجدها عند النحاة الأوليين من طبقة الخليل ومن جاء بعده. فكثيرا ما كان الخليل يفسر ظواهر اللغة بالرجوع إلى حالة أقدم يقترضها (بمقارنة في باطن اللغة وهذا ما يفعله الآن أهل اللسانيات) وذلك كتفسيره لكلمتي (لن) و(ليس) بأنهما مركبتان من مادتين التصقتا فصارتا كلمة واحدة بكثرة الاستعمال، وفهمه غيره على أنه تفسير بنوي فلم يصححه وهذا طبيعي لأنّ لهما تفسيراً بنويا محضاً غير هذا، إنّما قول الخليل يمكن أن يصحح على أساس التأصيل الزمني"<sup>1</sup>.

وقد أيدّ برجستراسر - وهو من علماء العصر الحديث ما ذهب إليه الخليل في كون (ليس) مركبة فقال: "اشتقت من (لا) أدوات أخرى للنفي لا توجد في سائر اللغات السامية إلاّ (ليس) فيقابلها في الآرامية "Layt" وهي مركبة من (لا) واسم معناه: الوجود يحتمل أن يكون لفظه القديم: yitai أو قريبا من ذلك، وهو ايس ies في العبرية، وايتي itai في الآرامية العتيقة ويقاربها في الأكادية فعل، وهو ISU ايسو، أي يملك الشيء، وهو له، فمعنى "layt" لا يوجد وهذا هو معنى الأصلي"<sup>2</sup>.

ويقارن ما قاله العرب قديما بما ذهب إليه الغربيون في العصر الحديث، من ذلك مقارنته بين قول هومبولت " ليس اللفظ نسخة للشيء (المدلول عليه) بل للصورة التي آثراها هذا الشيء في النفس" وقول السيوطي في المزهرة " إنّ إطلاق اللفظ دائر مع المعاني الذهنية دون الخارجية فدلّ على أنّ الوضع للمعنى الذهني لا الخارجي"<sup>3</sup>.

كلّ هذه الاهتمامات بالتطور التاريخي للغات، مهّدت إلى ما يعرف بـ "اللسانيات التاريخية" (Diacronique) في القرن التاسع عشر الميلادي واللسانيات الآنية (Synchronique)؛ إذ "من المعروف أنّ لفظ La linguistique اللسانيات لم يظهر إلاّ في

<sup>1</sup> - د. عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، المجلد الثالث، الجزائر، سنة 1972، ص 11 .

<sup>2</sup> - برجستراسر: التطور التحوي للغة العربية، صحّحه وعلّق عليه د. رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994، ص: 169 .

<sup>3</sup> - مجلة اللسانيات، المجلد الثالث، ص 25.

العقد الثالث من القرن التاسع عشر، ولم يستعمل مصطلح اللسانيات للدلالة على المجال المعرفي الخاص بالدراسة اللغوية الجديدة المتميزة عن النحو بمعناه التقليدي وعن الفيلولوجيا المقارنة والتاريخية وباقي الدراسات اللغوية إلا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.<sup>1</sup>

### 8- النصف الأول من القرن العشرين: (عصر البنية والدراسة البنوية):

إنّ مفهوم اللسانيات أو Linguistics كعلم موضوعي للسان البشري كان ينطبق فقط على مناهج المقارنة والتتبع التاريخي ولم يُعرف لهذه اللفظة مدلول آخر غيره؛ فكلّ دراسة غير معيارية لم تعتمد على التتبع التاريخي كان يسميها العلماء قبل سوسير وميي إمّا Grammaire Générale وعند الإنكليز: Universal Grammar أو Philosophical grammar - و إمّا Science of Language أو Theorie of Language وكانت تتعرض للظواهر اللغوية العامة مثل الـ Linguistics إلا أنّ أكثرها كانت تعالجها بشيء قليل أو كثير من النظر الفلسفي.<sup>2</sup>

إنّ الالتفاتات إلى بنية اللغة يقتضي من الباحث لا الإمساك عن كلّ اعتبار تاريخي بل التمييز الصريح بين هذا الاعتبار وبين النظر في هيكل اللغة في وقت معيّن أي بصرف النظر عن العامل الزمني وأحداث التطور، وتحقيقاً لهذا التمييز المنهجي بدأ الباحثون ممّن ثار على جبروت النحو التطوري، يبسطون آراءهم في ماهية اللغة وما تستلزم من مبادئ نظرية ومنهجية<sup>3</sup>، وأوّل من وضّح وحدّد ونظّم هذه الأفكار الجديدة بالنسبة إلى اللسانيات التاريخية هو فردينان دي سوسير اللغوي السويسري Ferdinand de Saussure (1857-1913).

لقد كان اللغوي السويسري "فردينان دي سوسير" من أهمّ العلماء الذين كان لهم تأثير كبير في علم اللغة الحديث، بعد أن نشر تلامذته محاضراته في علم اللغة العام سنة 1916م الموسومة بـ "دروس في اللسانيات العامة" (Cours de linguistique générale)، فأظهر للناس من دروسه أهمية الدراسة البنوية بوصفه وتحليله لمفاهيمها ومناهجها واحتجابه المقنع

<sup>1</sup> - د. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013، ص: 45.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص: 139.

<sup>3</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص: 151.

لصحتها وعظيم فائدتها، فأخرج للباحثين بهذه التحليلات خير ما يمكن أن يرجع إليه في هذا النوع من الدراسات؛ وذلك لأنّ سوسير وإن لم يكن اللغوي الوحيد الأوحّد الذي اهتدى في زمانه إلى تلك المفاهيم فإنّه استطاع أن يجعل قبل غيره من هذه المعاني والأفكار نظاماً فخماً دقيقاً منسجم الأطراف بعيد الغور، ولا يزال العلماء إلى حدّ السّاعة يتعجّبون من نفوذ ذهنه وقدرته على توضيح المفاهيم الغامضة وتركيب المعاني المنفصلة المتباعدة والتوفيق بين النظريات المتنافية.<sup>1</sup>

يحصّر سوسير مهمة اللسانيات في ثلاث نقط جوهرية هي:

1- وصف كل الألسنة والتأريخ لها؛ ويعني ذلك القيام بتأريخ للعائلات اللسانية وإعادة بناء الألسنة الأصول لكل عائلة.

2- البحث عن القوى الفاعلة بشكل دائم وكلي في كل الألسنة، واستنباط القوانين العامة التي يمكن أن تعيد إليها كل ظواهر التاريخ الخاصة.

3- تمييز اللسانيات نفسها عن باقي العلوم وتحديدتها لنفسها بنفسها.<sup>2</sup>

وقد هدف سوسير من هذه النقط الثلاث إلى التمهيد لفصل اللسانيات عن غيرها من العلوم التي تتقاسم معها نفس المادة، وفي هذا الصدد يقول دي سوسير: "وليس يوجد في رأينا إلا حل واحد لكلّ هذه المشاكل: يجب أن نحصر اهتمامنا في ميدان اللغة فقط وأن نتخذها قاعدة للحكم على جميع مظاهر الكلام الأخرى، وفعلاً فمن بين ذلك العدد الجَم من الثنائيات، تبدو اللغة وحدها حريّة بحدّ قائم بذاته مستقرّ يطمئن إليه فكر الإنسان."<sup>3</sup>

وهذا التمهيد عبارة عن تنظيم أولي لهذه المادة، وهو تنظيم لا يتكرّر لبعض إنجازات الفكر اللغوي السابق؛ وقد اعتنى "دي سوسير" في محاضراته بموضوعات ثلاث:

أولاً: وضّح ما أهمله اللغويون السابقون، وهما الإتجاهان الأساسيان للدراسة اللغوية، ونعني بذلك الإتجاه التزامني أو الآني الذي تعالج فيه اللغات بوصفها أنظمة اتّصال في ذاتها والاتّجاه

<sup>1</sup>-ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص: 154.

<sup>2</sup>- مبارك حنون: مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1987، ص16.

<sup>3</sup>- فردينان دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرماضي، محمّد الشاوش، محمّد عجيبة، الدار العربية للكتاب تونس، 1985، ص29.

التاريخي أو التعاقبي، وفيه تعالج اللغة تبعاً لعوامل التغير الخاضعة لها عبر الزمن؛ إذ ينطلق "دي سوسير" في تمييزه هذا من ملاحظة بسيطة مفادها أنّ اللسانيات تعرف في دراستها للغة عنصراً جديداً لا تهتمّ به العلوم الأخرى هو عنصر الزمان، وبالنظر إلى وجود هذا العنصر في التحليل اللغوي، يتعيّن التمييز بين الدراسة الآنية للغة والدراسة الحركية.<sup>1</sup> وقد ألحّ "دي سوسير" على أسبقية الآنية على التعاقبية من قبيل أنّ "اللغة نظام من القيم البحتة التي لا يحدّد حقيقتها شيء باستثناء الحالة التي تكون عليها عناصر ذلك النظام" أو من قبيل أنّ "أول ما يشدّ الانتباه عند دراسة الظواهر اللغوية هو أنّ تعاقبها في الزمان أمر لا وجود له بالنسبة إلى المتكلّم، فالمتكلّم يجد نفسه دائماً اتّجاه حالة لغوية ما بمعنى "آنية" في كلّ حين.<sup>2</sup>

ثانياً: فرّق "دي سوسير" بين اللغة (Language) والكلام (Parole) واللسان (Langue)؛ إذ يقول عن اللغة والكلام: "إنّ اللغة والكلام عندنا ليسا بشيء واحد، فإنّما هي منه بمثابة قسم معين وإن كان أساسياً والحق يقال، فهي في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة من المواضع يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكّن الأفراد من ممارسة هذه الملكة. وإذا أخذنا الكلام جملة بدا لنا متعدّد الأشكال متباين المقومات موزعاً في الآن نفسه بين ميادين متعدّدة بما فيها الفيزيائي والفيزيولوجي والنّفسي، منتمياً في الآن نفسه إلى ما هو فردي وإلى ما هو اجتماعي، ولا يتسنى لنا ترتيبه ضمن أي قسم من أقسام الظواهر البشريّة لأنّنا لا نستطيع أن نستخرج وحدته، أمّا اللغة فهي على عكس ذلك، كلّ بذاته ومبدأ من مبادئ التّبويب، وما إن جعلها في المقام الأوّل بين ظواهر الكلام حتّى ندخل نظاماً طبيعياً في مجموعة من الظواهر لا تخضع لأيّ نوع آخر من التّبويب".<sup>3</sup>

فاللغة هي نظام اجتماعي محدّد بقواعد وقوانين مشتركة قائمة على العملية التّواصلية، أمّا الكلام فهو نتاج الفرد المستخدم لتلك اللغة أو الإنجاز الفعلي للحدث الكلامي اللغوي، وأمّا

<sup>1</sup> - د. مصطفى غلفان: في اللسانيات العامّة تاريخها، طبيعتها، موضوعاتها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، 1 ط، يناير 2010، ص 278.

<sup>2</sup> - فردينان دي سوسير: دروس في الألسنية العامّة، ص: 347.

<sup>3</sup> - فردينان دي سوسير، المصدر نفسه، ص: 29.

اللّسان فهو النّظام التّواصلّي الذي تمتاز به كلّ ذات إنسانية وهي تنتمي إلى مجتمع يسير وفق أحكام مضبوطة لها علاقة بالجانب الاجتماعي والحضاري.<sup>1</sup>

ثالثاً: وقد أشار إلى أنّ العلامة تتكوّن من "صورة سمعية" "image acoustique" والتي تتمثّل في سلسلة الأصوات المدركة بالسمع، و"مفهوم" concept وهو مجموع السمات الدلالية التي تحيل إليها الكلمة، أو اللفظ، والتتابع الصوتي بمفرده لا يكون علامة، وإنما هو عبارة عن أصوات مجردة، كما أنّ السمات الدالة إذا عزلناها عن الألفاظ التي تدلّ عليها لا تشكل علامة لسانية؛ فالعلامة اللسانية إذن هي ذلك الكل المتكامل بين الصّورة السمعية والمفهوم. وقد فضل "دي سوسير" إطلاق مصطلح "العلامة اللسانية" على هذا الكل المتكامل، واستبدل مصطلحي "مفهوم/ صورة سمعية" بمصطلحي "دال/ مدلول"<sup>2</sup>، وفي هذا الصّدّد يقول دي سوسير: "أطلقنا كلمة signe أي دليل على التّوليف بين المتصوّر الذهني والصّورة الأكوستيكية... فنقترح الاحتفاظ بكلمة "دليل" للدلالة على المجموع وتعويض المتصوّر الذهني بـ signifié أي مدلول والصّورة الأكوستيكية بـ signifiant أي دال، وللمصطلحين الأخيرين فضل إبراز التّقابل الذي يفصل بينهما أو بينهما وبين المجموع الذي ينتميان إليه. أمّا signe فهو مصطلح إن نحن رضينا به فلأننا لم نجد بديلاً نعوضه به فيما هو مستعمل من الكلام"<sup>3</sup>. وبهذا يكون "دي سوسير" قد وضع حدّاً فاصلاً بين علم العلامات وعلم الموجودات في الواقع الخارجي، الأمر الذي جعله يرى أنّ العملية التّوليدية بين (الدال/ المدلول) لا تتمّ إلا داخل النّطاق النّفسي لا غير<sup>4</sup>، ورأى أنّ العلاقة بينهما هي علاقة اعتباطية<sup>1</sup> (arbitraire) أي غير

<sup>1</sup>- ينظر، د. شرف الدّين علي الرّاجحي: في علم اللّغة عند العرب ورأي علم اللّغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، مصر ط2002، ص119.

<sup>2</sup>- د. بن زروق نصر الدّين: دروس ومحاضرات في اللّسانيات العامّة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتّوزيع، الجزائر، ط2011، ص16-17.

<sup>3</sup>- فردينان دي سوسير: المصدر السّابق، ص111.

<sup>4</sup>- لقد أشار أبو حامد الغزالي (565هـ) إلى العلاقة التي تربط اللفظ بالواقع الخارجي على أساس أنّ الظاهرة اللّغوية لا يمكن أن تعزل عن العالم الخارجي إذ يقول في هذا السّياق: "فإنّ للشّيء وجوداً في الأعيان، ثمّ في الأذهان، ثمّ في الألفاظ ثمّ في الكتابة، فالكتابة دالّة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النّفس، والذي في النّفس هو مثال لموجود في الأعيان، فما لم يكن ثبوت في نفسه لم يرتسم في النّفس مثاله. أبو حامد الغزالي: معيار العلم، تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف المصرية، ج 1، ص75.

مبررة منطقياً، ويشير إلى ذلك بقوله: "إنّ الرّابط الذي يجمع بين الدّال والمدلول رابط اعتباطي أو بعبارة أخرى وبما أنّنا نعني بكلمة دليل الناتج عن الجمع بين الدّال والمدلول يمكننا أن نقول بصورة أبسط إنّ الدلائل اللّغوي اعتباطي"<sup>2</sup>.

وكلمة اعتباطي في نظره لا ينبغي أن تفهم على أنّ الفرد له حرية تغيير ما اتّفقت عليه جماعة المتكلّمين إذ يقول في هذا الصّدّد: "ثمّ إنّ كلمة اعتباطي تستوجب كذلك إبداء ملاحظة: فلا ينبغي أن يفهم منها أنّ الدّال خاضع لمحض اختيار المتكلّم إذ أنّه ليس بوسع الفرد أن يلحق أي تغيير بدليل قد اتّفقت عليه مجموعة لغوية ما، إنّما تعني أنّ الدّال أمر غير مبرّر أي أنّه اعتباطي بالنسبة إلى المدلول وليس له بأيّ رابط طبيعي موجود في الواقع"<sup>3</sup>.

وقد ختم "دي سوسير" دروسه بجملة أصبحت طوال القرن الماضي دستوراً مقدّساً للسانيات بكلّ اتّجاهاتها ومناهجها، دستوراً انتقل من المجال النظري إلى المجال التّطبيقي للنصوص والمدونات الشّفهية والمخطوطة بكلّ أنواعها جملة تقول: "إنّ موضوع الألسنية الحقيقي والوحيد إنّما هو اللّغة في ذاتها ولذاتها"<sup>4</sup>.

وقد تأثرت العديد من المدارس اللّسانية على اختلافها بأفكار "دي سوسير" مثل ما نجده مجسّداً عند كلّ من مدرسة "جنيف" و"براغ" و"كوبنهاجن" وغيرهما من المدارس التي انفردت برؤية خاصّة لحظة تناولها للظاهرة اللّغوية.

#### • مدرسة جنيف:

تعدّ من المدارس المنبثقة من مذهب سوسير مباشرة؛ فقد تكوّنت من أتباع سوسير السويسريين: بالي (A.Bally) وسيشوهي (Sechehay) وهما اللذان جمعا ونشرا دروس

<sup>1</sup> - يعبر علماء الكلام واللّغويون الذين جاؤوا بعد سيبويه عن هذه العلاقة التي ليس لها علّة "بعدم المناسبة بين الاسم والمسمى" أو أنّها ترجيح بدون مرجح. ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السّابق، ص158.(الهامش).

<sup>2</sup> - فردينان دي سوسير: المصدر السّابق، ص 111-112.

<sup>3</sup> - فردينان دي سوسير: المصدر نفسه، ص113.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص347.

سوسير. وكان لكل واحد منهما بحوث ذات صبغة خاصة. ومن هؤلاء الأتباع نذكر هنري فراي (H.Frei) وهو عالم جليل والباحث روبرت كوديل (R.Godel) وهو فرنسي الأصل.<sup>1</sup>

### • مدرسة براغ اللسانية: (Fonctionnelle)

تعود بدايتها إلى "حلقة براغ" التي أسسها "ماتيزيوس" Mathesius (1882-1945) سنة 1926، وأغلب الباحثين فيها هم من الروس والتشيك، وقد أطلق عليهم "رومان جاكسون" اسم "الوظيفيين"، وهم مجموعة من اللسانيين يتزعمهم اللساني الفرنسي "أندري مارتيني" A.Martinet (1888-1999)، وقد ارتكزت هذه المدرسة على وظيفة الإبلاغ للغة، واعتمدت على مفهوم الوظيفية<sup>2</sup> على مستوى الصوت والكلمة والجملة أي أن الكيانات اللغوية تتحدد وتأخذ هويتها بالوظيفة التي تقوم بها في الإفادة أو عملية التخاطب، وقد هدفت إلى التمييز بين المعاني لتشخيص القطع من الكلام.<sup>3</sup>

وخلاصة القول إن المدرسة البنوية الوظيفية، قد تجاوزت الوصف إلى التفسير، ولم تكتف بالحديث عن ماهية اللغة بل تحدثت عن السبب الكامن وراء اتخاذ اللغات أشكالها التي نجدها عليها، ولكنها مع ذلك لم تسلم من الانتقادات.

### • مدرسة كوبنهاجن: (Glossématique)

تعدّ من أشهر المدارس اللسانية في أوروبا التي ظهرت في مطلع القرن العشرين، بزعامة الدانماركي "لويس هايمسلاف" L.Hjelmslef (1899-1965) والذي انطلق أساساً من

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص 167-168.

<sup>2</sup> - أخصّ شيء تمتاز به هذه المدرسة عن غيرها هو اعتمادها الأساسي على الوظيفة أو الدور الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليغ، ولهذا سميت النزعات المتفرّعة عنها ومنها مدرسة مارتيني الفرنسية بالوظيفية Fonctionnelle وبذلك تخالف المدرسة البنوية الأمريكية. وقد استعمل بلومفيلد لفظة Fonction لمعنى آخر استبدلها سوادش Swadech أحد أتباعه بكلمة Distribution. ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص 168.

<sup>3</sup> - التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 12.

المنهجية التي أرساها اللساني "دي سوسير" في كتابه "دروس في الألسنية العامة"؛ إذ عدّ نفسه المتمم الحقيقي لأفكاره، فنادى بما نادى به من قبل وهو أنّ اللّغة شكل وليست مادة، وأنّ المادة ليس لها معنى في ذاتها، ويمكن أن تكون صوتية أو مكتوبة أو إشارتية بالنسبة للدّوال أمّا بالنسبة للمدلولات؛ فقد ذهب أبعد من "دي سوسير" وأعلن أنّ القيم (Vleurs) المجرّدة للعبارات هي وحدها التي لها وجود، وبهذا فإنّ اللّغة نظام من القيم.<sup>1</sup> وقد اخترع "هلمسليف" و"أولدال" (H.Uldall) مفهوم "غلوسيماتي" (Glossématique) باشتقاقه من الإغريقية "غلوسة" وتعني "اللّغة" وذلك لتعيين النّظرية المستخلصة من نظرية "دي سوسير" التي تجعل من اللّغة غاية لذاتها لا وسيلة لتحقيق الغاية المقصودة من الكلام.<sup>2</sup>

لقد جمعت هذه المدرسة بين مبادئ النّحو التّقليدي ومظاهر النّظرية اللّسانية الحديثة وبين مسلّمات المنطق الصّوري والأسس المعرفية العامّة، وكان الفضل في ذلك لمؤسسها "هلمسليف" اللّساني الأوّل الذي اعتنى بإحداث ثورة على الأساليب الأدبية القديمة التي اعتاد النّحويون على استعمالها في تقنين قواعد اللّغة مع عصرنة الدّراسات اللّغوية باستخدام مناهج علمية رياضية.

وإضافة إلى هذه المدارس نجد بعضها لم ينبثق من مبادئ دي سوسير (إلاّ أنّ بعضها تأثر بها فيما بعد) من أمثال المدرسة الرّوسية ورائدها "فورتوناتوف" (1848-1914) والمدرسة الإنكليزية وهي مدرسة قائمة بذاتها بزعامة "فيرث"، والمدرسة البنوية الأمريكية.

### • الاتجاه التّوزيعي: (Distributionnelle)

التّوزيع منهج في التّحليل اللّغوي اتّخذته مدرسة "بلومفيلد" فعرفت، فبعد أن استوحى معطيات علم النّفس السلوكي؛ حيث قام بإسقاطها على المنهج الوصفي أو ما سمّي بـ "التّوزيعية"؛ أي توزيع الوحدات اللّغوية وفق طريقة استبدال وحدة لغوية بوحدة أخرى، من أجل تعيين القسم الذي تنتسب إليه من أقسام الكلام. لقد قام هذا المنهج على أساس "الوظيفة" بداية،

<sup>1</sup> - ينظر، أحمد مومن، المرجع السابق؛ ص 161.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص 168.

لكن سرعان ما استبدل هذا اللفظ بكلمة "توزيع" من قبل "سواداش" W.F.Swadash والمقصود منها الإشارة إلى موقع العنصر اللساني بالنسبة إلى العناصر التي المحيطة فقد "يحدّد توزيع عنصر بأنه مجموع العناصر التي تحيط به، ومحيط عنصر - أ- يتكوّن من ترتيب العناصر التي ترد معه، أي العناصر التي تتوافق كلّ منها في موقع معيّن مع العناصر في تركيب كلامي والعناصر التي ترد مع العنصر -أ- في موقع معيّن يدعى انتقاء هذا العنصر لهذا الموقع."<sup>1</sup>

ولما شاعت النظرية السلوكية في الدراسات اللسانية، استقى زعيم هذه النظرية "بلومفيلد" أفكاره من "واتسون" فأخذ يحلّل الأشكال اللغوية كما هي في الواقع اللغوي دون مبالاة بالمعنى المتواري خلف البنية؛ إذ اهتمّ التوزيعيون بوصف ما يجري على السطح المنطوق أو المكتوب واعتبروا البحث في المعنى كالبحث في منهج عقيم، وجعلوا المعاني موضوعاً لدراسة علماء النفس، ورأوا أنّها "وحدات عقلية أشبه بالألغاز تخرج تماماً عن نطاق علم معقول"<sup>2</sup>. ولهذا أصروا على استبعاد المعنى كليّة من التحليل اللغوي لصعوبة إخضاعه للدراسة الوصفية العلمية الدقيقة، إذ يقول بلومفيلد "إنّ دراسة المعنى وتحليله هو أضعف نقطة في دراسة اللغة وسيظلّ الأمر على هذا النحو حتّى تصل المعرفة الإنسانية إلى مرحلة أكثر تقدماً ممّا هي عليه الآن."<sup>3</sup>

ونجد أحد أقطاب التوزيعية "زيلينغ هاريس" يتزعم هذا الاتجاه الأمريكي اللساني الوصفي ويطوّر فيه، وقد نشر كتابه عام 1951 عن المنهجية الشكلية في اللسانيات، وقد أثر كثيراً في أبحاث تلميذه "تشومسكي".

<sup>1</sup> - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1999، ص 104.

<sup>2</sup> - نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ص 32.

<sup>3</sup> - جان ليونز، خليل نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 1995، ص: 70.

• النظرية التوليدية التحويلية:

حظيت النظرية التوليدية التحويلية في اللسانيات العامة بمكانة ورتبة هامة أهلتها لتحتل الصدارة في الدرس اللغوي، نظرا لما قدمته من نتائج تنظيرية وتطبيقية حول طبيعة اللغة الإنسانية، كما لم تقتصر فاعليتها على الدرس اللساني وحسب، بل هي نظرية استفاد منها العديد من المجالات الإنسانية كالفلسفة، والمنطق وعلم النفس، والأسلوب، وتمثل نظرية تشومسكي النحوية نموذجا خاصا لكثير من العلماء في حقل العلوم الاجتماعية والدراسات الإنسانية يمكن العمل في إطاره<sup>1</sup>.

وإذا ما تم ربط الثورة اللسانية في النصف الأول من القرن العشرين بـ "دي سوسير" و"بيرس"، فهي ترتبط في النصف الثاني من القرن نفسه بـ"تشومسكي"، والثورية في منجزاته تتجلى في أنه قوّض الدّعائم التي قام عليها علم اللغة الحديث، وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظريته إلى طبيعة اللغة.

وقد اهتم تشومسكي<sup>2</sup> بدراسة الجملة وتحليلها واستكشاف بنيتها في ضوء نظريته التوليدية التحويلية، وهذا ما ظهر في كتابه الأول "البنى التركيبية" الذي أخرجه عام 1957، وتراجعت

<sup>1</sup> - لعلّ من أهم الميادين التي اتخذت من نظرية تشومسكي نموذجا ومنطلقا للدراسات العلمية ميدانا علم النفس وعلم الأسلوب ففي علم النفس أصبحت هذه النظرية منطلقا لكثير من العلماء، وخاصة في دراسة الجوانب النفسية للغة الإنسانية سواء أمن ناحية الاكتساب أم التعلم فوجد أنّ مصطلح علم اللغة النفسي يدين لهذه النظرية بوجوده، فقد انفرد علماء النفس بدراسة هذا الجانب من اللغة حينما ظهر تشومسكي بنظريته عن الملكة الفطرية عند الطفل، فهدم كثيرا من النظريات القديمة القائمة على فكرة التلقين والتقليد في اكتساب اللغة في مراحل حياة الطفل الأولى. أمّا في ميدان الأسلوبية فقد أضافت نظريته بعدا جديدا إلى هذه الدراسات فهي تنطلق في التحليل الأسلوبي من مفهوم خاص للأسلوب، وهو أنّ الشاعر أو الكاتب يستخدم أنواعا معينة من التحويلات في لغته وبخاصة التحويلات الاختيارية بحيث تصبح هذه التحويلات مميّزا أسلوبيا عنده. ينظر: جون ليونز، المرجع السابق، ص82-83.

<sup>2</sup> - هو "إفرام نوم تشومسكي" ولد في السابع من ديسمبر عام 1928 في مدينة "فيلا دلفيا" الو.م.أ، تلقى تعليمه الأول في مدرسة "أوك لين" ثمّ في المدرسة المركزية العالمية في فيلا دلفيا، وبعد ذلك التحق بجامعة "بنسلفانيا" حيث درس اللسانيات والرياضيات والفلسفة، نال درجة الدكتوراه من جامعة "بنسلفانيا" على الرّغم من أنه أجرى معظم بحثه الذي ناله في جامعة "هارفرد" عندما كان عضوا في جمعية (الزّماله) فيها، ومنذ عام 1955 مارس تشومسكي مهنة التدريس في معهد "مسانشوستس" للتكنولوجيا حيث يحتل مرتبة الأستاذية في اللسانيات، منح درجة الدكتوراه من جامعة "شيكاغو" ومن جامعة "لويفل" في شيكاغو، ومن جامعة "لندن"

فيه المفاهيم التوزيعية لتحل محلها المفاهيم الجديدة، وتتبلور أكثر فأكثر في كتابه الثاني الموسوم بـ"أوجه أو مظاهر النظرية التركيبية" عام 1965 .

كما أنه عارض النظرية التوزيعية، على أساس أن "التحليل اللغوي لا ينبغي أن يكون وصفا لما كان قد قاله المتكلمون، وإنما شرح وتعليل للعمليات الذهنية التي من خلالها يمكن للإنسان أن يتكلم بجمل جديدة."<sup>1</sup> ونجده يتحدث عن القواعد النحوية على أنها جهاز من نوع ما لإنتاج الجمل في اللغة التي نقوم بدراستها إذ يقول: "نحو اللغة يعتبر الجهاز الذي يولد كل الجمل النحوية فيها ويعدّد ويحصي غير النحوية."<sup>2</sup> وهذه القواعد تصف الطريقة التي تنتج الكلام، ولا تصف الطريقة التي يستقبل بها (الاهتمام بأمر المتكلم دوناً عن السامع) ولا بد لها أن تولّد جميع الجمل في هذه اللغة -النحوية منها خاصة- والحكم على صحة الجمل راجع إلى أبناء اللغة. والنحو التوليدي عنده لم يعد محاكياً للنحو التقليدي المدرسي في المفهوم والأهداف؛ لأنه لا يرمي إلى تحديد المعايير التي تمكّن المتكلم من استعمال لغته الأم استعمالاً سليماً دون وأخطاء، بل إنّ النحو عنده هو مجموعة من القواعد الكامنة في ذهن المتكلم الراسخة فيه والمكتسبة من محيطه الاجتماعي منذ طفولته، والتي تمكّنه فيما بعد من اكتساب لغات أخرى كما تمكّنه من إنتاج جمل جديدة لما يسمعه بعد، ومن هنا يصبح نحو "تشومسكي" توليدياً.<sup>3</sup>

---

وقد حقق شهرته في مجال اللسانيات الذي تعلم قسطاً منه ومن والده، العالم في العبرية، والآن يشتهر بنظام النحو التوليدي الذي طوره من خلال اهتماماته بالمنطق الحديث وبأسس الرياضيات، وطبقه فيما بعد على وصف اللغات الطبيعية. أبدى "تشومسكي" اهتماماته بالسياسة فأصبح منذ عام 1965 من أبرز المعارضين لسياسة أمريكا الخارجية، وله في السياسة كتاب "القوة الأمريكية" وكتاب "إعاقة الديمقراطية"، أمّا في مجال اللغة فله "البنى النحوية" الذي يعتبر دستور الألسنين في النحو التوليدي، و"مظاهر النظرية النحوية" و"مقولات نظرية النحو التوليدي" و"الفكر واللغة". انظر مازن الوعر: نحو نظرية لسانية عربية لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق سوريا، ط1 1989، ص223-224. وانظر محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994، ص206.

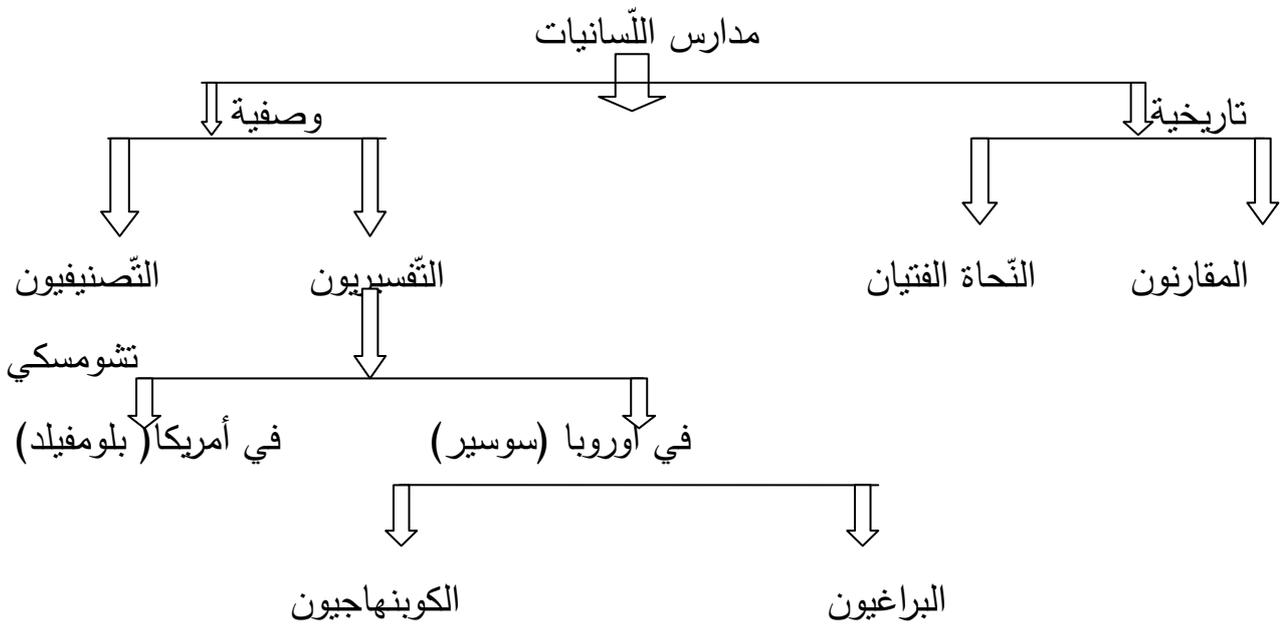
<sup>1</sup> - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص19.

<sup>2</sup> - Noam shomsky ,syntactic structures , the hague, paris,10 print , mouton, 1972, p13.

<sup>3</sup> - ينظر، شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، 2004، بيروت لبنان، ص40.

ونجد كل الأعمال المعاصرة في علم اللغة تحمل بصورة أو بأخرى آثارا لنفوذ أعمال "تشومسكي" وسطوتها، بل أصبحت كل نظرية لغوية تحاول أن تحدّد موقعها تبعا لدرجة علاقتها بنظريته وآرائه اللغوية؛ ذلك أنّ هدفه توضّح منذ البداية في قوله: "نحن نريد وضع قواعد نحوية كلية قوية ومعبرة قدّ الطاقة عن طبيعة اللغة بحيث تصمد هذه القواعد أمام الاختبارات النقدية كما تقدّم تفسيراً للظواهر التي أثبت صحتها الدراسات الوصفية."<sup>1</sup>

ويمكن أن نوجز المدارس اللسانية في المخطط الآتي<sup>2</sup> :



## 9- الدراسات اللسانية العربية الحديثة:

ترجع بداية تكوّن فكر لغويّ حديث عند العرب، مع ما ظهر في منتصف القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين في الغرب، حيث سادت هذه الفترة منهجين لغويين تجليا على التوالي وهما المنهج التاريخي المقارن، ثمّ بعد ذلك المنهج الوصفي، وكما هو معروف تأثرت الدراسات العربية بذلك من خلال كتابات "إبراهيم اليازجي" و"رفاعة الطهطاوي"، "وجرجي زيدان"؛ إذ قدّم

<sup>1</sup> - جان ليونز، المصدر السابق، ص203.

<sup>2</sup> - تمام حسان: الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص24.

اليازجي سنة 1881م محاضرة بعنوان " أصل اللغات السامية"، اعتمد فيها المنهج التاريخي ومن خلاله قام بتصنيف اللغات بحسب قرابتها إلى بعضها البعض، ويظهر تأثر "الطّهطاوي" في محاولته التمييز بين اللغة العربية واللغة الفرنسية من خلال حديثه عن المحسنات البديعية والمقارنة بينهما<sup>1</sup>.

أما المنهج الوصفي، فقد ظهر بعد عودة البعثات الطلابية من الجامعات الأوروبية إلى أوطانهم، وقد كان للجامعة المصرية السبق في الاتصال بالدّرس اللّساني الحديث منذ مطلع الأربعينيات، ويعود فضل هذا الاتّصال لجون "روبرت فيرث" (1890-1960 ( Firth.R.J ) أستاذ اللّسانيات العامّة في جامعة لندن ما بين عامي 1944 و 1960م، ومن تتلمذ على يده ومن بين أولئك الطلبة آنذاك "إبراهيم أنيس" (1906 - 1975 م) ، و"تمام حسّان" "عبد الرّحمن أبوب" وغيرهم، وقد ساد الاتجاه الوصفي بعد تجليات جهود ومحاولات إبراهيم أنيس خاصّة . ويظهر أن بداية النّهضة العربية عرفت تشبث اللّغويين العرب بالتّراث، غير أن هذا لا يعني تفوقهم على موروثهم بل كانوا على اطلاع بمستجدات الدّراسات الغربية<sup>2</sup>.

انقسم الدّرس العربي إلى قسمين؛ قسم اجتهد في إعادة بعث الموروث سواء من خلال صيغته القديمة أوصيغة معدّلة جزئياً، وقسم ثانٍ مقاطع لكلّ ما هو قديم، يتبنى المسار الحضاري الغربي بكلّ تفصيلاته، وبين هذين القسمين ظهر قسم ثالث فضّل أن يأخذ بنصيب من التّراث العربي يوحى إليه بالاعتزاز ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزّة<sup>3</sup>.

وأول مصطلح استعمل مقابلاً لمصطلح Linguistics الإنجليزي، ومقابلاً لمصطلح Linguistique الفرنسي، وهو مصطلح "علم اللغة" جعله "علي عبدالواحد وافي" عنواناً لكتابه

<sup>1</sup> - ينظر: حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة نقدية تحليلية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتب الجديد المتحدة، ط 1 ، بيروت، لبنان، 2009م، ص33-34.

<sup>2</sup> - ينظر، حافظ إسماعيلي علوي: المرجع نفسه، ص41-44.

<sup>3</sup> - ينظر: حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص14-15.

الصادر سنة 1941م. وقد ترجم بعد ذلك "محمد مندور" بحثاً لـ"أنطوان ماييه" المعنون بـ «Linguistique» فجاءت ترجمة العنوان بـ "علم اللسان"، وكان ذلك سنة 1946، ثم صدر سنة 1947م كتاب "الأصوات اللغوية" لـ"إبراهيم أنيس" الذي عرض الموضوع من خلال ما جاء به العلم الحديث، ثم ظهر مصطلح الألسنية مع "صالح القرمادي" قاصداً به علم اللهجات، وهذا حينما ترجم كتاب "دروس في علم أصوات العربية" لجان كانتينو سنة 1966م<sup>1</sup>.

إنّ مسألة المصطلحات معقدة وتزداد استعصاء كلما تناولناها في ضوء ثنائية المشرق والمغرب، وسنضرب مثلاً حياً معيشاً، فيه من الطرافة الفكرية وفيه من التمجج النفسي ما قد يثير إشفاق الذات العربية على ذاتها. فمنذ أكثر من ربع قرن نظمت الجامعة التونسية (13 - 19 ديسمبر 1978) ندوة أرادت منها أن ترسم منجزات المعرفة اللغوية الحديثة في بلادنا العربية، فاتجهت إلى أعلى الخبرات في المشرق، فاستضافت الأعلام الرواد الدكاترة "تمام حسان" و"أحمد مختار عمر" و"محمود فهمي حجازي" و"علي القاسمي"... وكان المصطلح الشائع في تونس يومئذ هو الألسنية، وكان عنوان الندوة «الألسنية واللغة العربية»، واستجاب هؤلاء الرواد بأبحاث حملت هذا المصطلح رغم أنهم كانوا يتداولون مصطلح «علم اللغة» السائد يومئذ في المشرق العربي باستثناء لبنان<sup>2</sup>.

ولم ير علماءنا المشاركة غضاضة في كتابة أبحاثهم للندوة مستخدمين مصطلح "الألسنية" ومن ذلك على سبيل المثال أنّ أستاذنا الجليل د. "تمام حسن" «كتب في إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا» والعالم الجليل المرحوم د. أحمد مختار عمر "كتب عن «المصطلحات الألسنية في اللغة العربية» في هذه الندوة دار نقاش طويل حول الاختلاف المصطلحي بين البلدان العربية، وكان الجميع واعين بجسامة الأمر، ولكن الجميع قد رأوا أنّ الحد الأدنى المتعين هو أن نتوحد حول الاسم الدال على هذا العلم، ونترك أمر مئات المصطلحات التي يتداولها أهله

<sup>1</sup> - فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ابتراك للنشر والتوزيع، ط 1، مصر الجديدة، 2004م، ص 20.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد السلام المسدي: "علم اللغة أم اللسانيات"، جريدة الرياض، المملكة العربية السعودية، 28 أبريل 2005، العدد 13457، [www.alriyadh.com](http://www.alriyadh.com)، اطلع عليه يوم 28-06-2018.

داخل دائرة اختصاصهم لما تجود به الأيام، وكان المصطلح المتداول في تونس هو "الألسنية" وهو أقدم المصطلحات تاريخياً لأنه صيغ في فلسطين منذ 1938 ثم راج في لبنان، وفي مصر استعمل مصطلح "علم اللغة" منذ أن وضع د. علي عبد الواحد وافي" أول كتاب فيه عام 1941 واختار له ذلك المصطلح عنواناً، وكان الجزائريون وعلى رأسهم الأستاذ "الحاج صالح"<sup>1</sup> قد وضعوا مصطلح اللسانيات، وبه سموا معهداً مختصاً، وبه أيضاً أصدرت مجلة متخصصة فيه، وفي المغرب الأقصى أيضاً استخدم مصطلح اللسانيات<sup>2</sup>.

وبهذا تكون اللسانيات العربية جزءاً لا يتجزأ من النشاط العالمي، وإن كان تأريخها لا يزال فتياً، فقد استطاعت أن تفرض وجودها في البحث العلمي والعربي وفي الجامعات والمؤسسات العلمية والعربية بفضل جهود علمائها وأبنائها مشاركة ومغارية، ونخص بالذكر - على كثرة هؤلاء - الجهود التي قام بها الأستاذ الجليل "الحاج صالح عبد الرحمن". رحمه الله.

<sup>1</sup> - ولد الدكتور "عبد الرحمن الحاج صالح" بمدينة وهران سنة 1927م. درس في مصر وفي بوردو وباريس. تحصل على التبريز من باريس ودكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة باريس - السوربون - كان أستاذاً بجامعة الرباط سنة 1961م إلى سنة 1962م وبجامعة الجزائر بعد ذلك وصار مديراً لمعهد العلوم اللسانية بالجزائر ثم مديراً لمركز البحوث العلمية لترقية اللغة العربية وعينه الرئيس "عبد العزيز بوتفليقة" رئيساً للمجتمع الجزائري للغة العربية سنة 2000م وهو عضو في المجامع الآتية: دمشق، بغداد، عمان والقاهرة. وأشرف على مشروع الذخيرة العربية الدولي، له مؤلفات متعددة في علوم اللسان واللسانيات العربية. توفي رحمه الله يوم 05/03/2017. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، الغلاف.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد السلام المسدي: "علم اللغة أم اللسانيات، المرجع السابق.

## الفصل الأول:

واقع الدراسات اللسانية العربية.

المبحث الأول:

إشكاليات الدرس اللساني العربي الحديث.

توطئة:

إنّ علاقة اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي فرضت عليه حركة جديدة نحو اكتساب مزيد من المعارف، وتصحيح بعض أساليب الفكر، على أن يتم ذلك في نطاق حركة ذاتية تسعى إلى بلورة المناهج والممارسات، وإلى حمل التراث على المنظور المتجدد، حتى يتسنى لها تأصيل البحث اللساني المعاصر في ضوء الموروث اللساني العربي، فتصبح بذلك مقولة الحداثة عند اللغويين العرب المعاصرين أكثر إخصاباً؛ لأنها "تتنزل لديهم متفاعلة مع اقتضاء آخر يقوم مقام البديل في التفكير المعاصر، وهذا الاقتضاء مداره التراث من حيث هو يدعوهم إلى قراءته على حدّ عبارة المنهجية الرّاهنة، ومعنى ذلك أنّ العرب يواجهون تراثهم لا على أنّه ملك حضوري لديهم، ولكن على أنّه ملك افتراضي يظلّ بالقوة ما لم يستردوه، واسترداده هو استعادة له واستعادته حمله على المنظور المنهجي المتجدد وحمل الرؤى النّقديّة المعاصرة عليه".<sup>1</sup>

إنّ الإفادة من معطيات علم اللغة الحديث تمكّنتنا من فهم أكثر خصائص بنية لغتنا، وتمكّنتنا من فهم تراثنا اللّغوي، ممّا يؤسّس للمستقبل على أصول الماضي، وإلى هذا يشير الدكتور عبد السلام المسديّ في قوله: "لا غرابة أن تعدّ قراءة التراث تأسيساً للمستقبل على أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد، عبر إحياء المكتسب إلّا أنّ قراءة التراث منهج لا يعوزه التأسيس اللساني في حدّ ذاته؛ فكلّ قراءة - كما هو معلوم - في اللسانيات العامّة هي تفكيك لرسالة قائمة بنفسها، وما التراث إلّا موجود لغوي قائم الذات باعتباره كتلة من الدّوال المتراففة وإعادة قراءته هي تجديد لتفكيك رسالته عبر الزّمن، وهي بذلك إثبات لديمومة وجوده".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - د. عبد السلام المسديّ: مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2، مارس 2010، ص25.

<sup>2</sup> - د. عبد السلام المسديّ: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986، ص12.

إلا أنّ إعادة قراءة التّراث اللّغوي لا تعني إسقاط المذاهب والنّظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة، وقد عبّر عن هذا الرّأي الدكتور الحاج صالح بقوله: "لا نريد النظر فيما أخرجه القدامى وفي أعيننا نظارات خاصة بالعصر الّذي نعيش فيه فنطمس الرّؤية القديمة بالرّؤية الجديدة ولو من بعض الجوانب. وكلّ يعرف أنّ لكلّ عصر نظرة خاصّة وتصورا خاصا للظواهر وكيفية خاصّة للكشف عن أسرارها. والمنظور العربيّ يتميّز بلا شكّ في هذه العلوم اللّسانية عن المنظور الغربيّ الحديث ثمّ لا بدّ أن نعرف أنّ الكثير ممّا هو موجود عند الغربيين ورثوه عن الحضارة اليونانيّة."<sup>1</sup>

هذه القراءة للتّراث العربي لم تخل من العوائق والإشكالات الّتي رافقت الدّرس اللّساني العربي الحديث؛ فبعد أن انفتح العرب على العالم الغربي وهو في أوج قوّته وقمة عطائه، صعب على العرب ملاحقة هذا التطور والالتحاق بركب التقدم العلمي<sup>2</sup>؛ ومن الأسباب الّتي أدت إلى هذا السّير البطيء هو تعاملهم مع التّراث العربي على أنه (ساكن) ممّاصّب الأمر عليهم أكثر مما يتوقعون.<sup>3</sup>

ومما لا ريب فيه هو أنّ أيّ إنجاز فكري لا يرقى إلى مستوى التفكير العلمي المؤسّس والهادف إلّا بتوافر ثلاثة مرتكزات أساسية:

أولاً: المرجعية المعرفية الّتي تُوطّرُ البحث العلمي؛ نعني بالمرجعية، ههنا، الإطار النظري الّذي يقدّم الأدوات العلمية والمنهجية الكافية لإيجاد إجابات علمية دقيقة للتساؤلات الافتراضية الّتي تثيرها الإشكاليات العلمية والمنهجية الكبرى في الثقافة الإنسانيّة.

<sup>1</sup>- د. عبد الرّحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، موفم للنشر، الجزائر 2007، ص8.

<sup>2</sup>- معالي هاشم علي أبو المعالي : الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجاً، أطروحة شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، جامعة بغداد، 2014. ص30.

<sup>3</sup>- فاطمة الهاشمي بكّوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، المرجع السّابق، ص14.

ثانيا :المفاهيم والاصطلاحات التي تُعزِّزُ البحث العلمي، وتُضفي عليه شرعية الانتماء إلى حقل علمي معين، من حيث هو إنجاز نظري وإجرائي في الوقت نفسه، ينتمي إلى عالم المعرفة الإنسانية الشاملة.

ثالثاً : الإجراءات التطبيقية التي تتبدى في آليات تفعيل المعطيات النظرية في الواقع الفعلي

للخبرة الإنسانية ؛ أي إخراج المعرفة من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل.<sup>1</sup>

ومن ههنا" فإنَّ اكتساب المعرفة اللسانية العالمية يستدعي اكتساب مهارة التفاعل الواعي مع هذه المعرفة، سواء أكان هذا التفاعل على مستوى إدراك منطلقاتها المنهجية، وتمثل مفاهيمها واصطلاحاتها، أم كان على مستوى توظيف معطياتها النظرية واستثمارها استثماراً هادفاً لترقية الوعي المنهجي في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة".<sup>2</sup>

ويمكن أن نجمل أهمَّ العوائق والعثرات التي اعترضت مسيرة الدرس اللساني العربي الحديث والتي ما زالت إلى يومنا هذا تواجهها، وحالت دون تسارعها وتطورها بصورة واضحة إلى **المشكلات المعرفية والمنهجية في الكتابة اللسانية العربية**؛ إذ يقتضي التأسيس المعرفي والمنهجي للعلوم بعامة، والعلوم الإنسانية بخاصة، إدراكاً واعياً لمنطلقاتها النظرية الأساسية وفهماً عميقاً للمتغيرات الطارئة في مسار تشكلها، سواء أكان ذلك على مستوى التأسيس النظري، أم كان على مستوى الإجراء التطبيقي، ويشير "مطفى غلفان" إلى ذلك بقوله: "إنَّ أزمة اللسانيات العربية الحديثة أزمة أسس تكمن في المنطلقات الفكرية والنظرية والمنهجية التي تؤسس مجالاً معرفياً معيَّناً وتحدّد معالمه أيضاً؛ وذلك إمّا لعدم وضوحها بالشكل الكافي، وإمّا لكون التراكم المعرفي المتوفّر في هذا المجال قد وصل إلى الطّريق المسدود في مستويي

<sup>1</sup> - ينظر، د أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط2، 2013، ص5.

<sup>2</sup> - أحمد حساني، المرجع نفسه، ص5.

التحليل أو النتائج أو هما معا، مما يتطلب إعادة النظر في الأسس والمبادئ العامة التي يقوم عليها المجال المعني.<sup>1</sup>

وكما هو حال أي علم من العلوم ، فكذلك للسانيات جانبها النظري وجانبها التطبيقي، إلا أن الملاحظ هو تلك الفجوة الموجودة بين هذين الجانبين " ثم إن نجاح أي علم من العلوم إنما يقاس بمدى الاستفادة منه على الصعيد الإنساني، ومدى إسهامه في حل الإشكالات التي تصادف مسيرة الشعوب والمجتمعات، وإلا فما الجدوى من علم لا يواكب مسيرة المجتمع ولا يلبي احتياجاته ومتطلباته؟"<sup>2</sup>

ويمكن أن نجمل أهم المشكلات المنهجية والمعرفية فيما يلي:

#### أ- أزمة الانفصال القائم بين النظرية والتطبيق:

ومما لا شك فيه أن اللسانيات العربية تطمح إلى إنتاج معرفة لسانية تساهم في إثراء البحث اللساني العالمي، وتكون في مستوى منافسة الغرب تنظيرا وتطبيقا، ولكن واقعها الراهن يشير إلى أنها ما تزال في صراع مع الذات أمام التطور المتسارع للمنجز الغربي، خاصة ونحن نسير في مواكبة هذا التطور سير المتتالية الحسابية بالنسبة للمتتالية الهندسية على حدّ تعبير الأستاذ "عبد الرحمن الحاج صالح"؛ وذلك لغيب تصوّر علمي دقيق ومضبوط للغة العربية باعتبارها الموضوع الأساس للدّرس اللساني العربي، فقد ابتعد الدّرس اللساني في معظم حالاته عن موضوعه الحقيقي، وهو اللّغة العربية من حيث هي بنية متعدّدة المستويات إذ يرى مصطفى غلفان أنّ هذه البديهية المنهجية تكاد تغيب عن أذهان اللسانيين العرب المحدثين إلا في حالات نادرة جدّا إذ يقول: " فنحن لا نجد تعاملًا فعليًا مع اللّغة العربية في وضعيتها الزاهنة

<sup>1</sup> - د. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ص 120.

<sup>2</sup> - زكموط بوبكر: الاتجاه التوليدي في النحو العربي الحديث، دراسة في فكر أ د عمايرة من خلال كتابه " في نحو اللغة وتراكيبيها"، رسالة ماجستير، تخصص الفكر النحوي واللسانيات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2011-2012، ص19.

وبمعطياتها الجديدة، ممّا يجعل البحث اللساني العربي المعاصر متعالياً عن موضوعه، وبالتالي ليس بمقدوره التأثير في الواقع اللغوي العربي بدراسته دراسة حديثة.<sup>1</sup>

ويتضح لمتتبع الخطاب اللساني العربي الحديث عدم مسايرة الكثير من اللسانيين العرب للتطور السريع للنماذج اللسانية، وما يخلفه هذا التطور من تعديل وتغيير مستمرين في النظريات اللسانية؛ " فتعدّد البحوث اللسانية وتنوّعها النظري وسيادة الجوانب الصورية<sup>2</sup>، وارتباط اللسانيات بمجالات فكرية أخرى من ابستولوجيا وفلسفة وعلم نفس ومنطق ورياضيات وإعلاميات وانعدام البحث المتخصّص في الجامعات العربية كلّها عوامل حقيقية وراء تأخر الدرس اللساني العربي في مواكبة ما يجري على الصعيد العالمي.<sup>3</sup>

لأجل ذلك فدرسنا اللساني أحوج ما يكون إلى استيعاب ذلك المنجز من خلال الانفتاح على مختلف التّصورات التي تعرضها المذاهب اللسانية الحديثة؛ فبالرغم من ثرائه بكتابات لسانية نظرية ومنهجية متميّزة تجاوز بعضها حدود عالمننا العربي إلى العالمية، وخاصة منها الكتابات التي أنجزت بغير اللّغة العربيّة إلا أنّها - وهو رأي عدد من الباحثين النّقاد - لم تحظ بالتّقييم النظري والمنهجي الذي يتيح استثمارها إيجابياً في تنمية الدرس اللساني العربي والنّهوض به.

وبما أنّ اللسانيات نتاج غربي محض لم يكن من المستساغ، ولا من المقبول أن يسلم العربي أموره اللغوية إلى اللسانيات، بعدما ظلّ بثرائه اللغوي صامدا لقرون عديدة حتّى بلغ درجة النّضج والاكتمال، وكلّ تفریط في هذا الإرث الزّاهر يعدّ طمسا لمقوماته الحضاريّة، وتفریطا في نصيبه من تركة العلوم بعد تقسيم الاختصاصات بين الأمم.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - د. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ص: 122.

<sup>2</sup> - يقصد بالجوانب الصورية علاقة البحث اللساني الحديث بالتراث، وكذا غياب التّصوّر العلمي والدّقيق للّغة العربية باعتبارها الموضوع الرّئيس للدرس اللساني العربي. ينظر، د. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ص: 120.

<sup>3</sup> - د. مصطفى غلفان، المرجع نفسه، ص: 124.

<sup>4</sup> - ينظر: حافظ إسماعيلي العلوي، المرجع السابق، ص: 79.

وتأسيساً على هذا التوجّه المنهجي يمكن أن يسلك سبيلين اثنين في التعامل مع المعرفة اللسانية العالمية :

1- سبيل الفهم والإدراك : يسمح لنا هذا السبيل بفهم المعرفة في بيئتها العلمية والثقافية الأصلية دون تحييد أو تغييب أو إقصاء.

2- سبيل التّوظيف والاستثمار: يقتضي هذا السبيل الانتقاء والاختيار الواعي للمرتكزات النظرية الفاعلة التي تُسهم في ترقية الوعي العلمي والمنهجي لدى المتلقّي العربي للمعرفة اللسانية الوافدة.<sup>1</sup>

ومن هذا المنطلق فإنّ اللسانيات في الفكر العربي المعاصر، بكلّ مكوناته الثقافية والحضارية، يجب أن تستقطب إنجازات الفكر اللساني العالمي بوعي علمي عميق لاستيعاب النظرية اللسانية العالمية استيعاباً واعياً من جهة، واستلهاً الجوهر العلمي للرّصيد المعرفي للتراث العربي الأصيل من جهة أخرى، وعلى أية حال " لا يصح وضع فاصل معرفي بين العمل اللساني القديم والحديث؛ فالبحث اللساني الحديث هو امتداد للبحث القديم ، يتعامل مع ويتحاور وإياه"<sup>2</sup>. (ولعلّ هذا ما ينطبق على النظرية الخليلية الحديثة التي جاء بها عبد الرحمن الحاج صالح).

وإذا وُفق العقل العربي المعاصر إلى تهيئة الأرضية المنهجية لهذا التّلاقح، والتقاطع بين مرجعيتين فكريتين، فإنّه حتماً سينتقل من مرحلة التّلقّي السلبي عن طريق التّرجمة، وتحويل المعرفة إلى مرحلة المشاركة والحضور والإرسال الكثيف والدائم في الوقت نفسه للمضامين العلمية للتراث اللساني العربي عن طريق التّأصيل المعرفي، والتّفعيل الإجرائي لمرتكزاته الفاعلة ليساهم في ترقية الخطاب العلمي العالمي.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- ينظر، أ. د أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص5.

<sup>2</sup>-حافظ إسماعيلي علوي ووليد العناني: أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات، حصيلة نصف قرن من اللّسانيات في الثقافة العربية، حوار مع أ. د العلوي، المرجع السابق، ص20.

<sup>3</sup>- ينظر، أ. د أحمد حساني، المرجع السابق، ص6.

يصف "عز الدين المجدوب" الكتابات اللسانية الأولى بمصطلح "التجريبية" (Empirisme)<sup>1</sup>، والتي تمثل العيب الأساسي لمقاربات المحدثين للتراث النحوي وهو يقصد بالتجريبية عدم التأسيس للممارسات العلمية، ورفض التنظير الذي يضع المسلمات موضع بحث وتساؤل، ولا يقصد بها تلك النزعة في العلوم التي تعتمد التجربة قبل إصدار أحكام علمية، وإنما يقصد قلة التنظير للممارسة العلمية وعدم وعي الباحث بالمسلمات التي ينطلق منها وعدم تفكيره فيما يقتضيه التسليم بها من مستلزمات ونتائج فرعية، وقد يتوهم البعض أن التجريبية هي دائما نتيجة تقصير من الباحث، ولكن قد تكون نتيجة مرحلة تاريخية تكيف جهود الأفراد رغما عنهم<sup>2</sup>.

وهذه النظرة تكوّنت لديه من خلال رصده لبعض تجارب الباحثين في عدم تمييزهم بين مقتضيات الدراسة النظرية والتطبيقية وتتجسد هذه التجريبية عنده في مستويين أساسيين:

- 1- على مستوى إدراك خصائص النظرية العلمية عموما وشروط بنائها ومستويات التركيب فيها وما تنفصل به من التأمل الفلسفي العقيم والتفكير المذهبي أو الوثوقي.
- 2- على مستوى الدراسة اللغوية لما تتميز به الظاهرة اللغوية من شعب وما تقتضيه مباشرتها من احتياطات منهجية<sup>3</sup>.

ويورد "عز الدين المجدوب" مثالا عن هذا الخلط تجربة "إبراهيم مصطفى" في كتاب "إحياء النحو" تبيّن الخلط بين هذين المستويين من الدراسة بصورة واضحة وجلية، ويتضح ذلك من خلال مساواته مقتضيات الدراسة اللغوية ومقتضيات التدريس؛ إذ يقول عنه: "وقد بدا لنا الخلط

<sup>1</sup> - يقابل هذا المصطلح عند "الفاسي" مصطلح "التجريبية الساذجة" "Naive Empirisme".

<sup>2</sup> - ينظر، د.عز الدين المجدوب: المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1 1998 م ص 12.

<sup>3</sup> - ينظر، د.عز الدين المجدوب: المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، ص: 5.

بين البحوث العربية والبحاث التطبيقية في إتخاذ إبراهيم مصطفى من تبرم الناشئة بالنحو وصعوبة تدريس العربية حجة على فساد لازم في النحو العربي أو عيب ضروري فيه".<sup>1</sup> كما أشار "المجدوب" إلى غياب البحوث التي تعنى خاصة بقضايا تلقّي اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة وعبر عن ذلك بقوله: "نحن لانملك بحثا مفصلا حول كيفية تقبل العالم العربي لهذا العلم الوافد".<sup>2</sup>

"إنّ القول بأنّ اللسانيات لم تسهم في قضايا الأمة غير صحيح بطبيعة الحال ، هناك نقاش كبير في قضايا التخطيط وفي قضايا التعدد وفي قضايا أخرى أسهمت فيها اللسانيات ، ولكنّ المشكل الأساس هو أنّ اللسانيات ليست جسما واحدا، بل هناك أجسام مختلفة دخلت اللسانيات وميّعت الكثير من القضايا، ودخلتها أنانيات كثيرة جعلت اللسانيات لا تصل إلى ما نصبوا إليه جميعا"<sup>3</sup>.

### ب- إشكالية ترجمة المصطلح اللساني وتوحيده:

إذا كانت اللسانيات العربية عاجزة عن إيجاد حلول ممكنة للكثير من القضايا، فإنّها تبدو أيضا عاجزة عن حلّ الكثير من الإشكالات المرتبطة بموضوعها، ومن ذلك إشكالية الترجمة والمصطلح اللساني، وهما إشكاليتان غير منفصلتين، وتبقى قضية المصطلح من القضايا التي أولتها اللسانيات أهمية خاصة بالنظر إلى أهميتها في تسيير العلوم وبناء صرحها، وخلق نوع من التقارب بين العلماء وتوفير الجهد على الباحثين وتقليص مجالات الاختلاف بينهم".<sup>4</sup> وكلّ نجاح للعلم يتوقّف في جانب منه على تحديد جهازه المصطلحي وضبطه، لأنّ "مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما يميّز به كل واحد عمّا سواه، وليس من مسلك يتوسّل به الإنسان إلى منطوق العلم غير

<sup>1</sup> - ينظر، د.عز الدين المجدوب: المرجع السابق، ص:14.

<sup>2</sup> - حافظ إسماعيلي العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص12.

<sup>3</sup> - حافظ إسماعيلي علوي، وليد العناني: حوار مع عبد القادر الفاسي الفهري، ص103.

<sup>4</sup> - حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 82.

ألفاظه الاصطلاحية، حتى كأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأقوال".<sup>1</sup>

ومن مظاهر هذا التثنت اضطراب المصطلح وتعدد الألفاظ للدلالة على المعنى الواحد وعدم التقيّد بمبادئ وضوابط مطردة في وضع الألفاظ الفنية، والخلط بين المصطلح القديم والمصطلح الجديد، والمفهوم القديم والمفهوم الجديد وهذا يفسد إبلاغ الثقافة اللسانية الحديثة باللغة العربية، ويجعلنا لانغير بدقة عن المفاهيم المستحدثة الجديدة، فهذا هو الوضع المصطلحي الغالب وإن كنا قد بدأنا نلمس بعض بوادر التّقدم في إيجاد معجم فني في المستوى الذي نرومه.<sup>2</sup>

وقد أصبح الدّارس العربي في مجال اللسانيات - بشكل خاص - حائراً من أمره في مواجهة العدد الهائل من المصطلحات اللسانية المتكاثرة باستمرار، والتي ينتجها الباحثون في البلدان الغربية، وغالبا ما يحيل كل مصطلح على نظرية أو مدرسة لسانية معينة. وجدير بالذكر أن ظهور هذه المصطلحات والمناهج الغربية نتاج سيرورة وتقدم فكري وتراكم معرفي خاص تنفرد به الثقافة الغربية، وما من شك أن الإبحار في هذا الزخم الفكري من دون التسلّح بمقومات الهوية اللغوية والثقافية يؤثّر في اللغة المنقول إليها العربية ( انطلاقاً من مقولة " المغلوب مولع بنتقليد الغالب") كما أنّه غالباً ما يؤدي نقل مضامين المناهج والنظريات اللسانية والنقدية الأجنبية إلى التطويع القسري، ومحاولة إسقاطها على النظام اللغوي للعربية، وعلى النصوص العربية، وفي ذلك مزالق كثيرة فتأتي النتائج مثيرة للاستغراب والشكوك بالنسبة للمتلقّي العربي الذي لا يمكنه الاطلاع على النظريات والمناهج اللسانية أو النقدية الغربية بلغتها الأصلية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، بيروت، ص11.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات العربية- نماذج للحصيلة ونماذج لآفاق- وقائع ندوة جهوية، أبريل 1987: تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص15.

<sup>3</sup> - أ. مسعود شريط: ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغة العربية: أزمة تمثل المفاهيم أم موضحة اختلاف؟ مجلة إشكالات، دورية نصف سنوية محكمة تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، العدد الثاني عشر ماي/ 2017 ص 98.

إنّ لعلم المصطلح ارتباطا وثيقا بالترجمة، فكلاهما يستخدم اللّغة، هدفا ومضمونا ووسيلة وهذا يودّي إلى كثير من التّشابه والتشابه بينهما، ممّا يساعد على دراستهما معا وعدم الاستغناء عن أحدهما في البحث اللّساني الحديث.

وقد تعدّدت وسائل دخول المصطلح إلى اللّغة العربيّة؛ فبعد التّطوّر الذي عرفته المعلوماتيّة كان ولا بدّ من دخول ألفاظ عديدة، اختلف الباحثون في صوغ مقابلات عربية لها، فسعى هؤلاء على اختلافهم في الوطن العربي إلى توحيد هذه العملية؛ ومن هؤلاء نذكر الدكتور "عبد الرّحمن الحاج صالح" الذي حاول "إعطاء التّسميات العربيّة في كلّ ما يستجدّ في عالم الحضارة الغربيّة بالخصوص"<sup>1</sup>.

إذ نجد في النّقافة العربيّة للمصطلح الغربيّ الواحد أكثر من ترجمة؛ وذلك لتميّز النّقافة الغربيّة بالنّزاع المصطلحي مقارنة بالإنتاجات العربيّة الضّئيلة، والتي أرغمتنا على استيراد هذه المصطلحات الغربيّة، وقد بيّن الدكتور "الحاج صالح" ماسبته التّرجمة للمصطلحات الغربيّة من فوضى لغوية على حدّ تعبيره، ممّا أدّى بالباحثين إلى توحيد المصطلحات الحديثة، وهو يقترح بعض الحلول وفي هذا الصّد يقول: "يجب اختيار لفظ واحد على مقاييس معيّنة فإن لم يوجد اللفظ في العربيّة يلجأ إلى وضع لفظ عربي على المقاييس المتعارف عليها، وينبغي أن يورّع هذا العمل على المجامع اللّغوية تجنّبا للتّكرار"<sup>2</sup>.

ولا بدّ من التّنبية على أنّ الدّكتور "عبد الحاج صالح" أولى التّرجمة أهميّة في دراساته، إذ أفرد فصلا من كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة) في الجزء الثاني منه، تحدّث فيه عن التّرجمة وإشكالياتها في الوطن العربي، فضلا عن بعض اقتراحاته لتذليل صعوباتها، وذلك

<sup>1</sup> - د. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، ج 1، 2012، ص 374.

<sup>2</sup> - د. عبد الرحمن الحاج صالح: مجلة المجمع الجزائري للغة العربيّة مساهمة المجامع اللّغوية في ترقية اللّغة العربيّة، الجزائر ع8، 2008، ص 22.

لأهميتها ولكونها من الأساسيات في البحث اللساني العربي الحديث؛ إذ " الترجمة من الوسائل الأساسية للرقي اللغوي في أية لغة، ومن هذا المنطلق أرى أنه من الضروري أن يكون موضوع اهتمام بالبحث العلمي وأن تكون موجودة في كل مؤسسة علمية تمارس كما يمارس التكوين والبحث في الوقت نفسه"<sup>1</sup>.

وقد أكد الدكتور على مشروع الذخيرة اللغوية بما يساهم في حلّ هذا الإشكال فيقول: " فكرة الذخيرة اللغوية العربية وفوائدها الكثيرة بالنسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها خاصة"<sup>2</sup>. هذا إلى جانب مشروع تكوين متخصصين في علم المصطلحات والترجمة المتخصصة؛ إذ "يهدف هذا المشروع إلى سدّ فراغ مهول وخطير بالنسبة للوطن العربي وسيكون سببا إن لم نتصدّ له لعرقلة نموّه العلمي والتكنولوجي، بل سببا في إيقاف هذا النمو، ومن ثمّ أن يؤثّر في المستوى الاقتصادي والثقافي لهذا الوطن، ويتمثّل هذا الفراغ في عدم وجود مترجمين متخصصين في نقل العلوم والتكنولوجيا...ولهذا فإنّ المسلك الوحيد الذي يجب سلوكه هو الإعداد على نطاق واسع لعدد كبير من المترجمين المتخصصين في نقل العلوم. ومن المعروف أنّ العدد الذي تتوفر عليه البلدان العربية من الاختصاصيين في ميدان الترجمة المتخصصة هو عدد تافه جدا"<sup>3</sup>.

ويبدو أن حركية الترجمة إلى اللغة العربية عاجزة عن مسايرة حركية الإنتاج العلمي والأدبي حيث تتكاثر المصطلحات والمفاهيم بشكل متسارع، ما يجعل من جهود ترجمتها إلى اللغة العربية غير مجدية؛ ذلك أننا لا نستطيع تمثّلها واستيعابها على الوجه الأمثل والأدقّ ما دمنا لا

<sup>1</sup> - د. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 371.

<sup>2</sup> - د. عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص 395.

<sup>3</sup> - د. عبد الرحمن الحاج صالح: المصدر نفسه، ص 372-373.

ننتج علما وفكرا، ولا نضع مصطلحات ومفاهيم نابغة من ثقافتنا وبيئتنا، ونتاج تفكيرنا وتطورنا أي عنوان هويتنا العربية في القرن الواحد والعشرين<sup>1</sup>.

وتعدّ محاولة "محمد رشاد الحمزاوي" 1977 م، أول معالجة معجمية للمصطلح اللساني في الوطن العربي، فقد قام في كتابه "معجم المصطلحات المعجمية العربية" باستقراء المصطلحات اللغوية الحديثة التي لم يسبق استعمالها من قبل في العربية والمصطلحات القديمة التي استعملت استعمالا حديثا للتعبير عن مفهوم لغوي حديث، وفي هذا الصدد يقول: "إن حرصنا على استقراء مصطلحات المعجم العربي لا يعني أنه انفرد بالتقائص دون غيره لأنه لا يوجد إلى يومنا هذا معجم في مصطلحات المعجم في اللغات الأخرى، ولأن دراسة المعجم ومصطلحاته دراسة لسانية، لم تحظ إلا أخيرا بعناية اللسانيين الذين مازالوا يبحثون عن ركائز لسانية نظرية لمقاربتها"<sup>2</sup>.

ولقد أحصى "الحمزاوي" من المصطلحات اللسانية 1202 مصطلحا، ضمّنها جميعا في معجمه (العربي\_الفرنسي \_ الإنجليزي)، واعتمد في استقراءه على مؤلفات وتراجم عددها في مقدّمة المعجم، ومن أهمّها: تمام حسّان(مناهج البحث في اللّغة 1960، القاهرة)، إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية 1961، القاهرة)، يوسف السودان (الأحرفية 1959، بيروت)، محمود السعران(علم اللّغة 1962، الإسكندرية، واللّغة والمجتمع 1963، الإسكندرية)، كمال بشر(علم اللّغة العام- الأصوات 1971، القاهرة)، الطيب البكوش(التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث 1973، تونس) ترجمة صالح القرماضي لكتاب جان كانتينو(دروس في علم أصوات العربية 1966، تونس)، ويحوي المعجم المصطلح العربي مرتبّا ترتيبا ألفبائيا يقابله المصطلح الإنجليزي أو الفرنسي، ويلي المصطلح العربي تعريفه والمصدر الذي استقى التعريف منه من المراجع العربية التي اعتمد عليها<sup>3</sup>. والمعجم نوع خاص حاصر للمصطلحات المتاحة

<sup>1</sup> - ينظر: أ. مسعود شريط: ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغة العربية، ص102.

<sup>2</sup> - محمد رشاد الحمزاوي: معجم المصطلحات المعجمية العربية - مقارنة تاريخية واجتماعية ولسانية- مجلّة المعجمية، العدد 2 تونس، 1986، ص8.

<sup>3</sup> - د . محمد حلمي هليل: دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي- وقائع ندوة جهوية : تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية، ص290-291.

كمقابلات للمصطلح الأجنبي وتتركز أهميته في عملية الجمع كخطوة أولى من خطة طموحة أحسن إعدادها، تهدف إلى التحليل والاختيار، وهذا ما يعدنا به الحمزاوي (1980) وقد سبق ذكره في مقدّمة معجمه (1977). وتشمل الخطة:

- 1- دراسة تحليلية نقدية للمصطلحات المستقراة لاستنتاج بعض الملاحظات أو القواعد.
  - 2- محاولة وضع معجم مختار انطلاقا من المصطلحات المستعملة في المؤلفات المستقراة وذلك حسب معايير يمكن استخراجها من التجربة التي نحن بصددتها.<sup>1</sup>
- كما أن تلقى المناهج والنظريات اللسانية والنقدية عن طريق الترجمة، رافقه تفاوت في التلقي وتقبل المصطلحات المعربة؛ إذ يقف الدارس على واقع التعدد الاصطلاحي الذي يشكل أزمة للغة العربية، ومن مظاهر هذه الأزمة وضع مقابلات عديدة للمصطلح الأجنبي الواحد (الدراسات اللسانية والنقدية خصوصا). ويعود السبب الرئيس للتعدد الاصطلاحي إلى المنهجية أو الطريقة التي يعتمدها المترجمون في نقلهم للمضمون اللساني أو النقدي الغربي إلى الثقافة العربية، حيث تتأرجح خياراتهم بين الترجمة وتقنياتها المعروفة، أي إيجاد مصطلحات عربية الصياغة للمصطلحات الأصلية وبين اللجوء إلى التعريب بالافتراض ثم إضفاء الصيغة العربية على المصطلح. ومن الأمثلة التي توضح هذا الطرح، نذكر بعض المصطلحات وترجمتها إلى العربية بـ:

- مصطلح: "Sémiologie" الذي ترجم إلى العربية بـ:
- السيميولوجيا، السيميائية، علم السيمياء، علم العلامات، العلاماتية، علم الأدلة والأعراضية...
- مصطلح "Sémiotique": الذي ترجم بـ:
- السيميوطيقا، السيميوتيك، السيميائيات، العلامية، الدلالية... إلخ.
- مصطلح "Phonétique": الذي ترجم بـ:
- فونطيقا، علم الأصوات الوظيفي، علم وظائف الأصوات...<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - د . محمد حلمي هليل: دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي، ص 291.

وبعد إرساء الجهاز الاصطلاحي في أي فرع من الفروع العلمية مظهرًا من مظاهر استقلال العلوم، واكتمالها، وتكامل رصيدها، وكذلك أصبح المجال الاصطلاحي من المجالات الخصبة التي تلقى رواجًا وعناية وسط الباحثين في عصرنا الحديث.

أما فيما يخص وضع المصطلح اللساني والنقدي العربي فمزال يبحث عن هويته، ويسعى إلى تأسيس بنياته، ذلك أنّ الواقع يشير إلى اضطراب وعدم وضوح الرؤية، نتيجة تركيز اللسانيين والمترجمين والناقدين على النقل واستنساخ التجارب اللسانية أو النقدية الغربية وإسقاطها على الدرس اللساني والنقدي العربي، وخير دليل على ما نقول استنساخ المناهج والإجراءات اللسانية والنقدية في تحليل النصوص الأدبية ودراستها واعتماد ترسانة اصطلاحية لسانية ونقدية مستنسخة من البيئة الثقافية الغربية، مما أنتج نوعًا من الخطاب اللساني عسير الفهم على القارئ العربي.<sup>2</sup>

لايزال الرصيد الفني للسانيات العربية في مجال الدراسة المصطلحية يشكو من عقبات حقيقية؛ لغياب رصيد اصطلاحي مشترك يوحد اللسانيين ويؤلف بينهم. فرصيدنا المصطلحي في مجال اللسانيات يبدو ضربًا من الأهواء التابعة من الميول والابتكار الشخصي الذي لا ينتقد بمنهجية علمية دقيقة.<sup>3</sup>

إنّ اللساني الذي يضطلع بمسؤولية تطويع ومواكبة وتوليد اللغة- في جميع الحقول المعرفية- يبقى عاجزًا عن البدء بالمجال الأقرب إليه والمعني به بشكل مباشر، وهذا يولد شعورًا بالإحباط وإحساسًا بالخيبة.

<sup>1</sup>- أ. مسعود شريط: ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغة العربية، ص 108-109.

<sup>2</sup>- أ. مسعود شريط، المرجع نفسه، ص 109.

<sup>3</sup>- ينظر: حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 83.

## ج- اختلاف المواقف من التراث العربي:

لقد خلف العرب إرثاً لغوياً ضخماً من حقنا نحن - أبناء العربية- أن نفخر به باعتباره تراكماً لحقب زمنية طويلة ومختلفة في تاريخ الأمة العربية؛ إذ لا أحد يجادل في أنّ التراث اللغوي العربي يحتل مكانة الصدارة في الدرس اللساني العربي المعاصر حتى غدت دراسته تشكل اتجاهها مستقلاً وقائم الذات سمّي بلسانيات التراث - حسب الفاسي الفهري- إلى جانب لسانيات (اللغة) العربية التي تسعى إلى بناء أنحاء أو أجزاء منها للغة العربية الحالية أو للهجات العربية الحالية.<sup>1</sup>

ولكن واقع البحث اللساني العربي يتعارض مع القسمة العقلية التي تقتضي أن يكون هذا البحث رائداً، بالنظر إلى الإرث العربي الزاخر في هذا المجال، وهذا ما يجعل هذه المعادلة جدّ معقدة، بل وغير مفهومة، وإلى هذا يشير " الفاسي " حين وجّه له سؤال بهذا الخصوص بقوله: "وبطبيعة الحال، الإرث العربي الزاخر قد يجعل المعادلة معقدة، لكن يجب أن نقر أنّ مشكل التراث والحاضر العربي يرجع بالأساس إلى عدم القدرة على إيجاد المراكمة، فالدول التي تستطيع أن تتقدّم هي التي تستطيع أن تراكم، وهذه ثغرة في ثقافتنا العربية. فالعناية بتراثنا داخل أوساطنا هي من قبيل الإطراء والمجاملة، وليست هناك دراسات عميقة تحاول قراءة هذا التراث وتوظيفه التوظيف المطلوب، وهذه خصوصية ثقافية. هذا هو الواقع، وكل ثقافة غير جادة تبقى ثقافة غير مواكبة وغير مراكمة. وقس على هذا ما يوجد فيما يسمّى بالأبحاث العلمية، وهي لاتقدّر المراكمة، لضمور الرؤية عند أصحابها".<sup>2</sup>

لم يستطع الكثير من اللسانيين التخلّص من وهم الصّراع بين القدامة والحداثة، وهو صراع نفسي بالدرجة الأولى، وإلى هذا يومئ مازن الوعر بقوله: " إنّ أساس الصّراع بين الأصالة

<sup>1</sup> - ينظر: مصطفى غلفان، المرجع السابق، ص108-109.

<sup>2</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري: حوار اللغة، دار أبي الرقراق، الرباط، ط1، 2007، ص15.

اللغوية والمعاصرة اللسانية ليس صراعا بين الأعمال اللسانية المعاصرة التي وضعها علماء اللسانيات المحدثون في الغرب. إنّ الصّراع في جوهره يكمن بين الباحثين العرب أنفسهم (كامتداد للأزمة النفسية الفردية، التي يعاني منها إنساننا العربي) بين الباحثين الذين يشدّهم التّاريخ القديم إلى أقصى مسافات اليمين، وبين الباحثين الذين يشدّهم التّاريخ الحديث والمعاصر إلى أقصى مسافات اليسار، وبهذا فإنّ المعادلة الثقافيّة ستكون عرضة للاهتزاز والتّفكّك، وستحقّق معاناة إقامة التّوازن بين الأصالة والمعاصرة<sup>1</sup>.

وبهذا يغدو الصّراع بين القديم والحديث من "الإشكالات التي تؤرّق البحث اللساني العربي شأنه في ذلك شأن الثقافة العربية برمّتها، وعلى هذا الأساس فإنّ أحد أشكال المشكلة العلمية للسانيات في العالم العربي هو التّجزئة ذاتها على محور القديم التّراثي والحديث، وليست المشكلة في وجود التّجزئة في ذاتها، لكن في مصاحباتها ونواتجها المؤسّساتية، من صراعات بين اللسانيين ليست كلّها علميّة، ومن إهدار للطّاقات، ومثلما يكون للقديم، كما للحديث موضوعاته البحثية المفصلة ونظرياته ومناهجه، فقد ظهرت محاولات للتوليف والدمج، ولكنّ هذه المحاولات قليلة ويكتشف تعزيزها صعوبات ومعوّقات تتصل بالتّثبيت المؤسّسي للسانيين"<sup>2</sup>.

إنّ الصّراع بين التّراث والحداثة يُلقي بثقله على توحد اللسانيين وتقليص المسافات بينهم ويشهد على ذلك تجدّده بتجدد اللّقاءات والتّدوات العلمية، وفي ذلك خير تعبير عن عمق امتداده؛ إذ يلاحظ المرء أنّه في كل مؤتمر أو دورة لسانية كثيرا ماتدور الأحاديث والمناقشات حول التّراث اللّغوي العربي المتمثّل بالأعمال التي وضعها الصّوتيون والنّحاة والبلاغيون العرب القدامى، وحول اللسانيات الحديثة كعلم قائم بذاته والمتمثّل بالأعمال اللسانية التي وضعها

<sup>1</sup> - مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسان، ص 354-355. نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص 85.

<sup>2</sup> - ينظر: مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسان، ص 359-360. نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي: المصدر نفسه، ص 85-86.

وطورها الصّوتيون والنّحاة والدّاليون القريبون في الولايات المتحدة أو في أوربا، وهذا ينمّ عن تجذّر الصّراع واستفحاله.<sup>1</sup>

هناك مواقف متباينة اتّجاه التّراث اللّساني العربي، واتّجاه اللّسانيات الغربية الحديثة، وهي كالآتي:

- مواقف تشبّثت بلسانيات التّراث جملة وتفصيلا؛
  - مواقف تبنّت النظريات اللّسانية الحديثة جملة وتفصيلا؛
  - مواقف توفيقية تحاول إذابة الفوارق بين لسانيات التّراث واللّسانيات الحديثة<sup>2</sup>.
- نجد من الكتابات اللّسانية العربية المتشبّثة بالتّراث جملة وتفصيلا "عبد الرّاجحي" في مجمل كتاباته، ونخص بالذكر منها «فقه اللغة في الكتب العربية» و"عبد السّلام المسدي" في كتابه «التفكير اللّساني في الحضارة العربية» .
- ومن الكتابات التي تبنّت النظريات اللّسانية الحديثة نجد مشروع "عبدالقادر الفاسي الفهري" في اللّسانيات التّوليدية، الذي يؤمن بأن اللّساني لا يقول كلاما مكرّرا، فالعوامل متعدّدة والكلام في اللّسانيات العربية- التي وصف خطابها بـ «الخطاب الهزيل» - مازال مفتوحا<sup>3</sup>.
- وإلى جانب ذلك هناك كتابات لسانية جديدة تبنّت النظريات اللّسانية الحديثة، مع استثمار للفكر اللّغوي العربي القديم لمعالجة قضايا اللّغة العربية، كما نتلمس ذلك في مشروع "أحمد المتوكل" الوظيفي، إضافة إلى كتابات أخرى للسانيين معاصرين، من بينهم : "تمام حسّان" و"ميشال زكريا" و"محمّد الأوراعي"، و"عبد العزيز العماري"، و"عبد الرّحمن بودرع"، و"مصطفى غلفان"، و"حافظ إسماعيل علوي" وغيرهم....<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: مازن الوعر: أزمة اللّسانيات واللّسانيين العرب، ندوة انعقدت بالرباط، المغرب 1982، ص 80-81.

<sup>2</sup> - د. عبد الوهاب صديقي: أوراق لسانية نقدية، قراءة في تصوّرات اللّسانيين العرب المعاصرين لطبيعة العلاقة بين لسانيات التراث واللّسانيات الحديثة، مجلة اللّسانيات العربية، العدد 1 يناير 2015، ربيع الأول 1436هـ، المملكة العربية السعودية، ص 34.

<sup>3</sup> - د. عبد الوهاب صديقي، المرجع السّابق، ص 34-35.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 35.

ولنأخذ على سبيل المثال "الراجحي" الذي تشبّت بالتراث، إلا أننا نجد يقول بأن «الاقتصار على الدرس التقليدي غير صحيح، كما أن الاقتصار على الدرس اللساني الحديث غير صحيح كذلك، ولعلّه قد يكون صواباً أن نعرّف الطلاب بالنحو العربي التقليدي بلغة قريبة وتصنيف قريب، مع تركيز خاصّ على تجسيد نظام هذا النحو بالاتّصال بالنصوص اللغوية، ثمّ ندرج في الدرس لتعرّف على النصوص النحوية القديمة في مصادرها الأصلية، وبعد ذلك يبدأ الاتّصال بعلم اللغة الحديث، الذي نرى فيه ضرورة علمية مهمّة لا غنى عنها في فهم العربية وفي فهم النحو الذي وضعه علماؤنا القدماء.<sup>1</sup> ومع ذلك ظلّت مؤلفاته مقتصرة على الدرس التقليدي المحض، وقد أعاد ما قاله القدماء بأسلوب حديث ودوّنه في أحيان كثيرة. يعتبر "الراجحي" من المتشبّثين بلسانيات التراث، عضاضاً عليها بالتواجد، لأنّه يرى في مؤلفاتها القاعدة الأساس لكل دراسة للغة العربية، ممّا حدا ببعض الباحثين أن يسمّوا عمله هذا بنوع من "السلفية الجديدة".<sup>2</sup>

لقد حاول "الراجحي" عرض مناهج الدرس اللساني الغربي، ومن ثمّ عقد الصلّة بين هذه المناهج الغربية، والنحو العربي، من خلال تأكيد أنّ النحو العربي يحوي الأسس التي قامت عليها اللسانيات الغربية نفسها، وقد بنى دراسته على الفصل بين المنهجين: المنهج الوصفي والمنهج التحويلي.<sup>3</sup>

ولكنّ هذا ليس بالأمر الغريب؛ فكما نجد من يرى في الرجوع إلى التراث القديم والاهتمام باللّغة العربية سبيلاً للتّقدم الحقيقي، نجد من يرى في الحداثة الغربية وتداول اللّغات الأجنبية تقدماً، ونجد بمقابل ذلك موقفاً ثالثاً وسطياً يرى التّقدم في الاستفادة من حداثة الغرب (اللسانيات)، مع استثمار ما خلّفته أعمال اللّغويين والنّحاة والبلاغيين من نظريات مهمّة في معالجة ظواهر اللّغة العربية. (المنهج التّأصيلي)

<sup>1</sup> - عبده الرّاجحي: دروس في المذاهب التّحوية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1980، ص6.

<sup>2</sup> - ينظر: د. عبد الوهاب صديقي: أوراق لسانية نقدية، ص36.

<sup>3</sup> - د. سلمان عباس عيد: تقويم الفكر النّحوي عند اللّسانيين العرب، دار الكتب العربية، ط1، لبنان، 2016، ص203.

فمجرد ظهور اللسانيات، تناسى الباحثون العرب جهود العرب القدماء، باعتبار أنّ اللسانيات هي مناهج غربية، صحيح أنّها كذلك، ولكنّ منطلقها وهدفها النقعي لا ينتميان إلى الغرب فقط، وإتّما هما ملك الحضارة الإنسانية خارج نطاق العرق والجنس والهوية والقومية.<sup>1</sup> إلا أنّ العرب " في هذا الباب علما قديما بل ركاما من العلم، فهل من الصّواب أن نفرط بهذا الكنز بدعوى أنّه جدّ جديد في الموضوع؟ أفلا يكون من الرّصانة أن نحاول ربط الماضي بالحاضر ولا سيّما وأنّ هذا الماضي مشرق وضّاء... لهذا كان لزاما علينا أن نربط الحديث بالقديم."<sup>2</sup> ويكشف الدّكتور "عبد السلام المسديّ" عن الأسباب التي دعت إلى الغفلة عن إسهامات العرب بالرّغم ممّا خلفوه من تراث زاخر بقوله: "إنّ من الأسباب التي دعت إلى الغفلة عن حظ العرب من إثراء التّفكير اللّغوي الإنساني ورود نظريتهم اللّغوية مبنوثة في خبايا تراثهم الحضاري بمختلف أصنافه وأضرب مشاريعه... أمّا النتيجة المبدئية التي آل إليها "تسيان" تراث العرب في اللّغويات العامّة، فهي حصول قطع في تسلسل التّفكير اللّساني عبر الحضارات الإنسانية، فنهضت الحضارة الغربية على حصيلة التّراث اليوناني أساسا لكن في معزل عن مستخلصات ثمانية قرون من مخاض التفكير اللّغوي عند العرب. وإذا جاز لنا أن نبسط مصادرة في البحث أمكننا أن نقرّر افتراضا أنّ أهل الغرب لو انتبهوا لنظرية العرب في اللّغويات العامّة عند نقلهم لعلومهم في فجر النّهضة لكانت اللّسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم، بل لعلّها كانت تكون أدركت ما لا تدرّكه إلاّ بعد أمد<sup>3</sup>.

والرّاجح أنّ النّقافة العربية الحديثة تحتاج إلى خطاب لساني يتجاوز كل هذه الإشكالات العقيمة، من قبيل الصّراع بين لسانيات التّراث واللّسانيات الحديثة، ليسهم في معالجة اللّغة العربية من منظور اللّسانيات، حتى تؤدّي وظيفتها المتمثّلة في تطوير الإنسان وفكره، ولن

<sup>1</sup> - ينظر، د. مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، ط1، ص39. نقلا عن: معالي هاشم علي أبو المعالي: الاتجاه التّوافقي بين لسانيات التّراث واللّسانيات المعاصرة، المرجع السّابق، ص39.

<sup>2</sup> - التّهامي الرّاجي الهاشمي: توطئة لدراسة علم اللّغة، دار النّشر المغربيّة، الدار البيضاء، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد ط2، 1984، ص8.

<sup>3</sup> - عبد السلام المسديّ: مباحث تأسيسية في اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص31.

ينأتى ذلك إلا بتوفر إطار نظري ومنهجي استدلالى يربط المقدمات بالنتائج، خطاب إبستمولوجي يروم خدمة قضايا اللغة العربية التركيبية والمعجمية والصوتية والدلالية<sup>1</sup>. تلك هي سمات اللسانيات العربية التي ستؤسس لخطاب لساني عربي يفسح المجال أولاً للغة العربية الفصحى ودوارجها وللثقافة العربية لتتنفسا ريح الحداثة والتجديد وتعبرا عن المعاصرة والتقدم. وصفوة القول إن هذه الآراء وإن اختلفت وتشابكت فيما بينها، وإن اختلفت في النتائج نتيجة اختلاف اللسانيين المعاصرين في تصوّره لعلاقة اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي، إلا أنّ المهمّ هو حاجة التراث اللغوي والنحوي والبلاغي العربي لقراءة إبستمولوجية<sup>2</sup> تستحضر محدّداته المعرفية، ومجاله التداولي، وتحفظ نسقيته، دون الوقوع في القراءات الإسقاطية التعسّفية، مع الانفتاح على مستجدات الدرس اللساني الحديث<sup>3</sup>، ومن ثمّة لا بدّ من إقامة حوار معرفي مع الآخر بما يقينا خطر الانبهار بالفكر الآخر غير العربي، ومن مستلزمات الموقف العلمي الوثائق بضابط الموضوعية أن نتناول مادة التراث العربي خارج حدود المركّبات: سواء أكانت مركّبات الغرور والاستعلاء أم مركّبات النقص والاحتواء، وبين طرفي معادلة القراءة النقدية الواعية نستنبط بمجهر القراءة أشياء ليست هي التراث في حرفيته، ولا هي اللسانيات في منطوقها المتداول، وإنّما هي كشف مستحدث يمكننا من تقديم إسهام ينضاف في حلبة العلم الإنساني الجديد<sup>4</sup>.

ونخلص من ذلك كلّهُ إلى أنّه ينبغي أن نفهم تراثنا فهما صحيحا، فضلا عن فهمنا للسانيات وجعلها حافظا يدفع الكثير من الباحثين إلى التراث جمعا وتمحيصا، ونجعلها أي اللسانيات، من الأسباب التي تمكّننا من التفكير جديا في وضع التراث اللغوي العربي في مكانته الصحيحة، ولا

<sup>1</sup> - ينظر: د. عبد الوهاب صديقي: المرجع السابق، ص 53.

<sup>2</sup> - مصطلح الإبستمولوجيا ( Epistémologie ) مصطلح جديد صيغ من كلمتين يونانيتين (Epistémè) ومعناها: علم و (Logos) ومن معانيها: علم ونقد ونظرة ودراسة... وبذلك تكون الإبستمولوجيا، من حيث الاشتقاق اللغوي، هي " علم العلوم". ينظر تفصيل ذلك: حافظ إسماعيلي علوي، أمحمد الملاح، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات منشورات الاختلاف الجزائر مطابع الدار العربية، بيروت، ط1، 2009، ص 21.

<sup>3</sup> - ينظر، د. عبد الوهاب صديقي: أوراق لسانية نقدية، ص 53.

<sup>4</sup> - ينظر، عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 29.

نجعلها تهديدا على اللغة العربية ولا على موروثنا اللغوي العربي، بل على العكس من ذلك يمثل حافزا قويا ودائما أساسيا لاستتطاق تراثنا العربي، والتخلص من الإرباك والإشكاليات التي تجعل الفهم على المتلقي مستعصيا أكثر، وقد يعزى هذا الإرباك إلى أن "من قدموا هذا الوافد الجديد للعرب المحدثين لم يقدموه في صورته الحقيقية من ناحية هدفه قدموه علما جديدا وهو ليس علما جديدا، إنما هو مناهج جديدة، وفي حالات أخرى قدموا النتائج ولم يقدموا المقدمات وكانت صورة التقديم هذه سببا في إعراض الموروث القديم عن هضم الجديد، وكانت صورة التقديم تزداد سوء كلما تعددت العناوين واختلفت".<sup>1</sup>

ويقدم حافظ إسماعيلي علوي وأحمد الملاح بعض المقترحات التي يعتقدان أنها ضرورية لتطوير وتلاقي الإشكاليات في الدرس اللساني العربي الحديث، وربطها بالدرس اللغوي القديم ومنها:

أ- ضرورة فصل إشكالية مقارنة التراث العربي عن إشكاليات زائفة من قبيل التأسيس والدفاع عن الخصوصية؛ فالتأسيس العلمي للسانيات العربية لا يمكن أن ينفك عن نماذج التمثيل والنظريات التي تتخرب في سيرورة الإبطال والتعديل؛ فأدوات البحث ونتائجه لا يمكن إلا أن تكون مؤقتة ونسبية، خلافا للتصور التراثي للتأسيس الذي يدفعنا إلى الأخذ بتصور إطلاقي للمعرفة: لا شيء جديد كل ما يقال قد قيل من قبل.

ب- استثمار أسلوب تقويمي جديد يبني على مسلمة مفادها أن دراسة أعمال القدماء يجب أن نستخلص منها أهم المحاوريات المتحركة فيما أنجزوه، وموازنتها بمحاور اللسانيات المعاصرة بدل أن تقف المقارنة عند حدود سطحية، ونذكر على سبيل المثال ما قام به الدكتور "عبد الرحمن الحاج صالح" في عمله (النظرية الخليلية الحديثة) وسنبيّن ذلك في الفصول اللاحقة- إن شاء الله - وعمل الدكتور "أحمد المتوكل" (تأملات في نظرية المعنى في التفكير اللساني العربي)؛ إذ بلور إطارا لتقويم التفكير النحوي القديم، يقوم على استخلاص التصورات الضمنية

<sup>1</sup> - لطيفة حليم، الاتجاه البراغماتي، مجلة الفكر العربي، المجلة 17، العدد الأول، 1986م، ص 243. ، نقلا عن: معالي هاشم

علي أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، ص 40

- ومحتويات التفسير وأدواته لدى النحاة والبلاغيين والأصوليين مع تجريب إمكانية تمازجها وتكاملها مع النظريات الدلالية والتداولية المعاصرة.
- ج- بناء أدوات صالحة لوصف اللغة العربية تخضع للشروط الإستمولوجية مثل: البساطة والشمولية والدقة.
- د- تنظيم أدوات الوصف والتفسير بحسب مستويات الدرس اللساني المعاصر (المستوى الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والتداولي...).
- هـ- بناء لسانيات عربية أصيلة وحديثة، تستطيع أن تجدد تصوراتها للتراث وتفتح منافذ إدراجه في البحث اللساني العربي، لسانيات واعية لتأسيس الإطار المعرفي لقراءة التراث (النحوي البلاغي، الصرفي...) ووضوح التصور والمنهج، يعدّ مقدمة لتجاوز الإشكاليات المكررة حول علاقة التراث اللغوي باللسانيات المعاصرة.<sup>1</sup>
- أشير إلى أنني حاولت ممّا سبق أن أقف عند أهم الإشكاليات في الدرس اللساني العربي وكيفية تلقّي هذا العلم الوافد (اللسانيات) وأشكال الممانعة الحائلة دون تطوره ونضجه، فضلا عن طرح بعض المقترحات التي قد تساهم أو تحاول حلّ هذه الإشكاليات، غير أنني لم أذكر كلّ عوائق الدرس اللساني والتي لها إمّا علاقة مباشرة أو غير مباشرة به، داخلية كانت أو خارجية؛ " فالبحث اللساني في ثقافتنا العربية لا يمكن أن يتطور ما لم يتخلّص من الأحكام المسبقة، وهذه الإشكاليات ليست (إشكاليات لسانيات) فحسب، بل هي إشكاليات محدّدت ورؤى فكرية تحتاج إلى إعادة التشكيل بطريقة صحيحة تسير وتواكب تقدّم الحضارة الإنسانية في مناحيها المتعدّدة".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، أمحمد الملاح، قضايا إستمولوجية في اللسانيات، ص: 59 وما بعدها.

<sup>2</sup> - حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص: 95.

## المبحث الثاني:

### - المناهج اللسانية العربية الحديثة:

1. المنهج البنوي.
2. المنهج التحويلي.
3. المنهج الوظيفي.

## توطئة:

لقد كان لاتصال الثقافة العربية بالثقافة الغربية أثر بارز في الدراسات اللغوية، حيث راح الباحثون العرب ينهلون من معين المناهج اللسانية الغربية، ويطعمون بها دراساتهم للغة العربية وتراثها الشيء الذي ساهم في بروز وجهات نظر لسانية متعددة، أثمرت خطابا لسانيا عربيا جعل بعض الدارسين يطلقون على أطرافه المختلفة تسمية " اللسانيات العربية " <sup>1</sup> .

أنتجت سيرورة البحث اللساني العربي تراكما بحثيا ورؤى لسانية متشعبة، عرف بعضها طريقه، والآخر ادلهمت به السبل فراح تائها في خضم المفاهيم اللسانية المتهاطلة يوما بعد يوم.

ولا يمكننا الحديث عن علم قائم بذاته بدون منهج يفصح عنه ويجلي صورته؛ هذا لأن العلوم لا تأخذ مصداقيتها إلا من تماسك مناهجها، ومن قدرة هذه المناهج على استخلاص المعارف وتقنين الأنساق المنتجة لها. إن مسألة المنهج هي عماد البحث وأساسه في كل المجالات المعرفية والعلمية، واختيار المنهج يرتبط أولا وأخيرا بطبيعة الموضوع محل البحث فإذا كان موضوع البحث مثلا يحتاج إلى تجميع المعلومات ثم المقارنة بينها والعمل على تفسيرها وتحليلها لأجل الوصول إلى نتائج مقبولة، فهذا يتطلب اعتماد المنهج الوصفي، وإذا كان الموضوع محل الدراسة يحتاج إلى دراسة النصوص من الداخل لفك رموزها واستقراءها اعتمدت خطوات المنهج البنوي، وإذا كان الموضوع يتطلب العودة إلى الوثائق القديمة لأجل الإفصاح والبيان عنه، فهذا يتطلب الاستناد إلى المنهجية المتبعة في المنهج التاريخي <sup>2</sup>.

واختيار المنهج ليس متروكا للباحث وإنما يتم هذا الاختيار على أساس موافقته لموضوع البحث وقد يستند الباحث على أكثر من منهج في تحليل ظاهرة من الظواهر كما هو الحال في

<sup>1</sup> - مبروك بركات: نحو نقد لساني عربي مؤسس - جهود مصطفى غلفان نموذجا - مجلة الذاكرة، ورقلة، العدد 02، 2013، ص: 35.

<sup>2</sup> - حسن إدريسي: مناهج اللسانيات الحديثة - أرفود - المغرب - طنجة الأدبية، الموقع: [ar.aladabia.net/article-7674](http://ar.aladabia.net/article-7674) تاريخ نشر المقال: 2011/08/22، اطلع عليه يوم: 2018/07/06.

العلوم الإنسانية، على أنّ لكل منهج أدوات بحثية يستخدمها في التحليل أو المقابلة أو التفسير ... وكلما تعددت الأدوات البحثية كلما كانت النتائج المحصل عليها فعّالة.

وهكذا استحق المنهج أن يعرف بأنه "فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين، حين نكون بها عارفين." <sup>1</sup>

وكلمة "المنهج" ترجمة للكلمة "méthode" الفرنسية ونظائرها في اللغات الأروبية الأخرى وكلّها تعود في النهاية إلى الكلمة اليونانية *methodos*، وهي كلمة نرى أفلاطون يستعملها بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، كما نجدها عند أرسطو أحيانا كثيرة بمعنى "البحث". والمعنى الاستقائي الأصلي لها يدلّ على الطريق أو المنهج المؤدّي إلى الغرض المطلوب. <sup>2</sup> وحينما كانت الدراسات اللسانية حقلًا من الحقول المعرفية المندرجة ضمن ما يسمّى بالعلوم الإنسانية، فهي تفصح في نظرتها عن هذا الأمر وتؤكد؛ فاللسانيات لم تتعدّد مذهبًا ونظرية إلا لأنّها تعددت منهجًا.

إنّ المناهج اللسانية تختلف باختلاف الجوانب اللغوية التي يوليها عنايته، فالمنهج البنوي يهتم ببنية ووصف اللغة، والوظيفي يهتم بوظيفة اللغة، والتوليدي يهتم بكيفية توليد الجمل اللغوية غير المتناهية من قواعدها المحدودة، والتداولية (التخاطبية) تعنى بتجليات اللغة في المقام الخطابي. <sup>3</sup>

ظلّ البحث اللغوي في البلاد العربية في مجال النحو والصرف متبعا للمناهج التقليدية متمثلة في المنهج التاريخي المقارن، حتى إنّ مصطلح (علم اللسان) كان مقترنا بهذه الدراسات التاريخية، كما اشتهر أيضا مصطلح (فقه اللغة) للتعبير عن الجهود اللغوية للمستشرقين والتي كانت تدور حول دراسات اللغات السامية والمقارنة فيما بينها، إلى أن بدأ عدد من الطلبة المصريين المستفيدين من البعثات إلى أوروبا ممّن تخصصوا في علم اللغة يعودون، ويبشّرون

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977، ص 4.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن بدوي: المرجع نفسه، ص3.

<sup>3</sup> - معالي هاشم علي أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، ص443.

بمنهج جديد في دراسة اللغة، متأثرين في ذلك بأراء أساتذتهم في أوربا ومنتبّعين النظريات اللغوية التي تكوّنت فيها، فعادوا إلى البلاد العربية محمّلين بأفكار وإجراءات جديدة لم تعرفها هذه البلاد سابقاً، فكانت هذه الأفكار والإجراءات في غالبها تحمل في طيّاتها ثورة على نمط الدّراسة السائد في تلك الفترة سواء أ عند الترائيين أم المجدّدين المتبّعين للمستشرقين، ومن هنا فقد عكف هؤلاء الطّلبة العائدين على وضع مؤلفات تنزو إلى التعريف بالمنهج الجديد، ولكنّ الغريب في الأمر أنّ التعريف بهذا المنهج جاء من عالم في الاجتماع هو الدّكتور "علي عبد الواحد وافي" الذي نشر عام 1941م كتابين أحدهما بعنوان "علم اللغة" والآخر بعنوان "فقه اللغة".<sup>1</sup>

ثم توالى بعد ذلك المؤلفات التي أخذ أصحابها على عاتقهم مهمّة التعريف بهذا المنهج الجديد في دراسة اللغة، والذي ظهر في أوربا، وعرف انتشار واسعاً في أرجائها وذهب بعضهم إلى حد نقد النّحو العربي مستنداً في ذلك على حصيلته المعرفية الأوربية.<sup>2</sup>

وقد بدأت تظهر علاقة بين المناهج اللسانية الغربية والبحث اللساني العربي من خلال ما قدّمه أعلام الدّراسات اللسانية العربية في المشرق والمغرب من أمثال: "عبد القادر الفارسي الفهري وأحمد المتوكّل، ومحمود السّعران، وكمال بشر، وتمام حسّان، ورمضان عبد التّواب ونهاد الموسى، وعبد الرّحمن الحاج صالح، وسعد مصلوح، وعبد القادر المهيري، ومازن الوعر وميشال زكريا"، وغيرهم ممّن قدّموا تجارب رائدة في حقل الدّراسات اللسانية العربية؛ إنّ اللسانيين العرب الذين درسوا اللسانيات والصّوتيات في جامعات أوربية وأمريكية، انعكست عليهم صور الواقع اللغوي الذي عاشوا فيه، فهناك من تأثر بنظرية أو نظريات لغوية دون أخرى فبرزت في كتاباته ميوله نحو مدرسة لغوية أوربية وأمريكية... وحيث إنّ النظريات اللغوية قد ظهرت على مراحل متدرّجة، فقد كان لكل فترة طائفة من الباحثين العرب ممّن مرّوا

<sup>1</sup> - ينظر، حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 142 .

<sup>2</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 141 .

بها وتأثروا بواضعي هذه النظريات أو طلابهم، فعملوا بعدئذ على تطبيق هذه النظريات على اللغة العربية<sup>1</sup>.

ذهب الدكتور " عبد الرحمن الحاج صالح" إلى أنّ الثقافة العلمية والفلسفية العربية التي وصلت إلى أوروبا في العصر الوسيط، عن طريق الكتب المترجمة إلى اللاتينية قد غزت أذهان الكثيرين من الأساتذة والسّباب المثقّفين، فعرفوا فيها مآزاد العرب على الفلسفة اليونانية من لطائف المفاهيم ودقائق المناهج، وبخاصّة في علم اللسان وفنونه، فكان هذا سببا في نهضة علم اللسان عندهم.<sup>2</sup>

ولابدّ أن نقرّ بصعوبة تصنيف البحوث اللسانية المعاصرة لعدّة أسباب، منها أنّ اللساني العربي الواحد قد يأخذ بأكثر من موقف دفعة واحدة أو قد ينتقل من موقف إلى آخر خلال فترات حياته العلمية.

ويمكن حصر أهمّ هذه المذاهب والمناهج اللسانية العربية فيما يأتي:

### 1- المنهج البنوي:

يقوم المنهج البنوي على مذهب فلسفي جوهره الفلسفة الوضعية، التي أرسى قواعدها "أوغست كونت" (1798-1857: Auguste Comte) بدعوته إلى تجاوز المرحلة الميتافيزيقية واللاهوتية، إلى مرحلة وضعية تقوم فيها العلوم الإنسانية على التجربة والاختبار وتتحرى الدقة والموضوعية والصّرامة العلمية، وقد لقت هذه الفلسفة في أوروبا رواجاً كبيراً. أمّا في أمريكا فقد راجت أفكار المذهب السلوكي الذي أسّسه العالم النّفساني "واطسون" (Watson John, Broadus 1878-1958) في بداية القرن العشرين، ويقوم جوهره على جعل علم النّفس مادة علمية، تقوم على التجارب المخبرية لدراسة الآليات النفسية، من خلال سلوكيات الكائن الحي- إنسانا كان أو حيوانا، فهذه الأخيرة هي ردود أفعال لمثيرات داخلية

<sup>1</sup>- عبد الحليم معزوز: تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسّان وعبد الرحمن الحاج صالح دراسة إبستمولوجية في المرجعية والمنهج، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة 1، 2016-2017، ص75.

<sup>2</sup>- ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص90.

(فيزيولوجية) أو خارجية (بيئية)، وهو ما قاده إلى نظريته المشهورة حول المثير والاستجابة، التي أثرت تأثيرا بالغا على مناطق مختلفة في العالم طوال منتصف القرن العشرين.<sup>1</sup> والبنوية: في أصلها اللغوي اشتقت من كلمة (structure) ومعناها البناء، ولهذا الكلمة في اللغة الفرنسية (structure) دلالات مختلفة منها: النظام (ordre) التركيب (constitution) والهيكلية (organisation)، والشكل (forme).<sup>2</sup>

والبنية جهاز يعمل حسب قوانين تحكمه، ولا نمو لهذه البنية ولا بقاء لها إلا بفضل القوانين نفسها؛ فالبنية عالم مكثف بذاته، وهي ليست ركاما من العناصر التي لا يجمعها جامع؛ فالعناصر المكوّنة للبنية إنما هي كل تشكّله ظواهر متضامنة بحيث أن كلّ منها يرتبط ارتباطا عضويا ببقية الظواهر، ولا قيمة له إلى العلاقة التي تربطه بها، وبواسطة هذه العلاقة، أي أنه لا قيمة له في ذاته، ومعنى ذلك أنّ معطيات اللغة لا يتسنى لها أن تدرس باعتبارها ظواهر منعزلة، ذلك أنّها لا تأبى إلاّ تحديد الجهاز الذي ينظمها، ويخضعها لقوانينه، فقيمتها لا تكمن في كونها ظواهر منعزلة، ولكنها تكمن في أنّها تمثل عناصر بنية ما؛ فالبنية لا تحدد إلاّ ضمن سلسلة من العلاقات بين العناصر، فليست هي -العنصر، ولا هي مجموعة العناصر ولكنّها العلاقات القائمة بين هذه العناصر، ولهذا كلّه كان من طبيعة المنهج أن تدرس البنية أولا إذ أنّها هي الأصل وما عناصرها إلاّ فروعها عليها، إن البنية وحدة تقوم على قاعدة.<sup>3</sup> لاقى المنهج البنوي كثيرا من التأييد في أوساط علماء اللغة، حيث قامت عدّة مدارس تدعّمه وتتبنّاه، وظهرت في خضمّها عدّة اتجاهات ساهمت في إثراء البحث اللساني، وقد ظهرت بصمات "دي سوسير" على هذه الاتجاهات، وبالرغم من التّفاوت الحاصل بين كل منها، إلاّ

<sup>1</sup> - الأستاذ: يحيى بعيطيش: الأصول اللسانية للمناهج النقدية الحديثة، المنهج البنوي نموذجا، الموقع الإلكتروني:

[www.benhedouga.com](http://www.benhedouga.com) ، اطّلع عليه يوم 2018/07/09.

<sup>2</sup> - محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، ط، 2003م، ص 116.

<sup>3</sup> - ينظر، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 301.

أنها قامت كلها على المرتكزات النظرية والمنهجية التي تأسست عليها مقولة الوصف، فظهرت عدّة مدارس لسانية على غرار مدرسة براغ .

ويبدو أنّ هذا الاختلاف والتباين بين هذه المدارس والاتجاهات، لم يمنع الدرس اللغوي الوصفي من الوقوف على طرائق بحث منظمة وممنهجة، فارتباطها بأفكار "دي سوسير" في نظريته إلى اللغة وطريقة فهمه لها، جعلها تتسم بالدقة والتنظيم، بالرغم من اختلاف الطريقة في البحث على غرار المنهج الوصفي عند العرب.

لقد أشاد " مصطفى غلفان" بالكتابات الوصفية العربية الأولى، ولكن لم تمنعه الإشادة من الوقوف عند بعض سماتها والهنات التي اكتفتها؛ إذ يقول في هذا الصدد: " اللسانيات الوصفية أو البنوية اتجاهات ومدارس متعددة تتفق في أمور وتختلف في أخرى .غير أنّ الدارسين العرب لا يهتمون بمسألة التحديد المضبوط للإطار النظري الذي يشتغلون فيه ويوظفونه في تعاملهم مع اللغة العربية"<sup>1</sup> ومن أهمّ هذه السمات- في نظره -:

- عدم تحديد المصادر والأسس النظرية والمفاهيم المنهجية توضيحا كافيا .
  - الانتقائية في التعامل مع النظريات اللسانية الوصفية .
  - السطحية في تداول المفاهيم والمبادئ اللسانية الوصفية .<sup>2</sup>
- يرى الوصفيون أنّ تحديد المنهج من شأنه أن يجنب اللساني السقوط في المزالق التي وقعت فيها اللسانيات التاريخية، ووقع فيها النحو التقليدي، فانشغال النحوي التقليدي- عند الوصفيين- بنتيبت المعايير، حال دون الإحاطة بالظاهرة اللغوية من جميع جوانبها، واللسانيات التاريخية لم يسعها منهجها الخاص في فهم طبيعة اللسان وكشف نسقيته.
- وعلى هذا فالوصفيون ينادون بأن تدرّس اللغة دراسة وصفية؛ ذلك أنّ اللغة الحقيقية هي التي يستخدمها الناس فعلا، لا اللغة التي يعتقد البعض أن على الناس أن يستخدموها.

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حريات النشأة والتكوين، ص 199 .

<sup>2</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 199.

إنّ الدّراسة الوصفية للغة هي النّظر في علاقة كل عنصر من العناصر اللّغوية الداخلية بغيره من العناصر الأخرى المكوّنة للنظام اللّغوي، وذلك لأنّه لا قيمة للمفردة إلاّ من خلال السياق<sup>1</sup>.

يعتمد أصحاب هذا الاتجاه على "المنهج البنوي" في دراسة النحو دراسة شكلية تستبعد منه نظرية العامل والتقدير، ومعنى هذا أنّ الوصفية تقوم على دراسة الواقع اللّغوي ووصفه دون التعليل لظواهره أو محاولة تفسيرها، ومن هنا فقد كان "اعتبار دراسة اللّغة دراسة شكلية خارجية هي المنهج الأسلم في وصفها نحويًا وصرفيًا، وصوتيًا؛ لذلك ينفرون من التعليل القائم على التأويل، والتقدير، والمقايسة العقلية لا الشّكلية بين ظاهرتين أو حكّمين، لأنّ العلة المقبولة عندهم يُلخّصها قولهم: " هكذا نطقت العرب"<sup>2</sup>.

ويعدّ كل من " إبراهيم أنيس"، و" عبد الرحمن أيوب"، و"تمام حسّان" أهم الدّارسين العرب الذين تبّنوا المنهج البنوي في بحوثهم التي قدموها للقارئ العربي.

ويتلخّص أسلوب البنويين في النّظر والتحليل، وتتوقف نجاعة أية عملية وصفية على مدى مناسبة تطبيقها على المسألة اللّغوية، فإن كان تطبيقها مناسبًا للمسألة كانت أسلوبًا ناجحًا في دراستها، وإن كان في تطبيقها هدر لبعض العناصر اللّغوية، كانت أسلوبًا غير ناجح في دراسة المسألة، مع الإقرار بأنّ معيار النجاح أو عدمه أمر نسبي يتفاوت فيه الباحثون<sup>3</sup>.

وفي المقابل، فإنّ ثلّة من اللّسانيين العرب الذين تبّنوا هذا المنهج، قد انساقوا وراء إجراءاته انسياقًا جعلهم يرفضون الدّراسات اللّغوية العربية القديمة متمثلة في النحو ونقدوه إلى حدّ التهجم عليه أحيانًا، ورفض الكثير من نتائجه أحيانًا أخرى، خاصة ظاهرة التعليل (التعليل لأحكام النحو وأقيسته)، وقد يعود ذلك أساسًا إلى تأثر الوصفيين العرب بالأوروبيين، إذ إنهم وجدوا " فيما صح

<sup>1</sup> - ينظر، د. حليلة احمد عمارة: الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص 35.

<sup>2</sup> - حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن ط1، 2000، ص 225.

<sup>3</sup> - حسن خميس سعيد الملخ، المرجع نفسه، ص 226-227.

من نقد الأوربيين لتراثهم النحوي ينسحب على التراث النحوي العربي، كما صحّ عندهم أنّ التراث النحوي العربي تضمّن العيوب نفسها التي تضمّنّها التفكير النحوي الأوربي القديم، ولم يتّخذ هذا المنطق في عمل الوصفين العرب شكل الافتراض، بل كان حاضرا لديهم حضور البديهية، فكان بذلك منطلق كل دراساتهم<sup>1</sup>.

لقد شهد منتصف "القرن العشرين" وخاصة العقد السادس والسابع منه هجوما من بعض الباحثين على جوانب من النحو العربي بتأثير تبني معظمهم المنهج البنوي، من أمثال الدكتور عبد الرحمن أيوب، في كتابه: "دراسات في النحو العربي" الذي نشره أوّل مرّة سنة 1957م والدكتور تمام حسّان في كتابه: "اللغة بين المعيارية والوصفية" الذي نشره أوّل مرة سنة 1958م، والدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه "الفعل: زمانه وأبنيته" الذي نشره أوّل مرة سنة 1966م.<sup>2</sup>

أمّا عن أهمّ الأمور التي عاب الوصفيون العرب النحو العربي عليها، اعتمادا على المنطلقات والأسس التي اعتمدها الأوربيون في تقديم لتراثهم النحوي، فقد لخصها "عبد الرّاجحي" فيما يأتي:<sup>3</sup>

1- أنّ النحو العربي قد تأثر بالمنطق الأرسطي منذ مراحل الأولى، وأنّ هذا التأثير صار طاغيا في القرون المتأخرة، وقد أدّى ذلك إلى أن يكون النحو العربي "صوريا" وليس "واقعا"، ومن ثمّ اهتم بالتعليل والتقدير والتأويل، ولم يركّز درسه على الاستعمال اللغوي "كما هو".

2- أنّ النحو العربي لم يقعد للعربية كما يتحدثها أصحابها، وإنّما لعربية مخصوصة تتمثّل في مستوى معيّن من الكلام هو في الأغلب - شعر أو أمثال أو نص قرآني، أي أنّه لم يوسع درسه ليشمل اللغة التي يستعملها الناس في شؤون الحياة وإنّما قصره على اللغة الأدبية... وقصر الدرس النحوي على هذا المستوى من اللغة أفضى به إلى وضع قواعد العربية على

<sup>1</sup> - حافظ إسماعيلي علوي، النحو العربي واللسانيات الوصفية، مجلة فكر ونقد، ع 92 ، أكتوبر 2115 م، ص 54 .

<sup>2</sup> - حسن خميس سعيد الملخ، المرجع السابق، ص 227.

<sup>3</sup> - عبد الرّاجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1979 م، ص من 48 إلى 52.

أساس من النصوص المختارة، مما أبعدهم عن الاستعمال الشائع في هذه اللغة، ولم يكن هناك مناص من أن يواجهوا نصوصا من هذا المستوى الأدبي تخالف ما وضعوه من قواعد فاضطروا إلى اللجوء إلى التأويل والتقدير واعتساف التفسير، والاحتكام إلى (الضرورة أو إلى الشذوذ) بل إلى وضع نصوص تسند بعض هذه الأحكام.

3- إن النحو العربي مع تحديده لمستوى اللغة التي يقعدّها حدّد أيضا مكانية وزمانية لهذه اللغة، فهو لم يسمح بالتقعيد إلا على اللغة المستعملة في بوادي نجد والحجاز وتهامة ومن قبائل مخصوصة لم تتأثر بحياة الحضر أو بالاتصال ببنيات لغوية أخرى (...). وهذا التحديد للمكان صحبه تحديد آخر للزمان، فحدّدوا عصر الاستشهاد بآخر العصر الأموي لما نعرف من عزوفهم الأخذ عن لغة العصر العباسي التي تعرّضت لتأثيرات كثيرة من حضارات مختلفة وهذا التحديد الزماني قد يكون سببا أيضا في امتناع معظم النحاة عن الاستشهاد (بالحديث) لجواز روايته بالمعنى ولكثرة الرواة (الأعاجم) بين المحدثين، ويقرّر الوصفيون أن هذا الأصل من أصول النحو العربي، جعله نحو لا يمثل العربية وإنما يمثل جانبا واحدا منها، فهو لا يصور إلا هذه العربية التي حددها مكانا وزمانا، ومعنى ذلك أنه نحو ناقص لا يفهم قواعد الكلام العربي في بنياته المختلفة.

4- أن النحو العربي لم يميّز حدودا واضحة لـ "مستويات التحليل اللغوي"، إنما اختلطت فيه هذه المستويات اختلاطا شديدا؛ فقد كانت كتب النحو إلى "سيبويه" تجمع الظواهر الصوتية إلى النحوية وإلى الصرفية.

إن الحديث عمّا يعرف باللسانيات العربية، أو الدرس اللساني العربي الحديث ينبغي أن يقتصر على جملة من المؤلفات والدراسات اللسانية التي ألفها لسانيون عرب منذ منتصف الأربعينات من القرن العشرين، وفيها تبناوا مناهج النظر اللساني الغربي الحديث<sup>1</sup>، وقد يكون هذا نتيجة تأثر عدد من الباحثين العرب بالثقافة الغربية "إذ بدأت بواكير المنهج الوصفي في

<sup>1</sup>- ينظر، فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص12.

الظهور إلى ساحة الثقافة العربية في فترة بأواخر الأربعينات بعد أن بدأ المبعوثون إلى جامعات الغرب من مصر والعالم العربي يعودون إلى بلادهم<sup>1</sup>.

انتقل الفكر اللغوي الغربي إلى الحضارة العربية وخاصة مصر، أين تأثر عدد من الباحثين العرب ببعض النظريات الغربية وبرزت هذه الأفكار في كتاباتهم، فظهرت مجموعة من المؤلفات في نهاية القرن التاسع عشر تدعو إلى مواكبة التطور الحاصل في الغرب، فكان لزاماً على اللغويين العرب القيام بمشاريع إصلاحية كبرى على جميع مستويات اللغة العربية، وكان عصر النهضة العربية منعطفاً حاسماً في تكوين الفكر العربي الحديث<sup>2</sup>.

ولم يزل الأمر كذلك حتى جاء القرن العشرون، أين طبع المنهج الوصفي جل الدراسات اللغوية آنذاك، وكان للوسط اللغوي نصيب من هذا الوضع اللغوي، حيث سعى من تخصصوا في اللسانيات أو في أحد فروعها ممن تتلمذوا على يد "فيرث" Firth في مدرسة لندن للتدريس والبحث اللغوي، إلى بلورة الاتجاه الوصفي في الثقافة العربية<sup>3</sup>.

لقد حاول اللغويون العرب تأليف كتب في هذا الاتجاه من أجل نشر ما تعلموه في البلاد الغربية "وتقديم جملة من المفاهيم التي قدمتها اللسانيات البنوية"<sup>4</sup>، وكانت الرغبة في تطبيق المناهج الغربية على اللغة العربية كبيرة من طرف الباحثين العرب ممن تأثروا بهذه المناهج وكان سعيهم جاداً ومتواصلاً في سبيل إقرار الأفكار الغربية الجديدة باعتبارها أكثر موضوعية ودقة.

<sup>1</sup> - عطا محمد موسى: مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، رسالة دكتوراه، جامعة الأردن، ديسمبر (كانون الأول) 1992، ص 195.

<sup>2</sup> - ينظر، فاطمة الهاشمي بكوش، المرجع السابق، ص 14.

<sup>3</sup> - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 42.

<sup>4</sup> - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 23.

وجدت هذه الجماعة من الباحثين على غرار "إبراهيم أنيس" و"إبراهيم مصطفى" و"تمام حسّان" و"مهدي المخزومي" بعد ذلك صعوبة كبيرة في توضيح أفكارهم؛ نظرا لعدم تقبل بعض الدارسين لهذه المناهج؛ حيث كانت العربية عندهم شيئا مقدسا، وماقدّمه اللغويون القدامى أمثال "سيوييه" و"الجرجاني" وغيرهم لا يحتاج لإعادة قراءة أو تصويب، فلم يستطيعوا تقبل نحو جديد خارج التراث اللغوي الضخم<sup>1</sup>، فاختلف لدى أغلبهم الأمر، بين دراسات لغوية جديدة تواكب تطورا لا مناص منه في العلم، وتراث لغوي قائم بذاته، أصل لعدة معارف لا تزال إلى يومنا هذا مرجعا لمختلف العلوم، يقول تمام حسّان في هذا الصدد: "وتشعبت المسالك أمام الشعب بعد أن تئاءب وتمطى ورفض عن نفسه غبار الموت، فوجد أمامه طريقا في الماضي يقوده إلى التراث العربي الخصب، ورأى أنه لو بعث هذا التراث وأحياه لكان دافعا لعزة جديدة لا تقل روعة عن التاريخ العربي نفسه، ووجد أمامه طريقا في المستقبل معالمه ما في أيدي الأمم من علوم ومعارف"<sup>2</sup>.

وأمام هذه النقاط التي أرتقت الباحث اللساني العربي، الذي وجد نفسه أمام حتمية الاختيار بأنه لو سلك الأول فحسب لانقطع به التاريخ عن الحياة، ولو سلك الثاني فحسب لانقطعت به الحياة عن التاريخ، ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحى إليه بالاعتزاز، ونصيب من الثقافة المعاصرة تمنحه العزة<sup>3</sup>.

لقد نتج عن هذا الصراع المعرفي اتجاه جديد" يمكن تسميته لسانيات توفيقية" تتبنى أنموذجا وصفيا، يمزج المقولات النظرية الغربية الحديثة بمقولات نظرية النحو العربي، وكان هذا الموقف هو الموقف الأساس في اللسانيات العربية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر، فاطمة الهاشمي بكوش، المرجع السابق، ص15.

<sup>2</sup> - تمام حسّان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط 1990، المقدمة.

<sup>3</sup> - ينظر: تمام حسّان: مناهج البحث في اللغة، المقدمة.

<sup>4</sup> - ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي، ص15.

وقد تعددت فيه الآراء والمواقف بين اللغويين العرب في تصوّرهم للعمل اللساني، بين مؤيد لهيمنة الفكر اللساني الغربي، ومعارض له و" على الرغم من النقد الذي وجهه اللسانيون العرب إلى نظرية النحو العربي، إذ لم يستطيعوا أن ينتجوا درسا لسانيا مثبتا عن أصله التراثي، يعلن القطيعة التامة مع التراث النحوي القديم".<sup>1</sup>

وفي فوضى هذه التقاطعات، كانت محاولات بعض اللغويين لا تخرج عن عمل القدامى، إمّا شرحا واختصارا لما قدّموه أو تبسيطا لمادتهم، فيما انبهر بعض آخر بالنظريات اللسانية المعاصرة، حيث اعتبروها مخرجا لوضعية النحو العربي " وقد جاء تبني هذا المنهج في الدراسات اللغوية نتيجة شعور النحاة العرب المحدثين بحاجة العربية إلى وصف يخلصها من الأفكار الفلسفية والمنطقية، ومبدأ العلة ومبدأ العامل، والتقدير وذلك من خلال ما تبناوا من أنظار غريبة حديثة".<sup>2</sup>

لذلك كانت رغبة النحاة الجدد كبيرة في الانفتاح على اتجاهات البحث اللساني والتعرّف على أهم منطلقاته وأهدافه؛ إذ " إنّ بلوغ هذا المسعى يقتضي رسم صورة واضحة المعالم لمسارات اللسانيات العربية الحديثة، ورصد أهم خصوصياتها".<sup>3</sup>

والواقع أنّ اللسانيات تسعى لتشخيص الظاهرة اللغوية تشخيصا علميا، وتنطلق من الظاهرة في حدّ ذاتها، الشّيء الذي جعلها علما موضوعيا يدرس اللّغة دون أحكام مسبقة أو فرضيات قد تدفع بالبحث إلى نتائج ذاتية.

ولتفادي هذا، يتّخذ المنهج الوصفي ثلاثة طرق في تحليل الظاهرة اللغوية، يبدأها باستقراء المادة اللغوية مشافهة، ويحرص في هذا على تسجيلها كما هي مستعملة في الواقع، ويعتمد

<sup>1</sup> - فاطمة الهاشمي بكوش، المرجع السابق، ص15.

<sup>2</sup> - عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2004، ص64.

<sup>3</sup> - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، المقدّمة.

عالم اللغة الوصفي في هذه المرحلة على أحد أبناء هذه اللغة، وهو ما يعرف باسم الراوي اللغوي، ثم يقسم المادة اللغوية قيد الدراسة إلى أقسام ويسمي كل قسم منها، وتعدّ هذه المرحلة أساسية في البحث؛ إذ يستطيع الباحث، بعد تصنيف المادة اللغوية وضع المصطلحات الدالة على هذه الأقسام، ليصل بعد ذلك إلى وضع القواعد الكلية والجزئية التي نتجت عن الاستقراء فالاستقراء وتسجيل الظواهر من أهم الأسس التي يعتمد عليها المنهج الوصفي<sup>1</sup>.

ويشكّل التحليل (الوصفي البنوي) منطلق لسانيات التراث في الكشف عن توافق واضح بين اللغويين العرب القدماء والوصفيين، فقد أشار الدكتور "تمام حسان" إلى أنّ النحويين العرب نهجوا منهج الوصفية التي يباهي بها المحدثون... فضلا عن تصريحه بأنّ اللغة بنية منظمة متكاملة.

بيّن الدكتور "عبد الرّاجحي" أنّ العرب درسوا لغتهم على أساس المنهج الوصفي، فقد اعتمد النّحاة على الملاحظة المباشرة لقراءة النص وهو عمل وصفي محض؛ إذ عرف عن سيبويه أنّه عالج الظواهر اللغوية بالمنهج الوصفي لحلّ هذه القضايا، فتلك هي الطريقة العقلية التي قادته إلى الهدف الذي كان يسعى إليه، فضلا عن جانب الأسس الواقعية التي اعتمدها في تحقيق ذلك<sup>2</sup>، وهي نفسها التي شاعت في الغرب فيما بعد.

وتعدّ تجربة الدكتور "تمام حسان" من أهم التجارب، إذ تمثّل آراءه اللسانية صورة واضحة المعالم لانقضاء الفكر اللساني العربي الأصيل بالنظرية النحوية الغربية الحديثة، في محاولة توفيقية بين منهجي النّحاة العرب القدماء واللّسانيين المعاصرين، البنويين منهم بشكل خاص قصد التأسيس لنظرية نحوية عربية حديثة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر، على زوين، منهج البحث اللغوي بين وعلم اللغة الحديث، دار شؤون الثقافة العامة، بغداد، ط1، 1986، ص11.

<sup>2</sup> - ينظر، د.عبد الرّاجحي:النحو العربي والدّرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت1979م، ص55-56.

<sup>3</sup> - ينظر، د.تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، القاهرة، دار الكتب، ط4، 2001م، ص11.

عرفت هذه النظرية عند تمام حسّان باسم: نظرية تضافر القرائن<sup>1</sup>؛ فقد تبني وجهة النظر الوصفية في نقد التراث النحوي العربي في كتابه المرسوم بـ(اللغة بين المعيارية والوصفية)؛ إذ يرى أنّ النحويين قد اكتفوا بدراسة المادة اللغوية القديمة (الفصيحة) دون أدنى محاولة لتجديدها باعتماد اللغة المتطورة، فضلا عن عرضه في كتابه(مناهج البحث في اللغة) لدراسة البنية اللسانية على وفق منهج التحليل البنوي الغربي المطبق على اللغة العربية الفصحى<sup>2</sup>، عن طريق تمثيله لكل مستوى من اللغة العربية وتسليط المصطلحات والأدوات الخاصة بالمنهج البنوي، وفي مستوى الدرس النحوي يبني التحليل العلمي على تصنيف العناصر المكوّنة لها شكليا ووظيفيا، وهو تصنيف تجريبي مبني على الاستقراء بالحس<sup>3</sup>. ويهتدي بفضل هذه الرؤية الشكلية الوظيفية إلى تقسيم الكلمة في العربية إلى اسم وفعل وأداة وضمير وخالفة، بيد أنّه في الحقيقة احتفظ بالتسميات الموروثة عن الفكر اللغوي القديم ولم يتزحزح عنها، على الرغم من زعمه بأنّه يقدّم في مشروعنا تحليلا للغة العربية<sup>4</sup>.

عرض تمام حسّان في كتاب "الأصول" تصوّره لما قام به النحاة العرب في استنباط أصول النحو العربي من أجل إثبات أصالة الجهد العربي في هذا المجال، ودحض الادعاء السائد عند بعض الدارسين المحدثين بأن النحاة وضعوا النحو متأثرين بالمنطق اليوناني، مبديا إعجابه بما قدموه في هذا الصدد وحذقهم في إرساء هذا الصرح الضخم الذي تميز به الفكر اللغوي العربي

<sup>1</sup> - نظرية تضافر القرائن: قدّم تمام حسّان الفكرة الجديدة التي تسمّى بنظرية تضافر القرائن. وهذه النظرية تبحث عن ارتباط المعنى والمبنى في تحليل النحو العربي وفهم النصوص العربية. وقد انتقد "تمام" نظرية العامل في دراسة النحو، لأنها تستعمل نظرية العلة في تحليل النحو. أما الفكرة الجديدة التي تبديل نظرية العامل فهي نظرية تضافر القرائن. وهذه النظرية هي نظرية ارتباط الكلمات أو الجملة أو سياق الكلام. ينظر توفيق لطفى: نظرية العامل وتضافر القرائن عند تمام حسّان، مجلة: عربيات، العدد الثالث، 2016، أندونيسيا، ص118.

<sup>2</sup> - ينظر: مقدّمة، د.تمام حسان، مناهج البحث في اللغة.

<sup>3</sup> - ينظر د. تمام حسّان: مناهج البحث في اللغة، ص29.

<sup>4</sup> - ينظر، معالي هاشم، المرجع السابق، ص40.

في بيئة لم تعتد على مثل هذا الجهد العقلي، لكن هذا العمل لا يعد تراجعاً عن الأفكار التجديدية والتيسيرية التي عرضها في مشروعه الذي ضمنه كتاب "اللغة العربية معناها ومبناها"، الذي صدر قبل كتاب "الأصول"، وقد أوضح دواعي وضع كتاب "الأصول" في مقدمته، مؤكداً أنّ الإعجاب بفكرة ما لما يبدو فيها من أصالة وتماسك بين أجزائها، وعلاقات عضوية داخلية بين عناصرها، لا يمنع صاحبها من الالتزام بفكرة أخرى تمتاز عليها بالبساطة وسهولة التطبيق، وقدرتها على تفسير ما عجزت عن تفسيره الفكرة الأولى.<sup>1</sup>

أقام الدكتور تمام حسّان منهجه على فكرة التعليق أو العلاقات السياقية وهي الفكرة المركزية التي يقوم عليها النحو العربي، وقد استلهمها من الجرجاني، متأثراً بأستاذه (فيرث) الذي أقام نظريته على فكرة السياق، على الرغم من أنّ هذه الفكرة قد عالجها علماء اللغة قديماً من خلال فهمهم للمعنى وقرينه المعنى، إذ أنّ الفكر النحوي لا يمكن أن يفهم إلا إذا كان قائماً على أسس معنوية كثيرة ومتشعبة تكتنفها قرائن معنوية تفيد في تحصيل الحكم النحوي من مجموع هذه الأسس وتلك القرائن، والحكم النحوي هو استخلاص المعنى المراد الذي قصده المتكلم بدلالة حركات أو حروف أو حذف حروف أو إثباتها.<sup>2</sup>

لقد اتّضحت الأصول الوصفية البنوية في التراث اللغوي العربي من خلال تجربة الدكتور تمام حسّان في نظريته المسماة "تضافر القرائن" والتي مثّلت بحق اتّجاهاً توافقياً بين التراث النحوي وبين مناهج الدرس اللغوي الحديث.

وكغيره من المناهج، لم يسلم المنهج الوصفي من النقد، حيث سجّلت بعض المآخذ على طريقته في البحث، وخاصة بعد ظهور المنهج التحويلي مع "تشومسكي" الذي تجاوز الوصف

<sup>1</sup> - ينظر، تمام حسّان: مقدمة كتاب "الأصول"، ص 9. نجد في هذا الجانب أيضاً عبد الرحمن الحاج صالح يرفض الرأي القائل بتأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي، خاصة في العصور الأولى (زمن الخليل) وسنفضّل في الأمر في الفصول اللاحقة.

<sup>2</sup> - ينظر، كريم حسين الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2006 ص 211.

إلى التفسير، فكانت هذه إحدى المآخذ التي وُجّهت لهذا المنهج من الدراسة، وقد أدى استبعاد الوصفين للمعنى على الرغم من إقرارهم بأهميته إلى وقوعهم في زلات؛ حيث لم يجر الوصفيون دراسات لغوية تطبيقية متكاملة على اللغة المكتوبة والمنطوقة<sup>1</sup>.

نجد عبد الرحمن الحاج صالح ينتقد أيضا البنية التي يرى "أنها تنزع منزع الفلسفة الأرسطوطالسية دون ما شعور من أصحابها غالبا، وخاصة في التحليل الفونولوجي، فإن جوهر هذا المذهب هو مبدأ الهوية، فيكتفي أساسا بتشخيص العناصر والوحدات بانيا كل ذلك على مبدأ التقابل بين العناصر الصوتية، وهو أساس النظرة التشخيصية (réifiante) التي ينظر أصحابها دائما إلى الأشياء كأشياء وكذوات حتى ولو كانت أحداثا وهي نظرة تأملية محضة وقد بُنيت من الناحية المنطقية على مفهوم الاشتمال (أو الاندراج أو التضمن Inclusion) ولم تراع العلاقات الأخرى غير الاشتمال"<sup>2</sup>.

وقد مثل لذلك الحاج صالح بما اشتهر عندهم من التحليل التقطيعي للكلام إلى وحدات أطلقوا عليه اسم الفونيمات؛ "إذ يكتفون بتقطيع مدرج الكلام إلى أدنى القطع الصوتية، تتحدّد كل واحدة منها بقابليتها للاستبدال بقطعة أو أكثر من قطعة تقوم مقامها، مع بقاء الكلام كلاما مفهوما، وعند ذلك ينظرون هل يتغيّر المعنى (وهذا في مذهب الوظيفتين) فإذا تغيّر المعنى حكموا على القطعة بأنها تحصيل (actualisation) لفونيم معيّن يدخل في النظام الفونولوجي للغة المعنية، وإلا فهو مجرد وجه من وجوه الأداء (variante) وبهذا تظهر ميزة هذا المذهب الذي يكتفي باستخراج الوحدات وإدراجها في نظام تقابلي ليس غير، ويزعمون أنّ هذا النظام السكوني من المتقابلات هو "بنية اللغة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر حليلة عمايرية، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة، ص 202.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 209-210.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 210.

حاول غير الوظيفيين - في نظر الحاج صالح- الاستغناء عن مقياس المعنى بحصر كلّ السياقات الممكنة للقطع الصوتية (مذهب الاستغراق الأمريكي) وبذلك كان اهتمامهم موجّها أكثر إلى القرائن اللفظية (ما يجري في مدرج الكلام أي المحور التركيبي *Axe syntagmatique*). فهذا وإن كان قريباً من النّصور العربي الذي بني على ما كانوا يسمونه "بقسمة التّركيب" (*combinatoire*) أو قسمة المواقع (الرّماني، شرح الكتاب) فإنّه لم يخرجهم أبداً من النّزعة التّشخيصية السّاذجة، أي تلك التي تشخّص الوحدات بإدراجها في أجناس متداخلة بعضها في بعض، لأنّهم لم يهتموا بالنّظر في العلاقات المباشرة (غير المتداخلة) التي تربط بها العناصر التي تدخل فيها، ومثل هذا العمل التحليلي التّشخيصي يجرونه على مستوى الدوال (الوحدات الدالة أو المورفيمات) فهنا أيضاً يقطعون الكلام إلى أصغر أجزاءه ممّا يدلّ على معنى بنفس الطريقة، كما صنّفوا المورفيمات أي الدوال إلى أصناف ثمّ بحثوا عن كيفية تركيب كلّ صنف منها.<sup>1</sup>

وهذه النّظرة قاصرة بحسب الحاج صالح لأنّها لا يمكن أن تطبّق على الكثير من اللّغات ومن بينها اللّغة العربية، فهو يعتقد أنّ "النّزعة التّقطعية السّاذجة لا يمكنها أبداً أن تحلّل بكيفية مرضية وعلمية الكلم العربية، بل والكثير من الدوال في عدد كبير من اللّغات كالإنكليزية والألمانية، إذ ليست كلّ اللّغات بُنيت دوالها على انضمام قطعة إلى أخرى، فهناك من الوحدات الدالة ما ليس من قبيل القطع إطلاقاً، وإذا حاول البنوي أن يسلّط تحليله التّقطعي على كلمة مثل "أصحاب" فإنّه سيتعسّف عندما يحاول أن يجد أيّ قطعة فيها تدلّ على الجمع، وهذا لأنّ مفهوم المجموعة كمفهوم رياضي ذات التّرتيب تتقصمهم، وكذا مفهوم الموضع كما يتصوّر العلماء العرب."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح، المصدر السّابق، ص 210.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 213.

لقد تجاهل الوصفيون أنّ اللغة ليست فقط نظاما من الأدلة المسموعة، بل هي زيادة على ذلك، قوانين وأصول يعمل بها كلّ من يتكلّم بها دون ما شعور (ويشعر بها عندما يعثر لسانه) وهذا هو عين الخلاف بين النحو الأوربي التقليدي واللسانيات البنوية؛ إذ تمتنع البنوية من النظر في القواعد لأنّها تفرض - في نظرها - معيارا معيّنا، وفي هذا الموقع يكمن سبب السكون المهول الذي تتصّف به هذه النّزعة، إذ كيف يهدر أهم شيء في اللغة وهو السلوك اللغوي أو بعبارة أخرى كيف يترك البحث في الكلام نفسه كفعل من الأفعال التي يتحصّل بها نظام اللغة وهذا موقف الإيجابيين للظاهرة اللغوية الغربية التي لا ترى في اللغة إلا ما يتسق ويتقابل في داخل التسلسل الكلامي ولا تلتفت أبدا إلى تصرف المتكلم في اللغة في دورة التّخاطب وفي أحوال معيّنة؛ فأخرجوا بذلك الذات (le sujet)، وهو المتكلم ناسين أنّ اللسان هو شيء ( un objet) وأفعال أيضا تسلّط على هذا الشيء.<sup>1</sup>

لقد وقع الوصفيون أيضا في مأزق حين نظروا إلى علاقة الدال والمدلول على أنّها تمثّل توازيا صوريا (شكليا)، وكان هذا نتيجة دراستهم لوجه واحد فقط للظاهرة اللغوية، كما أنّ هذا المنهج لم يستطع تحليل الجمل الغامضة من مثل قولنا: "العاملون والطلّاب المجتهدون غير راغبين في إضاعة الوقت" فالصفة "المجتهدون" قد تصف العاملين والطلّاب وقد تصف الطّلاب فقط.<sup>2</sup>

هذا إضافة إلى بعض السّلبات الأخرى التي قد تقع فيها أي دراسة، بما أنّ العلوم الإنسانيّة لاتزال في تطوّر من زمن إلى آخر، ولكنّ المهمّ حسب "عبد السلام المسدي" "هو أنّ الرّؤية اللسانية البنوية ذات التّحرّك الآني، قد مكّنتنا من النّظر بعمق في تراث الفكر العربي بما يمكّنا من تجاوز إشكالياته السّطحية كتقنين النّحو، وحظر اللّحن، ومدح الإعجاز، لتنفذ بنا

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص214-215.

<sup>2</sup> - ينظر، حليلة عمّايرية، الاتّجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة، ص 201.

إلى اللغة من حيث هي حدث منجز، فاكشفنا تخلص الفكر اللغوي في أعماقه من ربة المكتوب وسلطان المعيارية، وتبيننا ارتفاعه إلى منزلة الوصف الاختياري بتناول الحدث الكلامي بذاته ولذاته.<sup>1</sup>

## 2- المنهج التوليدي التحويلي:

يعود الفضل في انتشار المنهج البنوي في الدراسات اللغوية عند العرب في العصر الحديث إلى المحاولات الأولى التي شكّلت مدرسة بنوية لغوية في بداية الستينات من القرن العشرين بفضل جهود عدد من الباحثين أمثال إبراهيم أنيس، وتمّام حسان، وعبد الرحمن أيوب وكمال بشر، وأحمد مختار عمر، وعبد الصبور شاهين، وغيرهم، وهي الدراسات اللغوية التي لم تقف عند مبادئ "دي سوسير"، ولكن تطوّرت تطوّراً ملحوظاً بعد ظهور النظرية التحويلية التوليدية لتشومسكي،<sup>2</sup>

وقد بدأ البحث عن قراءة جديدة للتراث النحوي العربي وفق مقولات الدرس اللساني، وتكمن أهمية هذه القراءة أنها الأصح في كونها تسمح بالعودة إلى التراث اللغوي، من أجل الوقوف على ما يتضمّنه هذا التراث من آراء متطورة، وهذا من الأمور الهامة التي من شأنها أن تلقي الضوء على المواضيع العديدة التي يلتقي فيها هذا التراث مع أحدث ما توصل إليه البحث اللغوي.

ترجع نشأة النظرية التوليدية التحويلية إلى اللساني "نوم تشومسكي" المولود عام 1928 وأتباعه منذ أواخر الخمسينيات، وامتد تأثيرها ليشمل إضافة إلى حقل اللسانيات، مجالات أخرى كالفلسفة، وعلم النفس... وتعتمد هذه النظرية على استخدام ما يعرف بالقواعد التوليدية التحويلية، وبلغ تأثيرها في النظريات النحوية حدّاً يمكن معه القول بأن النحو التوليدي التحويلي

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986، ص370.

<sup>2</sup> - أ. عمّار عثمان: تلقي التراث البلاغي بين النهج التاريخي والوصف اللساني، مجلة رؤى فكرية، جامعة سوق أهراس، العدد الثالث، فيفري 2016، ص21.

هو النَّحو السائد في الدراسات اللسانية إبان الأربعين سنة الأخيرة، وقد لا نبالغ إذا قلنا إن الاعتقاد السائد بين معظم اللسانيين في العقود الثلاثة الماضية، هو أن جودة نظرية نحوية إنما تقاس بمدى التزامها بالأصول التي ابتعها التوليديون. وتعدّ سنة 1957م - وهي السنة التي نشر فيها كتاب البنى النحوية (Structures Syntactique) لتشومسكي - نقطة تحوّل في لسانيات القرن العشرين<sup>1</sup>.

إنّ الفكرة الأساسية التي توجه النظرية التوليدية هي سمة الإنتاجية في اللغة التي بمقتضاها يستطيع المتكلّم أن يؤلّف ويفهم جملاً جديدة غير متناهية لم يسبق له أن سمعها من قبل، وفي هذا الصّد يقول الحاج صالح: "لقد التفت تشومسكي إلى مفهوم القاعدة النحوية وتفطّن إلى أهميتها لا كمجرد قاعدة تفرض معياراً من المعايير، بل كنمط يكتسبه الطّفل بإنشائه إيّاه شيئاً فشيئاً من استماعه ومساهمته لكلام محيطه وهو نوع من الاستنباط الإنشائي (Constructif) وليس بمجرد تدخل الذاكرة. ثمّ أرجع لمفهوم التحوّل (transformation) قيمته ودوره، وقد كانت اللسانيات التاريخية ثمّ البنوية قد نفتته تماماً من البحث اللغوي<sup>2</sup>."

ويعقد عبد الرحمن الحاج صالح مقارنة بين النظرية التوليدية التحويلية والنظرية العربية القديمة؛ إذ يقول: "إنّ النظرية التوليدية التحويلية في الوضع الذي كانت عليه في بداية السبعينيات تختلف في أشياء كثيرة عن النظرية العربية القديمة (الأصيلة فقط) وذلك كمفهوم التحوّل فإنّ المدرسة التوليدية في النظرية "standard" لا تعرف إلاّ نوعاً واحداً من التحوّل وهو الذي يربط بين ما يسمونه بالبنية العميقة والبنية السطحية. فهذا نظيره في النظرية العربية هو التحوّل التقديري. فكلّ كلام يحتمل أكثر من معنى - في أصل الوضع - فإنّ النّحاة يقدّرون لكلّ معنى لفظاً، وهذا يحصل خاصّة عندما يحاولون تفسير الكثير من الأبنية الملبسة أو التي وقع فيها حذف أو التي لم تأت على البناء المتوقع أي بناء نظائرها. وهذا التحوّل لا يغيّر المعنى لأنّه مجرد تمثيل (simulation) لما يترتب من التّغيير اللفظي إذ حمل ظاهر اللفظ

<sup>1</sup> - ينظر: محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الوطنية، ليبيا، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان 1، ط1، 2004، ص82-83.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص215.

على أصله الذي يقتضيه القياس (أي الباب الذي ينتمي إليه هذا اللفظ) وهذا التغيير هو عبارة عن مجموع من العمليات ترتب ترتيباً منطقياً لتصل إلى النتيجة المطلوبة وهو ظاهر اللفظ. ولا بد في حالة تطرح، من تقدير الأصل إذا لم يوجد، كما لا بد من تقدير عدد العمليات ونوعها وترتيبها بالدقة المتناهية، وهذا النوع من التحويل كان يسميه النحاة الأولون بالتصريف، وقد بناوا على ذلك ما سمّوه بمسائل التصريف (في مستوى الكلام) وهو عبارة عن نظام أكسيوماتيكي لصياغة العمليات التحويلية المذكورة.<sup>1</sup>

ثم يضيف في السياق نفسه قائلاً: "وهناك فرق جدير بالذكر: فقد التزم النحاة برفض التقدير إذا جاء اللفظ على ما يقتضيه بابه أي على أصله، فكلاً ما اتفق اللفظ في ظاهره مع الأصل فلا كلام فيه، وهذا بخلاف ما يزعمه أتباع تشومسكي حين عمّموا (في نهاية الستينيات) مفهوم التحويل التقديري، وجعلوا لكل لفظ ظاهر بنية عميقة ذات دلالة، ومن ثم نشأت نزعة مخالفة لتشومسكي كانت تلقب بمدرسة علم الدلالة التوليدي (Generative Semantics) إلا أن النحاة العرب لم يكتفوا بالتحويل التقديري بل عمّموا التحويل غير التقديري وأجروه على التحويل بأجمعه أو بعبارة أخرى جعلوا النظام اللغوي كله أصولاً وفروعاً".<sup>2</sup>

ثم يشير الحاج صالح إلى أن التحويل عند النحاة شبيه بالتحويل الذي أشار إليه تشومسكي في كتابه "البنى النحوية" وهو "عبارة عن تفريع بعض الكلمات عن عبارات أخرى تعتبر أبسط منها وبالتالي أصولاً لها كالجملية المبنية للفاعل فهي أصل للمبنية للمفعول وتعتبر نواة أي منطلقاً للتفريع. فكل هذا اختفى في النظرية النمطية، والأصل عند العرب هو... ما يستقل بنفسه- أي يمكن أن يوجد في الكلام وحده- ولا يحتاج إلى علامة ليتمايز عن فروع... والفرع هو الأصل مع زيادة أي مع شيء من التحويل، فالانتقال من الأصل إلى الفروع هو تحويل يخضع لنظام من القواعد.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص215-216.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص215-216.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص217.

تعدّ هذه النظرية من أكثر النظريات اللغوية حيوية وأقربها تفسيراً للظاهرة اللغوية؛ ولهذا لا يمكن تجاهلها أو إغفالها؛ إذ إنّ مكانة أية نظرية لغوية لا يمكن أن تتجاهل نظرية تشومسكي، بل إنّ مكانة أي نظرية وإنجازها في حقل الدراسات اللغوية المعاصرة يتحدّد بمدى صلتها بنظرية تشومسكي، قريبا وبعدا أو نقدا وتعديلا<sup>1</sup>.

وقد تطوّرت هذه النظرية تطورا ملحوظا، وأصبح لها تأثير بالغ في علم اللسانيات الحديث<sup>2</sup> ولهذا فإنّها "تقدّم لنا صورة مكتملة للنظرية الألسنية التي تتناول قضايا اللّغة وتفسرها؛ إذ تحاول أن تقدّم نظرة واضحة عن بنية اللّغة الإنسانية واكتسابها وعلاقتها بالفكر الإنساني"<sup>3</sup>. ومنهج هذه النظرية قادر على وصف تراكيب اللّغة الإنسانيّة وتفسيرها تفسيراً علمياً<sup>4</sup>.

وتتمثّل منطلقات المدرسة التحويلية التوليدية في أنّ غاية اللّساني أن يحلّل المحرّكات التي بفضلها يتوصّل الإنسان إلى استخدام الرموز اللغوية، سواء أكانت تلك المحرّكات نفسانية أو ذهنية ذاتية؛ فلا يمكن أن يقتصر عمل اللّساني حسبهم على إقامة ثبت الصيغ التي تتبني عليها لغة من اللّغات، وإنّما تتعدّى ذلك إلى تفسير نشأة تلك الصيغ وتأويل تركيبها حتّى يهتدى إلى حقيقة الظاهرة اللغوية، مركزين على المستويات العليا (les niveaux supérieurs) في الكلام والمتمثّلة في التراكيب والجمل، معرضين نسبيا عن المستويات الدّنيا (les niveaux inférieurs) ، وهي مستوى الصّرف ومستوى وظائف الأصوات؛ إذ يعتبر التوليديون أنّ علم التّركيب الذي يدرس صياغة الجملة وانتظامها بين الجمل هو الذي يستطيع النّفاذ إلى محرّكات الكلام.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص7.

<sup>2</sup> - ينظر، محمد الشايب: المدرسة التوليدية التحويلية، ضمن كتاب: أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية تونس، 1986م، ص75.

<sup>3</sup> - ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط2، 1985م ص99-100.

<sup>4</sup> - ينظر، ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص31-32.

<sup>5</sup> - ينظر، عبد السلام المسدي: التّفكير اللّساني في الحضارة العربية، ص19.

لقد جاء المنهج التحويلي التوليدي بإجراءات تحليلية مختلفة جذريا عن التحليل البنوي الذي كان سائدا، ومن حقائقه المستجدة، الكشف عن ذلك الجانب الخفي العميق للغة، أو بالأحرى الجانب العقلي، وما يتعلّق به من قضايا كقضية التحوّلات العميقة التي تصيب نظامها وتركيبها، ودلالة ما اندرج تحتها من مفاهيم كالتحويل والتوليد، البنية العميقة والسطحية. وقد تأثّر النحاة العرب المحدثون بهذا المنهج تأثراً بالغا، كما استغلوا قواعده التحويلية بكلّ اهتمام، وفي أثناء مقارباتهم بين عدد من مكونات النظرية وبين نظائرها في الموروث النحوي العربي القديم؛ استشعروا أنّ هناك الكثير من نقاط التقاطع بين المنهجين.<sup>1</sup> إنّ النظرية التوليدية التحويلية تعود في أصولها إلى التراث اللغوي الغربي القديم، إذ أفادت "من النتائج التي توصل إليها النحو التقليدي والنحو الوصفي، فأخذت نقاط القوة منهما وانتقدت نقاط ضعفهما، ولكنّ كان تشومسكي قد اعترف ببعض جوانب القوة في النحو التقليدي، فإنّه انتقد على الخصوص شكله العام، وتعريفاته وقواعده الغامضة"<sup>2</sup>.

ونجد الحاج صالح يصرّح بإعجابه الكبير بتشومسكي ونظريته، ويؤكد على اطلاعه على النظريات اللغوية العربية قائلا: "أما فيما يخص نظرية تشومسكي فلا بدّ أن نعترف لهذا الرجل العبقري بالفضل الكبير على اللسانيات كما لا بدّ أن نلفت نظر الإخوان اللسانيين إلى أنّه قد عرف الشيء الكثير عن النظريات والتصوّرات اللغوية العربية، وذلك من خلال دراسته للنحو العبري الذي وضعه أبحار اليهود في القرون الوسطى، كذلك من خلال دراسته للأجرومية على أستاذه "روزانتال".<sup>3</sup>

ولا يخفى أنّ تشومسكي عالم لغوي يهودي وله إطلاع على اللغات السامية كالعربية والعبرية وغيرهما، وقد كتب رسالته للماجستير عن الصيغ الصرفية في العبرية، والأكثر أهمية من ذلك أنّ اللغويين اليهود في الأندلس قاموا بكتابة قواعد لغتهم نحويّاً وصرفياً على طريقة

<sup>1</sup> - ينظر، أ. وهيبة بوشليق: ظاهرة التحويل بين النحو التحويلي والتراث النحوي البلاغي العربي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة، العدد 2، 1997، ص 76.

<sup>2</sup> - أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 202.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 215.

النحو العربي، فكان النحو العبري صورة طبق الأصل عن النحو العربي؛ فقد صيغ على هيئته، ومن ثم ترجم إلى اللغة العبرية واللغات الأوربية على أيدي علماء اللغة اليهود في العصر الأندلسي، وكانت اللغة العربية وعلومها من نحو وصرف وبلاغة وغيرها تُدرّس بشكل رسمي ومعتمد في جامعة باريس في القرن الرابع عشر، وتسربت هذه المعلومات إلى المدرسة الفرنسية في القرن السابع عشر التي كانت تسمى بالباب العالي (Port Royal) وعلم اللغة المنطقي الديكارتّي، واستفادت هذه المدرسة الفرنسية من النحو العربي ومدارسه التي تأثر بها تشومسكي كما يعترف بنفسه بها؛ فتجد في النحو العبري ظاهرة التقديم والتأخير والتأويل والحذف والزيادة وغير ذلك من الظواهر النحوية العربية، وهذه الظواهر اللغوية معروفة لدى تشومسكي وطبقها على اللغة الإنجليزية، ووجد لها صدى مدوّياً في الآفاق في تلك الفترة الراكدة لغوياً فعمل على إحياء اللغة الإنجليزية، وأحدث زلزاله العربي فيها وأعاد بناءها من جديد من خلال الظواهر النحوية العربية الجديدة عليها<sup>1</sup>، فليس من المستبعد أن يكون تشومسكي قد استلهم بعض معطيات نظريته من مناهج البحث اللساني والنحوي لنحاة العربية القدماء، فضلاً عن البلاغيين العرب وفي مقدّمتهم "عبد القاهر الجرجاني" الذي له الأثر الواضح، (هناك من يؤيد هذه النظرة وهناك من يعارضها؛ إذ يرى المعارضون أنّ تشومسكي لم يتأثر بالنحو العربي في نظريته سواء أكان بطريقة مباشرة أم غير مباشرة ومنهم: الوعر، والمتوكل، وحسان والمزيني)<sup>2</sup> إذ نكاد لانجد اختلافاً بين ما قال به العلماء العرب منذ قرون وبين ما جاء به تشومسكي في حديثه عن المركّب الاسمي، المركّب الفعلي، البنية السطحية والبنية العميقة وعناصر التحويل وغيرها.

وقد ظهرت دراسات عدّة عنيت بإثبات زيادات تحويلية وما يقترب منها عند النحاة العرب فمن أصول النظرية الحديثة التي أدركها "قدّامة بن جعفر" في القرن الرابع الهجري، البنية

<sup>1</sup> - ينظر د. جاسم علي جاسم: تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، العدد 116، دمشق، 1430هـ-2010م، ص70-71.

<sup>2</sup> - ينظر د. جاسم علي جاسم، المرجع نفسه، ص73. وينظر أيضاً، مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1988 م، ص 359-361.

العميقة والبنية السطحية؛ إذ استطاع أن يميّز بينهما تمييزاً دقيقاً؛ وذلك بتأكيده على أنّ المعاني هي أساس الدراسة اللغوية، حيث بحث في "بنية العبارة العميقة الصانعة لبنية الجملة العميقة والسطحية معاً، بل وتساعدنا على تشكيل جمل جديدة وعديدة، وخاصة التفعيلة والسطر ثم البيت الشعري مع القصيدة تماشياً مع المعاني وحسب الغرض، وميزة هذه الطريقة أنّها تنظّم الخطوات التركيبية ربطاً منظماً، كلّ خطوة فيها تعتمد على خطوة سابقة لها ثم تعطينا صورة واضحة للتركيب الزمني الذي تتكوّن من بنية العبارة" إنّ جهود قدامة هذه شبيهة بالقواعد التحويلية التوليدية عند اللغويين الغربيين اليوم، فالتشابه والتماثل بين قدامة وتشومسكي واضح من ظاهر النص، وبناء عليه تكون أحد مبادئ النظرية التوليدية مألوفة عند العرب، وهي غير مقتصرة على مجال التركيب، بل تطول مجال الشعر، وبذلك يكون قدامة قد هيأ للمحدثين الطريق للوصول إلى هذا المبدأ، وسبق التولديين إلى ذلك بزمن طويل.<sup>1</sup>

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ أول من أشار إلى وعي العرب لمفاهيم توليدية تحويلية هم الغربيون أنفسهم، فقد رصدت (موزل) في دراستها حول كتاب "سيبويه" جملة من هذه الملامح نوّه بها الدكتور نهاد الموسى في دراسته.<sup>2</sup>

وقد تلمس عدد الباحثين جوانب من مبادئ النظرية التوليدية قائمة في النحو "فالجوانب التحويلية فيه هي- في الحق- أغلب عليه؛ لأنّ هناك أصولاً مشتركة بين المنهجيين، أهمّها صدور النحو العربي، في معظمه- عن أساس عقلي"<sup>3</sup>.

فقد وجد الدكتور "عبده الراجحي" أنّ طريقة النحو التوليدي تتبع عدداً من (العمليات النحوية) تشبه شبهاً غير بعيد كثيراً ممّا جاء في النحو العربي،<sup>4</sup> كما انتهى باحث آخر إلى أنّ نظرة

<sup>1</sup>- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 175-176.

<sup>2</sup>- ينظر نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير، عمّان، ط2، 1987، ص 57.

<sup>3</sup>- د. عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، ص 143.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص 140.

مقارنة بين الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التوليدية التحويلية، وبين القواعد النحوية التي أرساها العلماء العرب تؤكد لنا أنّ النحو العربي لم يكن بعيدا عن هذه الأسس والأفكار<sup>1</sup>. ويؤكد "عبده الراجحي" أنّه يجب معرفة كيف يتم تحول التركيب الباطن إلى كلام على السطح وهذا هو الأصل في النحو التحويلي، فهو في رأيه يهتم بالقوانين التي تحدّد البنية التحتية وتربطها ببنية السطح<sup>2</sup>. وفي النحو التحويلي يطلق على المرحلة المحدّدة لتلك القوانين "البنى المتوسطة". والقواعد التحويلية التي حدّدها "تشومسكي" كثيرة منها: الاستفهام والنفي والأمر والمبني المجهول والعطف، الدمج، الإلتباع، الزمن... الخ، وهي لاتخرج عن إطار العمليات الآتية:

الحذف (Délétion) ، الإحلال (Replacement)  
 والتوسيع (Expansion) ، الاختصار (Réduction)  
 الزيادة (Addition) ، وإعادة الترتيب (Permutation)<sup>3</sup>.

ويرى بعض الباحثين، أن النظرية قدمت ألوانا من البنى التركيبية التي تفتح أفاقا جديدة للدّرس التركيبي العربي، كتركيب المصادر الصريحة، وتراكيب المصادر المؤولة، ومركبات أسماء الفاعلين والمفعولين، والجمل المبنية للمجهول، مركب ضمير الشأن، الجمل التي تحوي أفعال المقاربة، (الرجاء، والشروع)، وأساليب النداء، الإغراء والتّحذير، وغيرها من الأساليب<sup>4</sup>. إنّ تناول هذه الأنواع من الجمل من منظور توليدي تحويلي، أي باعتماد منوالي التفسير والتعليل من خلال الافتراضات (التقديرات)، يقترب ممّا تناوله القدامى العرب في تفسيرهم

<sup>1</sup> - حسام بهنساوي: أهمية الرّبط بين التفكير اللّغوي عند العرب ونظريات البحث اللّغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدّينية، ط1994 ص30.

<sup>2</sup> - ينظر، عبده الراجحي: المرجع السابق، ص:124.

<sup>3</sup> - أحمد مومن، مرجع سابق، ص208.

<sup>4</sup> - ينظر، ممدوح عبد الرحمن، مرجع سابق، ص31.

للتراكيب المنطوقة؛ وهذا ما استشعره النحاة العرب المحدثون في أثناء تطبيق القواعد التحويلية التوليدية في الدرس النحوي العربي الحديث<sup>1</sup>؛ فالتوجه إلى جعل الجملة ذات بنيتين: عميقة هي الأساس، وسطحية ناجمة عن العميقة بعد عملية التحويل أخذ بمبدأ "الأصل والفرع"، الذي نادى به النحاة العرب القدامى<sup>2</sup>، فأجروا مقاربات بين عدد من مكونات النظرية، وبين نظائرها في الموروث النحوي العربي القديم؛ لأنّ منهج القدماء كان قائماً على التعليل، والتفسير والتأويل، وهي نقطة يلتقي فيها المنهجان؛ و"إذا كان التحويل في الفكر النحوي التحويلي قد قام على أساس أنّ لكلّ جملة ينطق بها المتكلم بنيتين إحداها عميقة والأخرى سطحية، وكان لا بدّ من "التحويل" بقواعده المختلفة لكي يقوم بدور نقل البنية العميقة من عالم الفكرة المجردة إلى عالم التحقق الصوّتي، فإنّ هذه الفكرة نفسها التي أدت إلى ضرورة "التحويل" في المنهج التحويلي الحديث قد وجدت بشكل أو بآخر في الفكر النحوي العربي القديم"<sup>3</sup>.

إنّ أهم القضايا التي قابل فيها الباحثون بين ما هو موجود في النحو التحويلي، والنحو العربي قضية "الأصل والفرع" وقضية "العامل"، و"قواعد الحذف"، وقواعد الزيادة أو الإقحام"، و"قواعد إعادة الترتيب" و"مفهوم النحو" و"السليقة"، و"ما ينحصر وما لا ينحصر" و"السطحي والعميق"<sup>4</sup>. وبطبيعة الحال فإنّ النحاة لم يعبروا بنفس المصطلحات في جميع الأحوال، وإنّما عبروا عن مفهوماها بمصطلحات أخرى.

<sup>1</sup> - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه (اللسانيات واللغة العربية)، و"ميشال زكريا" في كتابه (الأسنوية التوليدية التحويلية) "محمد علي الخولي" في كتابه (قواعد تحويلية للغة العربية)، و"مازن الوعر" في (نحو نظرية لسانيه عربية حديثة)، و"محمد حماسة عبد اللطيف" في كتابه (من الأنماط التحويلية في النحو العربي)... الخ.

<sup>2</sup> - ينظر، عطا محمد موسى: مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص 238.

<sup>3</sup> - محمّد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1990، ص 21.

<sup>4</sup> - ينظر، ممدوح عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 18.

ومن الباحثين الذين أشاروا إلى هذه الفكرة " عبده الراجحي"، فنجده يقول في قضية الأصلية والفرعية: " شغل نحاة العربية منذ مرحلة النشأة بالبحث في هذه القضية، فقرروا أنّ النكرة أصل والمعرفة فرع، وأنّ المفرد أصل للجمع وأنّ المذكر أصل للمؤنث... وأنّ التّصغير والتّكسير يردّان الأشياء إلى أصولها وهكذا...<sup>1</sup>"

ويقرّ أنّ قضية الأصلية والفرعية قضية أساسية في فهم "البنية العميقة" وتحوّلها إلى بنية السطح، ويدعم فكرته بما ورد في "الكتاب" لسيبويه (ت180هـ): "وإنّما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكر؛ لأنّ الأشياء كلّها أصلها التذكير ثمّ تختصّ بعد...فالتذكير أول وهو أشدّ تمكّنا، كما أنّ النكرة أشدّ تمكّنا من المعرفة."<sup>2</sup> وفي هذا إشارة إلى فكرة الأصل والفرع. وظاهرة التحوّل من الأصل إلى الفرع عرفت عند القدامى بـ "العدول عن الأصل" وذلك بتغيير الرتبة، أو بحذف عنصر أو زيادته.<sup>3</sup>

وقد أوما إلى ذلك " ابن جنّي" (ت392هـ) حين قال: " من إصلاح اللفظ قولهم: "كأنّ زيدا عمرو"، اعلم أنّ أصل هذا الكلام: "زيد كعمرو"، ثمّ أرادوا توكيد الخبر فزادوا فيه (إنّ)، فقالوا: "إنّ زيدا كعمرو". ثمّ إنهم بالغوا في توكيد التشبيه، فقدّموا حرفه إلى أول الكلام عناية به... فلما تقدمت الكاف، هي جارة لم يجز أن تباشر (إنّ) لأنّه ينقطع عنها ما قبلها من العوامل فوجب لذلك فتحها فقالوا: "كأنّ زيدا عمرو"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - د. عبده الراجحي: النحو العربي والدّرس الحديث، ص143-144. للاطلاع أكثر على هذه القضية ينظر : تمام حسان: الأصول: دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب- النحو، فقه اللّغة، البلاغة.

<sup>2</sup> - سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، ط1992، ص241.

<sup>3</sup> - ينظر، تمام حسان، المرجع السابق، ص127، ومابعدھا، تحدّث عن ظاهرة التحوّل كظاهرة نحوية وصرفية.

<sup>4</sup> - ابن جنّي: الخصائص، الجزء الأول، ص317.

فالتحويلات التي أجريت على هذا الملفوظ، أو بالأحرى على المشير الركني في البنية العميقة، تتبدى في: تحويلات بالزيادة- تحويل موقعي (تقديم وتأخير)- تحويل فونولوجي (إن- أن)<sup>1</sup>.

كما نجد في كتاب "مغني اللبيب" لابن هشام الأنصاري (708-761)، الكثير من القضايا النحوية التي تجسد فكرة التحويل والتي " تكاد تقترب في مفاهيمها مما نادت به النظرية التوليدية التحويلية مثل: مفهوم الملكة والتأدية، البنية العميقة والسطحية، التحويل... إلخ وإن اختلفت التسميات بحكم التمايز الزمني، البيئي والفكري؛ فالصناعة والقياس يقابلان الملكة والاستعمال والمعنى يقابلان التأدية... وظاهرة اللفظ والمعنى تقابلان البنية السطحية والعميقة)<sup>2</sup>.

كما عبّر النحويون عن مفهوم البنية العميقة بطرق مختلفة كقولهم: "أصله كذا" أو "قياسه كذا"، أو "تأويله كذا" أو على "نية كذا" وغيرها من العبارات التي تعني شيئاً واحداً هو أنّ هناك بنية عميقة وراء السطح المنطوق"<sup>3</sup>.

لقد كان النحاة العرب الأقدمون يدركون ذلك الجانب الخفي والعميق، مما يدل على عدم اكتفائهم بوصف واستقراء ماسمعه من كلام عربي فقط، وإنما راحوا يعلّلون الظواهر اللغوية ويفسّرونها خاصّة مانجده عند أصحاب المدرسة البصرية، لأنّ الكوفيين لم ينتهجوا ذلك السبيل وإنما اكتفوا إمّا بإسناد ماسمعه إلى العرب أو الاقتصار على وصف التركيب اللغوي، مع تحديد الشّروط المصاحبة له<sup>4</sup>.

ومن خلال الكتابات اللسانية نتلمّس وجود موقفين مختلفين من التّراث اللغوي العربي:

<sup>1</sup> - أحمد حساني: السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، مقارنة لسانية، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر 1993، ص25-26.

<sup>2</sup> - ينظر، أ. وهيبة بوشليق: ظاهرة التحويل بين النحو التحويلي والتراث النحوي البلاغي العربي، ص81

<sup>3</sup> - محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية، ص21.

<sup>4</sup> - ينظر، أ. وهيبة بوشليق، المرجع السابق، ص82.

أولاً: موقف يسعى إلى التوفيق بين فرضيات ومبادئ الدرس التوليدي ومعطيات النحو العربي وهو الموقف الذي تبناه "مازن الوعر" في كتاباته مؤكداً أهمية وضرورة انفتاح البحث اللساني العربي على البحوث اللغوية الثرائية إن هو أراد أن يتجاوز كلّ المجادلات العقيمة التي تعوق تقدّمه، كما خاض مازن الوعر تجربة مهمة معرفاً بالتوليدية، من خلال دراسته: "نحو نظرية لسانية عربية حديثة" ضمن مسعى يهدف إلى صياغة مبادئ لنظرية توليدية عربية، تتخذ تراكيب العربية ميداناً فسيحاً للتطبيق والتحليل، ولعل أهم ما نوه بأهميته في هذا الكتاب العلامة الإعرابية بوصفها أداة مهمة لوصف البنية العميقة للكلام<sup>1</sup>. ويتبنى مازن الوعر رأي المتقدمين من النحاة من أمثال الزمخشري وابن هشام في تمييزهم لأنواع الجمل فيرى معهم أن الجملة إما أن تكون اسمية أو فعلية، وهما النّمطان الأساسيان في العربية أو ظرفية أو شرطية، وهما متفرعان عمّا سلف<sup>2</sup>، كما يقرّر تحكّم الأداة والإسناد معاً في تكوين الجملة فلا تكون الأداة جزءاً من التركيب الإسنادي، وبالتالي فإن العملية التحويلية لا تلامس جانب الأداة، ففي قولنا: أضرب زيداً خالداً؟ وأزيدُ ضرب خالداً؟، كما أن التحويل لا بد أن يلامس المركب كله لما يكون من تلازم بين أجزائه، فلا يصح التفريق بينها مثل تلازم الفعل والفاعل والجار والمجرور والصلة والموصول والتابع والمتبوع والمضاف والمضاف إليه<sup>3</sup>.

ويؤكد "الوعر" على عدم إهمال النظرية اللغوية القديمة بمناهجها المختلفة؛ ذلك أنّ أيّ إغفال أو إهمال للنظرية اللغوية القديمة بمناهجها المختلفة سيؤدّي إلى نقص وعدم كفاية في النظرية اللغوية الحديثة، أمّا جمعه بين القديم والحديث فلا يعني جهله بالمنطلقات الإنسانية

<sup>1</sup> - ينظر، مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، المرجع السابق، ص 94 وما بعدها.

<sup>2</sup> - ينظر، مازن الوعر، المرجع نفسه، ص 27-32.

<sup>3</sup> - ينظر، مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة، ص 123، الحقيقة أنّ النحويين أوردوا صوراً يمكن الفصل فيها بين المتلازمين مثل الفصل بين الفعل وفاعله بالمفعول.

للتراث اللغوي العربي، فهو يقرّ بهذه الاختلافات، ولكنه يدرك في الوقت نفسه أنّ النظرية لا تكتمل وتنبلور إلا من خلال مناهجها المتعدّدة<sup>1</sup>.

ثانياً: وفي مقابل الموقف الأوّل، نجد موقفاً آخر يرى أصحابه أنّ معطيات التراث النحوي العربي ناقصة، ولا تصلح لوصف اللّغة العربية الحالية، ونجد مثل هذا الموقف عند "ميشال زكريا" الذي يرى أنّه " لا نفع بعد الآن، في أن تردّد بصورة متواصلة الدّراسات التي قامت بها الأجيال السّابقة والمفاهيم التي تبناها في المجالات اللّغوية...فهذه الدّراسات وإن دلّت على الجهود الذي قام به اللّغويون في مجال دراسة اللّغة، وإن كانت تساعدنا على فهم بعض القضايا اللّغوية، لم تعد تفي بالغرض، في الحقيقة، في مجال تحليل اللّغة؛ ففي هذا المجال تكون النّظريات الألسنية العلمية الحديثة، في نظرنا، التقنية المتطوّرة التي تتسلّح بها لسبر قضايا اللّغة وتفسيرها وتوضيحها." <sup>2</sup>

وبهذا فإنّ "ميشال زكريا" يعبر بصريح العبارة عن عدم صلاحية الدّراسات اللّغوية النّحوية لدراسة اللّغة، ويرى أنّ البديل عن النّحو العربي هو النّظريات اللّسانية الحديثة.

كما يمثّل هذا الاتجاه "الفاسي الفهري" الرّافض للنّحو التّقليدي إذ يقول في كتابه "اللّسانيات واللّغة العربية": "على العكس من الفكرة الشّائعة التي مفادها أنّ النّحو التّقليدي يزودنا بكل ما نحن في حاجة إليه، ينبغي أن نتوقّع غياب المعطيات الأكثر دلالة بالنّسبة إلى افتراضاتنا، أو تشويهها أو إنكار بعض النّحاة لها، أو اختلاف مراحل تاريخ اللّغة...على أنّ هذا لا يعنى فساد كلّ المعطيات والتّعميمات التي نعثر عليها." <sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ينظر، حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات العربية المعاصرة، ص 319.

<sup>2</sup> - ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط 1986، ص 5.

<sup>3</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص 55.

إنّ من المحاولات التي حازت في عصرنا قصب السبق، ونالت شهرة ممتدة في البلاد العربية، تلك التي أسّس لها الفاسي الفهري وتلامذته والمتأثرون بمنهجه في المغرب الأقصى ومن شايعهم في بعض البلاد العربية كالجزائر، والذين حاولوا تلمس المنهج التوليدي، وتطبيق آلياته التفسيرية في إعادة وصف منظومة اللغة العربية، ولعلّ أهمّ البحوث التي عالجت اللغة من تلك الزاوية دراسة الفهري الموسومة بـ: اللسانيات واللغة العربية، والذي استند فيه إلى نموذج الباحثة "بريزنان" (1978)، ولعلنا نعرض في عجالة إلى أهمّ المفاصل التي ارتكزت عليها هذه الرؤية فيما يلي:<sup>1</sup>

- 1- اللغة العربية لغة طبيعية خضعت لبنية التطور والتغيير كسائر اللغات الأخرى .
    1. النحو العربي القديم غير صالح لوصف اللغة العربية في وضعها الراهن .
    2. نسبية الوصف النحوي القديم، وعدم استيفائه لجميع صور الكلام المسموع .
    3. التشابه البنوي بين العربية وسائر لغات العالم باعتبارها لغة طبيعية .
    4. نقد المنهج الوصفي لعدم كفايته التفسيرية .
    5. نقد الوصفية العربية لجزئية نظرتها، وعدم تقديمها للبدائل اللسانية المعوضة لرفض العلة والتقدير والعامل النحوي .
    6. ضرورة تأسيس لسانيات ظواهر للعربية يخضع الاستدلال فيها إلى التجربة .
    7. وجوب أن تكون القواعد التركيبية إسقاطاً للمعجم.<sup>2</sup>
- ولعلّ من أمّهات القضايا النحوية التي عرض لها "الفهري" في المستوى التركيبي تحديده للرتبة التي تتميز في وضعها في البنية العميقة عن وضعها في البنية السطحية بناء على نوع القواعد التحويلية في اللغات، فنحن - مثلاً - نعد: عيسى في: "ضرب عيسى موسى" فاعلاً بالضرورة جرياً وراء القاعدة النمطية الأصلية التي تقدّم الفاعل على المفعول وجوباً في حالة

<sup>1</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 81.

<sup>2</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري، المصدر نفسه، ص 33-34. وفي سبيل ذلك اعتمد الفهري نموذج "بريزنان" المعروف في اللسانيات بالمعجمية الوظيفية، مما يعني ضرورة وجود روابط بين قواعد التركيب والصرف والأصوات والدلالة والمعجم .

تعدّ ظهور الحركة أمناً للبس، فإذا أدخلت قاعدة تحويلية تنقل الفاعل إلى موضع الابتداء وجب تطبيق قاعدة التطابق في الجملة المشتقة من مثل : الأولاد جاؤوا ( تحويل بالحق الواو للمطابقة)، مما يعطي الانطباع بأن النمط: فعل+ فاعل+مفعول به هو الرتبة الأساس في اللغة العربية، وأنّ الفعل هو رأس الجملة العربية.<sup>1</sup>

لقد أقام الفهري مشروعه اللساني على رفض واضح لبناء المحدثين دراستهم للغة العربية على جملة النتائج المحصل عليها عند النحاة القدماء من خلال وصفهم للعربية الفصيحة، كما أن معطياتهم زائفة وناقصة لا تفي بوصف أو تفسير لغويين، ومن ثم تتأكد جدارة المناهج الاستكشافية الحديثة في فهمها لنسق اللغة وعملها، بل وإمكانية إسهامها في بناء نموذج نحوي جديد.<sup>2</sup>

ولعلّ من بين أهم الانتقادات التي وجّهت للفهري في تصوّراته اللسانية، اعتداده باللّهجات في تفسير الظواهر النحوية معتمداً كونها مستوى طبيعياً ووظيفياً للغة، مثل تعويله على اللّهجة المغربية في عدّ الواو في: "جاؤوا هم" حرف مطابقة للعدد وليس ضميراً؛ فالضمير المنفصل "هم" يمكن أن يسقط من الكلام اختياراً وليس إجباراً، ممّا يعني عدم إمكان توارد الواو المطابقة مع الضمير المنفصل، فيكون بذلك منتهكاً أصلاً من أصول الاحتجاج في اللغة العربية<sup>3</sup>، كما يأخذ عليه بعض الدارسين تهويله مسألة الخلط في الدراسة بين نسقين مختلفين هما: اللغة

<sup>1</sup> - ينظر، عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص 106-107.

<sup>2</sup> - ينظر، الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص 53 و 59-60.

<sup>3</sup> - ينظر، عطا موسى: مناهج الدرس النحوي، ص 271. حيث يقول في هذا الصدد: "غير أنّ أهم مأخذ يمكن توجيهه إلى مشروع الفهري التجديدي في النحو العربي غلوه في استعمال المصطلحات الغامضة، وغموض خطابه الواصف مما يوهم في كثير من الأحيان بعدم جدوى الدرس اللساني إذا ما كانت صورته هذه بديلاً لدراسات الوصفيين والنحاة القدماء بالرغم من تشابه مفاهيم معينة مع مفاهيم تراثية ألبست قناعاً لفظياً جديداً، وإن كان القارئ الحصيف يمكن أن يتلمس في هذا المشروع معالم نظرية لسانية حديثة وواعدة، مع ملاحظة أن الفهري أجاب عن سؤال سألناه إيّاه في زيارته للرياض خلال سنة 2008-2009م بمناسبة تكريم الحاصلين على جائزة الملك فيصل العالمية عن الغرابة والغموض التي يمتاز بها جهازه الواصف فأجاب بأنه لا يكتب لغير المتخصّصين!!" عطا موسى: مناهج الدرس النحوي، ص 271.

العربية القديمة والعربية المعاصرة، في حين اشتملت مدوّنته على كثير من الأمثلة والمصطلحات التي استعملها النّحاة واللّغويون القدماء في تراثهم<sup>1</sup>، بالرّغم من تصريحه أكثر من مرّة بأن لا ضرورة منهجية أو منطقية تفرض الرّجوع إلى الفكر الماضي.

وأيّاً كان أمر تعلق صاحب هذه المحاولة بمقولات النّحاة، فإنّ جهوده في تطوير التّفكير في المسألة اللسانية العربية لا ينكر إذا ما رمنا كتابة تاريخ للفكر اللساني العربي<sup>2</sup>.

كما سعى "خليل عمّاية" من جانبه إلى بسط مضامين أساسية قامت عليها التوليدية، من خلال إبرازه للفروق الكائنة بين التركيب المولد والمحول بناء على الفرق الكائن بين المعنى والمبنى، بالإضافة إلى تحديده للجملة المولدة منظوراً إليها حدّاً أدنى من الكلمات الحاملة لمعنى يحسن السّكوت عليه<sup>3</sup>. وغير هؤلاء كثير ممّن اتّبعت المنهج التّوليدي.

حاول غلفان تطبيق المبادئ النقدية النظرية من خلال تحليله لمصادر بعض الكتابات التوليدية التي اعتقد أن فيها إبداعاً وتجديداً وذلك بتحديد الأسس النظرية والمنهجية للنماذج اللسانية المؤطرة لها، مبرزاً سماتها المميزة، يسمّي بعض الدّارسين هذه الكتابة بالاتجاه التّأصيلي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الجبار توامي، اللسانيات المغربية المعاصرة بين التراث والدرس الحديث، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد السابع العدد الرابع، نوفمبر - ديسمبر 2005، ص 265.

<sup>2</sup> - ينظر، نعمان عبد الحميد بوقرة: اللسانيات التوليدية واتجاهاتها الحديثة، مقال نشر بتاريخ: 13-03-2011 على الموقع الإلكتروني: <http://www.arrafid.ae/p12.html> يوم: 2018/07/13.

<sup>3</sup> - ينظر، خليل عمّاية، في التّحليل اللّغوي، منهج وصفي تحليلي، ط1، مكتبة المنار، الزرقاء، 1987، ص34-35.

<sup>4</sup> - ينظر، مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة - دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق ، رسائل وأطروحات، رقم 4، 1991، ص 230-231 نقلا عن: مبروك بركات: نحو نقد لساني عربي مؤسّس - جهود مصطفى غلفان نموذجا - المرجع السابق، ص 173-174.

عرفت النظرية التوليدية تطورات عدّة جعلتها تتسم بتعدد مصادرها وأصولها وأطرها، وهو ما انعكس على الكتابة التوليدية العربية، فقد تعدّدت النماذج والأطر النظرية المطبّقة على اللغة العربية، إذ يرى "غلفان" في هذا التعدد إيجابيات أجملها فيما يلي:<sup>1</sup>

- إثراء البحث اللساني العربي.
  - تقريب الدرس اللساني العربي من واقع البحث اللساني العالمي.
  - تعميق المعرفة العلمية باللغة العربية.
  - إثارة إشكالات جديدة واقتراح الحلول المنهجية الممكنة.
  - التحليل العميق والشامل للغة العربية.
- ولكن هذه الجوانب الإيجابية لا تحجب وجود بعض الصعوبات التي قد تحدّ من فعالية الكتابة التوليدية العربية، ومن تلك الصعوبات التي تناولها:<sup>2</sup>
- صعوبة تقديم بحث توليدي متكامل للغة العربية.
  - التناول التجزيئي لقضايا اللغة العربية.
  - عدم التدقيق في ملاءمة تلك الأطر النظرية للتطبيق على اللغة العربية.
- إنّ المنتبّع لمسار الدرس التوليدي في الثقافة العربية يلاحظ أنّ الكتابة التوليدية العربية قد تمكّنت "من تقديم جملة من الاقتراحات الجديدة المتعلقة بطبيعة البنيات العربية صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة ومعجما، وجاءت بعض الكتابات مضاهية شكلا ومضمونا لنظيرتها الغربية أمريكية وأوربية من عدّة أوجه، في مقدّمتها تقيدها المطلق بشروط وقواعد البحث العلمي اللساني وخطابه".<sup>3</sup>

ولكن وبالرغم من ذلك فقد تمخّض عن هذا الوضع اتّسام الكتابة التوليدية العربية في تعاملها مع النماذج التوليدية برؤية مرحلية" لا تبحث عن المعالجة الشمولية لظواهر

<sup>1</sup> - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 203-231. نقلا عن: مبروك بركات: نحو نقد لساني عربي مؤسّس - جهود مصطفى غلفان نموذجا - ص 173-174.

<sup>2</sup> - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 327.

<sup>3</sup> - ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، أمحمد الملاح، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 288.

اللغة العربية وإنما عن تقديم أشنات و« منوعات » من التحليل التوليدي الذي ينحصر في الاشتغال بمواد لغوية منتقاة من اللغة العربية أو مترجمة إليها من لغات أجنبية تلائم النموذج المقترح، فجاءت الكتابة التوليدية العربية يطبعها التقاوت من جهة أهميتها وجديتها؛ فالتوليدون العرب يسلكون طرائق قدا في تحليلاتهم وطروحاتهم وآليات استدلالهم الموظفة في القضية الواحدة، ويبقى الاختلاف بينهم قائما حول الكثير من القضايا، مما يجعل المطلع على خريطة البحث يحسّ وكأنه أمام توليدات لا أمام توليدية واحدة تتوق إلى تحقيق الكلية والشمولية.<sup>1</sup>

### 3- المنهج الوظيفي التداولي:

بعد أن جرب العقل اللساني التيار البنوي والتوليدي في معالجة الظاهرة اللغوية، وعرف قصورها كونها لم ينتبها إلى حقيقة أنّ اللغة ليست قوالب معلقة معزولة، وإنما اللغة استعمال وتداول وحركة مجتمعية وأداة تأثير وتعبير، فكان أن تولّد نتيجة ذلك المنهج الوظيفي التداولي؛ إذ أتاحت المعرفة اللسانية المعاصرة نماذج تحليلية أكملت النقص أو الزوايا غير المكتملة في الدراسات السابقة، ويعدّ التوجّه الوظيفي المؤسس على الأبعاد التداولية من أبرز هذه النماذج وأدقّها وأكملها، إنّها سياسة البدائل وتعدّد أوجه النظر من أجل إدراك الحقائق وتدقيقها، وفهم الظاهرة والإحاطة بها؛ حيث صار هذا التوجه " الوظيفي التداولي " يعتني بالبحث ودراسة القرابة التي تربط اللغة كبنية بمستعملها، وما ينشأ عن هذا الربط من تفسير وفهم لهذه الخصيصة التي امتاز بها الكائن البشري.

وقد تمّ اقتراح معايير كي تتميز النظريات عن بعضها البعض و"من المعايير التي يمكن اعتمادها في هذا الباب، معيار "الوظيفية" الذي يتيح التمييز بين تيارين عامين اثنين: التيار "الوظيفي" والتيار "غير الوظيفي" أو (الصوري)، واعتمادا على هذا المعيار يمكن التمييز بين نظريات لسانية تسعى إلى تفسير الخصائص الصوريّة للغات الطبيعيّة بربط هذه الخصائص

<sup>1</sup> - ينظر: حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص224.

وظيفة اللسان الطبيعي التّواصلية ونظريات لسانية تجعل من مبادئها المنهجية العامة أن بنية اللّغات الطبيعية يسوّغ وصفها وتفسيرها بمعزل عن وظيفتها التّواصلية<sup>1</sup>.

وتعدّ الوظيفية (Fonctionnalisme) ثالث اتجاهات البحث اللساني المعاصر، وهي من نموذج من النّماذج اللسانية الحديثة التي اهتمت بدراسة اللّغة، وتعود الأصول الأولى للسانيات الوظيفية إلى جملة من الأعمال الحديثة، أمّها مدرسة براغ التي هيمنت على اللسانيات لمّدة طويلة من الزّمن، إذ ركّز أصحابها على الطّابع الوظيفي للغة سواء من النّاحية النّحوية أو الصّوتية أو الدّلالية، فضلا عن الجانب الاجتماعي التّواصل للغة، ومنذ الستينيات حاول بعض اللسانيين استثمار ما جاءت به مدرسة "براغ" من مفاهيم وتوصّلتوا إلى مفهوم مركزي سموه (ديناميكية التّواصل)، وهو مفهوم يحيل الذهن أنّ الجمل التي يتكلّمها الإنسان ليست مجرد فعل لغوي فحسب، وإنّما هو مواقف إزاء واقع معيّن، ممّا يعني أنّ اللّغة ليست مجرد عملية إنجازية وإنّما هي تفاعل لتجارب يمكن إدراكها من خلال العلاقة بين المتكلم والسامع، وانطلاقا من هذا التّصور سعت الوظيفية جاهدة لدراسة القدرة الإنجازية لمتكلم اللغة وما يحكمها من ملابسات اجتماعية وغيرها<sup>2</sup>.

لقد اهتم عدد من اللسانيين (أوستين وسيرل، وغرايس) بدراسة الجوانب الدّلالية والتّداولية للّغات الطبيعية، مؤكدين ضرورة الاعتماد على التّداول والاستعمال في عملية التّحليل اللساني ويطلق على هؤلاء اللسانيين - فلاسفة اللغة العادية - مصطلح (الوظيفيون الجدد)؛ لأنّهم حققوا بمراعاتهم مقامات القول البعد الوظيفي للغة<sup>3</sup>. وبذلك يتبين لنا "أنّ مصطلح (التّداولية) لا يختلف عن مصطلح (الوظيفية) من ناحية الإجراء؛ لأنّ كليهما يراد به دراسة اللّغة في التّواصل

<sup>1</sup> - أحمد المتوكّل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي - الأصول والامتداد - مكتبة دار الأمان، التّباط، ط1، 2006 ص19.

<sup>2</sup> - ينظر: د. محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص: 69-70.

<sup>3</sup> - ينظر: د. عطا محمّد موسى: مناهج الدرس النّحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص 297-298.

أو الاستعمال، حتى إن الدكتور "أحمد المتوكل" يستعمل في أبحاثه مصطلحي (تداولي) و(وظيفي) بمعنى واحد، ويقصد باللفظين حين يوردهما عند وصف نموذج لغوي ما "أن هذا النموذج يعتمد ضمن أسسه المنهجية أن اللسان الطبيعي بنية تؤدي وظيفة أساسية في إتاحة التواصل داخل المجتمعات، وأن بين البنية والوظيفة علاقة تبعية، بحيث تتحدد السمات البنوية للعبارة اللغوية (صرف، تركيب، تنغيم) حسب الأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسائل لتحقيقها"<sup>1</sup>.

ونجد في الأنموذج الذي يمثله اللساني الهولندي "سيمون دك" مساحة له في اللسانيات العربية، بفضل جهود الدكتور أحمد المتوكل الذي سنعتمد قراءته التأصيلية للتراث.

لقد ركز "سيمون دك" على دراسة القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية وحاول الخروج بضوابط مميزة لهذه القدرة عن طريق تحديدها بخمس ملكات<sup>2</sup>:

- 1- الملكة اللغوية: وهي الملكة التي تمكن مستعمل اللغة من إنتاج وتأويل العديد من العبارات اللغوية في مواقف تواصلية مختلفة.
- 2- الملكة المنطقية: تمكن المتكلم من اشتقاق معارف جديدة عن طريق الاستنباط على اعتباره مزودا بمعارف معينة سلفا.
- 3- الملكة المعرفية: وهي التي تمكن المتكلم من تكوين رصيد من المعارف المنظمة واستحضارها في التأويل في أثناء عملية التواصل.
- 4- الملكة الإدراكية: يستطيع المتكلم من خلالها إدراك المحيط، وأن يكون منه الكثير من المعارف التي يستحضرها في أثناء العملية التواصلية.
- 5- الملكة الاجتماعية: تمكن المتكلم من اختيار الكيفية التي يريد المتكلم بها قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة.

<sup>1</sup> - ينظر، د. المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص11(الهامش).

<sup>2</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص8-9.

إنّ نظرية النّحو الوظيفي التي يتزعمها العالم اللّغوي "سيمون ديك" الهولندي، والتي طوّعها للنّحو العربي "أحمد المتوكل" تعرّف النّحو الوظيفي بأنه: "هو النّحو الذي لا يقتصر على الدور الذي تلعبه الكلمات أو العبارات في الجملة، أي الوظائف (التركيبية أو النحوية) كالفاعل والمفعول..؛ لأن هذه الوظائف لا تمثّل إلا جزءاً من كلّ، تتفاعل مع وظائف أخرى، (مقامية أو تبليغية) هي الوظائف الدلالية والتداولية، بحيث تتربط الخصائص البنيوية للعبارات اللّغوية بالأغراض التبليغية التّواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها".<sup>1</sup>

ومن ثم فإنّ هذه النّظرية الجديدة، تجاوزت الخطاب اللّساني المحلّي التقليدي، الذي يربط النّحو بمستوى لغوي جزئي من مستويات اللّغة، إلى خطاب لساني انتقل فيه مركز الاهتمام من اللّغة إلى النّحو كنظرية شاملة مهمتها وصف وتفسير ما أصبح يعرف في هذه النظرية بالملكة التبليغية بمكوناتها المختلفة (دلالية، وتداولية، وصرفية، وتركيبية..)، وبذلك فهي توحد بين لسانيات الجملة ولسانيات الخطاب.<sup>2</sup>

لقد اهتمّ "مصطفى غلفان" بتتبّع مسيرة اللّسانيات الوظيفية، وعرض لمصادرها الأساس فوجد تلك المصادر موزّعة بين المنطق والفلسفة اللّغوية وبعض النّظريات الحديثة. فاستنتج من خلال ذلك غياب أيّ اهتمام حقيقي بالدراسات التداولية العصرية في الثقافة العربية، والمحاولة الوحيدة التي وقف عليها هي محاولة "طه عبد الرّحمن"، وهو أحد المفكرين العرب الأوائل الذين حاولوا التعريف بالفكر التّداولي، وتطبيقه في بعض مناحي الثقافة العربية الإسلامية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- د. عبد القادر بقادر: محاضرات في النّحو الوظيفي، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، 2013-2014، ص3.

<sup>2</sup>- ينظر، د. عبد القادر بقادر: محاضرات في النّحو الوظيفي، ص3.

<sup>3</sup>- ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، أمحمد الملاح، قضايا إبستمولوجية في اللّسانيات، ص291-292.

فقد اهتمّ طه عبد الرحمن "بالقضايا التداولية من وجهة نظر منطقية وفلسفية مستمدا وسائله النظرية والمنهجية من علمين حقّقا نتائج باهرة هما: اللسانيات والمنطق. ممّا أكسب هذه النظرية رؤية منهجية ناقدة تتمّ عن وعي كبير بأهمّية المنهج العلمي.<sup>1</sup>

كما تتسمّ كتابات "أحمد المتوكّل" بوحدة الرؤية النظرية والمنهجية المحدّدة بأصول اللسانيات الوظيفية وتكييفها مع معطيات اللّغة العربية، والتي تتمّ عن متابعة دقيقة لتطوّرات نظرية النحو الوظيفي الذي وضعه "سيمون ديك"، ممّا جعل نظريته تكتسي طابع الشمولية لظواهر اللّغة العربية، وقد مكّنه ذلك من وضع جزء هام من نحو اللّغة العربية الوظيفي.<sup>2</sup>

ويبدو أنّ قلة البحوث اللسانية العربية في هذه الكتابة لم يتح له الوقوف عن كئيب على سماتها المنهجية، بقدر ما أكّد على عرض قضاياها النظرية التي تتيح للقارئ العربي التعرف على أصولها ومصادرها .

ويعدّ "المتوكّل" صاحب مشروع نحو اللّغة العربية الوظيفي، الذي حاول تجسيده من خلال كتبه الكثيرة، والتي تميّزت عن بقية اللسانيين العرب المحدثين؛ إذ لم يقف من المنجز التراثي موقف المقلّد أو المقوّض، وإنّما رأى فيه أنّه منجز بشري يحتاج إلى قراءات، وقد استطاع من خلال مشروعه تجسيد الموقف الاستمراري، والذي يوضّح علاقة الفكر اللغوي في اللسانيات الوظيفية الحديثة بوجه عام؛ فقد قام بقراءة الفكر اللغوي العربي القديم، بغية استثمار كنوزه وما يزخر به من أفكار تعيد للسانيات العربية قوّتها ومناعتها الداخليّة مثل ما نجد في (المتوكّل 1982)،<sup>3</sup> وتساهم أيضا في تطوير النماذج الوظيفية الحديثة باقتراحاتها ممّا سيمكّن من عقد حوار يكون من ورائه استثمار التراث اللغوي العربي، وقضايا وظواهر اللّغة العربيّة صرفا وتركيبا ودلالة ومعجما، وتطوير هذا التراث اللغوي مع الانفتاح على اقتراحات اللسانيات

<sup>1</sup> - ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، أحمد الملاح، قضايا إستمولوجية في اللسانيات، ص 292.

<sup>2</sup> - ينظر، حافظ إسماعيلي علوي، أحمد الملاح، المرجع نفسه، ص 293.

<sup>3</sup> - ينظر، حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 348.

الوظيفية الحديثة، مما يساهم في فهم أعمق لقواعد اللغة العربية، وهذا ما نلمسه من خلال مؤلفات المتوكل (1982، 1985، 1986، 1993، 2001، 2006، 2008، 2010).<sup>1</sup>

إنّ أيّ باحث ملزم بتبني إطار نظري يشكّل بكلّ خلفياته وفرضياته مرجعا أساسا له، يتبنّى أحمد المتوكل النّحو الوظيفي إطارا نظريا، وهو اختيار تحكمه مجموعة من المسوّغات عبّر عنها بالقول: "يعتبر النّحو الوظيفي (Functional Grammar)، الذي اقترحه سيمون دك في السّنوات الأخيرة، في نظرنا، النظرية الوظيفية التّداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة ولمقتضيات "النمذجة" للظواهر اللّغوية من جهة أخرى، كما يمتاز النّحو الوظيفي على غيره من النّظريات التّداولية بنوعية مصادره"<sup>2</sup>.

أسدى "أحمد المتوكل" للدّرس اللّغوي العربي الحديث خدمات جليلة مكنت العديد من المدرسين من الاستثمار ذلك النّتاج في "ديداكتيك اللّغة العربيّة" لاسيّما ما تعلّق بظواهر اللّغة كالعطف والاستفهام وغيرها.

ويرى أحمد المتوكل أنه توصل إلى أنّ النّظرية الثاوية خلف مختلف العلوم اللّغوية" النحو اللّغة، البلاغة، فقه اللّغة، نظرية تداولية، وإنّها بالتالي قابلة للتّحاور، بمعنى القرض والاقتراض مع النّظريات التّداولية الحديثة بما فيها نظرية النّحو الوظيفي، ويمكن عقد حوار بين الفكر اللّغوي القديم، والنّحو الوظيفي، وبهذا نحقق هدفين اثنين<sup>3</sup>:

أولهما: إغناء النّحو الوظيفي بتحليلات ومفاهيم يستلزمها وصف الوظائف الخمس في اللّغة العربية خاصة، دون أن يمسّ اقتراض هذه التحليلات والمفاهيم والمبادئ المنهجية المعتمدة في النّحو الوظيفي.

<sup>1</sup>- ينظر، حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 348 .

<sup>2</sup>- أحمد المتوكل: الوظائف التّداولية في اللّغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص 7.

<sup>3</sup>- أ. عيسى مومني: رؤية نقدية للكتابات العربية المعاصرة، مجلة العلوم الإنسانيّة كلية الآداب واللغات الجزائر، العدد 41، جوان 2014، ص 522-523.

وثانيهما : تقويم مجموعة من الأوصاف المقترحة في النحو العربي، أو البلاغة العربية بالنسبة لوظيفة" المبتدأ "وظيفة" البدل"، والتابع بصفة أعم، وظواهر التخصيص"، و"الحصر" و"العناية" و"التوكيد" وغيرها،) وهذا ما تتسم به كتابات المتوكل في كتابيه : اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، الوظائف التداولية في اللغة العربية.)

يصنّف الدكتور المتوكل جهوده في ضمن الاتجاه الذي يروم التوفيق بين القديم والحديث (التوافقي)، وهو الاتجاه الأقرب لدراسة معطيات اللغة العربية (يدعم هذا الاتجاه أيضا جهود عبد الرحمن الحاج صالح اللغوية).

وتكمن أهمية هذا الاتجاه في قدرته على بلوغ ثلاثة أهداف متكاملة:<sup>1</sup>

- صوغ النظريات القديمة في قالب جديد يتيح المقارنة بينها وبين النظريات الحديثة.  
- تطعيم النظرية اللسانية الحديثة والعامّة بروافد نظرية جديدة قد تثبت ما اتفق عليه في الغرب وقد تدحضه.

- خلق أنموذج لغوي عربي (أو نماذج عدّة) يضطلع بوصف اللغة العربية انطلاقا من النظريات اللغوية القديمة بعد أن تقولب وتمخض في إطار نظريات اللسانية الحديثة، وأن تحتك بما تفرع وما يتفرع عنها من نماذج لغوية.

ومن الأصول التراثية في التفكير اللغوي العربي القديم، والتي تعامل معها الدكتور المتوكل في طروحاته هي دراسته للمكونات التي تستند إليها الوظائف التداولية: البؤرة، المحور المنادي، الاستلزام التخاطبي، التقديم والتأخير وغيرها، وسنتناول بعضا من هذه المكونات والتي لها أصول وجذور في التراث اللغوي العربي.

ويعرّف المتوكل "البؤرة" بأنها الوظيفة المسندة إلى المكون "الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة"<sup>2</sup>، وقد ميّز بين نوعين من البؤرة:

<sup>1</sup> - حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص383.

<sup>2</sup> - أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص28.

\*بؤرة الجديد: وهي الوظيفة التداولية التي تسند إلى المكوّن الحامل للمعلومة (الجديدة) بالنسبة للمتكلّم (في حالة الاستفهام) أو للمخاطب (في حالة الإخبار)<sup>1</sup>.

\* بؤرة المقابلة: وهي الوظيفة التداولية التي تستند إلى المكوّن الحامل للمعلومة المتردد في ورودها أو المنكر ورودها<sup>2</sup>.

وأما الاستلزام التّخاطبي فهو ظاهرة قدّمت في إطار نظريات لسانية حديثة ذات طابع فلسفي قدّمتها كلّ من "سيرل" و"غرايس"... إذ لاحظ "غرايس" أنّ حمل اللّغات الطبيعية يمكن في بعض المقامات أن تدلّ على معنى مختلف عن المعنى الذي يوحي به محتواها الحرفي؛ ذلك أنّ الممارسات اللّغوية حسب نشاط عقلائي يهدف إلى التّعاون بين المتخاطبين، لذلك كان لا بدّ من افتراض توجيهات أو قواعد صادرة عن اعتبارات عقلية، تتدبّر السلوك التّخاطبي وتجعله فعّالاً وناجحاً<sup>3</sup>، والاستلزام التّخاطبي هو خروج التّركيب عن معناها الحرفي التّقريبي إلى معنى آخر يستلزمه ويفرضه المقام، فضلا على أنّه لا يقيم حدودا فاصلة بين المكوّنات الدّلالية والتّداولية، وإنّما تتضافر كلّها لتشكيله وفكّ شفرة الرّسالة اللّغوية؛ ففي ضوء الطبيعة الإنجازية للخطاب يحدّد المكوّن الدّلالي الإرجاعات المحتملة للعلامة اللّغوية، بينما يقوم المكوّن التّداولي بإبراز مقصد المتكلّم<sup>4</sup>.

وقد وجد المتوكّل أنّ النّظرية قريبة جدّا ممّا ورد في التراث اللّغوي العربي عند البلاغيين وعلماء أصول الفقه، إذ اعتمد في وصفه على ما قدّمه "السكاكي" في "مفتاحه"؛ لأنّه وجد تناوله لا يتجاوز الملاحظة المجرّدة إلى التّحليل الملائم للظاهرة والذي يضبط علاقة المعنى

<sup>1</sup>-ينظر، أحمد المتوكّل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص28-29..

<sup>2</sup>- ينظر، المصدر نفسه، ص28-29.

<sup>3</sup>- ينظر: أحمد المتوكّل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط 2010، ص26.

<sup>4</sup>- ينظر: محمّد أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط 2002، ص62.

الصّريح بالمعنى المستلزم مقاميا، ويصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني بوضع قواعد استلزامية واضحة.<sup>1</sup>

فهذا الصّراع والتّسابق في النّشاط اللّساني يمكن أن نسمّيه وعيا، هذا الوعي يمثّل صحوة العقل، وقد لملم "طه عبد الرّحمن" هذا الوعي اللّساني في ثلاث مراحل: إذ يصف المرحلة البنيويّة بمرحلة الدّاليّات، والمرحلة التّوليدية في شقّها الثاني بمرحلة الدّاليّات، ثمّ مرحلة التّداوليات التي تجمع بين الدّوال ومدلولاتها<sup>2</sup>.

ويمكن أن نوّكد على أنّ الدّراسات نظريا/ تطبيقيا كانت مكثّفة على اللّغات الطّبيعيّة، بغية تحقيق التّجربة، وما إن يرتضى لكفايتها النّظرية والتّطبيقية حتّى ينعرج بها، مراجعة ونقدا وإضافة... وبعدّ النّحو الوظيفي من أحدث إفرازات هذا التّكاثر العلمي اللّساني، إنّ حدث حاسم في تاريخ بناء الأنحاء، فهو نموذج ظهرت بواكيره (1978م) بإصدار "سيموك ديك" وبذلك فهو لا يزال يصارع من أجل أن يحقّق كفايته النّظرية وفي الآن ذاته كفايته التّطبيقية، وقد التف حول هذا المشروع الكثير من الباحثين بغية تحقيقه، وخير دليل على ذلك انتقال هذا المشروع الأوروبي إلى البيئة العربيّة ومحاولة "أحمد المتوكل" تطبيقه على اللّغة العربيّة منذ أكثر من عشرين سنة.

إنّ ما تقدّمه الكتابات اللّسانية العربيّة الحديثة للقارئ العربي أنّ اللّسانيات هي الدّراسة العلمية للغة، وهذا العلم" يتّسم بسمتين اثنتين الأولى: هي العلمية، والثّانية هي الاستقلالية وتأتي الكتابات اللّسانية العربيّة الحديثة لتوضيح هذه المسألة التي حاول من خلالها بعضهم إقصاء النّتاج التقليدي من مجال التفكير اللّساني، ومنها علم اللّسان العربي، وتحديدته في إطار تيار

<sup>1</sup> - محمّد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص40.

<sup>2</sup> - طه عبد الرّحمان: في أصول الحوار وتجنيد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، ص28.

البنوية، وإطار النحو التوليدي<sup>1</sup>، واعتبر أنّ التفكير في خصائص اللغات الطبيعية لم يأخذ الطابع العلمي إلا مع سوسير.

لقد ساق "عبد الرحمن الحاج صالح" في هذا الشأن مفاهيم علمية دقيقة كثيرة تؤكد حضور الدرس العربي، ولا نجدها إلا عند النحاة الأوائل وخاصة عند الخليل وسيبويه، ولا نجدها في اللسانيات الغربية الحديثة، من مفهوم اللفظة وهي غير الكلمة وغير التركيب إلى غير ذلك من القضايا التي فنّدها في كتاباته، من مثل ما نسب إلى علماء العربية أنّهم وقفوا من اللغة موقفا غير علمي؛ إذ أنّهم يدرسونها لأسباب أخرى، وكأنّ العلم لا يتحدّد إلا بالغاية التي يرمي إليها أصحابه، في الوقت الذي نجد أنّ لكل حركة علمية وغيرها دوافع، فلماذا ينسب لعلماء العربية أنّهم وقفوا من اللغة موقفا غير علمي؟ والنظريات الفيزيائية كثيرا ما ظهرت بفضل الحوافز الاجتماعية السياسية وغيرها.<sup>2</sup>

لعلّ ما يحسن به ختام الحديث عن المناهج، هو التأكيد على ضرورة التسلّح بثقافة لسانية متينة، وهذه حقيقة أقرب إلى البدهة، عند النقاد الغربيين، الذين استوعبوا الأصول اللسانية والنحوية التي أنتجتها الثورات الثلاثة وتمثلوها، ثم أبدعوا منها مناهجهم النقدية، في حين لا نجد مثل هذا الاستيعاب عند نقادها المحدثين، وإن وجد عند قلة منهم فهم استثناء، يؤكّد قاعدة عريضة من النقاد، يجهلون الأصول اللسانية العامّة للمناهج النقدية الحديثة، بله أصولها النحوية.

وفي هذا السياق، يجدر التنبيه إلى النظريات النحوية العربية الحديثة، قد يجهل نقادنا الحداثيون بعضها أو كلّها هنا وهناك؛ إذ نجد النظرية اللغوية الحديثة للدكتور "جعفر دك الباب"، أصل فيها صاحبها لنحو بنيوي وظيفي، من خلال مبادئ نظرية "ابن جني"، ونظرية النظم لـ "عبد القاهر الجرجاني"، ومبادئ نظرية الوجهة الوظيفية للجملة لماتريوس الشيكوي W. (Mathesius) وهناك النظرية المعجمية الوظيفية للدكتور "عبد القادر الفاسي الفهري"، التي أصّلت لنحو توليدي عربي، في إطار النظرية التوليدية التحويلية، وبموازاة هذه النظرية، نجد

<sup>1</sup> - ينظر، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حوار مع مازن الوعر، ص 108-112.

<sup>2</sup> - أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات: حوار مع د. عبد الرحمن الحاج صالح، ص: 91-92.

نظرية النحو الوظيفي للدكتور "أحمد المتوكل"، وهي نظرية مكتملة، أصّلت لنحو وظيفي عربي في إطار نظرية النحو الوظيفي لـ "سمون ديك الهولندي"، وإلى جانبها نجد النظرية النحوية الخليلية الحديثة للدكتور "عبد الرحمن الحاج صالح"، وقد أصّلت هذه النظرية لنحو بنوي عربي، استمد أسسه ومبادئه من نهج "الخليل" وتلميذه "سيبويه".<sup>1</sup>

فهل يمكن لنقادنا الحدائين، أن يستخلصوا من هذه النظريات مجتمعة أو منفردة مناهجهم النقدية الحديثة؟ ومتى يتسلّح كلّ نقادنا بثقافة لسانية متينة، تخرجهم من ثقافة استهلاك المناهج إلى ثقافة إبداع مناهج جديدة؟

<sup>1</sup> - ينظر مقالة الأستاذ: يحي بعبطيش، الأصول اللسانية للمناهج النقدية الحديثة: المنهج البنوي نموذجاً.

الفصل الثاني:

التفكير اللساني عند الحاج صالح بين الأصالة والإبداع.

## المبحث الأول:

المنطلقات اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح.

توطئة:

عرف الدرس اللساني شيوعاً ورواجاً كبيرين في أوساط الدارسين العرب منذ أن تعرّفوا على منتجات الثقافة الغربية في هذا المجال، فأثّر ذلك على توجهاتهم الفكرية حين تناولهم القضايا اللغوية، وانقسموا بين ممجّد للتراث، وداعٍ للانفتاح على ما استجد به البحث اللغوي، وإسقاط مناهجه وإجراءاته على اللغة العربية، وفريق ثالث وسط، وقف من القضية باعتدال، فانتفع بالتراث من خلال معطيات الحداثة والإبداع في البحث العلمي.

وهذا الفريق آمن بأن "الأصالة في المعارف المتصلة بالعلوم الإنسانية لا يمكن أن تعني الاكتفاء بنفسها والانغلاق على الذات دونما سعي من أجل التطور، كما غدا مراراً أنّ الحداثة لا يمكن أن تعني الانسلاخ عن التراث وإهدار ما بناه الأقدمون<sup>1</sup>".

يعدّ التراث اللغوي العربي تحوُّلاً كبيراً في مسيرة التراث اللغوي العالمي؛ ذلك أنّ الحقائق العلميّة حول هذا الموضوع مثبتة تاريخياً، وفي الصّد يقول الدكتور مازن الوعر: "لو التفت الغرب المعاصر إلى التّاريخ اللّغوي التّراثي العربي لكان علم اللّسانيات الحديث في مرحلة متقدّمة عن الزّمن الذي هو فيه، هذه الحقيقة شاركني فيها عالم اللّسانيات الأمريكي نوم تشومكي حول هذا الموضوع"<sup>2</sup>.

إنّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة لم تكن استمراراً لتطوّر حضاري سابق على الرغم من أنّها قد تأثّرت بالخط العام لمسيرة الحضارات السّابقة، و"إنّما كانت "طفرة أو انعطافاً أو حدثاً ثورياً" في تاريخ الحضارات الإنسانيّة، من هنا فإنّ ما توصلت إليه هذه الحضارة من خلال دراسة الظواهر الإنسانيّة والطبيعيّة إنّما يستحق الرّوية والدراية والتأمّل والعمق"<sup>3</sup>.

في خضمّ هذا الواقع، ظهرت البحوث اللّسانية العربيّة، وسعى روادها إلى النّظر في القضايا اللّغوية للعربية الفصحى في صورتها المعاصرة ومقاربتها، أو مقابلتها بصورتها التي وصفها اللّغويون القدامى من خلال مصنّفاتهم التي عدّها بعضهم ممّا لا يمكن دحضه أو مناقشته، كما

<sup>1</sup> - محمد بوعمامة: التراث اللغوي العربي بين سندان الأصالة ومطرقة المعاصرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 3/2، جوان 2008 م، ص 208.

<sup>2</sup> - د. مازن الوعر: صلة التراث اللغوي العربي باللّسانيات، مجلة التراث العربي، العدد 48، 01 يوليو 1992، سوريا، ص 88.

<sup>3</sup> - د. مازن الوعر، المرجع نفسه، ص: 92.

ظهرت أعمال اطلعت على مستجدات البحث في الغرب والمفاهيم التي توصلت إليها، من خلال وصف اللغات الأوربية، فحاولت مقابلة ذلك بتأكيد أصالة الفكر العربي، وأن ما جاء في كتب التراث من آراء لغوية، كان عربي الهوية، يصف قضايا لغوية عربية، وقد رفض أصحابها ما اعتبروه ادعاءات بتأثر الفكر العربي بالمنطق اليوناني، فاستطاعوا بذلك رد الاعتبار للدراسات اللغوية العربية، وأعادوا تقديم مفاهيمها في حلة جديدة تحاول الاستجابة للروح العلمية التي تميّز بها الفكر اللغوي الإنساني الحديث.

ضمن هذا التوجه، ظهرت أعمال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، المعروف بدفاعه عن التراث العربي، وسعيه لوضع نظرية لسانية عربية الهوية تواكب روح العصر، وتقابل في تميّزها وثنائها نظيرتها الغربية، فكانت له إسهامات عديدة، ومشاريع إجرائية رائدة، ساهمت في تجاوز حالة الركود التي عرفها البحث اللساني في بعض فتراته الحديثة.

إنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح علم من أعلام الفكر اللساني في الجزائر وفي الوطن العربي، له اطلاع واسع على الفكر اللغوي عند العرب وعند الغربيين على السواء ويحتل مكانة مرموقة عند طلابه في الجزائر وفي المشرق العربي، يجلّ العلماء القدماء ويعجب بأرائهم قال أحد طلابه وهو يتحدث عن الآلات التي أهداها علم الفيزياء إلى علم اللغة: " وإقرارا بالحق، ومن باب عزو الفضل إلى ذويه يحسن بنا ها هنا أن ننوّه بالبحوث الصوتية المخبرية التي اضطلع بها أستاذنا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وعرض فيها على محكّ هذه الآلات ما جاء في كتب علمائنا الأقدمين، ولاسيما ما رواه سيبويه عن شيخه الخليل بن أحمد في مخارج الحروف وصفاتها فتبيّن له أنّ كثيرا من آرائهم بلغت من الحصافة، وأنّ غرائزهم أوتيت من الرهافة ما جعل نتائجهم تقارب النتائج التي توصلت إليها الآلات"<sup>1</sup>.

ومن أهم الآراء اللسانية التي قام عليها مشروع عبد الرحمن الحاج صالح هي الآراء التي جاء بها الخليل بأحمد الفراهيدي، وذلك لأهمية تلك الآراء وأسبقيتها في زمنه، والتي نقلها عنه تلميذه سيبويه.

<sup>1</sup> - د.غازي مختار ظليمات: في علم اللغة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط2، 2000، ص 34.

### أ- موقع الخليل في الدراسات اللسانية العربية:

إنّ من الظواهر التي وقفت عندها الفلسفة العربية الإسلامية ظاهرة "اللغة"، وهذه اللغة لا تعني اللغة العربية فقط، وإنما التي ينبغي أن تكون كونية كلية شاملة صالحة لكلّ زمان ومكان حسب المفهوم الفلسفي العربي الإسلامي، إنّها اللغة التي هي ركن أساسي من أركان الحضارة العربية الإسلامية، من هنا فإنّ خدمة العرب والمسلمين لهذه اللغة لم تنطلق من المفهوم القومي للغة، وإنما انطلقت من المفهوم الإسلامي الكلي والإنساني والشمولي، فكما أنّ الإسلام هو الحلّ الوحيد لمشكلة الإنسان على هذه الأرض حسب المفهوم العربي الإسلامي فإنّ اللغة العربية هي اللغة التي يجب أن تحمل كلّ المعارف التي حصل عليها الإنسان، ويريد أن يحصل عليها، وذلك من أجل حلّ مشكلاته في هذا الكون، إذن المفهوم العربي الإسلامي اعتبر اللغة ظاهرة عربية كونية كلية<sup>1</sup>، ونتيجة لهذه الأسباب أقدم العرب والمسلمون على دراسة اللغة انطلاقاً من سمتين اثنتين هما: السمة القومية والسمة العالمية أو الكلية، وما بحثه العرب في اللغة كثير جداً ومتعب جداً ولكن يمكن حصره بما يلي:

#### • أصوات اللغة العربية:

- 1- الفيزيولوجية- النطقية (النحاة والأطباء العرب أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه وابن سينا في كتابه أسباب حدوث الحروف).
  - 2- الفيزيائية (علماء الرياضيات العرب أمثال الحسن بن الهيثم والخوارزمي).
  - 3- السمعية- الدماغية (علماء التجويد أمثال الشاطبي ومكي بن أبي طالب القيسي وعلماء الموسيقى أمثال زرياب وإبراهيم الموصلي).<sup>2</sup>
- فقد درس العرب والمسلمون الظاهرة الصوتية دراسة نطقية- فيزيولوجية ودراسة فيزيائية ثمّ دراسة سمعية دماغية، ولكن معلوماتهم حول هذه الظاهرة جاءت مبعثرة لا يجمعها منهج أو نموذج واحد متماسك.

<sup>1</sup> - د. مازن الوعر، المرجع السابق، ص: 92.

<sup>2</sup> - ينظر، مازن الوعر، المرجع نفسه، ص: 93.

### • تراكيب اللغة العربية:

اهتمّ العرب كثيرا خاصة النحاة بتراكيب اللغة العربية، وذلك من أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه والكسائي والفراء، إضافة إلى الشراح الذين فصلوا ما أتى به هؤلاء المتقدمون أمثال ابن يعيش وغيره، وبعد كتاب سيبويه "الكتاب" منطلق التحليل النحوي العربي في تاريخ الدراسات النحوية التركيبية وفي هذا الصدد يقول مازن الوعر: "وفي اعتقادي أنه لو استطاع العرب فهم كتاب سيبويه فهم رواية ودراية وعمق لنبشوا حقائق نحوية من هذا الكتاب لا تقل أهميّة عن الحقائق النحوية التي أتى بها عالم اللسانيات الأمريكي نوم تشومسكي، ولكن هذا يحتاج إلى جهد كبير جدًا ليس هناك مؤشرات لحوافزه في مناخ الدراسات اللغوية العربية المعاصرة.<sup>1</sup>"

وإضافة إلى اهتمام العرب بأصوات اللغة وتراكيبها، نجد ممّن اعتنى بمعانيها ودلالاتها، وقد تجسّد ذلك خاصة في أعمال البلاغيين العرب من أمثال "السكاكي، والقزويني، والجرجاني وغيرهم، وكذا في أعمال بعض النحاة والمفسرين. واهتم العرب أيضا بارتباط اللغة بالمجتمع وأيضاً ارتباطها بفيزيولوجيا الإنسان وبيولوجيته، مثل ما نراه عند الجاحظ في "الحيوان" و"البيان والتبيين" وغيره.

### • مصادر التراث اللغوي:

- وإذا أردنا أن نعيد تركيب التراث اللغوي فإنّه ينبغي أن نبحث في المصادر التالية:
- كتب النحو والشروح التي تناولته (نحويات أو علم التراكيب).
  - كتب التجويد وفق قراءة القرآن الكريم (مرتببات أو علم الصوت).
  - كتب البلاغة والفلسفة والمنطق (دلاليات أو علم المعنى).
  - كتب التفسير القرآنية والنبوية.
  - دواوين العرب الشعرية والنثرية والشروح التي تناولتها.
  - كتب الموسوعات المعرفية المختلفة التي كتبها عظماء الكتاب العرب، أمثال الجاحظ وابن عبدبره وابن حزم الأندلسي وغيرهم.

<sup>1</sup> - د. مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، ص: 93 .

- كتب المعاجم واللغة كما هي الحال عند ابن منظور وابن فارس والأصمعي والقالبي وغيرهم.
  - كتب التاريخ كما هي الحال عند الطبري وياقوت الحموي وغيرهما.<sup>1</sup>
- الواقع أنّ الذي فعله النحاة العرب خاصة حول اللغة العربية يعدّ جزءاً من التراث اللغوي العربي وليس كلّه؛ ذلك أنّ هذا التراث أشمل وأوسع ممّا قدّمه النحاة العرب من أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه وابن يعيش وغيرهم، فهذا التراث هو كلّ عمل عربي وضعه العرب القدماء من أجل تفسير النصّ القرآني.<sup>2</sup>
- لقد تبيّن للحاج صالح أهميّة التراث العربي، وخاصة ما جاء به الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ-175هـ)<sup>3</sup> - المؤسس الحقيقي للنظرية اللغوية العربية - والذي أدرك بفكره النير أنّ اللغة تتألّف من مجموع المفردات، والمفردات إنّما تتألّف من أجزاء، وهذه الأجزاء هي الحروف، فلا بدّ إذن لمن يريد أن يدرس اللغة، ويتفهّم طبيعتها أن يبدأ بدراسة الحروف، وهذه الحروف ينتجها جهاز النطق، وهذا الجهاز عند الإنسان واحد، فكان ترتيبه للحروف بحسب مخرجها من الحلق إلى الشفتين ترتيباً « فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول

<sup>1</sup> - ينظر، د. مازن الوعر، المرجع السابق، ص 88.

<sup>2</sup> - ينظر، د. مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، ص 88.

<sup>3</sup> - هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد قال بن أبي خيثمة أحمد أبو الخليل، أول من سمّي أحمد في الإسلام. رغم شهرة الخليل بالبصري، فإنّه قد ولد في مدينة أخرى، هي مدينة عمان على شاطئ الخليل الفارسي حوالي عام 100هـ، ولكن نشأته بالبصرة غلاماً، وتلقيه العلم بها تلميذاً، ورياسته لمدرستها شيخاً جعلته يشتهر بهذا اللقب، وقد كان الخليل من أولئك العلماء، القلائل الذين انحدروا من أصل عربي صرف إذ ينتسب إلى بطن فروع من قبيلة الأزد. ولم يبرز الخليل في العلوم اللسانية من نحو ولغة وشعر فحسب، بل كان له دراية واسعة بالعلوم الشرعية والعلوم الرياضية، وأكثر من هذا كان بارعاً في الموسيقى والنغم، وإنّ نظرة واحدة إلى الطريقة التي وضع بها علم العروض الذي اتفق الجميع على أنّه هو الذي ابتدعه دون سابق مثال لتدلنا على أنّ الخليل كان ذا عقلية مبتكرة. وبالإضافة إلى براعة الخليل في اللغة والموسيقى نجد أنّه كان أيضاً رياضياً عارفاً بعلم الحساب إلى حدّ يعتبر فيه سابقاً لأوانه، فقد ذكر أنّه وضع محاولة ابتكر فيها وضع نظام حسابي خاص يكون من السهولة بحيث لو عرفته الجارية وذهبت به إلى السوق، فإنّه لا يستطيع أحد أن يغالطها الحساب. وإنّ عقلية فذة كعقلية الخليل لا يستبعد أن يكون صاحبها مبتدعاً لأسس العروض ومبتكراً للتنظيم المعجمي، بل إن أحد المستشرقين من فرط إعجابه بنظريات الخليل صرح بأن نظام العين ليس غريباً أن يكون من عمل الخليل، بل الغريب ألا يكون منسوباً إليه. أمّا مؤلفات الخليل الأخرى، فلم يصلنا منها شيء، وقد وردت أسماؤها متناثرة في كتب الطبقات وقد جمعها دائرة المعارف الإسلامية في ستة كتب هي: النقط والشكل، النغم، العروض، الشواهد الإيقاع، الجمل. توفى بالبصرة سنة خمس سبعين ومائة وعمره أربع وسبعون سنة. ينظر، الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين تحقيق عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2003، ص من 8 إلى 10. وينظر أيضاً ابن النديم: الفهرست، تحقيق أحد أساتذة الجامعة المصرية، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ص 63-64.

الكتاب ثم ما قرب منها، الأرفع فالأرفع، حتّى أتى على آخرها وهو الميم»<sup>1</sup> وقد بنى ذلك على أساس علمي واضح.

ومما يدلّ على مثل هذه الفكرة في ذهنه ما حكاه اللّيث بن المظفرّ عنه قال: "كنت أسير إلى الخليل فقال لي يوماً لو أنّ إنساناً قصد وألف حروف ألف وباء وطاء وثاء على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب، فتهيأ له أصل لا يخرج عنه شيء منه البتة. قال: فقلت له وكيف يكون ذلك؟ قال يؤلفه على الثلاثي والرباعي والخماسي، وأنه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه»<sup>2</sup>

كان الخليل إذا أراد أن يحدّد مرتكز الصّوت أو مخرجه فتح فاه بألف ثم أظهر الحرف نحو أبّ أّح أّع، واستطاع بهذه الطريقة البسيطة أن يحصل على الكثير من التّنتاج العلمية الدقيقة التي انتهى إليها المحدثون بالاستعانة بتطور العلم والآلة، وفي هذا الصّد يقول الدكتور مهدي المخزومي: "ومن الطّريف حقاً أن نرى مصطلحات علم الأصوات الحديث تتفق أكثرها مع المصطلحات التي وضعها الخليل، وهي قريبة منها كلّ القرب، بل كان كثير منها يشير إلى أنّها مصطلحات الخليل ترجمت ترجمة تكاد تكون حرفية فمصطلح المجهور يقابله بالإنكليزية مثلاً مصطلح (voiced) ومصطلح المهموس يقابله مصطلح (Voiceless) أو (Unvoiced) ومصطلح الشّديد يقابله مصطلح (Stop) أو (Plosive) ومصطلح الرّخو يقابله مصطلح (Continuant) أو (Fricative) ومصطلح المكرّر وهو الرّاء يقابله مصطلح (Trilled) أو (Rolled)".<sup>3</sup>

ولم يكن لعلم الأصوات اللّغوية عند الغربيين تاريخ بعيد، وكلّ ما كان لهم من ذلك هو ما سبق إليه اليونان من دراسة للظواهر الصّوتية من ناحية السّماع، ولم يتناولوا دراسة الأصوات من حيث مخرجها، ولا من حيث صفاتها بالصّورة التي تمثّلت على يد الخليل، ما عدا ما وجد عند الهنود الذي تناولوا مخارج الحروف، ولكن ليس هناك ما يشير إلى أنّ الخليل كان متأثراً

<sup>1</sup> - د. أحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر، سوريا، ط2، 2003، ص: 85.

<sup>2</sup> - فهرست ابن النديم، المصدر السابق، ص64-65.

<sup>3</sup> - د. مهدي المخزومي: عبقرى من البصرة، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد- ط2، 1989، ص41.

بعمل من سبقه أو كان واقفا على ما أنجزه الهنود مما يتعلّق بالأصوات اللغوية، مع تفرّده بدراسة الآثار التي تترتّب عن تمازج الحروف وتجاوزها، وللخليل في ذلك دراسة وافية<sup>1</sup>.

لقد رفض الخليل الترتيب الأبجدي الذي اقتبسه العرب عن الفينيقيين وعدد حروفه اثنان وعشرون حرفاً، وأضافوا إليها الروادف التي ينفرد بها العرب عن غيرهم في اللغات السامية الأخرى وهي (ث، خ، ذ، ض، ظ، غ، ع). أمّا سبب رفضه لهذا الترتيب فهو كونه لا يستند إلى مبدأ معيّن، أو منهج محدّد ولأنّه يبدأ بالهمزة؛ وهو حرف لا يستقرّ على قرار وتتلحق الأحرف في الترتيب الأبجدي<sup>2</sup>.

كما رفض الترتيب وفق الأشباه والنظائر الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي (ت.90هـ) تكليف من الحجاج بن يوسف الثقفي، لأنّه مبني أصلاً على الرّسم والكتابة، بينما اللّغة قوامها الأداء والنطق<sup>3</sup>.

خرج الفراهيدي بطريقته الصّوتية التي ترتّب الحروف وفق خروجها من الحلق صعوداً من أدنى إلى أعلى، بدءاً من الحلق وانتهاء بالشفّتين، لأنّ أساس اللّغة في نظره النطق وليس الرّسم، أمّا الفم فهو الأداة التي تكوّن الحروف وتطلق الأصوات<sup>4</sup>.

هكذا قام الخليل بوضع سلّمه اللّغوي بعد دراسته للحروف العربية، فرتبها بشكل آخر يتناسب مع مخارجها الصّوتية وقال بأنّ العين والحاء والهاء والحاء والغين هي حروف حلقية، لأنّها تخرج من الحلق، بعضها أرفع من بعض، ثمّ قال بأنّ القاف والكاف هما حرفان لهويان لأنّهما يخرجان من اللّهاة، أمّا الجيم والشّين والضادّ فهي حروف شجرية لأنّها تخرج من شجر الفم بينما الصّاد والسّين والزاي هي حروف أسلية لأنّها تخرج من أسلة اللسان، والطّاء والنّاء والدّالّ حروف نطعية لأنّها تخرج من نطع الفم الأعلى، والطّاء والدّالّ والنّاء هي حروف لثوية بعضها أرفع من بعض، والرّاء واللامّ والنّون حروف زلقية لأنّ مبدأها زلق اللسان ثمّ الفاء والباء والميم من حيّز واحد، وهي حروف شفوية لأنّها تنطلق من الشّفة. أمّا الحروف الباقية وهي الواو والياء

<sup>1</sup> - ينظر، د. مهدي المخزومي: عبقرية من البصرة، ص 41-42.

<sup>2</sup> - د. عبد اللطيف الصّوفي: اللّغة ومعجمها في المكتبة العربية، دار طلاس للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1986، ص 85-86.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 86.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 86-87.

والألف والهمزة فليس لها حيز تنسب إليه إلا الهواء، وهي بذلك حروف هوائية، إلا أنه جعل الواو والألف والياء قسماً، والهمزة وحدها قسماً آخر.<sup>1</sup>

وبغض النظر عن دقة نسب الحروف (أي الأصوات) إلى مخارجها، فإن الخليل قد قسم الحروف تقسيماً قائماً على وفق مخارجها الصوتية، ثم ترتيبها على هذا الأساس من أقصى الحلق إلى حروف الشفة، فكان ترتيبه كالاتي:<sup>2</sup>

1 - حلقية (ع ح ه خ غ).

2 - لهوية (ق ك).

3 - شجرية (ج ش ض).

4- أسلية (ص س ز).

5 - نطعية (ط د ت).

6 - لثوية (ظ ذ ث).

7 - ذلقية (ر ل ن).

8 - شفوية (ف ب م).

9 - هوائية (و أ ي).

وقد سلك الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في مؤلفاته وبحوثه الترتيب نفسه؛ إذ رأى "أن وصف الخليل وسيبويه النظام الصوتي العربي على شكل مصفوفة<sup>3</sup>، لها مدخلان هما المخارج وصفات الحروف التي ليست مخارج، وفضل التركيب لهذين المدخلين يكمن في أنه يحصر جميع الأحرف المستعملة والمهملة في حالة معينة من تاريخ اللغة، ويظهر ذلك في المصفوفة في وجود خانة فارغة - نشم في ذلك رائحة الخليل - وهكذا يفعل علماء الصوتيات في زماننا"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر، عبد اللطيف الصوفي، المرجع السابق، ص 87-88.

<sup>2</sup> - ينظر، معجم العين: المصدر السابق، ج 1، ص 58.

<sup>3</sup> - المصفوفة (Matrice) : من المصطلحات الرياضية التي استعملها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في مؤلفاته وبحوثه ويعني بها: جدول يتألف من كذا صف وكذا عمود وبه تستقر جميع التراكيب التي يمكن أن تصاغ عليها العناصر المدخلة على الجدول. ينظر: د. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 219.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 2، ص: 67.

وإلى جانب اهتمام الخليل بالجوانب الصوتية، فإن له اهتمامات أخرى لها علاقة بالجوانب النحوية؛ إذ يعدّ عمل من أعلام النحو في القرن الثاني للهجرة، وكان ذلك بطرق باب من أبواب اجتهاده تمثل في التعليل، كون هذا الأخير فتح أبوابا كانت موصدة أشار إليها المتقدمون ممن سبقه؛ ذلك أنّ التعليل كان أول أمره إشارات وإيماءات لظواهر الإعراب دون أن يشار إلى تعليل الأحكام ويفصّل في القواعد، فجاء هذا الأخير ليبتكر ويعلّل وجوه الإعراب تعليلا لا يخرج عن طبيعة اللغة العربية، ليكون أول مؤسس لنظرية العامل التي خضع لها تفسير نظام العربية، أضف إلى ذلك ظهور مصطلح التعليل كمصطلح نحوي وعلمي على يد هذا الفذّ فكان له منهج ووسائل تفرّد بها<sup>1</sup>.

ويتّضح منهج الخليل في التعليل في براعة استنباطه وطريقة استخراجه لهذه العلل ويظهر ذلك جليا عندما سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو أخذها عن العرب أم اخترعها من نفسه فأجاب: "إنّ العرب نطقت على سجيبتها وطباعها فعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها عله، وإن لم ينقل عنها ذلك، واعتلت أنا بما عندي أنّه علّة لما علته منه، فإن أصبت العلّة فهو الذي التمس، وإن لم تكن هناك علّة له فمئلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دار محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام، وقد صحّت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق والبراهين الواضحة والحجج اللائحة فكلمّا وقف هذا الرّجل في الدّار على شيء منها قال: إنّما فعل هذه لعلّة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا لعلّة سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدّار وجائز أن يكون فعله لغير العلّة فإن سنح لغيري علّة لما علته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت به"<sup>2</sup>.

ونستنتج من هذا النصّ مدى اجتهاد الخليل وقدرته على استنباط الأحكام من خلال عملية استقراءٍ لكلام العرب؛ إذ أنّه رصد للعلّة النحوية قيمة موضوعية وسنّ قوانينها، ووضع لكلّ تركيب أو عبارة تفسيراً وتوضيحاً يعلّل ما جاءت عليه.

<sup>1</sup> - سليم فزعوط: جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي في التعليل النحوي، مجلّة التعليميّة، الجزائر، المجلّد 5، العدد 14، ماي 2018، ص515.

<sup>2</sup> - أبو القاسم الرّجّاجي: الإيضاح في علل النحو، تح، د. مازن المبارك، دار النّفّاس، لبنان، ط3، 1979، ص: 65-66.

وبعد الخليل الفراهيدي أول من ألف وضبط كتابا في النقط<sup>1</sup>، وهو أيضا مخترع للشكل ومبتدع العروض أو بحور الشعر العربي، ومبتكر ترتيب حروف الهجاء العربية بحسب مخرجها لجميع الألفاظ العربية المستعمل منها والمهمل، وبكتابه "العين" عرفت "مدرسة العين"؛ ويأتي هذا الكتاب في مقدّمة الآثار التي شرّعت لطوائف شتى من العلماء طرائق الدرس الصوتي الذي كان "المعجم" أول مجال يظهر فيه نظرا وتطبيقيا، وتثار حول كتاب العين للخليل قضايا متعدّدة بعضها ما يزال موضع اختلاف الدّراسين في هذا العصر، وأهم ما يعرض له الدّارسون في هذا الصّدّد البحث في تحقيق نسبة كتاب العين للخليل، ونشأة المعجميّة العربيّة، وأثر العين في المعاجم التي حذت حذوه خاصّة وفي غيرها من معاجم العربيّة عامّة.<sup>2</sup> أراد الخليل أن يدرس اللّغة على أساس علمي استقى طرفيه من الثقافة العقلية واللّغوية؛ فقد فكّر الخليل بطريقة تمكّنه من جمع اللّغة على سبيل الحصر والاستيعاب، وليس على أساس الجمع وتصنيف المسائل بحسب الموضوعات وغيرها، ولم يستطع ترتيب آخر أن ينهض بالمهمّة التي أرادها الخليل لمعجمه "كتاب العين" كالترتيب الأبجدي والترتيب الألفبائي؛ لأنّهما يهدران القيمة الصوتية التي جعلها الخليل مبدأ من مبادئ عمله، فقد وعى أسس التصريف - إن لم يكن ابتكر معظمها - والأبنيّة، وعرف خصائص ائتلاف الأصوات ونسجها، ووقف من خلال روايته الواسعة على المهمل والمستعمل ممّا يتركّب من الكلام العربي، وحدّد عن طريق العلوم الرّياضية ما تقدّمه النّقاليب من صور محتملة أحصاها إحصاء دقيقا، يقول الخليل: "كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الثنائي والثلاثي والرّباعي والخماسي؛ فالثنائي على حرفين نحو: قد، لم... ونحوه من الأدوات... والثلاثي من الأفعال نحو قولك: ضرب، خرج دخل، مبني على ثلاثة أحرف، ومن الأسماء نحو: عمر، جمل.... والرّباعي من الأفعال نحو: دحرج، هملج... ومن الأسماء نحو: عبقر، عقرب... والخماسي من الأفعال نحو: اقشعر... ومن الأسماء نحو: سفرجل، همرجل... وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ولكنّ هذا الكتاب لم يصل إلينا. ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللّسان، ص 21.

<sup>2</sup> - ينظر، أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص: 14.

<sup>3</sup> - الخليل بن أحمد: معجم العين، ج 1، ص 48-49.

هذا السبق في وضع المصطلحات العلميّة، ووصف الحروف وصفا دقيقا وتحديد مخارجها وغيرها من النظرات العلمية، جعلت الدكتور الحاج صالح يعجب بفكر الخليل وبآراء من سار على مناهجه من القدماء، وقد ظهر هذا الإعجاب في عدّة صور مثّلت منطلقات فكرية لسانية بالنسبة له.

## ب- المنطلقات اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح:

### 1- مفهوم الأصالة:

شغلت قضية الأصالة والتقليد الفكر العربي إلى درجة أنها أبعدت الباحثين في مرّات كثيرة عن روح البحث العلمي، واتّجهت بأعمالهم إلى هامش العلم، بدل أن يهتموا بلب القضايا العلمية التي بادروا إلى مناقشتها، فأخذوا يبحثون عن روافد العلوم بدل النظر في أصولها والانتفاع بها وخدمتها بتقديم كل مستجد فيها، ولعل أكثر مجالات الفكر تأثرا بهذه المناقشة وهذا الصّراع، مجال البحث في اللّغة، خاصّة عندما يتعلّق الأمر بالنظر في التّراث اللغوي العربي؛ إذ نجد "عبد السّلام المسدي" يشير إلى ذلك في كتابه الأسلوبية والأسلوب بقوله: "الحدائث والمعاصرة توأمان يتجاذبان الفكر العلماني الحديث حتّى لكأنّ عصر البدائل عصرنا لا أنّ المنحى التّطوري قد عدّمته حضارة السّالفين، إنّما تفاوت ما بين تسارع الحركة الماضية وتسارع المفارقات الحركية اليوم، ولئن تمثّل الفكر الغربي هذين التّوأمين منذ أحقاب حتّى صهرا في بوتقة تاريخية فإنّ المنظور العربي لا يزال يتصارع وإياهما، لذلك ولغيره كانت القضية أشدّ ملابسة بالعرب في تحسّسهم سبل المناهج المستحدثة وأبعد تعلّقا بمشاغل اتّصالهم غيرهم أو انفصالهم عنه".<sup>1</sup>

جاء في لسان العرب عن الأصل والأصيل مايلي: "الأصل: أسفل كل شيء وجمعه أصول... وقال الزّجاج: أصل جمع أصل، فهو على هذا جمع الجميع، ويجوز أن يكون أصل

<sup>1</sup> - عبد السّلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط3، 1982، ص 17 .

واحد كطُنب... ويقال: إنَّ النَّخل بأرضنا لأصيل أي هو به لا يزال ولا يفنى، ورجل أصيل له أصل، ورأي أصيل: له أصل ورجل أصيل ثابت الرأى عاقل. وقد أصل أصالة، مثل ضخم ضخامة، وفلان أصيل الرأى وقد أصل رأيه أصالة، وإته لأصيل الرأى والعقل، ومجدُّ أصيل أي ذو أصالة.<sup>1</sup>

وقد جاءت محاولة تحديد مفهوم دقيق لمصطلح الأصالة عند الحاج صالح إجابة عن تساؤل مهمّ وجوهري، عرفته ساحة البحث اللغوي العربي الحديث، وفحوى هذا التساؤل ما شأن العلوم اللغوية في الآونة الأخيرة؟ وهل تأثيرها على المتقنين العرب يعتبر مسا بالاصالة؟ ونجده يخالف الاعتقاد الشائع عند الباحثين أنّ الأصالة هي في مقابل الحداثة أو المعاصرة، إذ إنّها "تقابل في الحقيقة التقليد أيّا كان المقلد المحتذى به سواء أكان العلماء العرب القدامى أم العلماء الغربيين؛ إذ الأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره، فكأنّ هؤلاء المتقنين بجعلهم الأصالة في مقابل المعاصرة لا يتصوّرون هذه الأصالة إلا بالرجوع إلى القديم؛ فالأصيل في الواقع هو المبدع الذي يأتي بشيء جديد لم يسبق إليه مهما كان الزمان الذي يعيش فيه، والأصالة في زماننا هذا وعلى هذا الأساس هي الامتناع من تقليد الغربيين خاصة."<sup>2</sup> كما يشير إلى أنّ الأصالة "تكمّن في عدم الإطمئنان مقدّمًا وقبل النظر إلى كلّ ما يصدر من الغير حتّى يقوم الدليل الذي يحمل الإنسان بل يجبره على تقبل أقوال غيره."<sup>3</sup>

وبهذا يكون التقليد منبوذا مهما كان مصدره؛ فالبحث اللغوي الأصيل هو الذي يسعى إلى الإبداع والابتكار وعدم أخذ آراء الآخرين مأخذ القداسة، وعدم تقبل مناقشتها، مع أنّه في الآن ذاته يقرّ أنّه لا يمكن بأي حال أن يتحقّق الابتكار الكلي دون حاجة إلى ما تحقق سابقا؛ فإنّه يستحيل أن يعيش الإنسان بالاعتماد على ما يصنعه هو وحده أو يرقى به العلم بدون أن

<sup>1</sup> جمال الدين ان منظور: لسان العرب، ج11، دار صادر، لبنان، ص:16.

<sup>2</sup> عبد الرحمن الحاج صالح، الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، ضمن كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص:11.

<sup>3</sup> عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص:12.

يراعي ما ابتكره الآخرون، والعلم بهذا الاعتبار هو أحوج الأشياء إلى التفاعل والتداخل والأخذ بما يأتي به الآخرون.<sup>1</sup>

وقد تتبّع عبد الرحمن الحاج صالح الأسس التي يبني عليها أي بحث إبداعي، فعلى الباحث اتباع قوانين تجعل عمله أصيلاً لا تقليد فيه ولا مغالطات فكرية، مما يجعله يحكم على القديم بالرداءة لقدمه، ويحكم على الجديد بالجودة فقط لجدته، ومن هذه الأسس:

1- لا بدّ من التأكّد الصّارم من صحة الخبر أو الرواية قبل أن نبني عليه نظرية كاملة، فقد يتساهل المنظرّ فيبني جميع أقواله على خبر ورد في كتاب أدب أو كتاب من كتب الطبقات كفكرة بناء النحو العربي من أوله أو ابتداءً من الخليل على المنطق اليوناني، وقد يستشهد على ذلك بقول "الفقّطيّ" إنّ "الخليل" كان يلتقي مع "حنين بن إسحاق" ناسياً أن الخليل توفي قبل ولادة حنين بعشر سنوات، أو الاستشهاد بكتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني ("على إثر المستشرقين)، على الرّغم من أنه (أي الأصفهاني) ليس ممن يوثق به لمجونه واستهتاره وكذلك الأمر بالنسبة للكثير ممّا يرويه مؤلّفو كتب الطبقات المتأخّرين الذين جمعوا الغث والسّمين وأدخلوا في كتبهم كلّ ما سمعوه أو قرأوه دون تمحيص، وشتان ما بين هؤلاء المؤلّفين وبين علماء الحديث الأوّلين ولا ندري لماذا يعتقد البعض أنّه قد يجوز في الأمور العلمية من التسامح ما لا يجوز في الأمور الدّينية أو ليس الحرج والكذب واحداً<sup>2</sup>.

وبهذا نجد الحاج صالح دائماً يؤكّد على صحة المعلومة أو المصدر، وذلك بالاعتماد على الكتب العلمية لا شبه العلمية ككتاب الأغاني الذي لا يعدّ ثقة لمجونه واستهتاره، وبعض الكتب التي نقل أصحابها كلّ ما سمعوه أو قرأوه دون تدقيق أو تمحيص.

4- الباحث الأصيل هو الذي إذا طرق موضوعاً قصد منابعه الأصيلية، وأمّعن النظر في مظانّه الأولى؛ أي فيما تركه المعني بهذا الموضوع نفسه، لا فيما رواه عنه غيره بعد مضي خمسة قرون (الشمولية) وهذا راجع إلى امتناع الباحث عن ذكر القول من صاحبه مباشرة، أو الإشارة

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص12.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص:15-16.

إلى مصدر القول بالدقة المتناهية، ولا يذكر أبداً هذا القول مروياً على لسان غيره إذا وجده في الآثار العلمية؛ والأخطر من ذلك أن يستخرج منها ما يؤيد نظريته، ويسكت عما يدحضها ويفتدّها؛ نحو اعتماد بعض الباحثين على كتاب "الإنصاف" لابن الأنباري للخوض في موضوع الخلاف بين البصريين والكوفيين وتركهم لأهم ما وصلنا من كتب النحاة المعنيين بالأمر أنفسهم، وعدم إجراء مقارنة دقيقة لهذه الكتب نفسها؛ وذلك كالمقارنة بين ما يقوله "الأخفش الأوسط" في كتابه "معاني القرآن"، هذا وما بالك بمن يحكم على آراء إمام النحاة "سيبويه" من خلال ما قيل عنه وما رواه مؤلفو الطبقات، وهذا خطير جداً أن يترك "الكتاب" ويعتمد الأساطير والخرافات التي حكاها الناس بل المجهولون منهم حول هذا الرجل.<sup>1</sup>

لقد أوضح الحاج صالح أنّ الكثير من البحوث تتصف بعدم الشمولية فيما يخصّ المراجع؛ إذ يكتفي الباحث بالعدد القليل منها، ويبني بذلك نظرية كاملة، والأخطر من هذا وهو أن يستخرج منها ما يؤيد هذه النظرية ويسكت عما يكذبها ويدحضها.

5- ويرتبط هذا بما يجب على الباحث أن يتمسك به دائماً هو الامتناع من ذكر القول من صاحبه مباشرة، والإشارة إلى مصدر القول بالدقة المتناهية، ولا يذكر أبداً هذا القول مروياً على لسان غيره إذا وجد هذا القول في الآثار العلمية التي وصلتنا من صاحبه عن طريق ابن الأنباري أو كلام الأخفش في كتاب القوافي عن طريق السيوطي أو غيره.<sup>2</sup>

6- يجب أن يتجرد الباحث من كل فكرة أو نظرة مسبقة عندما يحاول أن يفهم مقصود القدامى في نصّ من نصوصهم، وخصوصاً أولئك الذين بعد عهدهم عنّا، وحال دون فهمهم عصور الانحطاط الحالكة الطويلة التي أغلق فيها باب الاجتهاد، وجمدت فيها الأفكار، بل زاغت عما كانت عليه وصارت أفكاراً وتصوّرات غير تلك التي ابتدعتها علماؤنا الأولون؛ ونجد من أولئك من يكون الباحث ممن تأثر بأقوال بعض المستشرقين غير المنصفين، فيقرأ النص من نصوصهم وعلى عينيه نظارات أولئك المستشرقين، فلا يرى في سيبويه إلا الرجل الفارسي الذي تأثر بمنطق اليونان الذي كان يدرّس في جنديسابور، وينكر أن يكون أبو الأسود وأتباعه ممّن

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 16- 17.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ج1، ص17.

ساهم في وضع النحو مع اعترافه واعتراف غيره أنهم أول من نقط المصحف وهذا تناقض صارخ: فكيف يمكن أن يوضع النقط الذي يميّز بين الرفع والنصب والجرّ وبالتالي بين الفاعل والمفعول والمضاف إليه دون أي وعي وأي شعور ولو بسيط بهذه المفاهيم النحوية؟<sup>1</sup> ولذلك ينبغي للباحث التّزيه كي يفهم مقاصد النّحاة الأوّلين وأغراضهم، أن ينتهج النهج

العلمي الصّحيح في تحليل النّصوص، وينحصر ذلك عند الحاج صالح في شيئين اثنين:

أولاً: المسح الكامل الشّامل للنص المراد تحليله، أي استقراؤه عبارة عبارة واستخراج جميع العبارات التي تتضمّن اللفظة المراد تحليلها أي لجميع سياقاتها، وإيضاح معانيها أو معناها الذي قصده المؤلف، وهذا يقتضي عقلياً ألاّ يلجأ إلى غير هذا النّص، إلاّ بعد أن يستخرج هذه المعاني والمقاصد للاستئناس والتأكيد لما توصل إليه المحلّل؛ فالطريقة منطقيّة لا تسامح فيها ولا تساهل.<sup>2</sup>

ثانياً: الاكتفاء بهذا النّص في التّحليل هو وحده إذا كان طوله يسمح بذلك؛ فتحليل النّصوص لا يبنى على البحث عن معاني الكلمات في المعاجم، بل على البحث عمّا قصده بالضبط منها أصحاب هذه النّصوص بالرجوع إلى ما قالوه هم أنفسهم لا ما قاله غيرهم؛ "وذلك لأنّ المعاجم لا يسعها أن تدلي بكلّ ما يمكن أن تدلّ عليه المفردات، لأنّ من وراء المعاني الوضعية المقاصد الخاصّة ولا سيّما المعاني الخاصّة بعلم من العلوم أو بنظرية من النظريات".<sup>3</sup>

بهذه الطريقة التحليلية، استطاع الحاج صالح تقييد البحث العلمي الخلاق والمبدع، واكتشاف مقاصد النّحاة الأوّلين وبالتالي الوصول إلى النّظرية العلمية التي بنى عليها النحو العربي الأصيل كلّه، وقد كان اتّجاهه إلى الإصرار على أن يكون البحث اللّغوي أصيلاً، وعدم التّقليد من الغرب أو حتى من بعض العرب القدامى دون تمحيص، إيماناً منه أنّه إذا تمّ للباحث ذلك استطاع هو نفسه أن يكون موضوعياً في الحكم على الدّراسات العربية القديمة، ولا ينساق وراء بعض الادّعاءات التي مستّ النحو العربي خاصة، والتي جعلت بعض الباحثين العرب

<sup>1</sup>- ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السّابق، ص 17.

<sup>2</sup>- ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص 18-19.

<sup>3</sup>- عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص: 19.

المحدثين يحدون عن الغرض الأساسي لدراسة اللغة العربية؛ وفي هذا الصدد يقول: "اهتمامنا بالعلماء الأولين لا يعني أننا نسلّم لهم كلّ ما قالوه، والدليل على ذلك أننا وضعنا أوصافهم لمخارج الحروف وصفاتها، وكلّ ما جاء في كتبهم من التعليلات تحت محكّ الاختبار الآلي في مخبر الصوتيات الإلكتروني، فجاءت هذه الأوصاف في الغالب موافقة للصواب... إننا وجدنا فيما يجريه مهندسوننا في معهدنا وغيرهم في المعاهد العلمية من البحوث في الإشارة الصوتية ما يثبت الكثير من المفاهيم العربية الأصيلة من تلك التي لا يوجد لها مقابل في الحضارات الأخرى كالحركة والسكون وحرف المدّ.<sup>1</sup>"

وفي هذا الجانب نجد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) يقول: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياء ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلا الجوف<sup>2</sup>".

لقد بذل عبد الرحمن الحاج صالح جهداً كبيراً من أجل الحفاظ على اللغة العربية وإثرائها وجعلها وافية بمستحدثات العلم الحديث<sup>3</sup>، قادرة على الدوام على أداء رسالتها، فكان يصرّ على المعرفة بالنماذج الفذة التي تكسب المتن اللغوي الصّحيح، لا العربية التي يغلب عليها السجع وانتقاء الألفاظ، فلا يلزم امتلاك معرفة مستفيضة بالتفصيلات المعقّدة للنحو العربي، لأنّه لا ينظر إلى النحو على أنّه الإعراب، بل الأساس هو في التمسك بآليات الإعراب الذي يجلي

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص 19-20.

<sup>2</sup> - الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ج1، ص 57.

<sup>3</sup> - وفي هذا الجانب نجد الأستاذ صالح بلعيد يقول عنه: "للأستاذ غرام خاصّ باللسانيات وفقه اللغة، فهو من دعاة القراءة الواعية للتراث والدراسة العميقة له بمفاهيم أنية. ففي هذه النقطة لا يهدم مسلمات سابقة، بل بينها على وعي جديد... وهكذا يرى أن اللغة العربية يجب أن تقرأ من خلال اللسانيات الحديثة، هذا العلم الذي حفل به كثيراً، وكتب فيه مواضيع شتى، وقارن بين الدراسات اللغوية العربية القديمة، وبين ما أنتجه علم اللسان الحديث، ليرى أن هذا العلم أوسع مجالاً وأكثرها نفوذاً ونجوعاً، لا بالنسبة إلى ما كان عليه فيما مضى فقط، بل بالنسبة أيضاً إلى ما استفادت العلوم الإنسانية الأخرى من تجديد عميق بتطبيقها لمناهجه الخاصة على مواضيع أبحاثها، ومن خلال ذلك أعاد النظر في كلّ المعلومات والمناهج التي تركها السلف؛ باعتبار أنّ اللسانيات ثورة على تلك المفاهيم التي لا تحيد عن النمط القديم لدرجة القداسة". صالح بلعيد: مقاربات منهجية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 148-149.

المعاني، وبهذا غرس الاتجاه العقلي في اللغة بعد تنقيح النقل، وظلّ قواما على العمل الأكاديمي في أعماله التي ربطت بين الدراسات العربية القديمة والحديثة، مع الدراسات الغربية.<sup>1</sup>

ويلتزم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الموضوعية في طرح مواضيعه التراثية؛ فهو يبدي من خلال أعماله الانحياز للتراث ممثلاً في آراء القدماء، ولا المبالغة في الإشادة بهم وبأعمالهم، ولا محاولة تخطيهم أو مخالفتهم، كما لم يصغر من جهود المحدثين بحجة أسبقية آراء القدامى عليهم، إنّه عمل منظّم موضوعي اعتمد فيه أسلوباً توافقياً يسعى من خلاله الباحث إلى استخلاص الآراء اللغوية المتطورة في التراث العربي مع عقد مقارنة بينه وبين الحداثة، إذ يقول في هذا الصدد: "المقصود من هذا ليس هو أن نأخذ ما يقوله المحدثون من علماء اللسانيات وتتنطق منه كأصول ثمّ ننظر ما الذي يوافق ذلك فيما جاء به العلماء القدامى من أقوال فتحكم على بعضها بالصحة لموافقتها لها وبعضها بالخطأ (بل بالبدائية) لمخالفتها فهذا تعسف محض؛ لأنّ النظريات والمذاهب ليست هي الحقائق العلمية التي يجتمع على صحتها كل العلماء. ومن جهة أخرى فهناك أصول علمية مجمع عليها في زماننا بين جميع العلوم لا في علوم اللسان فقط فهي التي يجب أن تكون كالمحك في اختبار الصفة العلمية لأي فكرة ولأي مذهب ولأي منهج لعمومها وانطباعها على جميع المعارف ولعدم الخلاف فيها... كما أنّ المقصود ليس هو إسقاط هذه المذاهب والنظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة... وكلّ يعرف أنّ لكلّ عصر نظرة خاصّة وتصوّراً خاصاً للظواهر وكيفية خاصّة للكشف عن أسرارها، والمتطورّ العربي يتميّز بلا شك في هذه العلوم اللسانية عن المنظور العربي الحديث، ثمّ لا بدّ أن نعرف أنّ الكثير ممّا هو موجود عند الغربيين ورثوه عن الحضارة اليونانية<sup>2</sup>.

وفي هذا القول دليل قاطع على موضوعية الحاج صالح والتزامه بهدفه؛ وهو ربط الفكر اللغوي العربي بالفكر اللساني الحديث، ويتمثّل انتظام العمل التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من انتظام الأفكار التراثية واللسانية المعروضة ضمن النظرية الخيلية الحديثة

<sup>1</sup> - صالح بلعيد : مقاربات منهجية، ص148.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص8.

فهو ينطلق - في أغلب الأحيان - من القديم، ثم يعود إلى الحديث، مؤسساً بذلك موازنات تنظم فيها آراء القدماء من ناحية كما تنتظم آراء المحدثين من الناحية الأخرى.

## 2- تبني بعض مصطلحات القدامى:

تبنى الحاج صالح بعض مصطلحات القدامى كمصطلح (علم اللسان) الذي فضّله على المصطلحات التي ظهرت عند العرب في العصر الحديث، فهم حين اتّصلوا بالدراسات اللغوية الغربية أطلقوا عليها أول الأمر "فقه اللغة" لما تبادر إلى أذهانهم من المناسبة بين المدلول لكلمة «فقه» (العلم بالشيء والتعمق في فهمه) وبين ما هو مطلوب في linguistics؛ إذ هو بحث في أسرار اللسان ثم أطلقوا عليها طائفة من «الأسماء مثل علم اللغة، الألسنية، اللسانيات اللسانية اللغويات الحديثة، الدراسات اللغوية».<sup>1</sup>

ولكنه فضّل كلمة "اللسان" على لفظة "اللغة"؛ "لأن لفظة اللغة كانت تطلق عند النحاة واللغويين على عدّة معان زيادة على ما يفهم من تحديد ابن جنّي لها و هو اللسان بوجه عام."<sup>2</sup> يُعرّف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اللسان بأنه "نظام من الأدلة المتواضع عليها فاللسان على هذا الاعتبار ليس مجموعة من الألفاظ يعثر عليها المتكلم في القواميس أو يلتقطها بسمعه من الخطابات، ثم يسجلها في حافظته كما أنه ليس مجموعة من التّحديدات الفلسفية للاسم والفعل والحرف أو القواعد المسهبة الكثيرة الشواذ، بل هو نظام من الوحدات يتّصل بعضها ببعض على شكل عجيب وتتقابل فيها بناها في المستوى الواحد التّقابل الذي لولاه لما كانت هناك دلالة"<sup>3</sup>.

ولأنّ "المفهوم العام الذي عرف للفظ اللغة ما عرف في الحقيقة إلا بعد نهاية القرن الثاني الهجري، وأن الأصل في الدلالة عليه هو ما استعمله القرآن الكريم ( لا توجد فيه كلمة أخرى

<sup>1</sup> - د. تمام حسان : الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص 242.

<sup>2</sup> - أ. د منصورى ميلود: الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة العلوم الإنسانية - جامعة محمد خيضر بسكرة العدد الثامن، سبتمبر 2005، ص 248.

<sup>3</sup> - د. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 158.

لهذا المدلول غير اللسان)<sup>1</sup>. "قال الله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم"<sup>2</sup>. وقال تعالى: "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين"<sup>3</sup>.

وفضّل مصطلح (علم اللسان) على غيره لأنّ النّحاة وغيرهم من العلماء العرب يطلقون غالباً على مفهوم الدّراسة العلمية لظاهرة اللّسان بصفة عامّة لفظ "علم اللّسان"؛ ومن ذلك نجد أبا نصر الفارابي يقول في كتاب "إحصاء العلوم": "علم اللّسان في الجملة ضربان أحدهما حفظ الألفاظ الدّالة عند أمّة ما، وعلم ما يدل عليه شيء منها والثاني علم قوانين تلك الألفاظ"<sup>4</sup>.

ويبرّر صلاحية هذا المصطلح بقوله: "وهناك شيء آخر أيضاً يثبت اعتقادنا بصلاحية هذا اللفظ للدلالة على علم اللّسان الحديث، وذلك هو ترجمة اللاتينية لكتاب إحصاء العلوم التي قام بها Girardo Cremonensi في القرن الثاني عشر الميلادي، فقد جاءت فيها هذه العبارة Scientia lingue مقابلة للفظ علم اللسان، وقد عرفنا أنّ هذه العبارة هي التي يحدّد بها الآن مضمون الـ linguistics في جميع الكتب التي تعالج هذه المادة وهي the of language science وما يمثّلها في اللّغات الأوروبية الأخرى، ثمّ إنّ هذه التّسمية بهذا المفهوم الذي وجده الأوروبيون في كتاب الفارابي لم يسبق مجيئها فيما قبل ذلك التّاريخ في نص يوناني أو لاتيني أو أي نص آخر، وبما أنّ هذه الموضوعات العامّة التي ذكرها الفارابي كأقسام هامّة لعلم اللّسان هي التي سيعالجها الـ linguistics في عصرنا الحاضر فلا نظن أنّه يوجد لفظ أصلح لتأدية المفهوم الحديث من هذا الذي انطلق منه أصحاب الـ linguistics أنفسهم"<sup>5</sup>.

وفي تبريره هذا إثبات لسبق العلماء العرب في وضع مصطلح علم اللّسان وفي تحديد موضوعاته وأقسامه.

ويصرّح أنّ تحديد مفهوم علم اللّسان - الدّراسة العلمية للسان - من قبل الباحثين العرب أصبح أشبه بالحشو أو اللغو الذي لا فائدة منه، وهذا ما دفعه إلى إعادة النظر في مفهومه

<sup>1</sup>- د. عبد الرحمن الحاج صالح: مجلة اللسانيات: المجلد الأول، الجزائر 1971، ص 51.

<sup>2</sup>- سورة إبراهيم: الآية 4 .

<sup>3</sup>- سورة النحل: الآية 103 .

<sup>4</sup>- د. عبد الرحمن الحاج صالح: مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، الجزائر 1971، ص 52.

<sup>5</sup>- مجلة اللسانيات المجلد الثاني: المصدر السابق، ص 55.

وتوضيح أغراضه، فرأى أن الأمر يستدعي الالتفات إلى عنصري التحديد وهما؛ العلم واللسان الذي هو موضوعه، "فالسانيات يتعيّن في حقّها أن تعرّف الظاهرة اللغوية أكثر ممّا يتوجّب عليها أن تعرّف نفسها."<sup>1</sup>

خلص عبد الرحمن الحاج صالح إلى تخصيص تسمية علم اللسان فقال "السانيات" كما نقول الرياضيات أو البصريات<sup>2</sup>، "وأن تخصّص كلمة (لغة) إذا أضيفت إلى العلم للدلالة على دراسة أوضاع المفردات، أمّا إذا أفردت عن العلم فلا بأس باستعمالها مع كلمة لسان للدلالة على المفهوم العام... وهذا ينبغي الآن أن نحدّد مفهوم اللسان حسب ما عرفه العلم الحديث وحسب ما هو عليه عند علماء اللسانيات، أي باعتباره موضوعاً من مواضيع البحث العلمي ونتجنب في نفس الوقت كل التّصورات غير العلمية التي ترجع إلى ماهية اللّغة ومختلف مظاهرها."<sup>3</sup>

وقد نفى عن اللسانيات اهتمامها بالمجاز؛ إذ استعملت كلمة "لغة" في كثير من التعبيرات المجازية مثل قولهم "لغة الزهور" للدلالة على لونها ووضعيتها، فهذه المعاني المجازية ليست داخلة فيما يصدق عليه موضوع اللسانيات، بل إنّ هذا العلم يلقي بالاهتمام على الحقيقة، لأن في المجاز انتقاض للتحديد العلمي، وكذلك من الأمور التي لا يعزيها إلى علم اللسان - كعلم قائم بذاته - الظواهر المشاركة للأحداث اللسانية كموضوع فرعي لها، كالظواهر التي تنتمي إلى علم النفس أو علم الاجتماع، فكل من منهما له نظرة خاصة اتجاه اللسان غير نظرة اللسانيات التي تعتبره الموضوع الرئيسي لها، وبالتالي يقول الأستاذ إنّ الدّراسة اللسانية ستخرج عن مبدئها العام الذي قال به "دي سوسير" وهي دراسة اللسان من اللسان وإليه<sup>4</sup>.

لقد اهتمّ الحاج صالح في مجال علم اللسان بالتحليل والنقد لأهم مفاهيمه ومناهجه ونشأته وأطواره، ثم تعرّض إلى عصر الدّراسات المقارنة والتاريخية، ثم أشار إلى مدلول علم اللسان الحديث. وهكذا جال في الظواهر اللسانية مستخلصاً<sup>5</sup>:

<sup>1</sup> - عبد السلام المسديّ : اللسانيات وأسسها المعرفية، ص24 .

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص38.

<sup>3</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص38.

<sup>4</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص 39-40.

<sup>5</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 47 ، 87 ، 89 ، 109 ، 111 ، 172.

- اللسان قبل كل شيء أداة تبليغ.
  - اللسان ظاهرة اجتماعية.
  - لكل لسان خصائص من حيث المادة والصورة.
  - اللسان في حد ذاته نظام من الأدلة.
  - للسان منطقته الخاص به.
  - اللسان وضع واستعمال ثم لفظ ومعنى في كل من الوضع والاستعمال.
  - للبنى اللغوية مستوى من التحليل غير مستوى الوضع، وغير مستوى الاستعمال.
- أما المجال الرئيس للسانيات، فيعتمد في إثباته على تعريف "أندري مارتيني" للسان<sup>1</sup>، إذ يعرفه هذا الأخير أنه؛ "أداة تبليغ يحصل على مقياسها تحليل ما يخبره (من الخبرة أي ما يعلمه بالتجربة سواء أكانت حسية أم ذهنية) الإنسان على خلاف بين جماعة وأخرى (من ذوي الألسنة الأخرى)، وينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على معنى (Monèmes) ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة: هي العناصر الصوتية (أو الوظيفة) (Phonèmes)<sup>2</sup>، ويكون عددها محصورا في كل لسان، وتختلف هي أيضا من حيث ماهيتها والنسب القائمة بينهما باختلاف الألسنة"<sup>3</sup>.
- لم يدرج عبد الرحمن الحاج صالح هذا التحديد العلمي للسان اعتبارا، بل أدرجه لدقته في جمع المحتويات والصفات اللازمة لمفهوم اللسان التي لا تفارقه، ويشرح هذه الصفات كالاتي:

<sup>1</sup>- « Une langue est un instrument de communication selon lequel l'expérience humaine s'analyse, différemment dans chaque communauté, en unités douées d'un contenu sémantique et d'une expression phonique, les monèmes; cette expression s'articule phonique à son tour en unités distinctives et successive, les phonème, en nombre déterminé dans chaque langue, dans la nature et les rapports mutuelles différent eux aussi d'une langue à une autre.» Andret Martinet : Elément de l'inguistique générale, imprimerie moderne de l'est, Paris, 1980, p20-21.

<sup>2</sup>- يناسب الـ Phonèmes "حرف المبني" عند العرب وهو يقابل "حرف المعنى" بمفهومه العام القديم أي العنصر الدال على معنى. وقد تطوّر هذا المفهوم فصار يدل بعد سيبويه على ما يقابل الاسم والفعل.

<sup>3</sup>- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص41.

- أن اللسان أداة تبليغ؛ ويحوي عنصرين: الأول وهو الوظيفة (fonction)<sup>1</sup> التي توحى به كلمة أداة وتعني الجهاز الخاص لتحقيق مهمة التبليغ، والثاني التّخاطب الذي توحىه كلمة تبليغ، ويقتضي التّخاطب بدوره شيئين: الأول جهاز تحقيق التبليغ وهو ليس خاصاً باللّغة والثاني هو المواضع والاصطلاح الخاصان بالنّظم الاجتماعية الخاصّة<sup>2</sup>.

- تحليل اللّغة للواقع؛ وهذا عمل آخر موازي للتبليغ" فالإنسان يحلّل من خلال استعماله للغة الواقع الذي يعيش فيه"، ويؤكد هنا الحاج صالح أن هذا التحليل يختلف من لغة لأخرى، لأن لكل منها تحليلها الخاص للمعاني، أو في الحقيقة لكل لغة نظرة خاصة لأصحابها، وفي هذا الصّدّد يقول: "وكما أنّ اللّغات تختلف بعضها بعضها عن بعض في ماهية أصواتها ونظام أبنيتها، فكذلك يختلف تحليل المعاني فيها، وهذه هي أكبر حجة يستمدّها اللسانيون من مشاهداتهم ليردّوا على من ادّعى أنّ اللّغة إنّما هي نسخة- من حيث معانيها- للواقع، تطابقه مطابقة تامّة، والحقّ أنّ لكلّ لغة نظرة خاصّة إلى الواقع (نظرة خاصّة لأصحابها في الحقيقة) ويستلزم هذا أيضاً عدم مطابقتها للظواهر الفكرية."<sup>3</sup>

-خاصية التقطيع المزدوج للغة؛ ويأتي على مستويين: الأول وهو التقطيع الأوّلي، (Première articulation) الذي يخص مدارج الكلام، وينتج عنه تحديد العناصر الدالة على المعاني الإفرادية، وهي الكلم<sup>4</sup>

أمّا المستوى الثاني من التقطيع وهو التقطيع الثّانوي؛ فيخصّ الوحدات الدّالة نفسها، ويفضي إلى عناصر صوتية مجردة من المعنى أي غير دالة، ويطلق عليها مارتييني (Phonème) أي الكلمة أي حرف المعنى كما يسمّيها سيوييه، وهي أصغر ما يمكن

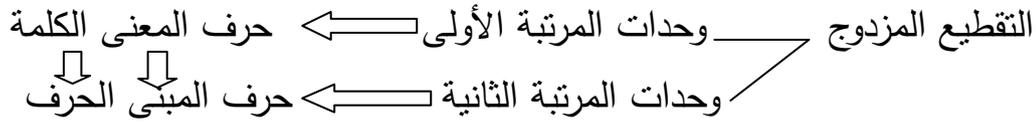
<sup>1</sup>- يشير عبد الرّحمن الحاج صالح إلى أنّه يجب التّمييز بين المعاني التي تدل عليها هذه الكلمة، فإننا رأينا أنّها تدل على تحقيق وتأدية اللّغة أو الصوت. وهذا يناسبه ما يسمّى عند اللسانيين بـ réalisation أمّا ههنا فهو قريب من هذا لأنّ الأداء هو القضاء والإنجاز فهو القيام بعمل أو وظيفة أو هو الوظيفة نفسها، ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص42.

<sup>2</sup>- ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص41-42.

<sup>3</sup>- عبد الرّحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص43.

<sup>4</sup>- يقول الحاج صالح: "استعمل العرب هذه التّسمية (التقطيع الأوّلي) وخصوصاً الأصوليين- وهي تؤدّي نفس المفاهيم، وقد سبق وأن قلنا إنّ العناصر الدّالة هي الكلم لأنّ "الكلمة" عند سيوييه وعند بعض من تابعه في ذلك الرضى الاسترابادي هي أقل ما ينطق به ممّا يدل على معنى وتدخل في مفهومها إذا الحركات الإعرابية". عبد الرّحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان ص44.

أن يصل إليه التحليل ممّا لا يدلّ على معنى.<sup>1</sup> فيما يسمّيها عبد الرّحمن الحاج صالح حروف المباني، ويمكن تمثيل ذلك بما يلي:<sup>2</sup>



ويختلف عدد الحروف في كل لغة فهو محصور بين خمس عشرة و خمس وخمسين حرفا وتختلف باختلاف اللّغات، بينما الكلمات فعددها غير متناهٍ ولا يمكن حصره، وهي عبارة عن تركيب معيّن لعدد معيّن من الحروف، فنقول مثلا إنّ كلمة "فرس" تتكوّن من خمسة أحرف هي الفاء ثمّ الفتحة، فالرّاء وفتحته، وأخيرا السين.<sup>3</sup>

وتتماسك هذه الأفكار جميعا لتخدم الفكرة العامة التي يطرحها المؤلّف ويسعى لتأكيدھا، دون خلط للرّاء، أو إسقاط تام للحديث على القديم- كما ذكر- ويتجسّد ذلك بوضوح من خلال اعتماده المصطلحات التّراثية للتعبير عن مفاهيم القدماء، فضلا عن اعتماده المصطلحات الحديثة للتعبير عن مفاهيم المحدثين، وإن كان مفهوم القدماء، فضلا عن اعتماده مصطلح (قسمة التراكيب) مقابل التوزيعية في المدرسة الاستغراقية، هذا وتوجد أمثلة أخرى مثل مفهوم (اللفظة) التي لا يوجد في اللّسانيات الغربية واقترح- المؤلّف - ترجمتها بـ(Lexai)، والعامل والاستقامة... وغيرها. إنّها مصطلحات أصلية تعبّر بدقة وصرامة ووضوح على مفاهيم لسانية خليلية أصيلة وتحيط بها إحاطة جامعة مانعة، فضلا عن وعيه بالمصطلح الغربي الحديث والعمل على توطيئه في اللّسانيات العربية بما يتلائم مع السياقات المعرفية التي نشأ فيه المصطلح، مثل مصطلح الإيزومورفيزم Isomorphisim وقصد به (التكافؤ بين العمليات) أو (التكافؤ في القياس).

ومن تبيّنه لمصطلحاتهم أيضا أنّه اختار مصطلح (البنوية) المنسوب إلى (البنية) وفضله على كلمة (بنوية) الشائعة عند اللّغويين العرب المحدثين لوصف مناهج المدارس الملقبة

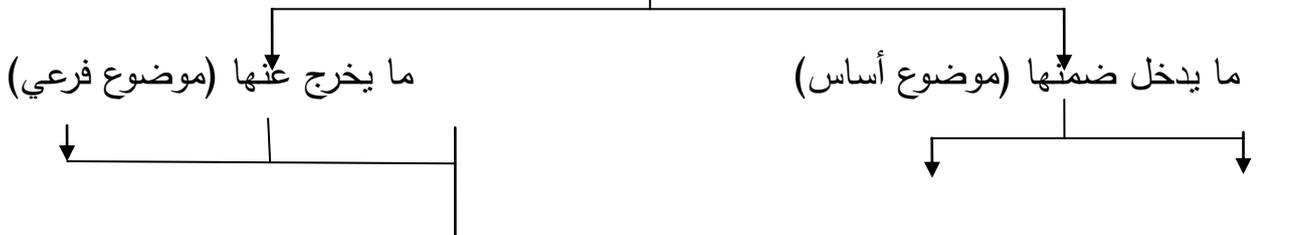
<sup>1</sup>- د. خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات، دار القصبية للنشر، الجزائر، ط2، 2006، ص24.

<sup>2</sup>- خولة طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص24.

<sup>3</sup>- ينظر، د. خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات، ص26. ويمكن إضافة حركة السين كحرف سادس.

Structuraliste ، ووضّح سبب اختياره لهذه اللفظة بقوله: " اتّبعتنا في هذه النسبة رأي يونس بن حبيب النحوي الذي يقول في ظبية ظبوي وهو أخف من ظبيّي ووجهه الخليل"<sup>1</sup>.  
 أمّا فيما يخصّ الصّوتيات (Phonologie أو Phonétique)<sup>2</sup> فإنّه يقول: " أدقّ ترجمة لمصطلح Phonetics وهي كلمة من قسمين: صوت؛ للدلالة على المادة المدروسة، وات؛ للدلالة على العلم، فيكون المعنى بذلك؛ علم الصّوت أو علم الأصوات، قياسا على كلمات كثيرة منها: لسانيات، رياضيات."<sup>3</sup> وبعد تتبع مفهومي العلم واللّسان بوصفه موضوعا للدراسة العلمية، اعتبر اللّسانيات فرعا من علم أوسع وأعمّ منها وهو (Sémiologie) أو ما يسمّى علم الأدلة، وعلى هذا ليس كلّ ما هو راجع إلى هذا الأخير يدخل في علم اللّسان.<sup>4</sup>  
 نلاحظ أنّ الحاج صالح في بحثه عن الموضوع الرئيس لعلم اللّسان، راح يكشف عمّا يميّز به اللّسان، بوصفه نظاما دلاليا صوتيا دون غيره من الأنظمة الدلالية الأخرى غير الصّوتية مثل إشارات المرور، إشارات الصّم البكم، وغيرها. ويمكن تلخيص ما توصل إليه الحاج صالح في هذا المخطّط:<sup>5</sup>

### المجال المفهومي للّسانيات عند عبد الرّحمن الحاج صالح



<sup>1</sup> - مجلة اللّسانيات المجلد الثاني، المصدر السابق، ص38 وينظر أيضا: سيبويه: الكتاب، ج2، ص74.

<sup>2</sup> - نقل هذا المصطلح إلى ترجمات كثيرة منها: علم الصوت، منهج الأصوات، علم الأصوات العام، علم الأصوات، علم الأصوات اللغوية، والصّوتية، وكذلك مصطلح الصّوتيات الذي اعتمده كل من عبد السلام المسديّ ومحمد علي الخولي وأحمد مختار عمر. ينظر، أحمد محمد قدور: مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، ط3، دمشق، 1429 هـ - 2008 م، ص72. استعمل دي سوسير مصطلح (Phonétique) للدلالة على العلم الذي يدرس الأحداث والتغيرات الصّوتية عبر السنين، لذلك هو جزء من اللّسانيات، فيما استعمل علم اللغة الإنجليزي والأمريكي مصطلح (Phonologie) على أنه علم يدرس الأصوات دراسة علمية لا يخصّ لغة بعينها، فهو يدرس الأصوات الكلامية ويصنّفها دون الإشارة إلى تطورها التاريخي. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، 1997، ص6.

<sup>3</sup> - عبد الرّحمن الحاج صالح: محاضرات بمركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر 2004.

<sup>4</sup> - عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص40.

<sup>5</sup> - محمد الأمين هراكي: المرجع السابق، ص39.



### 3-الإشادة بالجهود اللغوية للقداامي:

لقد رأى الحاج صالح أن جلّ ما أثبتته القداامي، قد أقرّه العلم الحديث بالاختبار في المختبرات والاستدلال الحاسم، وأنّ نظرة الخليل وسيبويه إلى اللسان هي أقرب إلى المفهوم العلمي الحديث، فيقول متحدّثاً عن العلامة العدمية: "هي عند الغرب أصل مهم من أصولها المنهجية لا بالنسبة إلى اللّغة فقط بل بالنسبة إلى جميع العلوم الدقيقة والتجريبية، وهي مفهوم رياضيّ، ونرجّح أن الخليل هو أوّل من استخرجه من مفهوم الصّفر بعد أن أدرك دوره في علم العدد فطبّقه على علوم العربية وبالخصوص النّحو والعروض"<sup>1</sup>.

ورأى أنّ العرب لم يكتفوا في بناء أصول علومهم على استقراء النّصوص المكتوبة مثل القرآن الكريم، بل تعدّوا ذلك إلى ما يمكن مشاهدته مباشرة مثل قراءات القرآن وإنشاد الشعر الجاهلي والشعر الأموي وبالخصوص كلام فصحاء العرب، وأن هذا ليس من الفيلولوجية الغربية التي تكتفي بدراسة النصوص القديمة، وما قام به العرب القدماء من دراسة للأحداث اللغوية على ما هي عليه في زمان ظهورها هو ما يقوم به علماء اللسانيات اليوم لمعرفة أسرار اللّغات<sup>2</sup>.

لقد ميّز العرب بين المعنى والفائدة؛ فقالوا إنّه لا بدّ لكلّ كلام غير محال من معنى يدلّ عليه، ولكنّه وإن كان ينبغي أن يفيد في الأصل؛ فقد يكون غير مفيد أي غير حامل لفائدة = خبر يجهله السّامع وذلك مثل "النار المحرقة" (مثال مشهور في النّحو العربي) فإن قيل هذا لمن اختبر خاصيّة النار المحرقة، فإنّ هذا الكلام وإن كان ذا معنى إلاّ أنّه لا يأتي بشيء جديد

<sup>1</sup> - محمد الأمين هراكي: المرجع السابق، ص 38.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، ص 48.

بالنسبة إلى المخاطب. ولهذا أهمية عظيمة جدا لأنه الأساس الذي بنيت عليه نظرية الإفادة الحديثة *théorie de l'information*<sup>1</sup>.

وفي معرض حديثه عن الحروف الصوتية والحروف الخطية، يجري مقارنة بين المصطلحين عند الأوروبيين وعند العرب فيقول: "أما علماء أوربا قديما فكانوا يستعملون لفظتين مختلفين كما في الفرنسية *Lettre* الحرف الصوتي و *caractère* الحرف الخطي ولما صارت الأولى تلتبس في الاستعمال بالثانية وضعوا كلمة جديدة لمعنى الأولى فقالوا *phonème* عوض *Lettre*. أما العرب قديما فما كان يشتبه عليهم الأمر، وكلما أراد اللغوي منهم الجانب الخطي نبه على ذلك وقال مثلا أما صورة الحرف في الخط.... أو هذا موجود لفظا وخطا، ولهم تمييز آخر فقد استعملوا للدلالة على اسم الحرف كالباء والميم والياء مثلا لفظة الهجاء"<sup>2</sup>.

ثم يتحدث عن علاقة الاسم بالمسمى عند الفلاسفة اليونان وهي طبيعة النشأة أم هي صادرة عن تواطؤ الناس؟ فيقول: "ونجد عند العرب جدالا شبيها بهذا فقد زعم عبّاد بن سليمان الصميري المعتزلي (المتوفى في 250هـ) أنه لا بد من مناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله وإلا كان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحا من غير مرجح (يسمى الآن هذا المفهوم الأخير بالنسبة إلى المناسبة بين الدال والمدلول باللغة الفرنسية *Arbitraire du signe* ومعناه اعتبارية الدلالة الوضعية)، وجدال آخر قريب منه مما طرحه اليونانيون، هو الذي دار منذ أواخر القرن الثاني الهجري حول مسألة: هل اللغة إلهام وتوفيق من الله سبحانه أم تواضع واصطلاح؟ واستمر هذا الجدل مدة طويلة بعد ذلك الزمان"<sup>3</sup>.

هـ- دفاعه عنهم؛ إذ لا يخفي الدكتور الحاج صالح إعجابه الكبير بالنحاة العرب القدماء الذين في مقدمتهم الخليل وسيبويه وأبو علي الفارسي وابن جني. ويعتبر نفسه من المنتسبين إلى النظرية الخليلية والمدافعين عنه؛ ذلك أن أولئك يتحرّون الدقة العلمية ولا يميلون في الوصول إلى الحقائق العلمية إلى ما يمليه عليهم الهوى. ولهذا نجده يبادر إلى الدفاع عنهم وتقنيده ما نقله "جورج مونان" عن بعض «المستشرقين من أن النحاة العرب يجعلون من العربية أم

<sup>1</sup>- ينظر، مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، ص 65.

<sup>2</sup>- عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص 26.

<sup>3</sup>- د. عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص 45 (الهامش)

اللغات وأنها لغة أهل الجنة بل لغة الله» يقول: "أما القول الأول والثاني فما رأينا أحدا من النحاة الأولين لا الحقيقيين ولا المجتهدين يقوله أو يجزم به بل وجدناه عند بعض المؤرخين والمفسرين ممن كان يجمع كل ما يسمعه بدون أي نقد - مثل ابن اسحاق - فاعتمدوا الأساطير الفلكلورية التي كان يروجها القصاص ... أما النحاة واللغويون فكانوا يمسكون عن ذكر مثل هذه الأشياء. وقصارى ما قال البعض منهم هو أن أول من فتح لسانه بالعربية المبينة إسماعيل، والمراد بالمبينة هذه التي نزل بها القرآن أما عربية القبائل البائدة مثل "جرهم" فكانوا يقولون إنها عربية أخرى غير كلامنا هذا ... أما القول الثالث فهو شنيع وأشنع من هذا أن ينسب إلى علماء العرب"<sup>1</sup>.

ويزيد على ذلك أن للعرب فضلا على الأوروبيين من ذلك أن المحدثين من الغربيين "حكموا على العربية بأن ليس لكلماتها أصول في اصطلاحهم"، والأصل = الجذر (racine, root, wurzel) مع أن هذا المفهوم نفسه قد أخذه عن العرب عند اطلاعهم على ما ترجم في القرن السادس عشر من كتب النحو قبل أن يطلعوا على ما يشبه ذلك في نظرية الهند<sup>2</sup> وينقل قولاً لجورج مونان (Georges Mounin) يرى فيه أن اللسانيات "نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد أو في سنة 1926 مع بوب (Bopp) أوفي سنة 1816 مع تروباتسكوي (Troubetzkoy) أو في سنة 1956 مع تشومسكي"<sup>3</sup>.

وقد علّق عليه بقوله: "إنّ هذا القول لوجيه جداً ولا ينقصه إلا نظرة الباحث الذي اطلع على ما أنتجه العلماء العرب القدامى في هذا الميدان؛ إذ ربما تقضي نظرتهم إلى اللسانيات واطلاعه على علوم العربية إلى أن يجعل مبدأ انطلاق الدراسة العلمية للسان في القرن الثاني للهجرة، وبالأصح في فترة ما بين 100 و 175 بعد الهجرة (هي سنة وفاة الخليل بن أحمد) ولكن هذه وجهة نظر ليس"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، ص 5.

<sup>2</sup> - مجلة اللسانيات، المجلد الثالث، ص 17.

<sup>3</sup> - مجلة اللسانيات، المجلد الأول، ص 23.

<sup>4</sup> - مجلة اللسانيات، المجلد الأول، ص 24.

مما تقدّم يتضح لنا أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لا يكتفي في أعماله التراثية بالمعالجة العامّة، بل يعمد إلى المسائل الدقيقة فيحلّها ويستخلص أهم ما تقوم عليه من مبادئ بما اتفق معها في النظريات اللسانية الحديثة<sup>1</sup>.

### ج - منهج عبد الرحمن الحاج صالح:

إنّ الخطاب العلمي خطاب دقيق لا مجال للخيال أو الإيحاء فيه؛ ولذلك فإنّ عباراته موجزة محدّدة الفكرة، تحمل دلالة واحدة ولا تطرح فرصاً تتعدّد قراءتها، ويلجأ المؤلف لتحقيق الاقتصاد في الخطاب العلمي إلى وسائل عدّة، على سبيل المثال: تلخيص المسائل في شكل نقاط<sup>2</sup>. وصياغته النتائج والقوانين ووضع المخططات واستخدام الرموز<sup>3</sup>، وكلّ ذلك لتجنب الإطناب والحشو الذي قد يؤدي إلى سوء تبليغ للموضوع، ومن ثمّ سوء فهمه من قبل المتلقي. من هذا المنطلق نجد الحاج صالح لا يستند في أعماله على إخضاع التّراث اللّغوي لتيار لساني محدّد، فلم يقل إنّ التّراث اللّغوي بنوي أو توليدي، بل يحاول طرح المفاهيم ومقابلتها بما شابهها سواء أكان بنويا أو توليدياً أم غير ذلك، وبذلك تصبح الموازنة لديه موازنة مفهومية جزئية، لا موازنة نظرية عامّة، وهذا يعني أنّه يتجنب إصدار الأحكام العامّة التي تُخضع التّراث اللّغوي العربي لتيار لساني محدّد، بل يحاول تناول الموضوعات بدقّة موضوعية وعلى وفق منهجية علمية يزواج فيها بين القدماء العرب واللّسانيات الحديثة.

أمّا من حيث المنهج، فتعدّد دراسة التّراث وربطه بالفكر اللّساني الحديث، عملية دقيقة خاصّة وأنّ تراثنا اللّغوي العربي يتميّز بضخامة حجمه المبعثر في بطون الكتب العلميّة المتعدّدة الاتّجاهات، لذا تأخذ عملية دراسته بعدين:

### البعد الأوّل: جمع نتائجه وحصر مادّته لتفسيرها وفهم أبعادها.

<sup>1</sup> - وقد تبنى الدكتور الحاج صالح في النظرية الخليلية الحديثة أسلوباً علمياً دقيقاً، يعالج الأفكار بشكل بسيط سهل الفهم، دقيق القصد، مختصر يركز فيه على المعلومة كما تنبأها، سواء أكانت تراثية أم حديثة، عاملاً على إجراء الموازنات بينها، دون التوسّع في الأفكار والاسترسال في الحديث، فيبتعد بذلك عن كل ما ليس له علاقة بالموضوع، وسنفضّل في النظرية في الفصول اللاحقة إن شاء الله.

<sup>2</sup> - ينظر، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية: ج2/206.

<sup>3</sup> - ينظر، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، ج2، 219.

**البعد الثاني:** وضعه موضعه الصحيح من الدراسات اللسانية الحديثة.

إنّ عملاً ضخماً كهذا، يستدعي جهداً لا يمكن أن تغطيه تلك الجهود الفردية المبذولة من قبل بعض اللسانيين، ولبلوغ ذلك يشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى ضرورة تضافر اللسانيين العرب، لتغطية أكبر عدد ممكن من اللغويين العرب، ودراسة أهم القضايا المتطورة التي احتوتها أعمالهم، ومن ثم ربطها بالتراث اللغوي العالمي<sup>1</sup>.

وكغيره من اللسانيين المعاصرين، اهتم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بدراسة التراث اللغوي العربي، بعد قراءة متأنية دقيقة لمفاهيم النحو العربي، مقدّماً عدداً من المحاولات للكشف عن أصالة هذا النحو<sup>2</sup>، وللكشف أيضاً عن ذلك التقارب القائم بين التفكيين، وللرد على التهميش الذي شهدته التراث اللغوي العربي في مسيرة التأريخ للسانيات، محدداً المفاهيم والمصطلحات وطرق التحليل الخاصة بنظريته على غرار ما تعرف به النظريات اللسانية الحديثة، وقد عبّر عن المنهج الذي اتبعه في ذلك قائلاً: "إنّ أحد الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا التحليل... هو هذا التناسب الوضعي الذي يوجد بين اللسان الحديث وبين علم اللسان العربي الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري... فهذا التناسب لجدير بالدراسة."<sup>3</sup>

ويمكن تقسيم منهج الحاج صالح إلى مستويين: الأول: مستوى المفاهيم: ويتجلى من خلال إحيائه للمفاهيم والمصطلحات العربية الأصيلة، وكشفه عن دلالاتها الحقيقية، والرياضية، والتي

<sup>1</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: 100/1-101.

<sup>2</sup> - شغلت هذه القضية الباحثين في أرجاء الوطن العربي، وأُفرد لها بعضهم مؤلفات مستقلة، على سبيل المثال: المنطق والنحو السوري، د. طه عبد الرحمن، والنزعة المنطقية في النحو العربي، د. عبد الفتاح الدجني، وأصالة النحو العربي، د. كريم حسين ناصح الخالدي، ومنطق العرب في علوم اللسان، د. عبد الرحمن الحاج صالح، كما أُفرد لهذا الموضوع مقالات خاصة، منها: النحو العربي ومنطق أرسطو، د. عبد الرحمن الحاج صالح، وخواطر حول علاقة النحو العربي بالمنطق واللغة، د. عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، العدد العاشر، 1973 م، ص 21-36، والنحو العربي ومنطق أرسطو، د. محمد عابد الجابري، وقائع ندوة البحث اللساني والسميائي، كلية الآداب بجامعة محمد الخامس، الرباط: 1984، ص 235-257، كما شغلت هذه القضية المستشرقين، ينظر: جيرار تروبو: نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيويوه، مجلة اللغة العربية، العدد الأول، المجلد الأول، 1978، الأردن، ص 125-138.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 10.

جاءت بمنهجية علمية مستقلة عند النحويين القدماء، والتي تصلح أن تكون مبادئ لنظرية لغوية نحوية.

الثاني: المستوى التقني: استثماره لهذه المفاهيم ودلالاتها الحقيقية بصورة عملية في تطوير هذه اللغة، وضمان حيويتها واستمراريتها.

فهو في منهجه الذي اعتمده يمتلك إبداعاً لغوياً جديداً، استخدم فيه قوة ذهنية وعلمية؛ فقد وضع المفاهيم في موضعها الصحيح، وذلك بفضل دراسته للرياضيات فضلاً عن المناهج اللسانية الحديثة، وإطلاعه على علوم مختلفة مثل الفلسفة، المنطق، الحاسوب...

ومما يندرج ضمن منهجيته في البحث والتمحيص، مسألة اختياره للعناوين؛ فطبيعة العناوين عنده تعتمد خاصةً حضور كلٍّ من التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة، فهي تعكس أصالة واضحة لديه؛ إذ لم يربطها - العناوين - بالمفاهيم الحديثة بقدر ما أسسها على المفاهيم الحديثة، ويمكن تقسيم أعماله التي تعتبر وصفاً دقيقاً لتفكيره اللساني إلى:

بحوث قد نشرها ثم أعاد ترتيبها وتصنيفها.	كتب قائمة بذاتها.
الكتب مجموعة من البحوث.	قضايا لسانية كبرى.
1- بحوث ودراسات في علوم اللسان وفيه: *مدخل إلى علم اللسان الحديث- تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه(1971). *أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية(1973-1974).	- سلسلة الدراسات الخاصة بعلم اللسان عند العرب، وتشمل: 1- السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة؛ وقد حاول فيه تبيان المعيار اللغوي العربي الذي شغل العلماء العرب زماناً طويلاً، قاموا في أثناءه بتحريرات ميدانية للسمع من أفواه الناطقين بهذه اللغة، وكانوا يسمونهم فصحاء العرب؛ وذلك للإجابة عن الأسئلة الآتية: *ماذا كانوا يعنون بالفصاحة؟ وهل كانت المقياس الذي اعتمدوا عليه للتمييز بين
2- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية بجزئيه وبعض ما فيهما : *البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي(1975). *قضية المعجم العربي والمصطلحات(1976).	

<p>هؤلاء وبين غيرهم؟</p> <p>* وكيف تغيّر الوضع اللغوي عبر العصور؟</p> <p>* وهل كان السّماع عندهم يستوفي الشّروط التي تجعل منه سماعاً موضوعياً علمياً؟</p> <p>* وما هي الانتقادات التي وجهت إليهم قديماً وحديثاً؟ وما قيمتها من النّاحية العلمية؟</p> <p>* وما هي أوصاف هذا السّماع الموضوعية التي قد خفيت على الكثير من المعاصرين؟ وما هي المناهج التي ساروا عليها في سماعهم والتّقنيات التي لجأوا إليها في هذا العمل؟ وغير ذلك من الأسئلة.</p> <p>2- <b>منطق العرب في علوم اللسان:</b> وقد خصّصه للبحث عن حقيقة ما نُسب في النحو العربي إلى المنطق الأرسطي، والمقارنة الدقيقة بين ما هو منه موجود في هذا المنطق في النصوص الموثوقة، لا عمّا يُروى من ذلك فقط، وبين ما يقال أنّه مقتبس في النصوص الموثوقة أيضاً، كما أطل الكلام عن القياس النّحوي، وتبيان أنّ أكثر المفاهيم والطرائق التي لجأ إليها النّحاة القدامى هي من جوهر رياضي ...</p> <p>3- <b>الخطاب والتّخاطب في نظرية الوضع والاستعمال عند العرب:</b> والهدف منه التّمييز بين اللّغة وبين كيفية استعمالها في</p>	<p>* الأسس العلمية لتطوير تدريس اللّغة العربية (1984).</p> <p>* العلاج الآلي للنصوص العربية والنّظرية اللّغوية (1989).</p> <p>* علم تدريس اللّغات والبحث العلمي في منهجية الدّرس اللّغوي. (1990).</p> <p>* اللّغة العربية بين المشافهة والتّحرير (1992).</p> <p>* النظرية الخليلية الحديثة، وفيها:</p> <p>* الأصالة والبحوث اللّغوية الحديثة (1987)</p> <p>* المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي (1987).</p> <p>* المدرسة الخليلية ومشاكل علاج العربية بالحاسوب (1989).</p> <p>* تكنولوجيا اللّغة والتّراث اللّغوي الأصيل (1984).</p> <p>* منطق النّحو العربي والعلاج الحاسوبي للّغات (1992).</p> <p>* مستقبل البحوث العلمية في اللّغة العربية وضرورة استثمار التّراث الخليلي.</p> <p>* النّحو العربي والبنوية: اختلافهما النّظري والمنهجي.</p> <p>* مستقبل البحوث العلمية في اللّغة العربية وضرورة استثمار التّراث الخليلي.</p> <p>* الجملة في كتاب سيوييه (2000).</p>
--	--

<p>التخاطب(توضيحا لما تصوّره العرب من مفاهيم في هذا الموضوع لإثبات مميّزات اللّغة والخطاب) وذلك إجابة على الأسئلة التالية:</p> <p>*ماهي المقاييس العلمية التي اعتمدها العلماء العرب للتمييز بينهما؟</p> <p>*وهل لهذا التمييز فضل من الناحية العلمية بما يترتب عليه من الأوصاف الموضوعية لكلّ من اللّغة والكلام؟</p> <p>*وهل تقتضي هذه الأوصاف إلى جعل التخاطب كيانا قائما بذاته كما هي اللّغة كيانا قائما بذاته؟</p>	<p>* مشروع الذّخيرة اللّغوية العربية(1995)...</p>
--	---

تعبّر هذه العناوين في كتبه عن منهج في التفكير نلخصها فيما يلي:

- ينطلق في طرح موضوعاته بذكر العرب أوّلا، مستخدما مصطلحاتهم التراثية، مثل: منطق النّحو العربي، المدرسة الخليلية، الخطاب والتخاطب عند العرب....
- يهتمّ بالأصول العلمية التي امتازت بها علوم اللسان عند العرب عن غيرها، متّصلة بما ظهر من نظريات علمية في العلوم اللسانية، وهذا ما هدف إليه من خلال سلسلة علوم اللسان.
- يحصر بعض العناوين في جهود العرب فقط، ولا يشير إلى مقارنتها بالدّرس اللساني الغربي بالرغم من اعتماده ذلك المنهج في عمله؛ وذلك في مثل حديثه عن نظرية العامل،(أول صياغة للتراكيب العربية)، ومفهومي الموضع والمثال، ومنطق العرب في علوم اللسان.
- يلجّ كثيرا في مقالاته على بعض العناوين مثل أصالة اللّغة العربية، العلاج الآلي للغة، المدرسة الخليلية الحديثة وغيرها.

- لم تخل هذه العناوين من وظائف من أهمها:<sup>1</sup>
- **الوظيفة التواصلية:** وتظهر هذه الوظيفة من خلال رغبة المؤلف في إقامة تواصل بين الفكر اللغوي العربي القديم والفكر اللساني الحديث، ومن ثمّ تمكين القارئ أو الباحث من الجمع بين الفكرين في آن واحد، وتحفيزه على لممارسة نوع جديد من القراءة يفكّ بها رموز القديم في ضوء المناهج الحديثة.
- **الوظيفة المرجعية:** تتعلّق هذه الوظيفة بالمقام "situation"، فقد أحال إلى التراث اللغوي العربي إمّا إحالة تامّة أي الإحالة إلى التراث اللغوي العربي فقط مثل "الجملة في كتاب سيبويه" البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي"، "أقائم أخواك" وطريقة تفسيره عند سيبويه والرّضي بالاعتماد على مفهومي الموضع والمثال، أو إحالة مزدوجة؛ وفيها جمع بين التراث اللغوي العربي واللّسانيات الحديثة مثل: المدرسة الخليلية ومشاكل علاج العربية بالحاسوب...<sup>2</sup>
- وإضافة إلى كلّ هذا اعتمد الحاج صالح على مختلف النصوص والوسائل التبسيطية المساعدة ومنها:

### 1- طرح الأسئلة:

يقوم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح- أحيانا- بطرح جملة من الأسئلة لتشكّل تمهيدا للقارئ للدخول في الموضوع وتدقيق الانتباه في القضايا المطروحة، مثال ذلك ما ذكره في كتابه (بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية) عند حديثه عن (مفهوم الموضع إذ يطرح مجموعة من الأسئلة هي:<sup>2</sup> ما هو الموضع عند النحويين القدماء؟ وهل هو مجرد موضع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام أو شيء من ذلك تجريدا؟ وهل يوجد الآن في علوم اللسان الحديثة (اللّسانيات) شيء يماثل هذا المفهوم العربي الهام أو يقاربه؟ ثمّ إنّ في هذه العلوم الحديثة تصوّر قريب من هذا ففيم يلتقيان، وفي ماذا يختلفان؟

### 2- اعتماد التكرار:

<sup>1</sup> - معالي هاشم: المرجع السابق، ص187.

<sup>2</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية : ج2، ص 9-10.

يمكننا ملاحظة بعض الأفكار المكررة والتي يطرحها الحاج صالح عند عرضه للنظرية الخيلية الحديثة؛ وذلك بهدف الإلحاح على الفكرة، وعلى سبيل المثال يكرّر (مفهوم اللفظة) في أكثر من موضع<sup>1</sup> من كتابه "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" إضافة إلى (مفهوم القياس) الذي ذكره في الكتاب نفسه ضمن حديثه عن "المفاهيم الأساسية للنظرية الخيلية الحديثة" فضلا عن تخصيص فصل كامل في كتابه "منطق العرب في علوم اللسان" فصل فيه القول في القياس وأنواعه وأهميته.<sup>2</sup>

3- صوغ القواعد اللغوية: يظهر ذلك جليا عند حديثه عن مفهوم (الإطالة أو التثنية) في نظرية العامل؛ مثل القاعدة الآتية:<sup>3</sup>

ع ← م1 ( أن تصوموا ) م2 ( خير لكم )  
 وع ← م1 ( زيد ) م2 ( رأيت )  
 وع (ظنّ) م1 ( زيد ) م2 ( أن عمرا قائم ).....

وخلاصة القول إنّ الدكتور الحاج صالح قد اعتمد الوسائل التبسيطية في عرضه للموضوعات التراثية كالجداول مثلا، وإن كان اعتماده محدودا، ويرتبط ذلك بطبيعة الخطاب التراثي إذ يختلف من موضع لآخر، من حيث كونه علميا أو تعليميا.

كما أنّ خطابه التراثي يتحدّد بكونه محصلة تقاطع مجموعة خطابات: الخطاب التراثي والخطاب اللساني الغربي، وخطابه الخاص، المتمثّل في تحليلاته واستنتاجاته وموازاته التي يقيمها بين المفاهيم العربية والمفاهيم الغربية، وهكذا فإنّ هناك تقاطعا في دلالة الخطابات المختلفة، ناتجا جزئيا عن العلاقة السليمة بين الخطابات. وهو يتيح الاتصال بين النتائج المعرفية التي يفرزها كل خطاب، وكذلك بين الأساسيات التي يرتكز عليها كل خطاب على حدة.<sup>4</sup> ومن هنا تتقارب الدلالات العربية والدلالات الغربية وتجتمع في خطاب الدكتور عبد

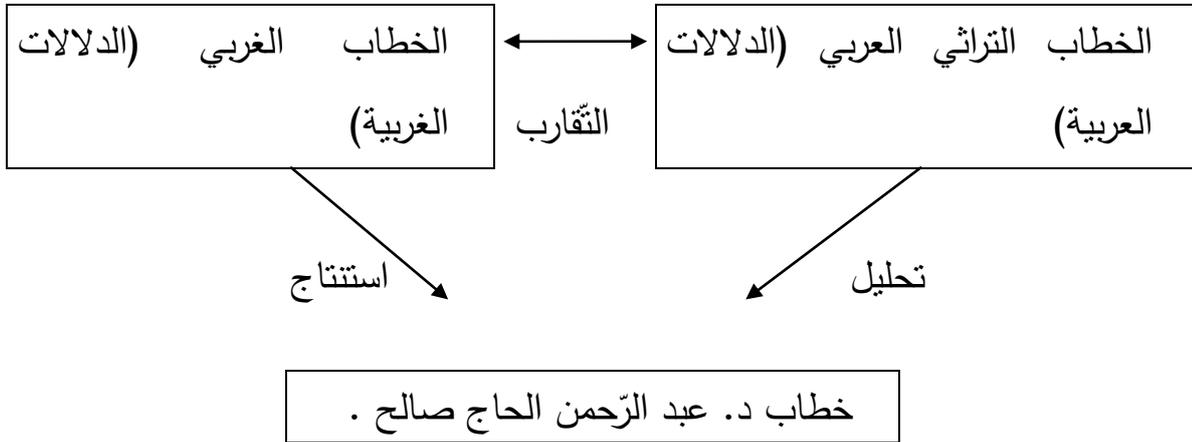
<sup>1</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج 1 / 322-324.

<sup>2</sup> - ينظر: د. عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علم اللسان، ص 157-178.

<sup>3</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ج2/90.

<sup>4</sup> - ينظر، الفاسي الفهري: أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني، مجلّة الكرمل، العدد 18، فلسطين، أكتوبر 1985 ص: 20-21.

الرّحمن الحاج صالح، لتتجسّد في بنية تحليلية وبنية استنتاجية خاصّة. ويمكننا تلخيص هذه الفكرة في المخطط الآتي:<sup>1</sup>



والى جانب كلّ ذلك فإنّ لعبد الرحمن الحاج صالح إنجازات لا تعدّ ولا تحصى؛ إذ كتب ما يفوق الواحد وسبعون بحثاً ودراسة نشرت في مختلف المجالات العلمية المختصة بالعربية والفرنسية والإنجليزية " فقد كتب في الموسوعة الإسلامية حول مصطلح (Lugha) الطبعة الجديدة لندن سنة 1984م، وكذا كتابته عن مصطلح (معارف) في نفس الموسوعة والتي تتحدث عن التعليم في الجزائر، كما كتب في موسوعة أعلام العرب والمسلمين والتي أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"، إلى جانب عضويته في مجلسها العلمي، كما كتب كثيراً من المقالات في مجلات المجمع، وأذكر من بينها: مجلات مجمع اللغة العربية بكل من مصر والأردن، ومجلة المجمع العلمي العربي بسوريا، ومجلة المجمع العلمي العراقي، ومجلات أوربية كثيرة، أضف إلى ذلك مجلة الثقافة والأصالة واللسانيات، والمبرز للمدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية ببوزريعة، ومجلة اللّغة العربية للمجلس الأعلى للّغة العربية، ومجلة اللّسان العربي التي يصدرها مكتب تنسيق التّعريب بالرباط،<sup>2</sup> كما يعرف عنه أنّه عضو المجمع العربية الأربعة، وخاصة في مجمع اللّغة العربية بالقاهرة الذي ينتمي فيه إلى لجنتي الأصول،

<sup>1</sup> - معالي هاشم، المرجع السابق، ص192.

<sup>2</sup> - وردة سخري، المرجع السابق، ص76.

والمصطلحات، ومن أوجه نشاطه في هذه المجامع أنه باحث يدلي بأرائه العلمية، ويجهر بها في كل إشكال يطرح، كما يثري مجلاتها بمقالاته العلمية، ومن أهم دعواته في المجامع إعادة النظر في تدوين المسموع بتكليف الحرف العربي ليلبي المتداول في المحيط، ومسايرة العصر بتوظيف آلياته، والاستفادة منها في تطوير العربية.

وفي الخلاصة نجد أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد بنى فكره اللساني على التراث اللغوي العربي القديم، والتراث اللسان القديم، والنظريات اللسانية الغربية الحديثة، وأشاد بجهود علمائنا الأفاضل أمثال الخليل وسيبويه وأبي علي الفارسي وابن جنّي، وما تركوه لنا من أفكار نيّرة مازالت ماثلة للعيان إلي اليوم، فبنى بذلك نظرية متكاملة أطلق عليها اسم "النظرية الخليلية الحديثة".

## المبحث الثاني:

### - النظرية الخليلية الحديثة.

توطئة:

عرف الدرس اللساني العربي تطورا كبيرا؛ وذلك منذ اتّصال الثقافة العربية باللسانيات الحديثة في العالم الغربي عن طريق البعثات العلمية؛ إذ نشطت عملية التأليف في هذا العلم الحديث قصد التعريف به وبمختلف مدارس ومناهجه، ثم انتقل هذا النشاط من مجرد التعريف بهذا العلم، وترجمة المؤلفات الغربية التي أسست له، إلى النظر في اللغة العربية بالاعتماد على معطيات اللسانيات.

وقد اتّجه هذا النظر في اللغة إلى البحث في التراث اللغوي العربي من خلال الموروث اللغوي الذي خلفته ثلّة من علماء العربية القدامى خاصة ما تعلّق منه بالنحو حيث حاولت الجهود العربية الوصول إلى وضع نظرية جديدة للنحو العربي تسائر اللغة العربية في شكلها الحديث وتسعى إلى تيسير النحو، فبرز في هذا المجال عدّة اتجاهات تأثرت في عمومها بالنظريات اللسانية الغربية؛ إذ صنّفت هذه الجهود في تيارات تنظر إلى اللغة العربية وفق المبادئ التي بنيت عليها تلك المدارس الغربية، وكنا قد تناولنا الحديث عن أهمّ هذه المناهج التي تبناها اللسانيون العرب، من منهج وصفي بنوي؛ اتّبع أصحابه طريقة الوصفيين الغربيين في تعاملهم مع النحو التقليدي، فجاءت نظرتهم إليه نظرة ناقدة، يدعو أصحابه إلى رفض كثير من مقولات النحو العربي خاصة التعليل، واقترح بعضهم بدائل اعتبروها قادرة على وصف اللغة العربية أفضل من مقولات التراث، ويبرز في هذا الاتجاه كلّ من "عبد الرحمن أيوب" و"تمام حسّان"، و"إبراهيم السامرائي"، ومنهج آخر تحويلي أو التفسيري؛ قام على مبادئ وأسس النظرية التوليدية، ويبرز ضمن هذا الاتجاه كلّ من "مازن الوعر"، و"عبد القادر الفاسي الفهري"... وقد تأثّر هؤلاء في منهجهم هذا بما جاء به نوم تشومسكي "ومن التقوا حوله وبعض المتأخرين ممّن طوّروا هذه النظرية كأمثال "كاتز"، و"فودور"، و"بريزن". هذا إضافة إلى المنهج الوظيفي، الذي تبرز في هذا المجال أعمال "أحمد المتوكل" الذي نقل النظرية الوظيفية إلى الثقافة العربية، وحاول إعادة بناء النحو العربي وفق هذا الاتجاه<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - إضافة إلى هذه المناهج، يمكن الإشارة إلى الاتجاه التوليفي؛ الذي يقوم على خصائص نحو اللغات التوليفية، ويمثّل هذا الاتجاه الحديث أحمد الأوراعي من خلال النظرية النسبية. للإطلاع على المزيد ينظر: محمّد الأوراعي: نظرية اللسانيات النسبية - دواعي النشأة - منشورات الاختلاف، الجزائر، دار العربية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

كان حال كل هؤلاء في ذلك إما أتباعاً للمناهج الغربية تتبعا مطلقا أو توفيقا ما بينها وبين تراثنا اللغوي الزاخر بالكنوز، مثلما نجد عند "نهاد الموسى"، و"عبد القادر المهيري"، و"ميشال زكريا"، وأحد أهمّ أعلام الجزائر وهو الدكتور "عبد الرحمن الحاج صالح" - رحمه الله - وقد سعى، أصحاب هذا المنهج الذي اصطلح على تسميته " المنهج التأصيلي " إلى تأصيل بعض جوانب النظرية النحوية العربية من خلال مقابلتها بنظيرتها في النظرية اللغوية الحديثة؛ إذ قد يقابل النحو العربي مع النظريات الغربية كلها، أو يكتفي أصحاب هذا الاتجاه بمقابلة النحو العربي مع نظرية لغوية واحدة، كالتحو التوليدي.<sup>1</sup>

وقد كان الهدف من وراء هذه التوجهات هو إعادة وصف اللغة العربية وفق ما يتطلبه العصر الحديث، وإن كانت هذه الاتجاهات لم تقدم - باتفاق كثير من النقاد - نموذجا جديدا للغة العربية ولم تزد عن كونها مبادرات غالبا ما تكون فردية، وقاصرة في المجال الإجمالي فبقيت مجرد اقتراحات نظرية مبنية على خلفيات معرفية غربية.

ومما يلاحظ على هذه الجهود العربية أن أصحابها يصرون على أنها تعدّ بدائل للدراسات اللغوية القديمة، وأنها تقف بإزاء الدراسات اللغوية الحديثة وأكثر من ذلك؛ فقد ظهرت موجة من الخلاف بين أصحابها حول أيّ منها - أصلح - لتكون في تلك المرتبة، أدى ذلك إلى بروز موجة من النقد والإقصاء بين هؤلاء الدارسين، مما أثار سلبا على الدراسات اللسانية العربية الحديثة، وجعل من أمر تلقيها مستعصيا حتى على النخبة؛ إذ اتّصفت تلك الجهود بالتباعد والتنافر بينها مما جعلها توصف بالضعف وأصبح راهنها يقلق النقاد المهتمين بالدرس اللساني العربي الحديث.

ولكن مع الدور الإيجابي الذي لعبته تلك الجهود اللسانية العربية في التعريف بهذا العلم وما صاحب ذلك من إسهاماتهم في إعادة قراءة التراث وفق المناهج الحديثة، مما ساعد على فهم الكثير من القضايا اللغوية القديمة التي لم تفهم، وبقيت مستغلقة على أذهان الباحثين العرب وكذا ترجمة منتجات اللسانيات في الغرب، إلا أن تلك الجهود لم تخل من عيوب جعلت النقاد يحكمون عليها بالفشل في الوصول إلى الغاية التي تسعى إليها كل دراسة علمية للغة؛ فبقيت هذه الإنتاجات اللسانية المتراكمة في عمومها خطابات فكرية لم ترق إلى العلمية، مما أبعدها

<sup>1</sup> - ينظر، حسن خميس سعيد الملح: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 242.

عن وضع نظرية لغوية عربية جديدة تقف إزاء النظريات الغربية، فتكون عربية الهوية حديثة الطرح تستجيب لروح العصر.

ويمكن أن يتحقق هذا المسعى عند " التّأصيليين " العرب من خلال " الكشف عن جوانب من التفكير اللّغوي عند العرب تتفق وعلم اللغة الحديث سعياً وراء تأصيل هذا التراث وفق نظريات علم اللغة تمهيداً للكشف عن نظريته الأصيلة"<sup>1</sup>؛ حيث يبرز ذلك فيما قدّمه "تهاد موسى" الذي يعدّ من رواد هذا المنهج من اللسانيين العرب، والذي دعا إلى ضرورة ربط الدرس اللّغوي العربي بنظيره الغربي الحديث؛ لأن ذلك " يسعف في تحديد إحساسنا بالنحو العربي في مفهوماته، ومنطقاته، وأبعاده بعد طول إلف به في لغته الخاصّة، ومصطلحه الخاص، ومنهجه الداخلي".<sup>2</sup>

كما يمكن أن يتحقق أيضاً من خلال محاولة إثبات " وجود نظرية دقيقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل فيما تركه لنا أجدادنا المبدعون من أمثال " الخليل " و"سيبويه" ومن تلاهما.

ولا يتأتّى ذلك إلّا عن طريق إعادة قراءة التراث ليس على ضوء النظريات الحديثة فقط وإنما بدراسة إبستمولوجية ( معرفية ) دقيقة لمفاهيم النّحاة، وتصوّراتهم، وطرق تحليلهم، وبدون إسقاط أيّ تصوّر آخر لتصوّر النّحاة العرب المتأخّرين أو تصوّر الغربيين لها.<sup>3</sup> وهو المنحى الذي انتهجه " عبد الرّحمن الحاج صالح " فيما قدمه من جهود لسانية فيما يعرف بـ "النّظرية الخليلية الحديثة".

ومن يتتبع الأبحاث الخاصة به يلمس عنده هذا الاتجاه نحو إثبات أصالة القضايا اللّغوية العربية والنحوية منها خاصة، وما نسبته نظريته اللّغوية إلى " الخليل بن أحمد الفراهيدي " دليل على هذا التوجّه، فقد لاحظ "حسن خميس سعيد الملح " أنّ عبد الرحمن الحاج صالح " قد اتّبع من أجل إثبات دقّة النّظرية النّحوية عند النّحاة المتقدّمين طريقتين؛ الأولى - بنتبع تاريخ علم اللّسان من أقدم الإشارات التاريخية له حتى العصر الحديث، ورصد التطوّر النظري المنهجي

<sup>1</sup> - حسن خميس سعيد الملح، المرجع السابق، ص 242.

<sup>2</sup> - حسن خميس سعيد الملح، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 242.

<sup>3</sup> - ينظر، حسن خميس سعيد الملح، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 247.

في كل عصر وكان هدفه من هذا التتبع إثبات أن نظرية النحو العربي عربية في جذورها وأصولها، أما الثانية فتتمثل في تحديد الأصول أو الأنظار العلمية التي بنى عليها نحاة العربية نظرية النحو العربي وهي الأنظار التي توصل إليها علم اللسان الحديث، لا سيما المدرسة التحويلية، وقد استخلص من ذلك أن هذه الأنظار هي منطلقات النحاة الأوائل كالخليل وسيبويه، وهي أطوع نظرية في الصياغة الرياضية الحاسوبية للنحو العربي، ولذلك فإنها تتجاوز كل النظريات اللسانية الوصفية الحديثة وتلتقي بالنظرية التوليدية التحويلية.<sup>1</sup>

غير أن المتصفح للدرس اللساني العربي المعاصر يجد محاولات كثيرة لقراءة التراث اللغوي ومحاورته، من أجل الانتفاع به في خضم مستجدات البحث اللساني المعاصر، ويجد أن عددا قليلا من قرائه تتوفر لديهم معرفة عميقة به، كما يتمتعون في الوقت ذاته بمتطلبات البحث العلمي المعاصر؛ أي أنهم يمتلكون مقومات المزج بين الأصالة والتراث؛ فقد استطاع هؤلاء أن يتميزوا في تناولهم للقضايا اللسانية انطلاقا من ثقافة زاوجت بين تكوينهم في أعرق الجامعات الغربية، وتمكّنهم من مقولات النظريات اللغوية الحديثة في سياقها، أو إلمامهم العميق بما أنتجه العلماء العرب القدامى، وخاصة الرّعيّل الأوّل منهم في دراسة اللّغة العربية، ويبرز منهم "الحاج صالح"، والذي ينطلق في دراسته للتّراث اللّغوي العربي، من تمحيص عميق لما وصلنا منه، فقد استغرقه النّظر ومحاولة فهم القضايا اللّغوية التي تركها الأوّلون أكثر من أربعين سنة، تتبّع فيها آراء الخليل وأتباعه من الرّعيّل الأوّل من النّحاة وقد كان ذلك "من إيمانه بوجود نظرية دقيقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل فيما تركه لنا أمثال "الخليل" و"سيبويه" ومن تلاهما، وأمّا ما يقرأ من آراء بعض الباحثين العرب الذين لا يقدرّون القيمة العلمية للتّراث اللّغوي العربي؛ فإنّما كان عن جهل منهم به -على حسب تقدير الحاج صالح- وطالما كان الجهل بالشّيء سببا رئيسا للحكم بالسلب عليه<sup>2</sup>، فالإنسان عدوّ ما جهله و"عدم فهمنا لتراثنا العلمي الأصيل سببه جهلنا بأغراض العلماء الفطاحل ممّا قالوه وأثبتوه، وعدم إلمامنا بكلّ ما

<sup>1</sup>- عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ضمن كتاب : تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية، ص 388 .

<sup>2</sup>- عبد الحليم معزوز، تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسّان وعبد الرحمن الحاج صالح دراسة إبستمولوجية في المرجعية والمنهج، ص 206.

وصل إلينا لتقبله بارتياح، ولكل ما نقرأه من الأخبار المشوّهة، وفوق كلّ هذا، إسقاطنا التّصوّر الغربي الخاص بمذهب واحد كالبنوية الحديثة مثلا على تحليل العربية، والنّبذ بالتالي لكلّ ما لا يتناسب هذا التّصوّر، والباحث لا ينبذ أبداً ما يأتينا من الغرب ولا من القديم و إن كان منظوره غير منظورهم، لكن لا يعتبر ذلك من الحقائق العلمية إلا إذا أقام الدليل على صحتها<sup>1</sup>.

لكن إسهامات عبد الرّحمن الحاج صالح لم تقتصر على هذا الإحياء ومحاولة إثبات أصالة الفكر اللغوي العربي في كثير من القضايا التي عالجه، إنّما المتبع لجهوده اللسانية يصادف الكثير من المشاريع التي تنو إلى الرقي باللغة العربية في وقتنا الحاضر، وذلك من قبيل مشروع الذخيرة اللغوية العربية، وكثير من الآراء الخاصة بتعليم اللغة العربية وسبل الرقي بها . إنّ التفكير اللساني عند الحاج صالح مرتكز أساسا على الدّراسات اللغوية العربية القديمة فهي من قبيل إحياء التّراث لكن بطريقة خاصة تنبني على التفكير العلمي الحديث، والاستفادة من المناهج الغربية، خاصة النحو التّوليدي التّحويلي عند "نوم تشومسكي"، لكن دون الانسياق تماما خلف تلك النظريات، وتجلّى ذلك من خلال النّظرية الخليلية الحديثة، فكان هذا الفصل ميدانا لعرض تلك الإسهامات ومناقشتها.

### 1- النّظرية الخليلية الحديثة:

عرف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اللساني الجزائري منذ بداية السبعينيات -وهي مدّة ليست قصيرة - باهتمامه بالكتابة اللسانية ذات المنحى التجديدي والتوفيقي، في ضوء ما اكتشفه من رؤى ثاقبة للتّحويين العرب القدماء في النّظرية العربية، بعد قراءة مستفيضة في نصوص سيبويه(ت180هـ) - نفسه، فضلا عن ابن السّراج(316هـ)، وابن جنّي (392هـ) والجرجاني(481هـ) والرّضي الاسترأبادي(ت687هـ) (من أرسن العلماء وأكثرهم أصالة وهو شاذ في زمانه)، محاولا صياغة هذه الرؤى في نظرية نسبها إلى الخليل وسمّيت هكذا بالتّغليب لأنّ الخليل وإن كان هو العماد فيها إلا أنّه أخذ كثيرا عن شيوخه، وكذلك فإنّ سيبويه لم يكن

<sup>1</sup>- حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 249 .

من المقلّدين أبداً، بل أثرى هذه النظرية هو ومن جاء بعده كالأخفش الأوسط (ت215هـ) والمازني ولا سيّما مدرسة ابن السراج (ت316هـ): مثل أبي عليّ الفارسي (ت377هـ) والرّمائي (ت384هـ)، والسيرافي والزجاجي...<sup>1</sup>، أو جاءوا بعده، ممّن لهم الأهميّة الكبرى في إعطاء التراث الصورة العلمية التي نعرفها الآن؛ إذ استلهم الدكتور الحاج صالح من معالم المدرسة الخليلية من القرن الثاني للهجرة وحتى القرن الخامس للهجرة مع عبد القاهر الجرجاني وبهذا المزيج من العلماء تشكلت معالم النظرية الخليلية الحديثة استناداً إلى اللغويين العرب القدماء. وقد عرفت هذه النظرية في الفكر اللغوي العربي باسم (النظرية الخليلية الحديثة)<sup>2</sup>.

وعندما سئل الدكتور الحاج صالح في إحدى محاضراته، هل أنتم من المحافظين؟ فأجاب: "لست محافظاً ولا مجدّداً، ولكن أبحث عن المفيد، اكتشفنا في القديم شيئاً عظيماً لم نجده في الحديث، ولو اكتشفناه في الحديث لأخذنا به"<sup>3</sup>. كما يقول عن نفسه: "لست متّبعا لأيّ منهج غربي أميل إلى تشومسكي، ولكن أردّ عليه كثيراً مما كان يزعمه."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر، د. الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص20.

<sup>2</sup> - ظهرت هذه النظرية سنة 1997 م في أطروحة نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون بباريس والتي كانت بعنوان :

- Linguistique arabe et linguistique générale essai de méthodologie et d'épistemologie du ilm al  
 Arrabiyya Thèse dactylographiée, Paris, Sorbonne 1979. وقد ضمت عدداً من الباحثين بعد أن طرحها الحاج صالح إذ دعا اللسانيين والباحثين في العالم العربي إلى قراءة التراث بمنظار علمي بعيداً عن التعسف في الاستنتاج للنصوص، ويفضل جهود بعض الباحثين ومنهم وتجربتهالرائدة، عرّفت هذه النظرية بخصائص علوم اللسان العربي، ومضامينه النوعية انطلاقاً من مقولات اللسانيات الحديثة، فأثبتت الحلقة المفقودة التي تجاهلها الغربيون عندما أرخوا للفكر اللساني البشري والتي تتمثل في مستخلصات ثمانية قرون أو تزيد من مخاض التفكير اللغوي عند العرب، لاسيما القرون الخمسة الأولى من الهجرة، التي أفرزت نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية، ومنهم الدكتورة شفيقة العلوي، والدكتورة خولة طالب الابراهيمية ، والدكتور مازن الوعر، والدكتور شريف بو شحدان، والدكتور بشير ابرير وغيرهم من الباحثين.

<sup>3</sup> - د. محمد صاري: المفاهيم الأساسية للنظرية الحديثة، مجلة كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، العدد الثامن، 2010 ص9.

<sup>4</sup> - سعاد شرفاوي: الجهود اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح (قراءة في الآثار، المنهج، ومواطن الاجتهاد)، رسالة دكتوراه جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2016-2017، ص167. (مقابلة شخصية مع الحاج صالح، بالمجمع الجزائري للغة العربية بتاريخ: 2011/06/21).

وبإجابته هذه يكون منهجه في النظرية اللغوية لا المحافظة على التراث اللغوي العربي القديم، ولا تجديدا فيه، إذ هو سيرورة للعلم اللغوي وصناعة فيه، هذه الصناعة لا تفرضها أفكار تبعية حتمية لا للقديم، ولا للجديد، بل هي نمذجة خاصة مبنية على الاكتشاف لا التقليد الأعمى؛ فقد قرأ الدكتور الحاج صالح التراث اللغوي العربي قراءة دقيقة معمقة، فضلا عن تتبّعه لما توصلت إليه أبحاث اللسانيات العربية، واكتشف السبل العلمية، والرياضية التي ميّزت النظرية اللغوية العربية القديمة، فاقنتع بفكرة إعادة إحيائها من جديد، وآثر أن تكون في النظرية الخليلية الحديثة، وتعدّ هذه النظرية امتدادا مباشرا للنظرية الخليلية القديمة التي وضعها الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهما من العلماء الأفاضل أمثال " أبي علي الفارسي"<sup>1</sup>؛ فنظريته من باب التجديد في النحو، وقد نافس بها صاحبها -الحاج صالح- ما استجد من نظريات غربية وعربية فضلا عن ترسيخ المفاهيم النحوية العربية الأصلية، ومسايرة العصر، وإظهار ما فيها من روح العلمية، والمنطلق الرياضي الذي مكّنها من أن تستغلّ في مجال اللسانيات الحاسوبية، وتعليمية اللغات.

#### أ- التعريف بالنظرية الخليلية (المنطلقات، المحفزات، والغايات):

قبل البدء بالحديث عن نشأة ومفهوم النظرية الخليلية الحديثة، أود أن أشير إلى مفهوم النظرية عموما؛ فإذا أرجعنا اللفظ إلى المعنى المعجمي وجدناه يرد معجميا كما يأتي: " وإذا قلت: النظر في الأمر احتمال أن يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب... والنظر يقع على الأجسام والمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني... والنظر: الفكر في الشيء تقدّره وتقيسه منك." <sup>2</sup>

ومن هذا كان (النظري) عند الشريف الجرجاني (ت816هـ) " هو الذي يتوقف حصوله على نظر وكسب كتصور النفس والعقل والتصديق بأنّ العالم حادث"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر، د. خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص135.

<sup>2</sup>- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج5، ص 217-218، (مادة نظر).

<sup>3</sup>- محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: محمّد صديق المنشاوي، دار الفضيحة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة

ط2004، ص204.

ويصطلح على النظرية أنها فرض علمي يربط قوانين عدة بعضها ببعض يردّها إلى مبدأ واحد يمكن أن يستنبط منه حتما أحكاما وقواعد.<sup>1</sup> وهي أيضا تلك الفروض الذهنية أو العقلية التي يقدمها العلماء في استنباطاتهم للأنظمة التي يدرسونها.<sup>2</sup>

تكاد الدلالات اللغوية تقترب - إلى حد كبير - من المدلول الفلسفي للنظرية. وتعرّف النظرية أيضا على أنها نسق فكري استنباطي متنسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة يحوي- أي النسق - إطارا تصوّريا ومفاهيمات وقضايا نظرية توضح العلاقات بالوقائع وتنظّمها بطريقة دالة وذات معنى.<sup>3</sup>

استُخدم مفهوم النظرية للمرة الأولى في الفلسفة اليونانية للإشارة إلى المصطلحات، والمفاهيم التي تخالف التطبيقات العملية الواقعية، واعتُبر الفيلسوف اليوناني أرسطو أول من اعتمد على تطبيق فكرة النظرية للتفريق بين الحقائق المُطبقة فعلياً والنظريات الفكرية، ثم أصبح مصطلح النظرية من المصطلحات المعرفية التي تُستخدم في العديد من المجالات سواء الفلسفية، أم العلمية أم غيرها.<sup>4</sup>

أما أهمّ شروط النظرية العلمية فيمكن حصرها فيما يلي:<sup>5</sup>

أ- ضرورة أن تكون مكونات النظرية واضحة ودقيقة محددة الألفاظ والمعاني والمضامين.

ب- أن تعبّر عما تشتمل عليه النظرية بإيجاز تعبيرا يوضح هذه المشتملات ويبين غرض النظرية عموما، وأهداف كل مكون من مكوناتها تخصيصا.

ج- أن تكون النظرية شاملة بقدر الإمكان للجوانب التي قصد أن تنطوي عليها النظرية بما في ذلك وصف وتحليل وتفسير الحقائق المعنية.

<sup>1</sup>- ينظر، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، ص202.

<sup>2</sup>- ينظر، د.خولة طالب إبراهيمي : مبادئ في اللسانيات، ص135.

<sup>3</sup>- د. عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة المعرفة، العدد44، المجلس الوطني للفنون والآداب 1998، ص10.

<sup>4</sup>- مجد خضر: مفهوم النظرية لغة واصطلاحاً، <http://mawdoo3.com> مقال نشر يوم21 سبتمبر 2016. اطلعنا عليه يوم:2018/07/16.

<sup>5</sup>- د. عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، ص11.

د- أن تكون النظرية متفردة في موضوعها ومشروعها التفسيري؛ ذلك لأن وجود نظرية أخرى تدرس نفس الموضوع وتفسره بنفس العوامل والطرق مما يضعف النظرية ويجعلها تكرارا لا مبرر له و يتنافى مع قاعدة الاقتصاد العلمي.

هـ- أن يكون للنظرية أرضية واقعية بمعنى أن تعتمد في صوغها على ملاحظات ودراسات واقعية من ناحية، وأن تكون قابلة للاختبار العلمي الذي يثريها ويكسبها مشروعيتها العلمية من ناحية أخرى؛ فالنظرية التي تأتي بقضايا تستعصي على الاختبار لا تعدّ نظرية علمية.

وقد وقف تراثنا على مختلف الأنظمة التي تقوم في الظاهرة المدروسة نفسها عن النظرية التي تقوم في أذهان العلماء؛ إذ تتمثل في تصوّرات العلماء عن هذه الأنظمة، يقول الرضي الاسترابادي عن الأصول أو الأنظمة أو القواعد الكلية في الصّرف - مثلا- والتي تحكم أفراد الظاهرة الصّرفية: "يعني بها القوانين الكلية المنطبقة على الجزئيات، كقولهم مثلا: كل واو أو ياء إذا تحركت وانفتح ما قبلها قلبت ألفا، والحق أنّ هذه الأصول هي التصريف لا العلم بها وذلك أنّه قد تقرّر عند العلماء أنّ لفظ العلم يطلق إطلاقا حقيقيا على الأصول والقواعد، وهي القضايا الكلية التي يتعرف منها أحكام جزئيات موضوعها، وعلى التصديق بهذه الأصول والقواعد وعلى ملكة استحضارها الحاصلة من تكرير التصديق بها.<sup>1</sup> وهو - في الحقيقة - ينصّ على أنّ الأصول شيء يوجد في الظاهرة المدروسة- كالصّرف مثلا، وأنّ تصوّر هذه الأصول يقوم في أذهان الدارسين، وهو بتعبير البحث الحالي يقصد به " النظريات" التي تقوم في الأذهان، والتي تقدّم في مقابلة الأنظمة التي توجد في الظواهر نفسها.

إنّ اللّغة كما هو معروف لا تصاغ بل النظريات اللّغوية هي التي تقصد بالصياغة؛ لأنّ اللّغة الطبيعية هي مجموعة من الظواهر، وتحليل الظواهر ثمّ الافتراضات التفسيرية لها هي التي يحاول الباحث المؤهل لذلك أن يصوغها الصياغة المنطقية الرياضية المناسبة، وليست

<sup>1</sup> - شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاسترابادي، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1975م: ج1/القسم الثاني، ص 2. الهامش.

كلّ النظريات قابلة للصياغة فمنها التي تحتوي على تصوّرات ومفاهيم غير محدّدة التّحديد الدقيق.<sup>1</sup>

إنّ صياغة النظرية لا تزيدها نجاعة وقوّة في التفسير إلا إذا كانت النظرية في حدّ ذاتها ناجعة وقويّة في التفسير؛ فقد يمكن أن تصاغ الافتراضات البسيطة المحتوى الهزيلة القيمة ما دامت متماسكة وذات مفاهيم واضحة، ولهذا فلا بدّ من الاعتراف بأسبقية النظرية على الصياغة، ومن جهة أخرى فإنّ عدم نجاح الباحثين في الوقت الزاهن في محاولاتهم لصياغة بعض النظريات... لا يبّرر التوقّف التام عن هذه البحوث والتراجع عنها؛ فالعجز الحقيقي يكمن في عدم القدرة على تجديد التّصوّر وتغيير اتّجاه البحث.<sup>2</sup>

هذا ويعتقد الحاج صالح " أنّ ما قام به النّحاة العرب الأوّلون، وخاصّة الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه من التّحليل الرّياضي لنظام اللّغة العربية، قد يساعدنا على إيجاد الحلّ وهو جعل النظرية اللّغوية قادرة على تفسير أكبر عدد من الظواهر، ويمثّل التّحليل الخليلي أعمق تحليل لغوي يخصّ اللّغة العربية.<sup>3</sup>

ومما لا يخفى أنّ المتنبّع للنظريّة الخليلية الحديثة يرى أنّ خلفها الكثير من الأهداف العلمية<sup>4</sup>، لعلّ أبرزها ما ذكره الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح من أنّه لا بدّ من "الرّجوع إلى التّراث العلمي اللّغوي الأصيل... والنّظر فيما تركه أولئك العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأوّل من الإسلام حتّى القرن الرابع الهجري وتفهمّ مآقالوه وأثبتوه من الحقائق العلمية التي قلّما توّصل إلى مثلها كل من جاء من قبلهم من علماء الهند واليونان ومن بعدهم كعلماء

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللّغوية الحاسوبية والنظريّة الخليلية الحديثة، مجلّة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 6، 2007، ص 11-12.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللّغوية الحاسوبية والنظريّة الخليلية الحديثة، ص 22-23.

<sup>3</sup> - ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح: المصدر نفسه، ص 22-23.

<sup>4</sup> - وقد عبّر عن ذلك بصراحة في مقدّمة أطروحته في الدكتوراه التي ناقشها بجامعة السوربون سنة 1797 م، حيث يقول : "L'étude que nous présentons ici a précisément pour objet d'apporter une modeste contribution au travail d'interprétation et d'éclaircissement que cette recherche linguistique aurait dû susciter depuis longtemps au même titre que la linguistique indienne ou la grammaire de Port Royal". Abderrahmane Hadj Salah, linguistique arabe et linguistique générale: essai de méthodologie et -d'épistémologie du àllm al-àArabiyya, thèse de doctorat, université Paris 4, Volume 1, 1979, P3.

اللسانيات الحديثة في الغرب"<sup>1</sup>، ويؤكد الحاج صالح على الفئة من العلماء الذين يقصدهم بكلامه، والذين يتصفون بصفات تميّزهم عن غيرهم ممّن عاصروهم، وفي هذا الصدد يقول: "ولا بدّ من التنبّيه ههنا أنّ الذين نعنّهم هم العلماء الأوّلون الذين عاشوا في زمان الفصاحة اللغوية العفوية، وشافهوا فصحاء العرب وقاموا بالتحريّات الميدانية الواسعة النطاق للحصول على أكبر مدوّنة لغوية شهدها تاريخ العلوم اللغوية، وتمكّنوا من ضبط أنجع الطّرق التحليلية لوصف المحتوى اللغويّ لهذه المدوّنة، ثمّ استنباط القوانين التّحوية الصّرفية البلاغية منها مع تعليل منطقي عجيب لكلّ ماشدّد عن هذه القوانين، ثمّ صياغة رياضية لمجموع هذه الأوصاف والتّعليلات ممّا لا يقلّ قيمة عمّا هو موجود الآن في ميدان العلوم اللسانية."<sup>2</sup>

هذا وقد أشار إلى الذين جاؤوا بعدهم وقصّروا خلا بعض الاستثناءات إذ يقول: "وأما الذين جاؤوا بعدهم فكانوا عالة عليهم؛ لأنّهم ظهوروا في العصور التي دخل فيها الفكر العربي في سبات يكاد لا ينتهي (ولا بدّ من استثناء بعض العباقرة وكانوا شواذ وغرباء في عصرهم كالرضيّ الاسترأبادي في القرن السّاس)."<sup>3</sup>

هذا ويحتاج الباحث في نظر الدكّكتور لفهم أغراض النّحاة الأوّلين-المبدعين حقّا لهذه المفاهيم السّابقة لأوانها إلى أن يكون له علم بما جاءت به اللسانيات الحديثة بجميع مذهبها ولا يقتصر على نظرية واحدة، وأن يكون له علم بكلّ ما وجهه اللسانيون الغربيون أنفسهم من انتقادات لمختلف هذه النّظريات، وأن يتجرّد في الوقت نفسه من كلّ فكرة سابقة إزاء التراث العلمي العربي وإزاء كلّ قديم عامّة، ولا يسقط على هذا التراث مفاهيم اللسانيات، إنّما الذي يجب أن يقوم به هو أن يتسلّح بمنهجية البحث العلمي الحديثة ومفاهيم الاستمولوجية الحديثة فإذا حاول أن يقوم مفهوما قديما فبهذه المناهج العلمية الحديثة التي بنيت على التّصفّح لكلّ السيّاقات التي وردت فيها الكلمة التي يجهل غرض مستعملها في نصّ معيّن، والاعتماد على ذلك وعدم الاكتفاء بما جاء عند الشّراح.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 168-169.

<sup>2</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 169.

<sup>3</sup> - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 169.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: النّظرية الخليلية الحديثة- مفاهيمها الأساسية- كراسات مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربية، العدد4، 2007، ص10-11.

وبذلك تؤكد النظرية الخليلية الحديثة دور الفكر العربي الأصيل، وموازنتها مع المناهج اللسانية المعاصرة، فهي تسعى لبناء مقومات عدّة تتمثل في: "تحليل اللّغة ونظامها آلياً، وهي تقوم على إحياء المبادئ التي وضعها النّحوي الخليل الفراهيدي- صاحب العروض ومؤسس علم الأصوات- إحياء اجتهاديا لا تقليدا أعمى يعكس الجوانب المحورية لهذه المدرسة<sup>1</sup>.

إنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي يعرف باختراعه للعروض، وقد يجهل أو يتناسى الكثير من النّاس أنّه قد جاء بأفكار علمية عظيمة جدّاً غير العروض؛ وذلك كالمفاهيم التي ظهرت في الرياضيات باسم العامل (Factorial) والزمرة الدّوّارة (Cyclic Group) وهما الفكرتان اللتان بنى عليهما أول معجم عربي أخرج للنّاس وهو كتاب العين<sup>2</sup>.

إنّ هذه الجوانب هي الأسس العلمية التي شكّلت لنا أركان هذه النّظرية وقدمتها بعرض لغوي جديد يئمّ عن الإبداع والفكر اللّغوي المتطور؛ إذ سعى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح منذ ظهور النّظرية الخليلية إلى بعث الجديد عبر إحياء المكتسب فتجاوزت مرحلة الاقتباس السّلبى عند نقلها عن الغرب، أو عند نشرها عن العرب<sup>3</sup>.

ويمكننا تقسيم القراءات التراثية، باعتبار هدفها المنشود على ثلاث قراءات أساسية يلخّصها الدكتور مصطفى غلفان في<sup>4</sup>:

- 1-قراءة تفاعلية، تحاول تأسيس مكانة للفكر اللّغوي في إطار الفكر اللّغوي العام.
- 2-قراءة تمجيدية، تتوّه بالتراث اللّغوي العربي وتضعه فوق اللّسانيات الحديثة.
- 3-قراءة اصطلاحية هدفها تخلص النّحو العربي من كلّ ما تعلق به من شوائب كالتّجريد والتّعليل والحذف والعامل والتّقدير...

وبالعودة إلى تجربة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، فإنّه يمكننا تصنيف تجربته- النظرية الخليلية الحديثة- ضمن القراءة التفاعلية التي تسعى إلى الإفادة من المزوجة بين

<sup>1</sup>- د. شفيقة العلوي: العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعوم تشومسكي، حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد السابع، 2007 م، ص7.

<sup>2</sup>- أجمع العلماء على أنّ الفكرة (الرياضية) التي بنى عليها كتاب العين هي للخليل. ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص240. الهامش.

<sup>3</sup>- ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج1، ص263.

<sup>4</sup>- ينظر: اللسانيات العربية الحديثة: ص137-138.

التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة؛ ذلك أنها تقوم بتحديث الفكر اللغوي العربي والنهوض به إلى واجهة اهتماماتنا اللغوية، أمّا من ناحية الاهتمامات اللسانية فإنّها تُغني الفكر اللغوي عامّة من خلال مدّه بروافد عربية، فضلا عن تعميق تفهمنا للسانيات عبر تحليل المسائل اللغوية في التراث اللغوي العربي، كما تؤمّن بعدا تراثيا للسانيات العربية تهتم بقضايا لغتنا وتحلّل مسائلها<sup>1</sup>.

فضلا عن أنّ الدكتور الحاج صالح يذكر أهم المزايا التي انمازت بها هذه النظرية- الخيلية، وهي:

1- الموضوعية العلمية: فهي تعتمد على المشاهدة، وهي بذلك علم وليست مجموعة اختيارات تعسّفية تفرض معيارا معيّنًا، وتهدر المعايير الأخرى.

2- التمييز بين ماهو راجع إلى التّغيير الزّمني، أي التّاريخ عبر الزّمان، وبين ماهو آني (Synchronic) خاصّ بالنّظام الباطني للغة.

3- اللّجوء إلى الصياغة المنطقية الرّياضية... وهذا من أهمّ ما تمتاز به العلوم الإنسانية عن غيرها كالآداب والفلسفة (كلّما كانت النّظريات في هذه العلوم أكثر نجاعة أو أكثر طواعية للصياغة كانت أعظم دقّة وأقرب إلى نظريات العلوم الدّقيقة) وغير ذلك من المزايا.<sup>2</sup>

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحاج صالح نبّه الباحثين- في العصر الحديث- إلى عدم جعل اللسانيات الغربية الحديثة مقياسا مطلقا يجب اتّباعه والاحتذاء به ولا يجوز الخروج عنه؛ إذ أنّ اللسانيات لم تبلغ من الرّقي ما بلغته العلوم الفيزيائية والبيولوجية وغيرها، أمّا العلوم الإنسانية- وخاصة اللسانيات- فلم تبلغ بعد هذا الشّأن، بحيث يصعب على الباحث العربي أو غير العربي أن يدحض بعض مبادئها الأساسية ويأتي بالبدل. وهذا لا يعني أنّها لم تأت بجديد، على العكس فقد كانت نتائج البحوث فيها رائعة، لكنّ هذا لا يبزرّ الخضوع لكلّ ما جاءت به خاصّة تصوّراتها وفرضياتها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج1، ص263-264

<sup>2</sup>- ينظر المصدر نفسه، ص103.

<sup>3</sup>- ينظر :بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج1، ص104.

ولا يخفى ما للخليل وأتباعه من أهمية لا يمكن تجاهلها، وإنّ خطورة هذا التراث الخليبي العظيم هي على قدر خطورة ما سيصير إليه مستوانا العلمي واتجاهنا الفكري فإمّا أن نبقي عالمة على تراث المتأخرين<sup>1</sup> كما هو الحال في الوقت الحاضر ويستمر تجاهلنا للنحاة الأولين بل وجهلنا المطبق لمفاهيمها ومنهجيتهم مع التقليد الأعمى لا لهؤلاء المتأخرين فقط، بل أيضا لما يقوله اللسانيون الغربيون من دون أي تمحيص، وإمّا أن نحاول المقارنة التقييمية العلمية بين كلّ هذه الاتجاهات بقصد الوصول إلى مفاهيم دقيقة أصلية ذات نجاعة كبيرة في الميدان العلمي والتكنولوجي، وهذا الاختيار الأخير هو الذي اختارته ما يسمّى في زماننا بالنظرية الخيلية الحديثة<sup>2</sup>.

وكانت دراساته لأعمال هؤلاء العلماء غاية في العمق والموضوعية، لا يشوبها أي تحيز وتخلو من أي حكم جاهز، فكان لا يتعصّب للقديم باسم التراث، ولا يناصر الغربيين باسم الحداثة، لأنّ الأصالة عنده تقابل التقليد لا الحداثة، والتقليد يؤدي إلى الجمود والتشويه، وهما يقوّضان الإبداع ويفتكان بكلّ عمل أصيل<sup>3</sup>.

إنّ موضوعيته الحقّة جعلته لا يقبل إلاّ بسطة العلم، إذ انقطع له بجديّة قلّ مثلها وبروح حرّة لا تتحاز إلاّ إلى الحقيقة. فكان يخضع كلّ الأقوال للنقد والتّمحيص مهما كان مصدرها عند القدماء أو عند المحدثين، عند العرب أو عند الغربيين، وأن يحرص على احترام العالم مهما كان انتماءه. ولا أحد ينكر قيمة الأعمال التي قدّمها للسانيات العامّة والعربية على وجه الخصوص، رافع بكلّ موضوعية عن أصالة البحث اللغوي العربي في القرون الأربعة الأولى للهجرة. ودافع بكلّ استماتة عن خلو النحو العربي من منطق أرسطو في القرنين الأولين، وهذا منذ أكثر من أربع وأربعين سنة. وقد أبدى حينها كفاءة عالية في عرض الحقائق التاريخية وكشف الزائف منها، ولا يقدر على هذا إلاّ من كان واسع الاطلاع على مصادر الدّراسات اللغوية عند العرب والغربيين على حدّ السواء، في دراسة اللّغة، مميّزا بين أصول هذه، عارفا

<sup>1</sup> - المتأخرون هم من جاؤوا بعد القرن الخامس الهجري، غير أنّ الحاج صالح استثنى بعض المبدعين من أمثال: الرضي الاسترأبادي.

<sup>2</sup> - ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص53.

<sup>3</sup> - ينظر : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج1، ص11.

بأصول تلك، مزوداً بمعرفة دقيقة وافية لمنطق أرسطو وهي صفات قلما تجتمع عند الباحث العربي في زماننا<sup>1</sup>.

مما تقدّم تبين لنا دعوة الدكتور عبد الرحمن الباحثين إلى ترك النظرة الخاصة بمذهب من مذاهب اللسانيات أو غيرها- فللباحث الحق في أن يختار المذهب الذي يريده- وإنما المطلوب من الباحثين العرب أن يقوموا بتمحيص ما يأخذونه، وألا يسلموا إلى شيء أو نظرية معينة، ما لم تكن قضية اختبرت صحتها أو نجاعتها عند التطبيق وأجمع على ذلك، ولا بأس أن يتبنى الباحث أية فكرة أو مذهب كان إذا لم يمنعه ذلك من أن يتعرف على غير هذه الفكرة وغير هذا المذهب؛ فعلى الباحث أن يقيم حواراً سهلاً، وهو أمر ضروري على قدر ما يقتضيه كل بحث متعدّد التخصصات، وسيزداد الحوار سهولة لو حاول كل بحث أن يوسّع دائرة معارفه بالنظر في النظريات اللسانية- غير تلك التي تبنّاها- بما فيها النظرية العربية القديمة.

هذه النظرية تتبنى أساساً على إعادة إحياء الفكر اللغوي التراثي وإخضاعه أو تطويره حتى يتوافق ومتطلبات الرؤية الحديثة (متطلبات الحوسبة اللغوية، متطلبات تعليم اللغة العربية بمراعاة التقنيات الحديثة، متطلبات معالجة بعض الأمراض...).

ومن أجل معرفة قيمتها وتمييزها حاول متبنّوها مقارنتها بأحدث النظريات اللسانية الحديثة كالنظرية البنوية والنظرية التوليدية التحويلية، والمطلع على هذه النظرية تأخذ الحيرة والعجب حيث يجد نفسه يطرح السؤال الآتي: لماذا يقبل اللسانيون العرب على هذه النظريات الغربية وفي أيديهم نظرية لا تقلّ علمية (وربما هي أدق) مما قدّم عند الغربيين؟ ولماذا هذا التغييب الكلي لكل ما له تعلق بالتراث اللغوي العربي؟<sup>2</sup>.

من بين الأسباب التي يوردها الحاج صالح لتفسير هذه الغربة المسلطة على هذا التراث العربي العلمي أنها "أولاً: هذه المعرفة السطحية للتراث وللمفاهيم العلمية الحديثة بما فيها العلوم الدقيقة وعلم المعرفة العلمية (الابستمولوجية)، وثانياً: استغلاق ما تركه الفطاحل من علماء

<sup>1</sup>- د. الشريف بوشحان: الأستاذ عبد الرحمن صالح وجهوده في ترقية استعمال اللغة العربية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، العدد7، 2010، ص3.

<sup>2</sup>- الأستاذ: الزايد بودرام: النظرية الخليلية الحديثة، أسسها وحدودها المائزّة، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <https://boudramazaidi.blogspot.com/2015/>، اطلع على المقال يوم: الأحد 15 جويلية 2018 م- 2 ذو القعدة 1439 هـ.

الصدر الأول على أفهام الكثير من المتأخرين والمحدثين (وقد يكون ذلك مسبباً بالسبب السابق)، ثالثاً: الخضوع المطلق لما قاله الغربيون في القرن الماضي (حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين) أن تطوّر المعرفة هو خطّي تسلسليّ: من البدائي إلى ما هو أرقى منه (أوغست كونت الفرنسي) وهذا غير صحيح بالنسبة إلى الفكرة العلميّة الواحدة؛ لأنّ الرقيّ العلميّ قد يتحقّق عند قوم فجأة في وقت ما لبعض الأسباب، ثمّ يتوقّف عندهم الإبداع وتختفي بعض الأفكار، ثمّ يكتشفها غيرهم من جديد ربما في إطار تاريخي آخر وتصور آخر عند غيرهم بعد زمان، وقد يكون طويلاً<sup>1</sup>.

ويذكر في مقال آخر مختلف الهنات التي يتّصف بها البحث اللساني العربيّ الحديث، والتي جعلته لا يُقدّم على هذا المنجز، منها:

أ- التنبّي دون نظر سابق لما جاءنا من الغرب (التسليم المطلق) من الأقوال والمذاهب اللغويّة بدعوى أنّ هذه الأقوال هي آخر ما توصل إليه العلم الحديث، وأنّ الباحثين العرب لم يبلغوا بعد مستوى الاجتهاد.

ب- التّعصّب الناتج عن القصور وقلّة الإمام، لمذهب غربيّ واحد لكون هذا الباحث قد تخرّج على يد ذاك العالم الغربيّ صاحب المذهب المعنيّ به، فلا يريد به بديلاً، ويعتقد أنّ كلّ ما يقوله غيره فهو من سفاسف الكلام وأباطيله.

ج- تجاهل بعض الباحثين للتّراث العلميّ العربيّ في ميدان اللّغة وخصوصاً ما اختصّ به العرب دون غيرهم وما أبدعوه من المفاهيم، ولم يوجد ما يقابله في التّراث الفكريّ اليونانيّ اللّاتينيّ ولا في المذاهب اللّغويّة الغربيّة الحديثة، وهذا التّجاهل ناتج عن جهل أوّلاً بجوهر المفاهيم والتّصورات العربيّة، وثانياً للاعتقاد الرّاسخ عند أكثر المحدثين أنّ ما ظهر عند العرب من الأفكار ولم يثبتته اللّغويّون الغربيّون لا قيمة علميّة له.<sup>2</sup>

تتطلق هذه النظرية في قراءتها للتّراث وتأصيل أفكاره من منطلقين أساسيين هما:

<sup>1</sup>- عبد الرحمن الحاج صالح: مستقبل البحوث العلمية في اللّغة العربيّة وضرورة استثمار التّراث الخليّ، بحث ألقى في ندوة نظمتها المعهد العالي للحضارة الإسلاميّة بوهان، سنة 1989، ضمن كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ج2، ص45.

<sup>2</sup>- ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ج1، ص12-13.

1 - لا يفسر التراث إلا التراث، فكتاب "سيبويه" لا يفسره إلا كتاب "سيبويه". ومن الخطأ أن نُسقط على التراث مفاهيم وتصوّرات دخيلة تتجاهل خصوصياته النوعية.

2 - أن التراث العربي في العلوم الإنسانية عامّة واللّغوية خاصّة ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة والإبداع، فهناك تراث وتراث<sup>1</sup>!

فالتراث الذي تعلّقت به النّزعة الخليلية الحديثة هو التراث العلمي اللّغوي الأصيل الذي تركه أولئك العلماء المبدعون الذين عاشوا في زمان الفصاحة اللّغوية الأولى، وشافهوا فصحاء العرب، وقاموا بالتحريات الواسعة النطاق للحصول على أكبر مدونة لغوية شاهدها تاريخ العلوم اللسانية. وأمّا الذين جاؤوا من بعدهم فكانوا عالة عليهم، إذ ضيّقوا حدود النّحو الواسعة واستبدلوا مفاهيم القدماء الإجرائية النشطة بمفاهيم أخرى جامدة تأملية<sup>(2)</sup>، مع بقاء نفس الألفاظ التي تدلّ عليها في الغالب<sup>(3)</sup>.

والذي حفّزهم (المشتغلين على هذه النّظرية) أكثر هو صحّة الأوصاف وصحّة التّحليلات التي قدّمها هؤلاء العلماء، والتي قد تفوّق في أحايين كثيرة ما توصلت إليه اللسانيات الغربية يقول الحاج صالح: "ازدهرت البحوث اللّغوية الحديثة بفضل ما وضعه العلماء من نظريات عميقة حول اللّغة، وبفضل ما تحاوله هذه البحوث من استثمار واسع لهذه النّظريات، ومستقبل كلّ البحوث اللّغوية مرهون، في اعتقادنا، بمدى نجاح هذا الاستثمار بالنّسبة لكلّ لغة، والذي نريد أن ينتبه إليه إخواننا الباحثون هو وجود نظرية استخرجها بعض الباحثين الجزائريين ممّا أخرجته علماء النّحو الأوّلون، وبنيت هذه النّظرية على عدد من المفاهيم والتّصوّرات قد لا يوجد في اللسانيات الحديثة ما يماثلها بل قد تفوقها إلى حدّ بعيد، وهذا ما حاولنا أن نبرهن على

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ج1، ص 208.

<sup>2</sup> - المقصود بالجانب التأملي، هو الذي يمت بصلة إلى الفلسفة والمنطق اليوناني، والتقسيم والتصنيف الأرسطي الذي اهتم به النحاة المتأخرون.

<sup>3</sup> - أكثر المصطلحات اللغوية، كما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، لم يتغير لفظها عند المتأخرين، إنّما الذي تغير هو محتواها، ومن ذلك مثلا: "لفظة"، "كلمة"، "حرف"، "القياس"، "المبني"، "المبني عليه"، "باب"، "حد"، "مثال"، "بناء"، "وصل" "إدراج" "أصل"، "فرع"... ينظر د/ عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، العدد 1، ص: 27.

صحته بتحرير هذه النظرية وصياغتها صياغة منطقية حتى يمكن أن نقارن بينها وبين النظريات الحديثة".<sup>1</sup>

ومن ثمّة فترات بمثل هذه القيمة العلمية يفرض على كلّ من رام الموضوعية إعادة اعتماده أساسا ومنطلقا لا تهميشه وتفزيمة فما صحّ منه قبل، وما بطل بالحجّة والدليل، فهو باطل ويكاد "يجمع العرب في وقتنا الحاضر على أنّ المحافظة على التراث العلمي العربي والرجوع إليه أمر ضروري لا حبا في القديم في ذاته، ولا للمحافظة من أجل المحافظة، فهذا وإن كان كثيرا في أيامنا إلا أنّه قد قلّ أنصاره بتعميم التعليم وانفتاح العقول على العالم، على أنّ أكثر الناس يجعلون التراث الفكري العربي واحدا، فما دام هو تراثا وركنا إذن من أركان هويتنا فكّله حسن لا كلام فيه وهنا يكمن الخطر؛ إذ التراث الذي يتّصف بالإبداع وبالتالي بالأصالة غير التراث الذي يسوده التقليد وبالتالي الجمود الفكري"<sup>2</sup>، فهويتنا مربوطة بالصحيح لا بالفساد مربوطة بالمبدع الأصيل ومن ثمّة فلا مكان للتقليد، حتى وإن كان هذا المقدّد تراثا.<sup>3</sup>

ويمكن إضافة محقّر آخر وهو أنّ مفاهيم هذه النظرية وأسسها مراعى فيها خصوصية اللغة العربية، ولذلك فهي تعكس في جزء من وصفها بنية ونظام اللغة العربية، بخلاف النظريات الوافدة التي ثبتت نشازها الكبير مع نظام وبنية هذه اللغة، ولعلّ ما يمكن التّذليل به ههنا هو عدم تحقيق - لحدّ الآن - كفاية وصفية وتطبيقية كافية لبنية اللغة العربية اعتمادا على تلك النظريات، بل جلّ ما نجده هو تعسّف في التّطبيق دون مراعاة للخصوصية، يقول الحاج صالح: "والذي زاد الطّين بلّة هو أنّ بعض معاصرنا ممّن حظي بالاطّلاع على ما ظهر في الغرب من آراء أو نظريات جديدة ... في الظواهر اللغوية وما إليها من الدّراسات الجديدة التي تنتمي إلى ما أسموه بالـ Linguistics أرادوا أن يطبقوا على العربية هذه النظريات... دون نظر

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص44.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي الأصيل، محاضرة أقيمت في 1984 في قاعة المؤتمرات لمجمع اللغة العربية الأردني، ونشرت في الموسم الثقافي الثاني لهذا المجمع، ضمن كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص 280-281.

<sup>3</sup> - يرى الحاج صالح أنّ التقليد "هو اتباع الإنسان لغيره فيما يقول أو يفعل معتقدا الأحقية فيه من غير نظر وتأمّل في الدليل... أو بعبارة أخرى هو اتّخاذ أقوال الغير كحقائق لا تقبل الجدل وعدم الإتيان بأي ابتكار"، ينظر مقال: عبد الرحمن الحاج صالح الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، ضمن المصدر نفسه، ج1، ص11.

سابق... كأنها حقائق مسلمة تنطبق على كل لغة، وليتهم فعلوا ذلك للاختبار، وبينوا بعد الاختبار مدى ملاءمتها للعربية وبالتالي قدرتها على استيعاب الظواهر المختلفة<sup>1</sup>.

وقد كان من نتائج هذا التعسف والتعصب لهذا الوافد، كما يقول الحاج صالح، أنهم "نبذوا في الوقت نفسه نفسه النحو والصرف بدعوى أنهما معياريان أو على أنهما بعيدان عن التصور العلمي للغة الذي ظهر في زماننا. ويا ليتهم وقفوا عند هذا الحد فإنهم لم يكتفوا بذلك بل تهجموا على التحويين المبدعين وتعسفوا في انتقادهم لهم إذ أسقطوا على أقوالهم النظريات الغربية، ولم يحاولوا أن يتفهموها في ذاتها وبدون أن يسلطوا عليها المفاهيم والتصورات التي وجدوها في دراساتهم للLinguistics فكانت هذه المفاهيم المرجع في تقويم التصورات العربية، وكل ما لم يجده استصغروه وقللوا من قيمته، بل حكموا عليه بالبدائية أو التخيل الخاطيء<sup>2</sup> وفي هذا كله إلغاء للذات العربية المبدعة، وتهميش لها وتقليل من قيمتها، ولذلك دعا الحاج صالح، في كثير من مقالاته، إلى تجنب هذا التعسف "بالبحث أولاً عن أصول المفاهيم الغربية للتمييز بين ما هو جديد حقاً، وما هو قديم جداً لم تأت به العلوم ولا التقنيات الحديثة، بل توارثه الناس جيلاً بعد جيل، وقد بين العلماء بعد ذلك أنه تصور وليس بحقيقة ملموسة مجمع على صحتها، ثم البحث عما كان يقصده العلماء العرب بالفعل في أقوالهم التي تركوها لنا في كتبهم، مثل كتاب سيبويه وشروحه<sup>3</sup>.

بل أكد أن "التقدم الذي نريد أن نحققه في علوم اللسان النظرية والتطبيقية وفي علم العربية خاصة لن يتم - في نظرنا - إلا بتحقيق شيئين اثنين: أولاً الاختبار المتواصل لجميع النظريات بالتكنولوجيا الحديثة، وثانياً الرجوع إلى التراث الأصيل (وترك غير الأصيل) مع مواصلة البحث انطلاقاً مما تركه لنا علماءنا القدامى المبدعون<sup>4</sup>.

ويتحدث عن المحفزات الأولى التي حركت أصحاب النظرية الخليلية الحديثة إلى إعادة الاعتبار (إعادة التحديث) لهذا المنجز التراثي الخليلي قائلاً: "والذي جعلنا نفكر في حداثة

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي الأصيل، ضمن كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص282.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: المصدر نفسه، ص282.

<sup>3</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص283.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص289.

أفكار النّحاة الأوّلين ممن عاصر الخليل وأتباعه وأصالتها خاصّة... هما شيان اثنان: أولاً: الفوارق الكبيرة جدّاً التي تفترق بها أفكار أولئك النّحاة عن الأفكار النّحويّة العربيّة التّقليديّة (مثل ما نجده عند ابن مالك مثلاً وشروح مؤلّفاته)، فالتّصوّر العلميّ يختلف فيهما تماماً، وأمّا الثّاني فهو ما أجمع عليه النّاس في وقتنا؛ فقد لاحظ كلّ معاصرنا أنّ الأفكار الأساسيّة التي بني عليها التّحليل عند الخليل هي رياضيّة محضة، فهذا شيء لا يتفق مع ما يتصوره اللسانيّون في الوقت الحاضر؛ فإن كان النّحو العربيّ في زمان الخليل وسيبويه بدائيّاً بالنّسبة للسانيّات الحديثة فما هذا الاتجاه الرّياضيّ الذي أجمع معاصرنا على الاعتراف بوجوده عند الخليل؟ ثمّ لننظر إلى هذا الذي يقال إنّ نزعاً رياضيّة ما هو.<sup>1</sup>

إنّ النّظرية الخليلية الحديثة- في نظر الحاج صالح- تتبوأ مكاناً وسطاً بين توجيهين أحدهما: يتجاهل تماماً ما تقدّمه اللسانيّات الحديثة من رؤى مهمّة في فهم النّظرية اللّغوية والآخر: يتجاهل التراث على الرّغم من معرفته به فضلاً عن جعل التراث كلّ واحد، وبعض أصحاب هذا التّوجه مقتنعون اقتناعاً تاماً أنّه قد تجاوز زمانه أو هو وجهة نظر لا يمكن أن تساوي وجهات نظر اللسانيّات الغربيّة.<sup>2</sup>

ويعتبر الدكتور الحاج صالح - الخليل - المؤسس الحقيقي لهذه النّظرية اللّغوية لما له من السبق المعرفي في العلوم العربيّة؛ إذ له فضل السّبق في استعمال المفاهيم الرّياضية لضبط نظام اللّغة ووضع علم العروض، فقد بني علومه على أسس منطقيّة علمية؛ وذلك كمفهوم العامل والرّمز، وقسمة التّركيب... الخ. كما له السّبق في ابتكار معجم العين الذي يعدّ مدرسة اتّبعها كثير من العلماء<sup>3</sup> لا يزال معتمداً إلى يومنا هذا- فضلاً عن العلماء العرب القدماء ممّن شافهوا العرب الأفاذاً ابتداءً من القرن الثّاني الهجري- وهي المدة الخصبة في الفكر اللّغوي العربيّ الأصيل المبدع- وحتىّ القرن الخامس الهجري.

<sup>1</sup>- عبد الرّحمن الحاج صالح: مستقبل البحوث العلميّة في اللّغة العربيّة وضرورة استثمار التراث الخليلي، ضمن المصدر السابق ج2، ص46.

<sup>2</sup>- ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيّات العربيّة، ج1، ص227-228.

<sup>3</sup>- ينظر، المصدر نفسه، ص280.

وقد برهن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح على إيمانه بدقّة النظرية النحوية عند النحاة المتقدمين بطريقتين:

الأولى: تتبّع تاريخ علم اللسان من أقدم الإشارات التاريخية له حتّى العصر الحديث، ورصد التطور النظري المنهجي في كلّ عصر، فنذهب إلى أنّ تاريخ علم اللسان يبدأ باختراع الكتابة عند قدماء المصريين وتطورها عند الأكادين، والفينيقيين، ثمّ انتهج علم اللسان بعد ذلك المنهج الوصفي عند الهنود، ومنهج التحليل الصوتي، والتقسيم النحوي عند اليونانيين.<sup>1</sup>

وعندما تتبّع تطوّر علم اللسان في أوروبا في القرون الوسطى بعد القرن السادس الميلادي حتّى القرن السادس عشر وجد أنّ الأوروبيين بدأوا يبحثون عن علل النحو في تفسير القواعد بتأثير الفلسفة والمنطق، وقالوا بضرورة التقدير في النحو لتفسير الأبنية والتراكيب التي تعترضها بعض التحوّلات في سعة الكلام ونظمه مثل الحذف، والتقديم، والتأخير، وغيرها. وهنا حدّد أنّ نحاة العربية أوّل من لجأ إلى التقدير.<sup>2</sup>

وقد خصّ النحو العربي ومنطق أرسطو بدراسة خاصّة ذهب منها إلى أنّ المنطق الأرسطي لم يؤثّر تأثيراً حقيقياً ملحوظاً على النحو العربي إلّا في القرن الرابع الهجري.<sup>3</sup>

وهذا التتبّع التاريخي تاريخ موجز لعلم اللسان البشري حقّق منه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هدفين: التأريخ لتطوّر علم اللسان البشري، وإثبات أنّ نظرية النحو العربي عربيّة في جذورها وأصولها. فالتعليل النحوي تبع من اللّغة العربيّة ولم يتأثّر بمقولات المنطق إلّا في القرن الرابع الهجري، وتمثّل أصوله النظرية دقّة علميّة في البحث والتفسير، وهذا ما سعى إليه في الطريفة الثانية التي سلكها للبرهنة على وجود نظريّة نحويّة عربيّة متقدّمة علمياً قادرة على تفسير اللّغة العربيّة نحواً وصرفاً.

الثانية: تحديد الأصول أو الأنظار العلميّة التي بنى عليها نحاة العربية نظريّة النحو العربيّ تلك الأنظار التي توصل إليها علم اللسان الحديث، ولا سيّما في المدرسة التحويلية منها مفهوم الباب وهو "مجموعة من العناصر تنتمي إلى فئة، أو صنف، وتجمعها بنية واحدة" مثل البنية

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص من 49-69.

<sup>2</sup> - حسن خميس الملخ، المرجع السابق، ص 248.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح- النحو العربي ومنطق أرسطو، ص 67-86.

الصرفية "مفعَل" التي تنتمي إلى العناصر "مكتب"، و"مجمع"، و"محلل" و"محل"<sup>1</sup> والبنية النحوية مسند ومسند إليه نحو: "زيد قائم" و"قام زيد" وهي نواة الجملة العربية التي بنى النحاة على ما يزداد على أولها مفهوم العامل في المسند إليه مثل:<sup>2</sup>

Ø	زيد	منطلق
إنّ	زيدا	منطلق
كان	زيد	منطلقا

وقد رأى "حسن الملح" في تتبّع علم اللسان فائدة لكنه عمل غير مقنع إذ يقول: " وعمل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تتبّع علم اللسان متميّز مفيد، لكنّه فيما يبدو غير مقنع لعدم ترابطه التاريخي، فكأنّه افترض أنّ العالم القديم قبل الحديث كان قرية واحدة تتبادل التأثير والتأثير، وهذا غير مؤكّد، فليس شرطا أن تعرف كلّ أمة منجزات الأمم السابقة في علم اللسان لتبني عليها، ذلك أنّ علم اللسان يمكن أن ينمو في عدّة بيئات، ويصل إلى نتائج متساوية لا تسوّغ أخذ أمة عن أخرى إلاّ بدليل تاريخي قاطع، كما أنّ اختلاف الوسائل واتّحاد النتائج لا يعني التأثير فمن الصّعب إثبات تأثر تشومسكي باننظار من النّحو العربي لمعرفة بنحو العبرية<sup>3</sup> لأنّ وسائل البحث المتاحة له الآن تختلف عن وسائل البحث عند نحاة العبرية"<sup>4</sup>.

وقد راح الدكتور الحاج صالح يبحث في الماضي، وفي الحاضر ليتّخذ من الماضي دليلا على أصالة نظرية النحو العربي، ولا سيّما في المبادئ العقلية التي بنيت عليها<sup>5</sup>، ومن الحاضر دليلا على تلاقي أنظار النحو العربي مع أنظار المدرسة التحويلية التوليدية، ولكنّ في النحو العربي أنظارا غير تحويلية، فالأولى الإقلاع عن بحث مسائل التأثير والتأثير لقلّة جدواها

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح- النحو العربي ومنطق أرسطو، ص 29.

<sup>2</sup> - حسن خميس الملح، المرجع السابق، ص 249.

<sup>3</sup> - لقد لمّح إلى ذلك عبد الرّحمن الحاج صالح . ينظر: المدرسة الخليلية الحديثة، ضمن كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 375-376.

<sup>4</sup> - حسن خميس الملح، المرجع السابق، ص 251

<sup>5</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة، ص 373.

والأولى عقد حوار مع كلِّ المناهج الحديثة من غير حصر النَّحو العربيِّ في منهج واحد بشرط ألا تكون المناهج الحديثة معايير لتقويم النَّحو العربي بل أساليب استثناس.

### ب- أصالة النظرية الخليلية:

إنَّ تناول أصالة نظرية ما، هو تناول لما يميّزها عن غيرها من النظريات الأخرى، أو هو رسم للحدود التي تميّز ما قدّمه فكر ما من حيث المنطلقات وزوايا النظر المتخذة في معالجة ظاهرة ما<sup>1</sup>، ولا يعني بحال من الأحوال القديم؛ فالأصيل لا يساوي أو يعني القديم، إنَّها كما يقول الحاج صالح: "الشيء الذي لا يكون نسخة لغيره"، ولاشكَّ أنَّ في هذا دعوة صريحة إلى نبذ التقليد الأعمى؛ التقليد الذي يفتقر إلى الدليل الصحيح؛ وأصالة النظرية الخليلية تكمن في تميّزها عن نحو المتأخرين من النحاة الذين تأثروا بالمنطق الأرسطي في بناء المفاهيم (أمثال ابن مالك...) كما يكمن في تميّزها عن المنطق الأرسطي، وعن مختلف النظريات الغربية الحديثة (البنوية والتوليدية التحويلية...).

ويمكن بسط القول في هذه الأصالة، بالتركيز على نوعين من التأسيس لبيان هذه الأصالة (اعتمدهما الحاج صالح في جلِّ مقالاته) هما التأسيس من الدّاخل، وذلك حين يتعلّق الأمر ببيان تميّز النظرية الخليلية عن النظرية النحوية عند المحدثين من النحاة، والتأسيس من الخارج حين يتعلّق الأمر ببيان تميّزها عن كلِّ الأفكار والنظريات الغربية القديمة أو الحديثة.

### ب-1- التأسيس من الدّاخل:

يرى الحاج صالح أنَّ النَّحو العربيِّ الأصيل هو "النحو الذي طوّره وأنضجه الخليل بن أحمد مع بعض زملائه وأتباعه وخاصة سيبويه، وأكثره مبني على مفاهيم منطقيّة رياضية"<sup>2</sup> ذلك أنَّه نحو متميِّز وليس نسخة لغيره، فهو نسخة عربيّة متميِّزة بمنطلقاتها وتصوّراتها وأسئلتها التي كانت تطرحها، وإلى جانب كلِّ ذلك هي نسخة مستنقاة من إيمان النَّظر في هذه اللّغة، ولم يفرض عليها أيّ شيء خارجيّ عنها.

<sup>1</sup> الأستاذ: الزايد بودرامة: النظرية الخليلية الحديثة، أسسها وحدودها المائزة، المرجع السابق.

<sup>2</sup> عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل معالجة العربية بالحاسوب، بحث ألقى في مؤتمر اللغويات الحاسوبية، بالكويت، 1989، ضمن كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص241.

إذا كانت هذه هي حال النحو مع النحاة الأوائل، فإنّ هذا النحو قد تبدّل وتغيّر بعد القرن الرابع، حيث لم تعد المنطلقات هي تلك المنطلقات الأصيلة التي كانت عند سابقهم، فقد اختلطت جلّ مفاهيمهم بالمنطق اليوناني ومن ثمة اصطبغت بصبغة مخالفة تمام المخالفة لما أورده النحاة المتقدمون أمثال الخليل وسيبويه، يقول الحاج صالح: "أمّا ما صار إليه بعد القرن الرابع فهو أقلّ قيمة بكثير مما كان؛ أولاً لأنّ المنطق اليوناني، منطق أرسطو، كان قد غزا الفكر العربيّ، وكان ابتداء ذلك بالنسبة للنحو في عهد البغداديين (ابن السراج وابن كيسان وغيرهما ممن تأثروا بهذا المنطق، وهذا لم يحصل قطّ في زمان الخليل وسيبويه خلافاً لما يعتقد البعض) وقد أولع العرب بمفاهيم أرسطو المنطقية فالتبس على الكثير من الناس المفهوم العربيّ الأصيل... بالتصور الخاصّ بأرسطو... وأضف إلى ذلك التحوّل الذي أصاب العلوم الإسلامية وخاصة النحو، فقد صار ابتداء من القرن السادس عبارة عن سكولاستيك (scholastic) أي دراسات مدرسانية، الغاية منها التعليم مع الجدل العقيم. وكلّ ما ظهر بعد ذلك فهو تقليد لا للفترة الأولى الخلاقة بل لمؤسسي المدرسية النحوية كابن مالك وشرّاحه"<sup>1</sup> وليس هذا فقط بل حُمِلَ كلام أولئك المبدعين على غير ما يحتمله؛ حيث صار "يتأوّل الألفاظ التي ترد في نصوصهم كما كان يفهمها ويستعملها النحاة المتأخرون، ومعنى ذلك أنّهم يسقطون معاني هؤلاء على نظريات أولئك النحاة الفطاحل؛ أي تصوّر ابن مالك ومن جاء بعده على تصوّر الخليل بن أحمد وسيبويه وأبي عليّ الفارسي وابن جني وغيرهم ممّن استغلق كلامه على أكثر الناس منذ القرن الخامس الهجري، وكان يجب عليهم أن يميّزوا بين ما يقوله الخليل وسيبويه وما يقوله من جاء بعده بأربعة قرون وأكثر، وابتعد كلّ البعد عن الرّوح العلميّة والنظريات العميقة التي قد تفوق قيمة النظريات الحديثة"<sup>2</sup>، وإذن فقد صار من الضروري التّفريق بين ما يقوله الفريقان، وذلك نظراً للفرق "الكبير الذي يميّز المنظور العلميّ الدقيق لسيبويه وشيوخه وتلاميذه للغة، وكيفية تحليلهم لها بناء على هذا المنظور من النزعة التعليميّة

<sup>1</sup> - عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص241-242.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص14-15.

للنحو التي استولت على الممارسين للنحو بعد القرنين الخامس والسادس<sup>1</sup>، ومن أمثلة المصطلحات التي فقدت حمولتها المفاهيمية الأصيلة:

### - الحرف:

الحرف عند متأخري النحاة قسيم الفعل والاسم، أي أنه نوع من أنواع الكلم، ولا يتعدى مفهومه، عندهم، هذا المدلول، قال ابن مالك: (كلامنا لفظ مفيد كاستقم \*\*\* واسم وفعل ثم حرف الكلم)، وقال شارحه ابن عقيل موضحاً: "الكلم اسم جنس واحده كلمة، وهي: إمّا اسم وإمّا فعل وإمّا حرف، لأنها إن دلت على معنى في نفسها غير مقترنة بزمان فهي الاسم، وإن اقترنت بزمان فهي الفعل، وإن لم تدل على معنى في نفسها، بل في غيرها، فهي الحرف"<sup>2</sup>، فمفهوم الحرف عند المتأخرين موضوع لبيان نوع من أنواع الكلم لا يتعداه، وقد استعمل هؤلاء النحاة في ضبطه وتمييزه الحدّ الأرسطي (الجنس والفصل)، أمّا عند متقدمي النحاة فإنه يأخذ مفهومًا أوسع، وضبطه عندهم يختلف اختلافاً كبيراً عن ضبطه بالحدّ الأرسطي، وفي هذا الصدد يقول الحاج صالح مبيناً تصوّر النحاة المتقدمين أمثال الخليل وسيبويه: "الحرف عند الأولين هو العنصر أي الوحدة المؤلفة من قطعة صوتية، وتطبق كعنصر على الوحدة الصوتية (الفونيم) أو على المفردة أيًا كانت، اسماً أو فعلاً أو أداة"<sup>3</sup>.

ويدلّ على صحّة كلامه بما أورده سيبويه في أول كتابه وهو يتحدث عن باب (ما الكلم من العربية)، قال: "وعندما يحدّد سيبويه تقسيم الكلم العربية فإنه يقول: (اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)، ولم يقف عند كلمة حرف كما يفعله أكثر من جاء بعده؛ ومعناه: الكلم اسم وفعل وعنصر آخر جاء لمعنى أي لم يأت للدلالة على ذات (Object) كالاسم أو حدث (process) كالفعل بل على معنى مثل الاستفهام أو النفي أو غير ذلك مما يضاف إلى

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، بحث مقدم لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في 1993، (ونشر في مجلة المجمع سنة 2000)، كما قدم في ندوة النحو والصرف المنعقدة في دمشق سنة 1994، ونشر في مجلة المبرز الصادرة عن المدرسة العليا للأساتذة للآداب والعلوم الإنسانية بالجزائر، سنة 1995، مجموعة ضمن كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص290.

<sup>2</sup> - ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج1، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980، ص13-15.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل معالجة العربية بالحاسوب، المصدر سابق، ج1، ص242.

الاسم والفعل، وليس ذلك اسما أو فعلا لأنّ بعض الأسماء والأفعال تدلّ على هذه المعاني كالظروف وأسماء الاستفهام والأفعال الناسخة وغير ذلك" <sup>1</sup>.

### - الكلمة:

من المصطلحات التي تغيّرت حمولتها المفاهيمية عمّا كانت عليه عند النحاة المتقدّمين مصطلح الكلمة، فهي "عند سيبويه غير ما هي عند ابن مالك: فلفظة (كتاب) كلمة، والألف في (الزيدان خرجا) كلمة، ولكن الهمزة في (أَكْتَبَ) والتاء في (اكتتَبَ)، والميم في (مَكْتَبَ) ليست كَلِمًا لأنّها حروف بنيت عليها الكلمة ولا تنفصل. فالكلمة هي الحرف (= العنصر) المنفصل: إمّا بالتّمام (تبتدئ ويوقف عليها) أو جزئيًا كالحروف التي تدخل وتخرج إذا اقترنت بكلمة أخرى، ولم تكن عليها هذه الأخيرة، فهذا هو مفهوم الخليل وسيبويه، فالتّنين على هذا كلمة، وحتّى الحركات الإعرابية كما لاحظها الرّضي" <sup>2</sup>، أمّا عند متأخري النحاة أمثال ابن مالك وابن هشام ... فنجد مفهومها يحدّد بمراعاة المنطق الأرسطي، ومن ثمة يُضيق في حدود هذه الرّؤية اعتمادا على الجنس والفصل؛ فقد عرفها ابن جزي في كتابه التّسهيل بأنّها: "لفظ مستقلّ دالّ بالوضع تحقّيقًا أو تقديرًا، أو منويّ معه كذلك وهي اسم وفعل وحرف" <sup>3</sup>.

### - الخبر:

يحصّر النحاة المتأخرون مدلول هذ المصطلح في الجزء الذي تتّم به الفائدة مع المبتدأ؛ قال ابن مالك: (والخبر الجزء المتمّ الفائدة \*\*\* كأنه برّ والأأيادي شاهدة)، وقال شارحه ابن عقيل: "عرّف المصنّف الخبر بأنّه الجزء المكملّ للفائدة، ويرد عليه الفاعل، نحو: (قام زيد) فإنّه يصدق على (زيد) أنّه الجزء المتمّ الفائدة، وقيل في تعريفه: إنّهُ الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملة، ولا يرد الفاعل على هذا التّعريف؛ لأنّه لا ينتظم منه مع المبتدأ جملة" <sup>4</sup>، أمّا مدلوله عند المتقدّمين فأوسع دائرة "فإنّ سيبويه لا يسمّيه كذلك دائمًا بل هو عنده المبنيّ على

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص242.

<sup>2</sup> - عبد الرّحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل معالجة العربية بالحاسوب ، ص243.

<sup>3</sup> - جمال الدين بن مالك: شرح التّسهيل، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيّد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ج1، ط1، 2001، ص12.

<sup>4</sup> - ابن عقيل: شرح ابن عقيل، ج1، ص201.

المبتدأ، أمّا كلمة خبر فقد يطلقها على هذا وعلى الحال أيضاً، بل على كل ما هو مفيد (= فيه علم للمخاطب) ولم يأت فقط لتعريف المبتدأ وما أشبهه<sup>1</sup>.  
وعلى كلّ فبيان الاختلافات المفاهيمية بين نحو المتقدمين ونحو المتأخرين ما زال يحتاج إلى استقصاء وتتبع أكبر، حتّى يمكن الرجوع إلى المفهوم الأصيل وتبنيّه واعتماده لأنّه المرتكز الحقيقي لهذه النظرية.

### ب-2- التّأصيل من الخارج:

تأصيل النظرية الخليلية من منظور خارجي معناه إثبات أصالتها بنفي مختلف الروافد الخارجية (المقصود بالكلام هنا هو المنطق اليوناني) التي ظنّ أنّها النموذج الذي احتّذي في بنائها ووضع مصطلحاتها وتصوّر مفاهيمها، كما أنّه يندرج ضمن التّأصيل الخارجي لها إثبات تميّزها عن مختلف النظريات اللسانية الغربية الحديثة (البنويّة، والتوليدية التحويلية)، أو بعبارة أخرى نفي التقليد وإثبات التّميّز<sup>2</sup>. وسنبداً في بيان هذا الأمر بالتّطرق أولاً إلى مختلف الردود النّافية لفكرة التّأثير المنطقيّ الأرسطيّ على النحو العربيّ، ثمّ نتطرّق إلى ما يميّزها عن مختلف النظريات الغربية الحديثة.

### -2-1 مناقشة فكرة التّأثير المنطقيّ الأرسطيّ<sup>3</sup>:

ما رُوج له من فكرة تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي مردّه إلى النظرة المقلّلة من قيمة الذات العربيّة وقدرتها على الإبداع والابتكار؛ حيث طرحت أسئلة عديدة كان أكثرها إلحاحاً: كيف استطاعت أمة أميّة أن تبني نظرية بهذه الدقّة في وقت وجيز؟ إنّ هذا الأمر في رأي

<sup>1</sup> - عبد الرّحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ج1، ص243.

<sup>2</sup> - الأستاذ: الزايدى بودرمة: *النظرية الخليلية الحديثة، أسسها وحدودها المائزة (مقال من الأنترنت)*.

<sup>3</sup> - شغلت هذه القضية الباحثين في أرجاء الوطن العربي، وأفرد لها بعضهم مؤلفات مستقلة، على سبيل المثال: المنطق والنحو (الصوري)، د. طه عبد الرحمن، والنزعة المنطقية في النحو العربي، د. عبد الفتاح الدجني، وأصالة النحو العربي، د. كريم حسين ناصح الخالدي، ومنطق العرب في علوم اللسان، د. عبد الرحمن الحاج صالح، كما أفرد لهذا الموضوع مقالات خاصة، منها: النحو العربي ومنطق أرسطو، د. عبد الرحمن الحاج صالح، وخواطر حول علاقة النحو العربي بالمنطق واللغة، د. عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، العدد العاشر، 1973 م 36 21، والنحو العربي ومنطق أرسطو، د. محمد عابد الجابري وقائع ندوة البحث اللساني والسميائي، كلية الآداب بجامعة محمد الخامس، الرباط، 1984 م 257 235، كما شغلت هذه القضية المستشرقين، ينظر: نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، جيرار تروبو، مجلة اللغة العربية الأردني، العدد الأول المجلد الأول، 1978 م، ص125.

المشككين في أصالة هذه النظرية شيء مستحيل ممتنع إلا على سبيل الانتحال والاقْتباس من الغير، ويقصدون بهذا الغير اليونانيين وراثتهم، ولاشك أن في هذا الادعاء من الحيف والافتراء الشيء الكثير؛ يقول الحاج صالح: "والغريب المقلق أن أظهر هذه الآراء التي ألبست لباس البحث النَّزيه هي التي تنفي كلَّ طرافة للمناهج العربيّة في النَّحو، وتتكبر أن يكون النَّحاة العرب أخرجوا شيئاً جديداً لعجزهم أو عجز البيئة الاجتماعية العربيّة على الإتيان بهذا الصنّع المبتدع وذهبوا يقارنون بين مصطلحاتهم وما تواضع عليه اليونان من قبلهم في علم النَّحو، ورأوا في تقسيم العرب للكلام تقسيماً أرسطوطاليسياً محضاً. ويا ليتهم ما فعلوا فينجوا من زلل لم يصب به أيّ عالم من قبلهم"<sup>1</sup> ذلك أن مجرد التشابه في بعض المفاهيم لا يعني أن أحدهما ناقل عن الآخر مقتبس منه.

وأول من أثار فكرة أخذ العرب من اليونانيين هما المستشرقان: جويدي (Guidi) ومركس (Merx)، وصار كلٌّ من يأتي بعدهما يرتاح إلى ما قالاه من غير نقد ولا تمحيص ولا مراجعة حتّى من العرب المعاصرين أنفسهم، ومن أشهر من وافقهما وسار على منهجهما من العرب المعاصرين: أحمد أمين، وإبراهيم مدكور، ومهدي المخزمي... يقول الحاج صالح في هذا الصدد: "فممن تصدّروا الخروج عمّا رسمه القدماء في ذلك هو: أحمد أمين... (حيث رأى) أن تأثير اليونان والسريان في العصر الأوّل لوضع النَّحو كان ضعيفاً، وأنّه ربما كان أكبر الأثر غير مباشر كاستخدام آلة القياس والتّوسّع بواسطتها في وضع القواعد النَّحويّة، وجاء بعده "إبراهيم مدكور" فما زاد في أطروحته... على ما قاله علماء الغرب، بل اكتفى بالإشارة إلى أن التأثير يظنّه وقع في وضع النَّحو... وقدّم الأستاذ مهدي المخزمي كتاباً عن مدرسة الكوفة سالكا فيه هذه السبيل، بانياً جميع ما يثبته على القول بتأثير المنطق على النَّحو، وبالخصوص على مدرسة البصرة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العربي ومنطق أرسطو، نشر هذا البحث في مجلة كلية الآداب بجامعة الجزائر، العدد 1964، مجموع ضمن كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص44 .

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: النحو العربي ومنطق أرسطو، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص46-47.

والحق أنّ هذه الادّعاءات تفتقد الدليل القاطع الذي يثبتها، فعلى الرغم من اقتناع كثير من الباحثين بوجود هذا التأثير إلا أنّ أحدا منهم " لم يأت... بدليل قاطع"<sup>1</sup>، وقد ناقش الحاج صالح القول بهذا التأثير، مركزاً على الشبهات المثارة (أغلب الشبهات أثارها المسشرق مركس)، ومن بين ما ناقشه:

- "القول بضرورة مرور زمان طويل حتى تتكوّن المقاييس النحوية"، مستشهداً على صحّة دعواه بالعلوم الإسلاميّة التي "امتازت عن علوم الأوائل في سرعة اكتهاها، وقد أجمع العلماء على حقيقة هذه الظاهرة. ففي أقلّ من قرن خرج إلى الوجود نحو تامّ التكوّن سويّ الخلق منسجم الأطراف، ونجده في كتاب سيوييه، فهل هذا خرق للعادة المألوفة؟ نجيب بأن هذا ليس خرقاً للعادة التي معناها (سنّة الكون) إنما هو خروج عن العادة المألوفة عند بعض الناس، وأنّه ينبغي أن نحلّ هذه الظاهرة محلّها من الظاهرة الكبرى التي قلبت أوضاع العالم القديم"<sup>2</sup>، فتطوّر العلوم لا يسير وفق سنّة كونية لا محيد عنها، بل بحسب ظروف معينة فقد يتحقّق الرقيّ العلميّ "عند قوم فجأة في وقت ما لبعض الأسباب"<sup>3</sup>.

- "القول بضرورة اعتماد النحو على المنطق وعلى المفاهيم الفلسفية"، ناقش هذا القول مركزاً على الخصوصية التي تمتاز بها اللّغة؛ فاللّغة الطبيعيّة في جوهرها ليست منطقاً صارماً "فالنظام المنطقي غير النظام اللّغوي الذي خلق للإفادة أي لتبليغ أغراض المتكلّم للمستمع Communication فهو آلة للتبليغ جوهره تابع لما ولى من أمر الإفادة، فهو إلى قوانين فنّ المواصلات أقرب منه إلى قواعد المنطق"<sup>4</sup>، وقد راعى النّحاة العرب الوظيفة التي تؤدّيها اللّغة ألا وهي التّواصل، وما تطلبه من اقتصاد ومحاولة تجنّب للبس، فبنوا قواعدهم على "مبدأ التخفيف والفرق"<sup>5</sup> ذلك أنّ همّ المتكلّم هو "أن يبلغ أكبر عدد ممكن من الفوائد بأقلّ عدد ممكن من الجهود، وهذا أصل التّعليلات التي يشاهدها المطلّع على كتب النّحاة القدماء"<sup>6</sup> ومن ثمّة

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص47.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص49.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص46.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ج1، ص50.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص50.

<sup>6</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: المصدر نفسه، ج1، ص50.

فلا علاقة للتصوّر النحويّ العربي بالمنطق ولا بالفلسفة الأرسطيّة، لكن لا يجب أن يفهم من المنطق النظر العقليّ؛ لأنّ النظر العقليّ لا يخلو منه منجز بشريّ، بله نظريّة كبيرة كالتنظريّة النحويّة العربيّة، فالنحو عند العرب هو نتاج النظر في النصوص ثمّ تجريدّها، وهذا كلّ عمل عقليّ، ومن ثمة فالمنطق المرفوض هو المنطق الأرسطي بمصطلحاته ومفاهيمه وليس المنطق العقلي<sup>1</sup>.

- "القول بأنّ العلوم لا تتطوّر دون مقدّمات أو تراكمات سابقة"، ومن ثمة فلا تفسير لهذا النضج المبكرّ إلّا القول إنّ علماء النحو العرب قد أخذوا جلّ المفاهيم عن غيرهم (اليونان تخصيصاً) وقد فنّد هذا القول مرتكزا على التاريخ وعلى بنية النصوص النحوية القديمة. أمّا اعتماد التاريخ كمستند فلا سبيل فيه إلى إثبات هذا؛ إذ لم يذكر أحد أنّ النحاة القدماء العرب أخذوا من اليونان ولا من غيرهم معنى واحدا من معاني النحو أو ما يقاربه، وقد عجب مركس وغيره من هذا الذي يسمّيه (سكوتا)، وحاول أن يعلّله بعدم انتباه المؤرّخين إلى أهميّة العلوم المنطقيّة بالنسبة للنحو<sup>2</sup> أمّا بنية النصوص النحويّة العربيّة القديمة فلا وجود فيها لإشارة "ولو خاطفة إلى المصادر الأجنبيّة في كتب النحاة الأقدمين، وهذا أيضا لا نعثر عليه بتاتا، فهذا كتاب سيبويه أقدم ما وصل إلينا نقرأ فيه أسماء كلّ شخص أدلى برأي في مفردة أو تركيب أو باب من أبواب النحو، ولا نعثر على اسم عالم من السريّان أو اليونان القدماء ممن ألّف في نحو لغته أو في المنطق ولو على سبيل الإشارة إلى محلّ الأخذ"<sup>3</sup>.

ولم يكتف الحاج صالح بهذا بل توسّع في المناقشة متناولا أدنى شبهة يمكن أن تُوهّم القارئ بفكرة المقاربة بين الأصول النحويّة العربيّة والأصول الأجنبيّة اليونانيّة، فننّد المشابهة في تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام نظرا لاختلاف الغرض، وعدم التسليم بالتقسيم الثلاثي عند أرسطو (حتّى عند علمائهم)، كما فنّد أن يكون هناك توافق في مدلول الحدث في النحو العربي ومدلول مصطلح Accidents عند أرسطو، ذلك أنّ الحدث عند النحاة العرب هو "المعنى الذي يدلّ عليه الفعل والمصدر، أي معنى الوقوع وصدور أمر سواء كان ذلك بالتجدّد (بالحركة كالجُلوس

<sup>1</sup> - الأستاذ: الزايدي بودرّامة: التّظريّة الخليليّة الحديثة، أسسها وحدودها المائزّة، المرجع السّابق (مقال من الأنترنت).

<sup>2</sup> - عبد الرّحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ج 1 ، ص 50.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه ، ص 52.

والمشي والأكل...) أو بالثبوت (بالدلالة على حالة أو حلية أو غريزة كالنوم والحمرة والكرم)<sup>1</sup> أما مدلول مصطلح Accidents عند أرسطو فلا يكاد يتفق مع مدلول الحدث "إلا في الوصف المشتق منه على صيغة اسم الفاعل (الحدث) الذي يجري استعماله عند فلاسفة العرب وهم أتباع الفلسفة اليونانية، غير أنّ مرادهم بالحدث في هذا الوصف ما يعاقب القدم"<sup>2</sup>.

كما فرّق بين مصطلح التصريف العربي الأصيل، ومصطلحي Déclinaison (التحول الإعرابي) و Conjugaison (تصريف الأفعال)؛ يقول رادّا على مركس: "يا ليت شعري كيف جوّز لنفسه هذا التساهل المهور؟ يؤخذ عليه أنّ كلمة صرف عند سيبويه لا تدلّ على تحويل صيغ الأفعال أبداً، إنّما هي صفة للاسم المتمكّن الأمكن...، ثمّ إنّ علم الصّرف تسمية محدثة قابلوا بها علم النّحو (بمعناه الخاصّ: علم التراكيب) ولم يكن هذان العلمان منفصلين في أول الأمر، ولا يدخل في هذا العلم (الصّرف) إلاّ التحوّل الإفرادي Variation lexicales فلا يحدث أصلاً عن أحوال الكلم تركيباً وإعراباً وليس خاصّاً بالأفعال"<sup>3</sup>.

وبعد هذه التّفنيدات يقول متعجباً من هؤلاء الذين يدّعون الموضوعيّة والعلميّة: "والغريب أنّ هؤلاء وهم علماء محقّقون يقفون أمام شهادة التّاريخ منذهلين فإن وقع أدنى اشتباه رفضوها"<sup>4</sup> وعلى كلّ حال "فالمنطق الأرسطوطاليسي لم يجد مرتعاً مريئاً إلاّ بعد نشوء النّحو واكتهاله، أي بعد إغلاق باب الاجتهاد، ولكي نفهم هذه الظّاهرة التّاريخيّة يجب أن ننظر إلى أحداث الزّمان لا كأحداث متفرّقة لا ارتباط بينها كما يفعله بعض المؤرّخين، لا على أنّه مجموعة متلاحمة الأجزاء شديدة الاتّصال، فالتّجزئة والتّفريق بينها والنّظر فيها كلّ على حدة يفسد التّحليل ويؤدّي إلى مشاكل لا حلّ لها بل إلى ورطة وارتباك"<sup>5</sup>، ومن ثمّة فالنّحو العربيّ نحو أصيل، فلا أثر للمنطق الأرسطيّ ولا للفكر اليونانيّ في بلورة معطياته وبناء مفاهيمه ومبادئه.

إنّ البحث اللساني عند الغربيين لم يشهد تطوّره الإيجابي إلاّ بعد اكتشافهم مساوئ المنطق الحملي الأرسطي، وتحولهم إلى الواقع اللغوي بكلّ تجلياته، واعتمادهم منهجاً في التحليل تُعالج

<sup>1</sup> - عبد الرّحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص57.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص57.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص58.

<sup>4</sup> - عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص60.

<sup>5</sup> - عبد الرّحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص60

فيها المعلومات اللغوية معالجة منطقية ورياضية مكنتهم من معرفة كيفية حصول اللغة لا اللغة في ذاتها، أمّا النحو العربي الذي وضع أركانه النحاة الأوائل، فقد بُني على منطق لساني أبعد ما يكون عن المنطق العقلي، مبني بدوره على تصوّر رياضي ساعد النحاة على تحليل العربية تحليلاً غاية في الدقة. إنّه منطق يولي أهمية كبيرة للاستعمال الفعلي للغة العربية كما سُمعت عن العرب الفصحاء، باعتباره مصدر المعرفة اللغوية، ولا ينطلق من معايير مسبقة، وكان هذا المنطق قد أنتج مفاهيم شكّلت أساس التحليل النحوي في اللغة العربية أهمّها؛ القياس، الأصل والفرع، البناء والوصل، الموضع، الانفراد والتركيب، المنصرف وغير المنصرف، وغيرها. وهي مفاهيم تسمح إن يتم استثمارها تكنولوجياً وحاسوبياً بتطوير البحث اللغوي عامة والعلاج الآلي للغة العربية على وجه الخصوص<sup>1</sup>.

إنّ هذه النظريّة تسمح بتصوّر نظام تحليل صرفي تفرعي، وتحليل تركيبّي، يرتكز على ما يسمّى بالحدود الإجرائية ومن مفاهيمها الكبرى ما يأتي<sup>2</sup>:

1- مفهوم المدونة المفتوحة: إنّ المعطيات التي يتحصل عليها اللغوي لا تختلف إطلاقاً عن المعطيات التي يتحصل عليها العالم البيولوجي أو الفيزيائي، ففي جميع الحالات تصحّ المعطيات بكونها قابلة للتحقيق (بالرجوع إلى الواقع).

2- إقامة الفرق بين البنية النحوية وبين وضع اللغة (الكود) من جهة وبين استعمال المستعملين لهما في أفعال خطابية معينة من جهة أخرى.

3- مفهوم البنية في هذه النظريّة يتجاوز مفهوم البنية في المذهب البنوي الذي ظهر بعد سوسير: فإنّ البنية هنا هي نتيجة لتركيب بين الفئة والترتيب بين أفراد جنس ونظرائها من أجناس أخرى حسب تعبير القدامى<sup>3</sup>.

تقسّم هذه النظريّة اللغة العربية إلى ثلاثة مستويات<sup>4</sup>:

- مستوى أدنى هو الكلمة، وتتصل بالأصل الجذر (والصيغة) الوزن

<sup>1</sup> - د. الشريف بوشحدان: منطق اللغة ومنطق العقل، مجلة الموقف، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع482، جوان 2011، ص42-43.

<sup>2</sup> - الأستاذ: منصور ميلود، الفكر اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات، ص253.

<sup>3</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: مجلة اللسانيات، العدد الثامن سنة 2003، ص12.

<sup>4</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: مجلة اللسانيات، العدد الثامن، ص37-39.

- مستوى وسيط هو الوحدة المعجمية (la lexie) وهي إما اسمية (nominale) نحو "كتاب سيبويه"؛ لأنّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة الكلمة الواحدة (وهو رأي سيبويه)، وإما فعلية (verbale) "كتبت" لاتصال الضمير بالفعل، وتعدّز انعزاله عنه (insécable)
- مستوى أعلى هو الوحدة التركيبية (la tectonie) ويشمل الجملتين الاسمية والفعلية.

#### 4- المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية:

إنّ المفاهيم الأساسية لهذه النظرية، تعدّ اللبّات الرّئيسة لتحليل الظاهرة اللّغوية، فبعد إثبات أصالتها يجدر بنا أن نعرض لأهمّ مفاهيمها الأساس، وفي عرض مفاهيمها الأساس دعوة إلى تبنيها وترك التّماهي فيما ينجزه الآخر الغربيّ، دعوة إلى التمسك بما صحّ من هذا التّراث والعمل على إثرائه وتطويره.

إنّ المطّلع على ما كتبه الحاج صالح فيما يتعلّق بهذه النظرية يجده يركّز على ما يشكّل الأرضية المنهجية والمصطلحاتية الأصيلة، المستنبطة من التراث العربي الخليلي، ومن أهمّها المفاهيم والمبادئ المعتمدة في النّظر إلى اللّغة وتحليلها عند الخليل ومن تبعه، ومن أبرزها<sup>1</sup> : مفهوم الاستقامة وما إليها، وما يترتّب على ذلك من التّفريق المطلق بين ما يرجع إلى اللفظ وبين ما هو خاصّ بالمعنى.

- مفهوم الانفراد في التّحليل وما يتفرّع من هذا المفهوم.

- مفهوما الموضع والعلامة العدمية.

- مفهوما اللفظة والعامل.

وإلى جانب هذه المفاهيم يمكن ذكر مفاهيم أخرى متفرّعة عنها، مثل: مفهوم الأصل والفرع، مفهوم التّفريع، مفهوم القياس... وعلى كلّ، فهذه المفاهيم تقودنا إلى نقطة مفادها أنّ هذه النظرية قد استطاعت أن تحقّق لنفسها كفاية علمية من حيث وضوح التّصوّر، ووضوح

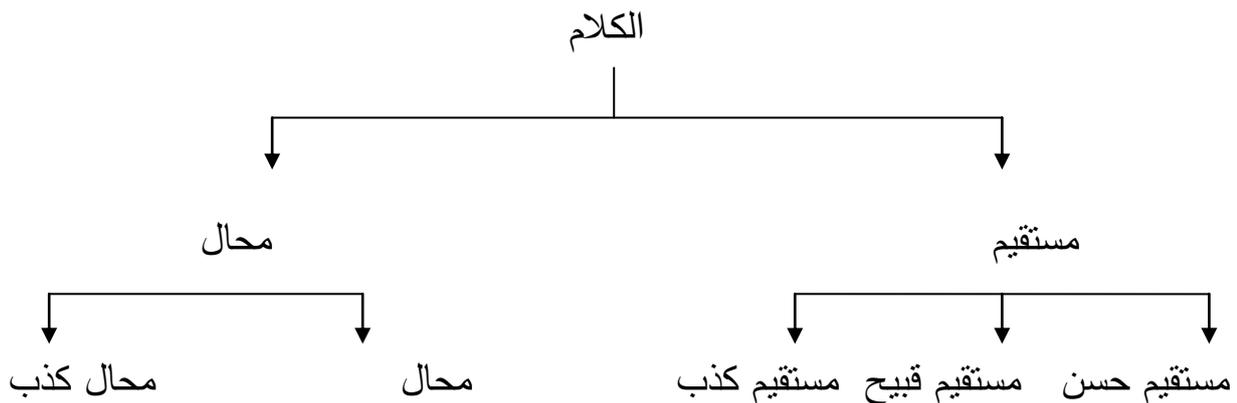
<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات الحالية في العالم العربي، بحث ألقى في ملتقى حول تطور اللسانيات في العالم العربي الذي نظّمته اليونيسكو في الرباط، من 1 إلى 11 أبريل، سنة 1987، مجموع ضمن كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص217-218.

الأهداف، وكفاية في المفاهيم...<sup>1</sup> وحتى تتضح الرؤية أكثر نذكر بإيجاز التّصوّر الذي تحمله مختلف هذه المصطلحات السابقة الذكر:

### 1- مفهوم الاستقامة وما إليها:

لقد ميّز "سيبويه" في الكتاب بين السلامة الرّاجعة إلى اللفظ والسلامة الخاصّة بالمعنى كما ميّز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس (أي النظام العام الذي يميّز لغة من لغة أخرى)، والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين، وذلك في قوله في باب "الاستقامة من الكلام والإحالة": "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسأتيك غدا، وأما المحال فأن تتقضى أول كلامك بأخره فتقول: أتيتك غدا وسأتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكى زيد يأتيتك وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"<sup>2</sup>.

واضح من هذا الكلام أنّ "سيبويه" يحدّد مفهوم السلامة وعلاقتها باللفظ والمعنى من ناحية والقياس والاستعمال من ناحية أخرى؛ فهناك المستقيم الحسن، والمستقيم القبيح والمستقيم المحال، ويمكن صياغة هذه المعاني بشكل آخر أكثر وضوحا على شكل المخطط الآتي:<sup>3</sup>



- فالمستقيم الحسن = السليم في القياس والاستعمال جميعا.

<sup>1</sup> - ينظر، الأستاذ: الزايدى بودرامة: النظرية الخليلية الحديثة.

<sup>2</sup> - سيبويه: الكتاب، ص 25-26.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 218.

- والمستقيم القبيح = غير لحن، ولكنه خارج عن القياس وقليل.
- وأما المستقيم المحال = سليم في القياس والاستعمال، غير سليم من حيث المعنى<sup>1</sup>.
- والملاحظ أنّ ما اقتصروا عليه في الأساس هو البحث الدقيق عمّا يجعل اللفظ - بمعناه دائما- " يستقيم" حسب تعبيرهم، ويعنون بذلك أنّه يسلم من كلّ انحراف عن كلام العرب، وهو اللحن ولم يلتفتوا في هذا البحث إلى أغراض المتكلم التي تتجاوز معاني الألفاظ إلا بقدر ما تكون تغيّرات اللفظ بالزيادة أو القلب تُخلّ بالمعنى المراد<sup>2</sup>.
- لقد بيّن سيبويه - لأول مرة في تاريخ علوم اللسان هذه المرة أيضا- أنّ اللفظ والمعنى ينفرد كلّ واحد عن الآخر بالاستقامة أو عدم الاستقامة تخصّه هو دون الآخر؛ فقد يكون اللفظ سليما ليس فيه خطأ من حيث هو لغة أو صيغة أو تركيب وأصوات أي من حيث النحو والصرف والمعجم والأداء، ويكون المعنى، مع ذلك، غير سليم، غير معقول أو غير صحيح أو العكس<sup>3</sup>.
- يقودنا هذ المفهوم إلى المرتكز التحليلي الذي كان ينطلق منه النحاة، فقد ركّزوا في بعض الجوانب على اللفظ وحده (التحليل النحوي Analyse grammatical)، كما ركّزوا في جوانب أخرى على المعنى (التحليل الدلالي Analyse sémantique)، فاللفظ إذا حدّد أو فسّر باللجوء إلى اعتبارات تخصّ المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي لا غير، أمّا إذا حصّل التحليل والتفسير على اللفظ دون أيّ اعتبار للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي<sup>4</sup>.
- ويرى الحاج صالح أنّ النحاة العرب لم يكونوا يخلطون بين هذين التحليلين، بل كانوا يميّزون بينهما تمييزا دقيقا، ومن ثمة فالتخليط بين هذين الاعتبارين يعتبر خطأ وتقصيرا، وذلك كالاقتصار على تحديد الفعل بأنّه ما دلّ على حدث وزمان، فهذا تحديد على المعنى، فهو جيّد

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص218.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال عند العرب، سلسلة علوم اللسان3 المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012، ص113.

<sup>3</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال عند العرب، ص113.

<sup>4</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص218-219.

ولكنه من وجهة المعنى، أما التّحديد على اللفظ فهو ما تدخل عليه من زوائد معينة ك(قد والسين) وما يتّصل به الضمير في بعض صيغه<sup>1</sup>.  
ويضيف قائلاً: "غير أنّ الدلالة على المعاني ليست مقصورة على اللفظ؛ فالكلام يتحصّل في عمليات التخاطب والإفادة (أي التبليغ للأغراض بواسطة اللغة). وهذه العمليات ترافقها أحوال خاصة بالكلام في خطاب معيّن بل لكل خطاب أحوال تخصّه هو وحده وإن كان من الممكن أن توصف هذه الأحوال الكلامية، فالفضل الكبير الذي امتاز به النّحاة العرب (الأولون خاصّة) هو في تناولهم للكلام لا كنص مجرد بل بكلّ ما يحيط به عند حدوثه من أحوال وظروف، وكذلك الأحوال التي سبقت حدوثه وبقيت مسجلة في ذاكرتهم ممّا يمكن أن تعتبر أسباباً لتحصيله، فالنص هوفي الحقيقة، جانب واحد ممّا يحصل في التخاطب وإن كان هو الأهم"<sup>2</sup>.

## 2- الانفراد وحدّ اللفظة:

أمّا مفهوم الانفراد فيحيل على الطّريقة التي كان يعتمدها النّحاة في ضبط وحدات اللّغة (ألفاظاً، وجملًا) والتبرير لها اعتماداً على اللّغة ذاتها لا على شيء مفترض (كما هو الحال عند التّوليديين)، أمّا مصطلح اللفظة، التي يراها الحاج صالح مفهوماً عربياً خالصاً لا وجود له في اللسانيات، فتعني الكلمة التي يمكن انفرادها، كما تعني الكلمة بلواحقها التي لا تخرجها عن بابها مع إمكان نيابتها عن تلك الكلمة المفردة (في حكم المفرد)، فمثلاً: الاسم قد يكون كلمة مفردة، وقد تدخل عليه زوائد لا تخرجه عن حدّ الاسميّة؛ لأنّه يبقى متّسماً بسمة الانفصال والابتداء، مثل (الرجل الكريم الذي جاءنا البارحة) يشكّل لفظة واحدة، وهذه اللفظة مكوّنة من مجموعة كلمات لكنّها لا تخرجه عن بابها.

واللفظة في النّظرية الخليلية تعتمد على مقياسين، أولهما: مقياس (الانفصال والابتداء) أو (الوقف والابتداء)، فهي أقل ما ينطق به ممّا ينفصل فيسكت عنده ولا يلحق به شيء أو يبتدأ فلا يسبقه شيء، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "كان المنطلق - عند النّحاة -

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 217- 218.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال عند العرب، ص10.

عندهم كل ما ينفصل ويبتدأ وهي صفة الانفراد، ويمكن أن يكون بذلك الأصل لأشياء أخرى تتفرع عليه؛ ولهذا فيجب لأن ينطلق من أقل ما ينطق به ممّا ينفصل ويبتدأ (=ينفرد) وهو الاسم المظهر بالعربية. وكل شيء يتفرع عليه ولا يمكن لمّا في داخله أن ينفرد فهو بمنزلته ولهذا سمى النّحاة الأولون هذه النواة بالاسم المفرد...وأطلقوا عليها (اللفظة) وترجمناها بـ (lexie)<sup>1</sup>.

فيمكن ترتيب القطع اللغوية بالنظر إلى قابليتها للانفصال والابتداء إلى المراتب الآتية:

- أ- وحدات يبتدئ بها ولا يوقف عليها (ما يبتدئ ولا ينفصل)، مثل (حروف الجر)، إلى، في: (في الدار صاحبها)، (إلى القسم).
- ب- وحدات لا يبتدئ بها ويوقف عليها (ما ينفصل ويبتدئ)، مثل (تاء الفاعل) في: دخلت خرجت.
- ت- وحدات يبتدئ بها ويوقف عليها (ما ينفصل ويبتدئ) مثل: (رجل) للجواب عن (من دخل؟).

ونستطيع بعد ذلك أن نحي جميع القطع الصغرى التي تتفصل عما قبلها يمينا، وما بعدها يسارا فيبني بها الكلام، وقد تبين بعد الاستقراء الدقيق أنّ اللفظة هي أصغر قطعة في الكلام ممّا يمكن أن تبتدئ وتنفصل.<sup>2</sup>

أمّا المقياس الثاني فهو مقياس التمكن<sup>3</sup>، إذ تتمثل في قابلية اللفظة على تحمل الزيادة يمينا ويسارا على محور التّعاقب، والاسم في العربية أكثر الكلمات تمكنا، إذ يقبل عددا كبيرا من الزيادات على اليمين واليسار. فقد حدّد الدكتور الحاج صالح (التفريع) من (النواة = اللفظة)- من خلال ما حدده النّحاة القدماء- فتفرع إلى زيادات قبلية وبعديّة عليها، دون أن تخرج عن كونها (لفظة) (أي قطعة واحدة) وقد سمى النّحاة هذه القابلية (الزيادة) بـ (التمكن)، ولاحظوا أنّ لهذا التمكن درجات تترتب كالاتي<sup>4</sup>:

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص219.

<sup>2</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: 1/ 249.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه: 1/ 220.

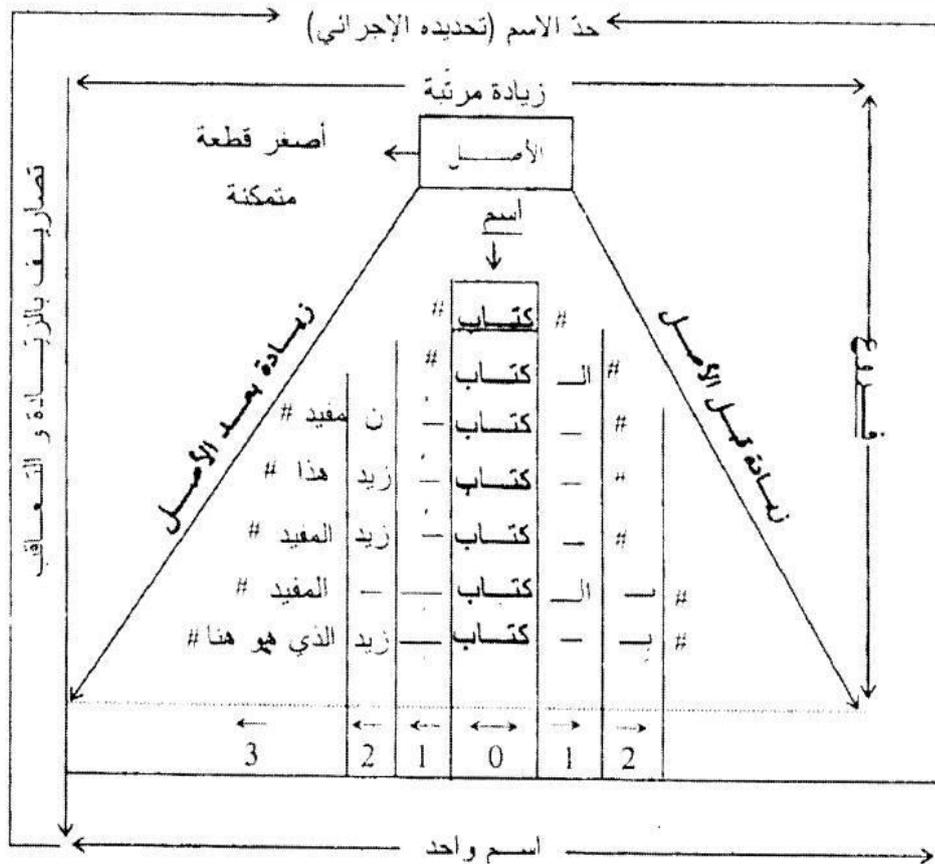
<sup>4</sup> - ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

أ- اسم الجنس المتصرف، وهو المتمكن الأمكن.

ب- الممنوع من الصرف، وهو المتمكن غير الأمكن.

ت- المبني، وهو غير المتمكن ولا الأمكن.

وبهذا يحدّد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اللفظة تحديدا إجرائيا، إذ قدم مثالا واحدا لتوضيح هذا المفهوم وهو مثال (اللفظة الإسمية) إذ ذكره كما تصوره صاحب النظرية الخيلية على الشكل الآتي<sup>1</sup>:



<sup>1</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية:1/ 220 - 250. ولا بد من الإشارة الى أنّ الرمز (-، #) الواردة في الشكل تمثل علامة الابتداء والوقف أو علامة الانفصال والابتداء.

يتبين من خلال التّحديد الإجرائي السابق للاسم ما يأتي<sup>1</sup>:

أ- إنّ الوحدات بالزيادة والتعاقب هو الذي يحدّد الوحدات في النّظرية الخيلية.  
ب- إنّ للوحدات المحمولة بعضها على بعض تكون مجموعة ذات بنية تسمّى في الاصلاح الرياضي بالزمرة (structure de groupe).

ت- إنّ كل الوحدات المحمولة بعضها على بعض بعمليات التّحويل هي نظائر منوأة من حيث إنّها وحدات تتفرد أوّلا ومتفرعة عنها بالزيادة ثانيا.

فضلا عن أنّ هذه اللفظة- الإسمية- والعلاقات التي يربط فيها الاسم بما يدخل عليه من علامات ومخصّصات ضمن علاقات وصلية، أمّا أن تكون العلاقة علاقة تخصيص للاسم بمثل دخول أداة التعريف عليه أو تكون علاقة عمل كالتي تقع بين حرف الجر والاسم المجرور به، فلكلّ وحدة موضعها في اللفظة محدّدة لا يتغير، إذ إنّ الترتيب فيها ثابت لا نستطيع أن نقدّم أو نوخر عنصر من العناصر، وتتعاقد هذه العلامات على الاسم أي (التنوين) فهما إذا يتعاقدان مثلما يعاقب (التنوين) (الإضافة) التي تعرّف الاسم المضاف وتخصّصه على حدّ تعبير سيبويه في ذلك؛ لأنّ المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين<sup>2</sup>.

أمّا الموضع الأخير فهو موضع المخصّصات (التي موضعها على يسار الاسم) فإنّها تضيف معنى آخر للفظّة، والجدير بالذكر أنّ هذا الموضع ليس محصورا مفيدا من حيث الطول، بل يمكن أن نطولها إلى ما لا النهاية كأنّ نقول: الكتاب في المكتبة التي توجد بالقرب من قاعة المسرح التي عرضت فيه آخر مسرحية للكاتب المشهور... إلخ، إلّا أنّ الاستعمال ينقّر من التّطويل ولا يستطيع المتكلّمون تذكّر هذه اللفظة الطويلة التي تجهد المتكلّم فضلا عن السّامع الذي يتعب عند تتبّعها في إدراك معناه، والاسم يخصّص بالنعّة والبدل والمضاف إليه وتركيب الصلة والموصول واسم الإشارة، وقد يأخذ المخصّص شكل بنية كلام مستغني عن النعت والبدل... مثل قولنا: كتابك رأيته على الطاولة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: 221 / 1.

<sup>2</sup> - سيبويه: الكتاب، 14/1.

<sup>3</sup> - ينظر: خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص99.

ولابد من التنبيه أنّ مفهوم (الانفصال والابتداء) يعدّ منطلق التحليل العلمي الرياضي في النظرية الخليلية الحديثة، إذ يمكننا أن نبني انطلاقاً من مقاييس (الانفصال والابتداء) معايير عدّة في تحديد بنية الجملة.

وتجدر الإشارة إلى أن اللفظة الفعلية أو حد الفعل فنجد لها نفس الشكل إلا أنّ العلامات تتغير وعناصر اللفظة مختلفة إذ أنّ للفعل علاماته الخاصة أمّا المقاييس الأخرى فتتطبق على هذه اللفظة مثلما تتطبق على اللفظة الاسمية<sup>1</sup>.

### 3- الموضع والعلامة العدمية:

الموضع هو المحلّ التجريدي الذي يمكن أن يحلّ فيه عنصر من العناصر المؤثرة، فإذا خلا ذلك المحلّ من العنصر سمّي علامة عدمية، ويمكن التمثيل في هذا السياق بالعامل، فقد يذكر عامل لفظي، وقد لا يذكر تاركاً المحلّ لعامل آخر هو العامل المعنوي، كما يمكن التمثيل للموضع والعلامة العدمية على مستوى اللفظة كذلك، وذلك حين يتعلّق الأمر بالعلامات التي تميّز الأصول من الفروع (المذكر والمؤنث/ المفرد والمثنى والجمع...).

ويشير عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ هذا المفهوم "الموضع" هام جداً عند النحاة الأوّلين، وهو ليس موقع الوحدة في مدرج الكلام بل "هو موضع في بنية". والدليل على ذلك هو إمكانية فراغه ممّا يدخل فيه كموضع الضمير المستتر وهو العلامة غير الظاهرة عند سيبويه وكذلك مثال الياء في قاض لها موضع وهي غير موجودة فيه. وخلو الموضع هو من أحدث المفاهيم العلمية في اللسانيات وسائر العلوم، ثم عدم تغييره مع تغيير ترتيب الكلام الملفوظ وذلك كموضع المفعول والحال وغيرها ف "رأيت زيدا" و"زيداً رأيت" لزيد فيهما موضع واحد، ولم يدرك معنى الموضع في انتظام الوحدات في الكلمة، وفي الجملة أكثر المتأخّرين<sup>2</sup>.

إنّ المواضع التي تتعاقب عليها الكلم، وتترتب فيها مع النواة (أي الاسم المفرد)، بعمليات الوصل (simple concaténation)<sup>3</sup>؛ هي خانات تحدّد بالزيادة التدريجية، إذ تمثّل هذه

<sup>1</sup> - خولة طالب الإبراهيمي: المرجع السابق، ص 99.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية -، كراسات مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، المصدر السابق، ص 9.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 222.

الزيادات التحويلات التفرعية التي يتم من خلالها الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع أو العكس (رد الفروع إلى أصلها)، وعلى الرغم من الاختلاف الموجود، من حيث الطول والقصر بين العبارات التي تظهر بالتحويل التفرعي في داخل المثال المولد للفظة ( schème générateur) (رجل، الرجل، بالرجل، رجل قام أبوه أمس... الخ) إلا أنها تعدّ عبارات متكافئة باصطلاح الرياضيات، ولا يخرجها ذلك عن كونها لفظة. وبهذه العمليات التحويلية الخيلية يتحدّد موضع كل عنصر في داخل المثال، كما في الرسم التالي<sup>1</sup>:

حرف جر	أداة التعريف	النواة الإسمية	علامات الإعراب	التتوين والمضاف إليه	الصفة
→ <sub>2</sub>	→ <sub>1</sub>	← <sub>0</sub>	← <sub>1</sub>	← <sub>2</sub>	← <sub>3</sub>

وللإشارة فإنّ المواضع التي هي حول النواة الاسمية يمينا ويسارا تدخلها الزوائد (العناصر اللغوية)، وتخرج منها بعمليات الوصل، وقد تكون فارغة، أي خالية من العنصر لأنّ الموضع شيء وما يحتوي عليه شيء آخر، وهذا الخلو من العنصر مع بقاء أو ثبات الموضع هو ترك للعلامة وخلو منها. ويطلق د. عبد الرحمن الحاج صالح على هذا المفهوم العلامة العدمية (Expression zéro)<sup>2</sup>، وتختفي هذه العلامة في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر، فعلمة التذكير العدمية تقابلها علامة ظاهرة في المؤنث (عالم-عالمة)، وعلامة المفرد العدمية تقابلها علامة ظاهرة في التثنية والجمع، وتطبق العلامة العدمية أيضا على التقابل بين الحروف الصوتية، كعدم غنة الباء في مقابل غنة الميم، وكلاهما له مخرج واحد.<sup>3</sup>

إنّ هذه الطريقة في تحليل الكلام واكتشاف البنية الجامعة، قد بناها النحاة الأوائل على عدد من المفاهيم والتصورات، وأساليب علاج الكلام؛ فالنحاة العرب كما يقول الحاج صالح ينطلقون من اللفظ في ظاهره، ولكن لا يتناولون الكلام جملة جملة، وقطعة بعد قطعة، فيقابلوا بينها

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص14.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ج1، ص222.

<sup>3</sup> - محمّد صاري، المرجع السابق، ص14.

لإظهار الفوارق من حيث صفاتها الذاتية كما هو الشأن عند البنيويين (الانطلاق في التحليل من ظاهر الكلام فقط، أي اللفظ المسموع وحده)، بل يحملون هذا النحو على ذلك حتى يظهر الترتيب والنظم (لا الصفات الذاتية فقط). وعليه فإن مفهوم الموضع، وكذلك المثال لا يوجد مثلها في اللسانيات الغربية إطلاقاً، وهو أعظم فارق يفترق فيه النحو العربي عن اللسانيات الحديثة.<sup>1</sup>

#### 4- العامل:

إن فكرة العامل في النحو العربي من أهم الأسس التي قامت عليه نظرية النحو العربي ودارت عليه معظم أبوابه<sup>2</sup>، إذ العامل تفسير لحركات الإعراب وضبطها وتوجيه للمعنى. كما أن المناظرات التي دارت في مجالس النحاة، تم ردها إلى الاختلاف في تقدير العامل وتفسير الإعراب<sup>3</sup>، أضف إلى ذلك التفاوت في فهم حقيقة العامل كما أن الأفكار التي ترتبط بالتعليل الفكرة القائلة: "إن لكل معلول علة" فطالما أن لكل معلول علة فلا بد من وجود علة لرفع الفاعل ونصب المفعول ورفع المبتدأ ورفع الخبر وعليه فالأسباب التي تحدث الرفع والنصب والجرّ والجزم عوامل وآثارها عمل نحوي والألفاظ التي تظهر عليها هذه الآثار معمولات<sup>4</sup>. وعليه فقد ارتبطت نظرية العامل بالإعراب ارتباطاً مباشراً في لغة العرب فهي لا تعدو أن تكون رسداً للعلاقات المعنوية واللفظية في التركيب، وما ينجم عن هذه العلاقات من ظواهر صوتية على أواخر الكلمات المعربة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص21-22.

<sup>2</sup> يذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن الأوربيين قد ترجموا في القرن الثالث عشر الميلادي مصطلح "عمل" العربي إلى اللاتينية، باسم Regere بمعنى عمل في اللفظ الإعراب، ثم قلّ اهتمام اللسانيات بهذا المفهوم حتى أحياء تشومسكي من جديد باسم Government، ومنها جاءت كلمة Rection في النحو الأوربي وهي أيضاً تسمية قديمة. ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج1، ص296.

<sup>3</sup> ينظر كمال الدين بن الأنباري: المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ج2، دار الفكر، ص702 وما بعدها. والمناظرة الشهيرة بين الجرمي والفراء. في كتاب نزهة الألباء، ص5.

<sup>4</sup> د.جلال شمس الدين: التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين دراسة إستمولوجية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص97.

<sup>5</sup> ينظر، محمد خير الحلواني: أصول النحو العربي، الناشر الأطلسي، المغرب، ط2، 1983، ص131.

إنّ ما شغل عقول النحاة القدامى قضيتان تمثلتا في فهم حقيقة العامل ومسألة دلالة علامات الإعراب من عدم دلالتها وإذا كان عبد الله بن أبي إسحاق (ت 557 هـ) بدأ نواة العامل في ميزان البحث النحوي منذ نشأته وعيسى بن عمر (ت 546 هـ) احتذى به وسار على نهجه، فإنّ اتساع القول في العامل كان على يد "سيبويه"؛ إذ ذكر مجاري أواخر الكلام في العربية وذكر بأنها تجري على ثمانية مجار على النصب والجر والرفع والجرم والفتح والضم والكسر والوقف<sup>1</sup>، وذكر أثناء حديثه عن هذه المجاري ما يحدثه العامل، ولعلّ هذا الأخير استوحى هذه الفكرة من شيخه الخليل وعليه؛ فالخليل هو صاحب الابتكار ويرجع إليه فضل تأصيل هذه النظرية التي قام عليها النحو العربي وتأسس على ضوئها تفسير العوامل والمعمولات.

إنّ الإعراب عند الخليل ليس وضعا اعتباطيا يقع دون أسباب معيّنة فقد أدرك أنّ نسق الكلام لا يتغير إلا بسبب تأثير عوامل خاصة<sup>2</sup>، ورأي الخليل في الحركات الإعرابية من فتحة وكسرة وضمة يتمثل في أنّه كان يراهنّ زوائد وهنّ يلحقن الحرف ليوصل به إلى التكلم به<sup>3</sup> وعليه فتفسير حركات الإعراب تفسيراً صوتياً يعود بجذوره إلى الخليل وتبلوره كراي خالف فيه النحاة المتقدمين كان على يد قطرب (ت 219 هـ) ذلك أنّ الخليل يرى أن الحركات تؤدّي وظيفة أخرى بالإضافة إلى دورها في المعنى وهي إعانة المتكلم على وصل الكلام بأثر من العامل إن كانت على أواخر الكلام، وربّما كان التّخفيف في وصل الكلام للحركات الإعرابية في بنية الكلمة وليس في آخرها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الكتاب، ج 5، ص 53.

<sup>2</sup> - محمّد المختار ولد اباه، تاريخ النحو في المشرق والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص 77.

<sup>3</sup> - سليم قزعوطن: جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي في التعليل النحوي، مجلة التعليمية، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 5، العدد 14 ماي 2018، ص 522.

<sup>4</sup> - ينظر، خليل عمارة: العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل اللغوي، المجلة العربية للعلوم الإسلامية دمشق ط1، 1982، ص 65.

إنّ ما يجدر التنبيه عليه أنّ العامل وليد التفكير في العلة؛ لأنّ تغيير أواخر الكلمات بتغيير مواضعها في التراكيب من الناحية الصوتية لفت أنظارهم ودفعهم إلى البحث عن سر هذا التغيير وعن علته والمسبب له ، والإعراب وسيلة يتناول جميع مكونات الجملة العربية الصوتية والصرفية والتركيبية والتناسق بين أجزائها على نبيّ جديد لدى السامع؛ وعليه فالإعراب ليس حركة معزولة بل حركة فاعلة دالة على الحدث الكلي المستنتج من الكلام وهذا هو المفهوم الحقيقي للإعراب في أصل نشأته<sup>1</sup>.

وعليه؛ فالخليل أبدع في الإدلاء بدلوه في قضية الإعراب والعامل؛ ذلك أنه كان يرى أنّه الوسيلة التي تكشف عن المعاني وتفصح عنها، أضف إلى ذلك الوظيفة الصوتية التي تؤدّيها هذه الحركات ولا وسيلة للكشف عن المعاني غير العلامات الإعرابية.

يرتبط مفهوم العامل في النظرية الخليلية ربط تبعية بالبنية التركيبية للجملة، فهو المحرك الحقيقي لعناصرها والضابط لترتيبها ولعلاقاتها، والمحدد لوظائفها التركيبية ولإسناد الحركات الإعرابية المناسبة لها، حيث لاحظ النحاة "أنّ الزوائد على اليمين تغير اللفظ والمعنى، بل تؤثر وتتحكّم في بقية التركيب كالتأثير في أواخر الكلم (الإعراب)"<sup>2</sup> ، وهذا المصطلح يكون على مستوى الجملة دون غيره من المستويات الأخرى.

إنّ العامل مفهوم مجرد مرتبط بالبنية التركيبية تربطه بها علاقة تبعية، إذ هو محرك العناصر المكّونة للتركيب، فقد أشرنا سابقاً عند التطرق إلى الموضوع أنّ اللفظة يمكن أن تضاف إليها عناصر عن يمينها أو عن يسارها، وبذلك تتحدد اللفظة الأصل مقارنة مع الزوائد التي تلحق بها، وتشكّل اللفظة الأصل مع العناصر التي تقترن بها يمينا ويسارا نموذجاً تحويلياً يتكون من أعمدة وسطور على حدّ تعبير الحاج صالح؛ ويمثّل لها كالاتي<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> - سليم قزعوطن: جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي في التعليل النحوي، ص 522.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 223.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 223.

قائم	زيد	∅
قائم	زيدا	إنّ
قائما	زيد	كان
قائما	زيدا	حسبت
قائما	زيدا	أعلمت عمرا
3	2	1

يتوضّح من الجدول أن التركيب الأصلي (زيد قائم)، والذي يعرف بأنه خال من العناصر المضافة وهو - ما يجسده العلامة العدمية-، قد تلحق به عناصر وهي مفردة (إن، كان) أو حتى تراكيب (حسبت، أعلمت عمرا)، وبذلك يحصل تغيير على التركيب من حيث اللفظ والمعنى؛ "ففي العمود الأيمن يدخل عنصر قد يكون كلمة أو لفظة بل تركيبا وله تأثير على بقية التركيب ولذلك يسمى "عاملا"، ثم لاحظوا أن العنصر الموجود في العمود الثاني لا يمكن بحال أن يقدّم على عامله فهو عند سيبويه "المعمول الأول (م1) ويكون إذن مع عامله" زوجا مرتبا ( couple ordonné) أما المعمول الثاني (م2) فقد يتقدّم على كل العناصر اللّهم إلا في حالة جمود العامل (مثل "إنّ") وقد يخلو وهو الذي يسمونه بالابتداء (وهو ∅) موضع العامل من العنصر الملفوظ) أشرنا إليه بعدم التبعية التركيبية وليس معناه بداية الجملة كما يعتقد بعضهم<sup>1</sup>

## 5- الأصل والفرع:

مما لا شكّ فيه أنّ المفهوم الذي ينبني عليه النحو العربي، بل علوم العربية كلّها، هو مفهوم الأصل والفرع، وقد جعل "الخليل" و"سيبويه" النظام اللّغوي كله أصولا وفروعا، والفرع هو الأصل مع زيادة، أي شيء من التحوّل، ويحصل ذلك بتفريع بعض العبارات عن عبارات أخرى تعتبر أبسط منها وبالتالي أصولا لها، ويبين ذلك النّحاة العرب باللجوء إلى منهج علمي هو ما يسمونه حمل الشيء على الشيء أو إجرائه عليه بغية اكتشاف الجامع الذي يجمعها

<sup>1</sup>- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 223.

وهو البنية التي تجمع بين الأنواع الكثيرة من الجمل، كما توضحها المتتاليات من الجمل التي أوردتها سيوييه في كتابه:<sup>1</sup>

- مررت برجل راكب وذهب.

- مررت برجل راكب فذهب.

- مررت برجل راكب ثم ذهب.

- مررت برجل راكع أو ساجد (بمنزلة إما وإما...).

- مررت برجل راكع لا ساجد (إما غلط فاستدرك وإما نسي فتذكر)... الخ.

وينطلقون في ذلك من أبسطها وهي التي تتكون من عنصرين؛ "زيد منطلق"، فيحملون عليها جملاً أخرى تكون فيها زيادة بالنسبة إلى الجملة البسيطة، بحيث تظهر بذلك كيفية تحوّل النواة بالزوائد، وهي في الحقيقة مقارنة بنوية أساسها تطبيق مجموعة على مجموعات أخرى طرداً وعكساً؛ فالمذكّر أصل، والمؤنث فرع، والمفرد أصل والمثنى والجمع فرع عليه. والأصل عند الأئمة النّحاة هو ما بُني عليه ولم يبين على غيره ولا يحتاج إلى علامة لتميّزه بها عن فروعه، فله العلامة العدمية.<sup>2</sup>

إنّ هذا المفهوم له تعلق كبير بمفهوم الانفراد، ذلك أنّه الشّيء الذي يمكن فصله، وله دلالة تعدّد أصلاً، هذا الأصل يمكن أن تدخل عليه زوائد تخرجه من الأصالة إلى الفرعية، غير أنّ فكرة الأصل والفرع ليس محصورة في مستوى اللفظة أو الجملة بل نجدها تمتدّ عند النّحاة العرب لتشمل جميع مستويات اللّغة، فهي تستغرق البنية اللّغوية في شموليّتها وكليّتها أفراداً وتركيباً.

والنظرية الخليلية الحديثة باعتمادها مفهوم العامل - كما اعتمده النّحاة القدماء - تسعى لإخضاعه - مفهوم العامل - إلى العلاج الآلي، للغة العربية من أجل إبراز ما قدّمه العلماء الأوّلون، وكشف أسرارهم اللّسانية وإعادة الاعتبار للعامل؛ لأنّه ليس من المعقول أن يجهل كلّ الذي تركوه لسبب واحد وهو قدمه وعدم ظهوره في عصرنا الحاضر.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - سيوييه: الكتاب، ج 5، ص 429-430.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرّحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، ج 1، ص 321.

<sup>3</sup> - ينظر، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية: 94/2.

## 6- القياس:

القياس في النظرية الخليلية أداة إجرائية لاستنباط القواعد، وإلحاق بعض العناصر اللغوية بأخرى لوجود علاقة بينهما.

يفهم القياس عند العرب من مجموع تعريفات قدمها نحاة العربية لتوضيح حقيقة القياس وتحديد أبعاده، وكان أشهرها: تعريف أبو البركات بن الأنباري: "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه"، وقيل هو: "عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل"، وقيل هو: "حمل فرع على أصل بعلّة وإجراء حكم الأصل على الفرع"، وقيل هو: "اعتبار الشيء بالشيء بجامع".<sup>1</sup>

ويشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تحديد القياس النحوي عند النحاة القدماء ويخصّ أبا البركات ابن الأنباري؛ إذ أخذ تحديد الفقهاء الأصوليين للقياس وجعله مماثلاً لقياس النحو فيذكر الباحثون ما ذكره ابن الأنباري في أنّ القياس يتكوّن من أربعة أركان: المقيس عليه وهو الأصل، والمقيس وهو الفرع، والحكم والجامع أو العلة أو الشبه، ولا يتطرقون إلى أهمّ صفة للقياس النحوي وهو أنّه يخصّ (البنى اللغوية) أفراداً وتركيباً. فإنّ اشتراك القياسان النحوي والفقهي في صفات أساسية يفترقان فيها عن القياس الأرسطي، فإنّ للقياس النحوي خصوصية مهمّة وهي أنّ مجاله هو المثل اللفظية من أوزان للكلم وتراكيب الجمل، فبقية الكلمة وبنية الكلام هو مجاله الوحيد: "فحمل شيء على شيء في الحكم لجامع بينهما"<sup>2</sup> هو تحديد ينطبق على القياسين - لعمومه وعدم تقيده بمفهومي الأصل والفرع والعلة والشبه - فلا تدل كل لفظة فيه في قياس النحو على ما تدل عليه في مقياس الفقهاء، وخاصّة لفظة الجامع فهي أعم لفظة في هذا التحديد.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ينظر هذه التعريفات عند: د. تمام حسان: الأصول، ص174، ابن الأنباري: الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971، ص 93، والسيد محمد نقي الحكيم: من تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية، المؤسسة الدولية للدراسات، بيروت، ط 2002 م، ص128 وما بعدها.

<sup>2</sup> - ابن الأنباري: لمع الأدلة، ص93.

<sup>3</sup> - ينظر، منطق العرب في علوم اللسان، ص159. وللتفصيل في تفريق الحاج صالح بين القياسين النحوي والفقهي، ينظر: المصدر نفسه، ص327.

ويعرف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح القياس: بأنه "تسمية للعملية الكبيعية التي يقوم بها كل متكلم في كلامه دون ما شعور منه، فهو مسار توليدي (Generative process) ينهجه المتكلم عند إحداثه لكلامه ليكون كلامه هذا موافقا لما يقتضيه نظام اللغة التي ينطلق بها، فجانب مهمّة من جوانب سلامة كلامه متوقف على مجموع عملياته القياسية اللاشعورية"<sup>1</sup>. فالقياس عنده- الحاج صالح- هو عملية منطقية رياضية تفريعية من الأصل، فهو حمل شيء على شيء لجامع بينهما؛ أي حمل الكلم بعضها على بعض إذا كانت تنتمي إلى جنس واحد وهو الذي يسمّى في المنطق الرياضي النظير على النظير، وبذلك تبرز البنية التي تجمع كلّ الكلمات المحمولة بعضها على بعض<sup>2</sup>.

يقول الحاج صالح في هذا الصدد: "أمّا القياس النَّحوي فهو... حمل شيء على شيء لوجود بنية جامعة بينهما، أو استنباط هذه البنية وإثباتها بهذا الحمل، وهذا في الرياضيات هو ما يسمّى بمقابلة النَّظير بالنَّظير... ثمّ هذا القياس النَّحويّ هو أيضا مثال مؤدّ للعبارة السليمة ولذلك يتمّ به تفريع الفروع ابتداء من الأصل..."<sup>3</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الدكتور يقيم موازنة بين القياس الصّوري في النَّحو العربي (ما ذكره النَّحاة القدماء) والمنطق الرياضي الحديث؛ إذ يقول: " هو عند النَّحاة الأوّلين توافق البناء أو المجرى أو العمل التحويلي بين أفراد الباب، وهي نظائر لهذا التوافق نفسه، وقد يكون هذا التوافق جاريا بالفعل في الاستعمال أو غير جار " <sup>4</sup>، ويستدلّ على ذلك بأراء النَّحاة القدماء من أمثال سيبويه، ابن جنّي وابن السّراج.

أمّا من ناحية المنطق الرياضي الحديث: "فإنّ ما يسمّيه النَّحاة العرب الأوّلون قياسا هو الذي يحصل بين عناصر بمقتضى انتمائهما إلى مجموعة تحددها علاقة تكافؤ في البنية أو

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص160.

<sup>2</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج1، ص322، وج2، ص49. يلجأ الحاج إلى التحليل الرياضي؛ لأنّ القياس نفسه هو مفهوم رياضي؛ لهذا يصعب التكلم عنه بلغة غير لغة الرياضيات ومناهجها ورسومها، ينظر: منطق العرب في علوم اللسان: 168.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، تعال نحوي علم الخليل، أو الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه، قدم هذا البحث في مجمع اللغة العربي في القاهرة، سنة 2002، مجموع ضمن كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص77.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص183.

المجرى يكون دائماً: إمّا خاصاً بالسلاسل الكلامية أو بين بابين فأكثر (Isoschemism) وإمّا تكافؤاً خاصاً بمجموعتين فأكثر من العمليات التحويلية (Isomorphism)<sup>1</sup>.  
وبذلك يكون القياس من الأمور الضرورية لنماء اللغة، إذ كيف يمكن أن تزداد اللغة وتنمو لتساير التطور إن لم يكن لها ضوابط قياسية تسيّر عليها.

#### 7- المثال:

هو مفهوم لا مقابل له في اللسانيات الغربية إلا عند Jean Galpin ، وهو متخصص في الأفازيا بجامعة (ران) بفرنسا؛ فقد تقطن إلى أنّ المريض يفقد القدرة على التعرف وعلى الانتقال مثلاً من (كتاب) إلى (بالكتاب) أو (الكتاب المفيد)<sup>2</sup>، ويعرف المثال: أنه ما يذكر لإيضاح القاعدة بتمام إشارتها.<sup>3</sup>

وتتضح أهمية المثال في النظرية اللغوية العربية القديمة والحديثة كونه إشارة ورسالة<sup>4</sup>، فهو إشارة؛ لأنه يحمل دلالة تاريخية اجتماعية على عصر معين أحياناً، فلا يوجد في كتب النحو القديمة- مثلاً- مثال يدل على أسلوب (الحال) بجملة (انطلقت السيارة مسرعة)؛ لأنّ السيارة بمفهوم العربية إلى الآلية التي تعرفها لم تكن موجودة قبل عدّة قرون، كما تشير الجملة الفعلية (أعتق زيد جاريته) إلى ظاهرة الجوّاري والعبيد، وهي الظاهرة التي لم يعد لها وجود فعليّ في عصرنا. والمثال رسالة ؛ لأنه يعبر عن الواقع، ويرتبط بالقيم والمعاملات، أي الحياة بمعنى أدق؛ فالمثال النحوي في كتاب سيبويه يرسم أبعاد مجتمع البصرة في القرن الثاني للهجرة.<sup>5</sup>  
ويعدّ المثال في النظرية الخليلية الحديثة حداً صورياً إجرائياً تحدّد به العناصر اللغوية وترسم العمليات التي يتولد بها العنصر اللغوي في واقع الخطاب، فهو مفهوم منطقي رياضي محض ينطبق على جميع مستويات اللغة في أدناها ك (مستوى الكلمة)، وفي أعلاها ك (مستوى التراكيب)، فمثال الكلمة هو مجموع الحروف الأصلية والزائدة مع حركتها وسكناتها كلّ

<sup>1</sup>-المصدر نفسه، ص184.

<sup>2</sup>- ينظر :بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج1، ص319.

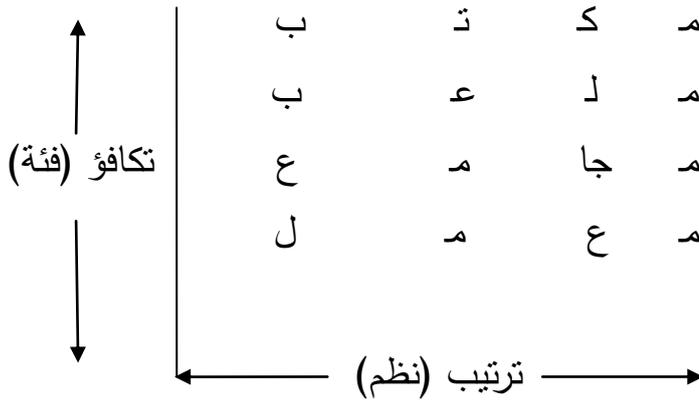
<sup>3</sup>- ينظر :المصدر نفسه : ج1، ص251، ج2، ص48.

<sup>4</sup>- ينظر : حسن خميس الملح، رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، ص: 144.

<sup>5</sup>- ربط المثال النحوي بمجتمع البصرة عند سيبويه مبنيّ على أنّ سيبويه ابنُ مجتمع البصرة، يعيش فيه، ويتعامل مع أهله، فيتخير أمثله من هذا الواقع، غالباً وفق العرف العام عندهم.

في موضعه وهو البناء أو وزن الكلمة (مثال الكلمة) وفي مستوى اللفظة: مجموع الكلم الأصلية والزائدة مع مراعاة دخول الزوائد وعدم دخولها (العلامة العدمية) كل في موضعه. وهو مثال اللفظة اسمية كانت أم فعلية<sup>1</sup>.

فالمثال هو مجموع الرموز المرتبة التي تمثل بنية الباب، وغايته علمية، وهي الكشف عن صيغتها المشتركة لا صفتها، وهذه البنية يستنبطها المحلل، ويمكن أن ترسم ذلك كآلاتي<sup>2</sup>:



فهذه (فئة) اسم المكان الثلاثي أي باب (مفعل).

تكافوؤ ← فئة + ترتيب (أو نظم) = فئة اسم المكان أي باب مفعل ومثاله (مفعل).

ففي مثال (مفعل) توجد متغيرات هي الحروف الأصول؛ (ف ع ل)، أمّا الثوابت فهي الحركات والسكنات والزوائد.

والمقصود بالمثال هو وزن الكلمة، وهو مكوّن من عمليّتين هما<sup>3</sup>:

**العملية الأولى:** تهتم بالحروف الأصلية للكلمة، أمّا **العملية الثانية:** فتهتم بالتغيرات أو الإجراءات التحويلية التي تتعرض لها الكلمة من خلال دخول الزوائد عليها أو عدم دخولها (أو ما يعرف بالعلامة العدمية في اللسانيات الحديثة) ممّا يؤدي إلى تغير في الأوزان.

<sup>1</sup> - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج1، ص252.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص319.

<sup>3</sup> - د. فتيحة عويقب: النظرية الخليلية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة، مجلة التعلّيمية، المجلد4، 11جوان، سيدي بلعباس 2017، ص225.

ويشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن مفهوم الوزن (المثال) هو مفهوم يخص النحو العربي، لا يعرفه اللسانيون الغربيون إطلاقاً وإن عرفه بعضهم فعن طريق ما كتبه المستشرقون عن بنية العربية وقد أخذوا ذلك كله عن النحاة العرب<sup>1</sup>، فضلا عن إشارته إلى أن "الذي درس النحو العربي التقليدي فإنه غالبا يجهل شيئين مهمين جدا:

أولاً: أن مفهوم المثال هو مفهوم رياضي محض، وهذا مخالف تماما للمنطق غير الرياضي. ثانياً: أن المثال غير منحصر في مستوى المفردات... بل يتجاوزها إلى ما هو أعلى منها فالتركيب أيضا مثل يبني عليها الكلام وليست هي الترتيبات المختلفة الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر كما يعتقد بعض الحاسوبيين، بل هي مثل أكثر تجريدا؛ فللجمل المفيدة بني لا تتمثل في ترتيب عناصرها، بل في مثال اعتباري يخص في مستوى أعلى من التجريد الإنشائي"<sup>2</sup>.  
لقد رأى الحاج صالح أن "النحو كله مثل، لأنها الصيغ والرّسوم، وهو شيء صوريّ (Formal)، التي تبني عليها كلّ وحدات اللغة أفرادا وتركيبا، فهو تصوّر وتمثيل لما تحدّته الحدود الإجرائيّة، وعلى هذا فمثال الكلمة هو بناؤها ووزنها لأنه يمثل بكيفيّة صوريّة مجردة الهيئة التي يكون عليها هذا الجزء من اللفظة الذي يسمّى بالكلمة..."<sup>3</sup>

## 8- مفهوم الوضع والاستعمال:

فرّق النحاة بين هذين المستويين المميّزين جيّدا "بين كلّ ما هو راجع إلى الوضع أي ما يخصّ اللفظ الموضوع للدلالة على معنى، وهذا المعنى المدلول عليه باللفظ وحده، ومن ثمّ ما يخصّ بنية هذا اللفظ بقطع النظر عما يؤدّيه في واقع الخطاب... ومن جهة أخرى ما هو راجع إلى استعمال<sup>4</sup> هذا اللفظ؛ أي إلى تأديته للمعاني المقصودة بالفعل وهي الأغراض"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 321.

<sup>2</sup> - ينظر : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ج1، ص 321.

<sup>3</sup> - د. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 251.

<sup>4</sup> - لا بدّ من التنبيه هنا على أنّ الاستعمال الذي قابلوا به الوضع ليس هو نفس الاستعمال الذي قابلوا به القياس؛ فالاستعمال لوضع اللغة هو للمتكلم كفرد من أفراد الجمهور من الناطقين، وعرف أيضا للجماعات منهم، أمّا الاستعمال المقابل للقياس، فهو

فالوضع هو " مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة ثم بنى جزئية؛ أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسب بين العناصر اللغوية وعلاقاتها الرابطة، وبين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي من الأصول إلى الفروع<sup>2</sup>. "أما الاستعمال فهو "كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، وليس كل ما هو موجود في الوضع يخرج إلى الوجود في الاستعمال".<sup>3</sup>

إنّ النّحاة العرب لا يريدون الكشف عن هوية الجزء وجنسه فقط بل عن مكانته ودوره من المجموعة من أجزاء العبارة التي ينحصر فيها فبذلك تتدّد هويته لا بإدراجه في فئة بسيطة بل ببنائه، أو تركيبه في مجموعة مرتّبة، لكل جزء منها موضع خاص يؤدّي فيه عملاً وضعياً خاصاً<sup>4</sup>.

يعدّ هذا المفهوم من المواضيع التي يقدّمها علم النّحو للبلاغة، مع مراعاة خصوصية البلاغة التي تهتم بكيفية اختيار المتكلم لبعض المعاني، وتركه بعضها الآخر من خطاب إلى آخر حسب الغرض المقصود؛ ف"اتحاد النحو والبلاغة في الاهتمام بالتركيب وخاصة في تتوّعها بالنسبة للمعنى الواحد قد أثبتته النحويون في إطار مقابلتهم بين اللغة والكلام، أي بين اللغة واستعمالها وهي أساس نظريتهم اللسانية التي بنيت عليها علوم العربية، فهي من وضع النّحاة الأوّلين مثل الخليل وسيبويه، واشتهرت هذه المقابلة باصطلاح خاص هو الوضع والاستعمال وذلك ابتداء من الزجاجي في القرن الرابع<sup>5</sup>."

---

دائماً استعمال الجماعات من الناطقين، فقد يكون مطّرداً في استعمالهم أو لا يكون. ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال عند العرب، ص115 (الهامش)

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص36.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص195.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر السابق، ص 195

<sup>4</sup> - هذا بغض النظر عمّا يمكن أن يؤدّيه مع المكونات الأخرى في الإفادة. ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ج2، ص37-38.

<sup>5</sup> - ويضيف الدكتور إلى كلامه هذا قائلاً: "ولئن كان هذا هو الأساس الذي بنى عليه دي سوسير مقابلته بين parole و langue فإنّ النظرية العربية هي أعمق وأوسع بكثير من نظرية العالم السويسري. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال عند العرب، ص12.

وقد تسرّبت لفظة " الوضع ومشتقاته" إلى أوساط الفلاسفة والأصوليين في زمان ابن السراج وتلاميذه؛ وأوّل فيلسوف لجأ إليها هو أبو نصر الفارابي<sup>1</sup>، قال: "إذا تأملنا (ما) تدلّ عليه الألفاظ المشهورة فإنّما نتأمل الأمكنة التي فيها يستعمل شيء منها عند مخاطبة بعضنا بعضا في الدلالة على المعاني المشهورة التي للدلالة عليها أوّلا، وضعت تلك الألفاظ. فإذا أخذنا منها الأسماء المنقولة إلى المعاني الفلسفيّة (ب)ة فإنّنا إنّما نأخذ معانيها التي للدلالة عليها أوّلا نقلت لا التي استعملت بعد نقلهم (ب)ها) إليها استعارة ومجازا واتّساعا لتعلّق كثير من المعاني وشبهها بالمعاني الفلسفيّة (ب)ة التي إليها أوّلا كانت نقلت. فإنّه قد عرض ذلك لكثير من الألفاظ المشهورة التي كانت أوّلا دالّة على معان عاميّة، ثمّ نقلت فجمعت مع ذلك لمعان فلسفيّة، ثمّ أخذها قوم من الخطباء والشعراء وسائر النّاس فاستعملوها على معان آخر تشبه تلك الفلسفيّة أو تتعلّق بها ضربا من التعلّيق على جهة الاستعارة والتجوّز والمسامحة."<sup>2</sup>

ومعنى ذلك أنّ الألفاظ قد استعملت دالة على معانيها منذ أوّل ما وُضعت وتستعمل دالة على معان أخرى استعارة ومجازا واتّساعا، واستعمالها مجازا واستعارة هو بعد أن تستعمل دالة على معانيها التي وضعت لها من أوّل ما وضعت.

وكثيرا ما يصيب الوحدة الخطابية تغيير في اللفظ أو في المعنى عما كان عليه وهذان الجانبان من اللغة واستعمالها: الأصل في الكلام في اصطلاح سيبيويه في مقابل الكلام كاستعمال لهذا الأصل ولما خرج عنه أيضا، هذا التّقابل قد تحوّل إلى مصطلح واضح ابتداء من القرن الثالث وهما: أصل الوضع أو حقيقة اللغة في مقابل الكلام تمّ اختصر إلى: الوضع في مقابل الاستعمال.

ولم يعتنوا بأحد هذين الجانبين دون الآخر، كما أنّهم امتنعوا أيضا امتناعا باتا من التخليط بينهما أي بين الوصف للبنى اللغوية وتقنياتها وبين الوصف لاستعمالها وقوانين هذا الاستعمال وتختلف هذه عن الأخرى تماما، ويكون التخليط بالرجوع إلى حدود النحو لتحديد ما يخص

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص 31.

<sup>2</sup> - أبو نصر الفارابي: كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1970، ص 165.

الاستعمال، وبالعكس لأنه لا يوجد أي تناسب وأية موازنة بين ما هو راجع إلى وضع اللغة لفظاً ومعنى وبين أحوال استعمال المتخاطبين لوضع اللغة.<sup>1</sup>

وخلاصة الأمر فيما يخصّ الوضع والاستعمال - حسب عبد الرحمن الحاج صالح - فقد ثبت بوضوح بما قاله عبد القاهر الجرجاني وأكثر العلماء العرب، ولأول مرة في تاريخ علوم اللسان أنّ لاستعمال اللّغة أحوالاً وطرقاً غير أحوال اللّغة أوضاعاً ومقاييس وأهمّها هي كالتالي:<sup>2</sup>

1- وضع اللّغة تصيبه في الاستعمال تغيّرات في اللفظ وفي المعنى سماها سيبيويه اتساعاً تخضع لقوانين تخصّ الاستعمال وعلاقتها بوضع اللغة هي فيما يجبره من ذلك علم النحو وعلم اللغة (الجانب الإفرادي). وتتنحصر التغيرات في النّظم والمجاز (بمعناه العام). بما فيه الاختصار أو التخفيف للفظ غير المجازي، ثمّ إنّ هناك سلامة تخصّ اللفظ وسلامة أخرى تخصّ المعنى وكلاهما مستقل عن الآخر.

2- وهناك دلائل أخرى غير وضعية وهي أساسية لفهم الخطاب وهي ما تدل عليه القرائن (كدلالة الحال وغيرها).

3- والمعاني تدل عليها أوضاع اللغة تدل بدورها دائماً على معان أخرى بالعقل لا بالوضع وتسمّى "بلوازم المعنى"، ويدخل في ذلك كل ما هو استدلال بالعقل في فهم الخطاب.

4- دور المتكلم ودور العقل بالتالي في استثماره لإمكانيات اللّغة خاصّة الجانب الخلاق منها .

5- في إفادة المعاني المتجاوزة لدلالة اللفظ (الوضعي) وحده اقتصاد ونجاعة عظيمان جداً.

6- التقابل بين الوضع والاستعمال لا يخصّ العربية بل هو شامل لجميع اللغات.

هذه هي معظم المفاهيم والنّصّورات الأصيلة التي تميّزت بها هذه النّظريّة (Né khalilien) (théory)، ورمزها المختصر (NKT) والملاحظ أنّ هذه المفاهيم قد أكسبتها كفاية علميّة؛ حيث توضح فيها الرّؤية، وتحدّد فيها الهدف، وتبيّنت خصوصيّة النّظر، وأصالة المفاهيم المعتمدة. ويمكن تسجيل أهمّ النتائج فيما يخصّ هذه النّظريّة في النقاط الآتية:

1- النّظريّة الخليليّة الحديثة نظريّة معاصرة بأصول ومرجعيّات قديمة.

2- يعدّ التعصب والجهل بالموروث اللّغويّ القديم من أكبر أسباب النّفور منه.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال عند العرب، ص 45-46.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص 129.

3- العلم الحق، الذي يجب تبنّيه وتقبّله، هو العلم الأصيل المؤيّد بالدليل، سواء أكان منتجه عربيًا أم غربيًا.

4- النظريّة الخليليّة القديمة الأصيلة تختلف في كثير من جوانبها اختلافًا كبيرًا عن النظريّة المعروفة مع النّحاة المتأخّرين (ابن مالك، ابن هشام...).

5- روافد هذه النظريّة ومنابتها الأولى عربيّة أصيلة وليس بالإمكان ردّها.

6- النظريّة الخليليّة الحديثة نظريّة اكتسبت تميّزها من مخالفتها للنظريّات الغربيّة الحديثة.

7- تقوم هذه النظريّة على مجموعة أسس، رُوّعي في وضعها المعنى واللفظ معاً.<sup>1</sup>

وخلاصة القول: استطاع الدّكتور الحاج صالح عن طريق إعادة قراءة التراث أو كما يسمّيها هو "القراءة الجديدة"<sup>2</sup>، أن يوازن بين مفاهيم العلماء العرب القدماء وبين ما نجده اليوم من مفاهيم علمية في العلوم اللسانية الحديثة، وفي المنطق العلمي؛ فقد تضمّن تراث علمائنا القدماء مفاهيم تكون - في الحقيقة - نظرية دقيقة، وهذه المفاهيم جديرة بأن يكشف عنها وعن حقيقتها، وقد تمكّن الحاج صالح من أن يأتي لكلّ مفهوم بدليل قاطع عند القدماء والمحدثين فضلاً عن أنّه لم يحمل أقوال القدامى أكثر ممّا تحتمله، فقد اتّبع طريقة علمية دقيقة للكشف عن أوجه الشّبه، فضلاً عن الفوارق التي قد تضل الباحثين فلا يهتدون إلى الشبه العميق الذي لا يتضح إلّا بالطرق التحليلية الدقيقة كالطرق المنطقية الرياضية، فضلاً عن تنبيهه إلى بعض المصطلحات التي لا مقابل لها في اللسانيات الغربية مثل مفهوم (المثال) و(اللفظة)... وغيرها.

وقد نتج عن موازنته بين مفاهيم العلماء القدماء - ولا سيّما الخليل وسيبويه - والمنطق الرّياضي الحديث أن اتضحت أيضاً العلاقات الوثيقة القائمة بين بعض المفاهيم العربية ومفاهيم المنطق العربي، مثل: مفهوم القياس، ومفهوم النّظير ومفهوم الانفراد... الخ، فتمكّن الدّكتور عبد الرحمن الحاج صالح من قراءته للتّراث أن حصل لديه نوع من التّحديث لنظرية الخليل (رحمه الله)

<sup>1</sup> - الزايدى بودرامّة: المرجع السّابق (مقال من الأنترنت).

<sup>2</sup> - ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ج2، ص81.

إذ ترجمها إلى لغة العلوم الحديثة بالعربية واللغات الأخرى، فلم يخطئ حين أطلق على تسميتها بـ(الحديثة)؛ لأنها نظرية على نظرية سابقة (méta-théorie).

## الفصل الثالث:

إسهامات الحاج صالح في ترقية اللّغة العربية.

## المبحث الأول:

### حوسبة التراث اللغوي العربي.

## توطئة:

مع ظهور عصر النهضة التّقنية في القرن الميلادي العشرين، وبزوغ فجر جديد في تاريخ الحضارة البشرية باختراع الحاسوب، ثم تمكّن المبرمجين من إحداث نقلة نوعية بالتعامل مع هذا الجهاز التّقني عبر اللّغات البشرية فضلاً عن اللغات البرمجية؛ يزيد الإلحاح على أبناء العربية كي يلحقوا بركب الحضارة، ويواكبوا ما استجد في مجال تطويع الحاسوب الذي يعد ذروة التّقنيات الحديثة للتعامل مع اللغة التي هي قمة علوم الإنسانيات بإعادة توصيف قواعد العربية على نحو يتجاوز المعرفة التقليدية المتداولة في مجالس الدرس وقاعات المحاضرة ويكون من شأنه أن يمهد لمبرمجي الحاسوب تمكين الحاسوب من معالجة اللغة العربية معالجة آلية تكشف عن دخائل البنية الدفينة للغة العربية، وتحدد خصائصها ذات المغزى لأمر معالجة آلياً<sup>1</sup>.

تمتاز اللّغة العربية بجملة من الخصائص التي شكّلت سمات بارزة اقترنت بهذه الأبجدية الساحرة، وكانت علامة جليّة فيها، فهي ثرية بأساليب التعبير غنية بطرائق الإنشاء وقد تأتي ذلك الغنى وهذا الثراء من كثرة المترادفات فيها وامتيازها بمميّزات لانجدها في لغات أخرى.<sup>2</sup> هذه المميّزات مكنت اللّغة العربية من الإفادة من تقنية الحاسوب، إذ تعدّ دراسة اللّغة العربية من خلال استخدام اللّسانيات الحاسوبية Computational Linguistics من أحدث الاتجاهات اللّغوية في اللّسانيات العربية المعاصرة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - نبيل علي: اللّغة العربية والحاسوب، مؤسّسة تعريب، الكويت، 1988 م، التمهيدي، ص 1 .

<sup>2</sup> - للعربية مميّزات كثيرة منها : التقديم والتأخير أو ما اصطلح على تسميته ب"الرتبة" التي أتاحت التّعبير عن الكلام بصيغ عدّة كما أنّها لغة اشتقاقية بامتياز، ومن مميّزاتها أيضاً أنّها لغة إعراب والإعراب كما هو معلوم أساس المعنى، كما أنّها غنيّة بوسائل التعبير عن الأزمنة النحوية، فضلاً عن تنوع أساليب الجُمْل فهناك الجملة الاسمية والفعلية والخبرية.. إلخ، كما تمتاز بالإيحاء الصّوتي لألفاظها وحروفها وغيرها من المميّزات التي تصعب إحصائها في مقامنا هذا.

<sup>3</sup> - ينظر، د. عبد الرحمن حسن العارف: توظيف اللّسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللّغوية العربية "جهود ونتائج"، مجلة اللّسانيات، العدد 13، المجلد 12، مركز الأبحاث العلمية والتكنولوجية لتطوير اللغة العربية، الجزائر، جوان 2017، ص 11.

إنّ الصياغة المنطقية الرياضية للنظريات اللغوية هو أمر ضروري لا مناص منه وليس السبب في ذلك فقط إيتاء الفرصة للباحثين اللسانيين منهم والمهندسين من استثمارها في العلاج الآلي للنصوص وغيرها من البحوث الحاسوبية اللغوية بل الغرض منها هو أيضا الاختبار العلمي الدقيق لقيمتها العلمية عامة وتقدير قدرتها على تفسير أكبر عدد ممكن من الظواهر اللغوية، والذي يعرفه أهل الاختصاص في ميدان اللسانيات الحاسوبية في جميع جوانبها تقريبا، هو أنّ هذه الصياغة بالذات ثمّ البحوث الخاصة بالتعرّف الآلي للنصوص المنطوقة وغيرها قد أربك أصحابها في السنوات الأخيرة... وسيكون ذلك فرصة للتعرّض لما تركه لنا لغوي رياضي عبقرى وهو الخليل ابن أحمد وتلميذه سيبيويه من أفكار علمي ومن منهجية تحليلية رياضية عجيبة سبقا بذلك زمانهما وهي جديرة بأن ينظر فيها من جديد وتستمر بالفعل.<sup>1</sup>

والواقع أنّ اللسانيات الحاسوبية هي "حقل جديد في اللسانيات التطبيقية والنظرية فهي شكل رئيس حقل يعالج اللغات البشرية وبرمجتها من خلال الحاسب الإلكتروني (الكومبيوتر)".<sup>2</sup> ويمكن تعريفها بأنها "محاكاة العقل البشري في فهم الظاهرة اللغوية تنظيرا وإنجازا، ولذلك جمع هذا الحقل من المعرفة بين اللسانيات والذكاء الاصطناعي والإعلامية والرياضيات والمنطق بهدف الذكاء البشري إلى الذكاء الحاسوبي، ممّا يمكنه من تحليل النظام اللغوي تحليلا آليا متعدّد المستويات وبأسرع وقت ممكن"<sup>3</sup>، فهو العلم الذي يبحث في اللغة البشرية كأداة طيّعة لمعالجتها في الآلة (الحاسبات الإلكترونية)، وتتألف مبادئ هذا العلم من اللسانيات

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية العدد 6، الجزائر 2007، ص: 9-10.

<sup>2</sup> - مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية، ص 315.

<sup>3</sup> - خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الزباط، ط1، 2013، ص 30 فما بعدها.

العامّة بجميع مستوياتها التحليلية: الصوتية، والنحوية والدلالية، ومن علم الحاسبات الإلكترونية، ومن علم الذكاء الاصطناعي، وعلم المنطق، ثم علم الرياضيات.<sup>1</sup> وقد كانت البداية لعلم اللسانيات الحاسوبية لدى الغرب منذ خمسينيات القرن الماضي، أي بعد ظهور النظرية التوليدية التحويلية، إذ قامت بتطبيق الأسس والمعادلات الرياضية على التحليل اللغوي، ومن ثم صياغة اللغة صياغة أقدم الاختصاصيين في الحاسوب، والذين تلمّسوا ضرورة التمازج الفعلي بين علوم الحاسوب وعلوم اللسان هو الباحث الأمريكي (هايس) وهو من زملاء تشومسكي.<sup>2</sup>

بدأ الاهتمام من أهل الاختصاص في اللسانيات والعلاج الآلي<sup>3</sup> للمعلومات بشكل الصياغة المنطقية الرياضية الذي ينبغي أن تصاغ به النظريات اللسانية، يوم ظهرت أول محاولة في صياغة نظرية المكونات القريبة (Immediate Constituents) المنتمية إلى المذهب البنوي الأمريكي في اللسانيات وكان صاحب هذه المحاولة الأمريكي "نوم تشومسكي" واستطاع أن يقوم بذلك بفضل معرفته المتينة بالمنطق الرياضي.<sup>4</sup>

وقد عرف العالم العربي الاتصال العلمي بين الحاسوب والبحث اللغوي العربي منذ سبعينيات القرن الماضي - كما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس - حينما سأله الدكتور "محمد كامل حسين" عن إمكانية الإفادة من الكمبيوتر في البحوث اللغوية، فلقبت هذه الفكرة في نفسه قبولاً واستحساناً.<sup>5</sup> وقد أفادت العلوم الإنسانية عند العرب في العصر الحاضر من اللسانيات الحاسوبية، ولكن كانت العلوم الشرعية من أسبق العلوم الإنسانية استخداماً لتقنية الحاسبات

<sup>1</sup> - ينظر، مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية، ص: 317-320.

<sup>2</sup> - ينظر د. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، 233.

<sup>3</sup> - إنّ العلاج الآلي للنصوص اللغوية أقدم من صدور كتاب "تشومسكي" 1957، وكان الاهتمام السائد في هذا الميدان في ذلك الوقت الترجمة الآلية، بدون أي وسيلة تخصّص صياغة النظرية اللغوية، ولهذا كان مآلها الفشل. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص11.

<sup>4</sup> - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص234.

<sup>5</sup> - ينظر، د. عبد الرحمن حسن العارف: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية، ص16.

الإلكترونية ونظم المعلومات؛ إذ بدئ العمل بها والإفادة منها في السبعينيات من القرن الماضي.<sup>1</sup>

وبما أنّ الوصل بيننا وبين الإبداعات التي يقدمها لنا الحاسوب هي (اللغة) التي يتعامل بها الحاسوب، وبها نتعامل به، توجهت الأنظار إلى الإفادة من اللغة العربية في بناء النظام اللغوي للحاسوب.<sup>2</sup>

تنبثق الدراسات اللغوية التي تتخذ اللسانيات الحاسوبية محورا لها، من فرضية مفادها أنّ وصف النّحاة للنظام اللغوي يتجاوز عن كثير من القواعد التي يفترض أنّ العقل البشري يعيها بالحدس؛ فلا يصحّ بتلك القواعد الضمنية لأنّ المقدرة العقلية البشرية الفطرية قادرة على احتوائها.

وسواء أكان الهدف الذي وضعت لأجله القواعد النّحوية صيانة ألسنة العرب أنفسهم من اللّحن، أم إعانة النّاطق بغير العربية للتمكن منها إدراكا وفهما وإنتاجا؛ فإنّ اللسانيات الحاسوبية تهدف إلى إعادة توصيف ذلك النظام اللغوي، انطلاقا من أعمال الأوائل بالطبع على نحو يستدرك ما لم ينص عليه علماء العربية، معوّلين على الحدس البشري. إنّ غاية ما تحاول اللسانيات الكشف عنه هو استبطان المعطيات والأدلة الضمنية المدركة بالحدس لدى ابن اللغة، وصياغة تلك المعطيات في خطوات إجرائية وأدلة شكلية يمكن تمثيلها لجهاز الحاسوب المفتقر إلى الفهم.<sup>3</sup>

والملاحظ أنّ جلّ ما قدّمه النّحاة الأوائل في تقييدهم للعربية يعوّل في المقام الأوّل على أدلّة فهم يستعين بها العقل البشري في فهم نظام اللغة؛ بحيث يقوم ذلك العقل بالمقارنة والقياس معتمدا على تلك الأدلّة، فعندما يعرف سيبويه (الاسم) بقوله: فالاسم رجل وفرس وحائط<sup>4</sup>؛ فإنّه

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن حسن العارف: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية، ص: 15.

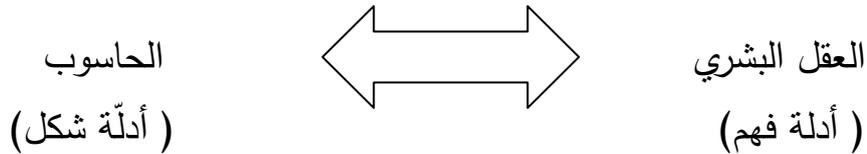
<sup>2</sup> - ينظر، سمير شريف إستيتية: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2008، 527.

<sup>3</sup> - د. وجدان محمد صالح كنائي: اللسانيات الحاسوبية العربية: الإطار والمنهج، مقال من المؤتمر الدولي للغة العربية، دبي

من 1-10 ماي 2013، ص5. نقلا من الموقع: [www.alarabiahconference.org](http://www.alarabiahconference.org)

<sup>4</sup> - سيبويه: الكتاب، ص39.

يخاطب بهذا التعريف حدس المتلقي وقدرته على قياس ذلك بامرأة وحصان وجدار وغيرها من مسميات الأشياء، أمّا الحاسوب فيحتاج إلى أدلة أقرب ما تكون إلى الإجرائية بحيث يمكن أن توصف بأنها أدلة شكل<sup>1</sup>.



ولعلّ من الجدير في سياق التعريف بالإطار العام لهذا التخصص اللساني أن ننقل من التنظير إلى التطبيق، ومن التجريد إلى التجسيد. فإن أردت أن تصف ( الفعل المضارع ) على سبيل المثال للحاسوب بأدلة شكل فإنّه لن يكفيه أن تخبره كما هو الحال مع بني البشر بأن الفعل المضارع هو الفعل الذي يبدأ بأحد حروف ( أنيت )<sup>2</sup>، لأنّه سيختار بناء على هذا المعيار (أكرم، تكبر، ناصر، يبس) وإن افترضنا أننا نطمح إلى وضع برنامج حاسوبي يتعرف على (الاسم) ويحدده في أي نص - طويل أو قصير مستدخل فيه، ثم طلب منك أيها اللساني المتخصص في علوم العربية أن تقدم لمبرمج الحاسوب مادة لغوية قابلة للبرمجة تصف الاسم وصفا دالا كافيا للتعرف عليه وتحديد في أي نص؛ فإنّ ذلك يعني ألا تكتفي بتعريف سيبويه للاسم، وأن تقدّم ( أدلة شكل ) إجرائية تعين من لا يتمتع ب(الفهم) على تحديد الاسم من خلال علاماته الشكلية وحسب<sup>3</sup>.

ومما يعيننا في ذلك لا شك أعمال النحاة الذين حدّدوا للاسم علامات، يعرف بها من نحو قابلية دخول ( ال ) والنداء وحرف الجرّ والتّوين وغيرها من علامات الاسم، وما يمكن أن يأتلف مع ذلك من الزيادة الدالة على أبواب نحوية أخرى نحو زيادة تاء التّأنيث في المؤنث

<sup>1</sup> - ينظر، نهاد الموسى: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1 2000، ص20-27، نقلا عن: د. وجدان محمد صالح كنالي: اللسانيات الحاسوبية العربية: الإطار والمنهج، ص 5.

<sup>2</sup> - عبد ذياب العجيلي: الحاسوب واللغة العربية، جامعة اليرموك، إربد، 1996 م، ص20، نقلا عن: د. وجدان محمد صالح كنالي: اللسانيات الحاسوبية العربية: الإطار والمنهج، ص 5.

<sup>3</sup> - وجدان محمد صالح كنالي: اللسانيات الحاسوبية العربية: الإطار والمنهج، ص5-6.

وزيادة الألف والنون في المثني المذكر أو التاء والألف والنون في المثني المؤنث، وزيادة الواو والنون في الجمع، والألف والتاء لجمع التانيث، وغيرها من الزيادات التي لا تخرج اللفظ في دائرة الاسمية<sup>1</sup>.

إن غاية ما تسعى إليه اللسانيات الحاسوبية وتحاول كشف النقاب عنه، هو وصف العمليات الذهنية التلقائية التي يقوم بها العقل البشري لدى استيعابه التراكيب اللغوية المتباينة أو عند تلقيه خطابا لغويا يحتمل عدة خيارات صحيحة، وإن كان العقل البشري يستعين بالقرائن السياقية من أجل تحديد المعنى المراد، من خلال استعراض الاحتمالات الممكنة، ثم تقليلها بإقصاء معظمها حتى يقرّر واحدا منها؛ فإنّ تلك القرائن السياقية التي يستعين بها العقل البشري، هي ما تجهد اللسانيات الحاسوبية في ترجمتها إلى ألفاظ إجرائية يمكن توصيفها لمبرمج الحاسوب لغرض التمثيل الحاسوبي<sup>2</sup>.

ولا يعدّ من تخصّص اللسانيات الحاسوبية ما بات يعرف بمصطلح (تعليم اللغة بمساعدة الحاسوب)<sup>3</sup> الذي يعنى بثلاث مجالات هي: تعليم اللغة الثانية بمساعدة الحاسوب، واختبارات اللغة الثانية بمساعدة الحاسوب، وأبحاث تعلم اللغة الثانية بمساعدة الحاسوب<sup>4</sup>؛ حيث يعد الحاسوب في هذا التخصص وسيلة من وسائل تعليم اللغة الثانية شأن السبورة وجهاز العرض فوق الرّاسي والبطاقات واللوحات وأشرطة التسجيل السمعية والبصرية. ويتميّز الحاسوب بقدرته على توفير إمكانات كل تلك الوسائل مجتمعة، إلى جانب إمكانية التعلم الذاتي الذي لا يستعين فيه الطّالب بمعلم.

لقد قطعت اللسانيات الحاسوبية أشواطاً متقدّمة في معالجة الألسن الغربية، في حين مازال اللسان العربي متعثراً الخطى بطيء الحركة؛ ويعود هذا السبب إلى عدم الوعي بالثقافة الرقمية

<sup>1</sup> - ينظر، وجدان محمد صالح كنالي: اللسانيات الحاسوبية العربية: الإطار والمنهج، ص6.

<sup>2</sup> - وجدان محمد صالح كنالي، المرجع نفسه، ص7.

<sup>3</sup> - يعرف هذا التخصص باسم Computer Assisted Language Learning ويرمز له اختصاراً بالرمز (CALL).

<sup>4</sup> - وجدان محمد صالح كنالي: اللسانيات الحاسوبية العربية، ص:8.

ومنجزاتها المذهلة؛ ثم إنّ التّكوين الجامعي لازال يفصل بين هذين الاختصاصين، وهو اختصاص مبني على تعدّد الاختصاصات ولا يكون إلا بالعمل الجماعي، ولهذا فإنّ النهوض باللسان العربي في هذا الجانب يتطلّب إحداث مثل هذه الاختصاصات المتضافرة الجهود.<sup>1</sup>

#### أ- اتّجاهات البحث والتأليف في اللّسانيات الحاسوبية:

تنوّعت جهود العلماء العرب المعاصرين في هذا المجال، ويمكن نظمها في أربع صور<sup>2</sup>:  
**الأولى:** تتمثّل في مؤلّفات خصّصت للعربية والحاسوب، منها تجربة الدكتور نبيل علي (اللغة العربية والحاسوب) الصادر عام 1988م، إذ يعدّ أوّل مؤلّف يتناول موضوع اللّسانيات الحاسوبية مطبقاً إيّاها على أنظمة اللغة العربية، صوتاً، وصرفاً، ونحواً، ومعجماً.  
 وفي عام 1996م صدر كتاب الدكتور عبده ذياب العجيلي (الحاسوب واللّغة العربية)، وهو يعدّ خطوة جريئة إيجابية نحو معالجة مسائل متنوعة من العربية بلغة برولوج (prolog)، وهو يمثّل جهداً حميداً في هذا الاتجاه... (اللّسانيات العربية الحاسوبية)<sup>3</sup>.  
 وصدر عام 2000م كتاب الدكتور نهاد الموسى (العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللّسانيات الحاسوبية). وبعدّ هذا الكتاب أوّل مؤلّف في هذا العلم صادر عن متخصص في اللغة العربية وعلومها، والكتاب- كما يذكر مؤلّفه- محاولة في الانتقال من وصف العربية إلى توصيفها، وذلك في ضوء الأطروحة العامة للّسانيات الحاسوبية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر، خليفة الميساوي: المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم، ص31.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن حسن العارف: توظيف اللّسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية، ص16.

<sup>3</sup> - لقد صدر هذا المؤلّف عن جامعة اليرموك، إربد الأردن. ينظر: عبد الرحمن حسن العارف، المرجع نفسه، ص19-20.

<sup>4</sup> - ينظر، عبد الرحمن حسن العارف، المرجع نفسه، ص20.

أما الصورة الثانية: فجاءت على هيئة مقالات وبحوث نشرت في المجالات والدوريات العلمية، أو ضمن أعمال المؤتمرات، ووقائع الندوات والملتقيات العامة.<sup>1</sup>

وقد تعددت البحوث والمقالات في هذا المجال، فقد بذلت جهود كبيرة من الباحثين كافة للتغلب على هذه الإشكالية، وقد جاءت هذه البحوث بعنوانات شاملة للمستويات اللغوية كافة: أصواتا، وتركيبا، وبنية، ودلالة، ومعجما، ولبعض قضايا اللغة من المنظور الحاسوبي كالترجمة الآلية، وبنوك المصطلحات وغيرها.<sup>2</sup>

أما أصحابها فنجد أنّ جلّهم من اللّغويين الذين عرفت تجاربهم في السّاحة العربية بالنّجاح والحضور، ومنهم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي كان له جهد يحمّد في اللّسانيات التّطبيقية (والجانب المهم فيها اللّسانيات الحاسوبية). إذ عرض لبحوث عدّة عالج فيها هذه المسألة، منها:

1- تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي الأصيل/ ألقى في محاضرة في مجمع اللغة العربية الأردني علم 1984م.

2- المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب ألقى هذا البحث في مؤتمر (اللّغويات الحاسوبية) في الكويت عام 1989م.

3- العلاج الآلي للنصوص العربية والنظرية اللغوية/ ألقى في اجتماع الخبراء العرب في اللّسانيات الحاسوبية، في القاهرة عام 1989م.

4- منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات/ ألقى في ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، في السعودية عام 1992م.

<sup>1</sup> لمزيد من التفصيل فيما يخص الأعمال في المؤتمرات والندوات ينظر: توظيف اللّسانيات الحاسوبية في خدمة اللغة العربية ص: 2 فما بعدها (الهامش).

<sup>2</sup> يصعب حصر العناوين الواردة في هذا الموضوع، فضلاً عن أنه ليس من مهام البحث هنا، إذ إنّ ما يهمنا هو ما ورد عند د. الحاج صالح، ولمزيد من التفصيل ينظر: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللّسانيات الحاسوبية: 34-52، ودراسات لسانية تطبيقية، ص 212-291.

5- دور النظرية الخيلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية/ ألقى في الندوة الأولى لاتحاد المجامع اللغوية العربية المنعقدة في عمان عام 2002م.

6- حوسبة التراث العربي والإنتاج الفكري العربي في ذخيرة محوسبة واحدة كمشروع قومي/ ألقى في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 2004م.

ويلاحظ على أغلب بحوث د.الحاج صالح أنها تقوم على جانبين رئيسيين هما: الجانب النظري، والجانب التطبيقي؛ إذ يبحث الجانب النظري في الإطار النظري العميق الذي من خلاله يمكننا أن نفترض كيف يعمل الدماغ الإلكتروني لحلّ المشكلات اللغوية، وأمّا الجانب التطبيقي فهو يعنى بالنتائج العملي لنمذجة الاستعمال الإنساني للغة، وإنتاج برامج ذات معرفة باللغة الإنسانية.<sup>1</sup>

أمّا الجانب التطبيقي فيتمثل في تسخير العقل الإلكتروني لحلّ القضايا اللغوية، وهذا الجهد يتطلب التعاون بين اللغويين والحاسبين؛ فقد دعا د.الحاج صالح إلى عقد حوار بين اللسانيين والحاسبين(المبرمجين)؛ إذ لا يمكن إنكار صعوبة العمل في مجال اللسانيات الحاسوبية؛ لأنه مجال متعدّد الاختصاصات، فضلا عن اقتراحه أن يكون هناك تخصص في الدراسات العليا ويتلقّى فريق العمل تكوينا مكثفا في اللسانيات والرياضيات، وكلّ ما يخصّ الحاسوب والبرمجة.<sup>2</sup>

وحرّي بالذكر أنّ د. الحاج صالح قد خاض هذه التجربة بتكوينه فريقا للبحث في اللسانيات الحديثة في مختبر الدراسات الصوتية واللسانية بإشرافه.<sup>3</sup>

أمّا الصورة الثالثة: فكانت خاصة بالبرامج والنظم التي وضعت لحوسبة العربية، ولعورية الحاسوب، سواء ما كان منها فرديا محضنا أو نتاجا مشتركا أو عملا تجاريا عاما، وتتمثّل

<sup>1</sup> - ينظر: نهاد الموسى: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ص53-54 . نقلا عن معالي هاشم: الاتجاه التوافقي، ص377.

<sup>2</sup> - ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص231.

<sup>3</sup> - ينظر، المصدر نفسه: 293/1 و86/1.

الصورة الرابعة: في إنشاء بعض الكليات الجامعية قسماً خاصاً بعلم اللغة الحاسوبية، كما هي الحال في جامعة الأمير سلطان بالرياض، بالمملكة العربية السعودية.

وللدكتور الحاج صالح بصمة في هذا المجال في تجربته أو مشروع (الذخيرة العربية اللغوية)

إذ عمل على تخطيطه بطريقة ذكية، ويصنّف عمله ضمن محورين رئيسيين هما<sup>1</sup>:

1- توزيع المهام على أكبر عدد من المؤسسات مع التنسيق والمتابعة وتعدّد هذه الخطوة مهمّة، فهي

الكيفية المثلى - على حدّ تعبير الحاج صالح - وأساسها هو (مبدأ المشاركة الحرة).

2- برمجة نظام العمل (توزيعه، تنظيمه، تنسيقه)، ويتطلب هذا الأمر الفرق الجماعية المنظمة

والتجهيز المناسب للعمل، والذي يتطلب:

- إنشاء فريق من الممارسين الاختصاصيين.
- إنشاء مجموعة أجهزة.
- تنظيم العمل وتنسيقه.
- برمجة العمل، يتطلب ذلك التراث وبرمجته، وتوزيعه على المشاركين، وبرمجة الإنتاج المعاصر العلمي الأدبي والفني والتقني والنظر في عمل الصحافة وتتبعه أخبار، مقالات، وسائل إعلامية مرئية وغيرها<sup>2</sup>.

وعمله هذا أثمر مجموعة من الفوائد، إرثاً يتحدد بالجدول الآتي، مع إعطاء الهدف

المناسب لكلّ وظيفة؛ إذ نلاحظ تصوّر الحاج صالح حول وضعه أنموذجاً لسانياً للعلاج الآلي

للغة العربية من خلاله<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> - ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: 1 / 404.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 404.

<sup>3</sup> - معالي هاشم: المرجع السابق، ص 398.

الوظيفة	الهدف	الفائدة
1- العمل على جمع كل مايتعلق بالكلمة العربية (لفظ، مصطلح) وذلك عن طريق الأسئلة التي يطرحها الباحث وهي تتعلق أساسا بوجود الكلمة، وورودها لأول مرة، مجالها ومعناها وتطورها الدلالي. <sup>1</sup>	* دعم التعليم المدرسي والتعليم العالي. * مساعدة المتعلمين. * دعم تعليم اللغة العربية واللغة الأجنبية.	معرفة درجة شيوع اللفظ قديما وحديثا، فضلا عن معرفة "مدلولها الحقيقي مع تحديدها في جميع السياقات". <sup>2</sup>
2- تمثيل أجناس الكلام وذلك بالنظر إلى: ماهيتها، مصادرها، ودورها.	* دعم التعليم العالي مع معرفة تردد التراكيب ومدى استعمالها جغرافيا.	الحصول السريع على المعلومة مع معرفة مصدر أفعالها، وإحصاء ورودها.
3- التحصيل المعرفي للمعلومات التي تخص الجذور اللغوية والصيغ الكلامية وذلك بالنظر إلى ورود الكلمات الأصلية، ذكر جميع الكلم على الصيغة نفسها. <sup>3</sup>	* الدعم التعليمي لكل المستويات الدراسية، فضلا عن دعم البحث العلمي.	الحصول الفوري على المعلومة اللغوية مع الوصول إلى الجذر اللغوي بالسرعة القصوى، فضلا عن معرفة الإحصاءات الكلامية لهذا الجذر وهذه الكلمة.

<sup>1</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ج1، ص401.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج2، 113.

<sup>3</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية : ج1، ص401

<p>*المعرفة الشاملة للحروف ومعانيها حسب السياقات.</p>	<p>*دعم تعليم اللغة العربية واللغات الأجنبية.</p>	<p>4-تحصيل كل المعلومات التي تخص حروف المعاني فيما يخص عصرا واحدا أو نسا واحدا ذا عصور متعدّدة.<sup>1</sup></p>
<p>*الاعتماد على اختيار التركيب أو اللفظ على مقياس الشبوع والدقة في الدلالة للمعنى المراد.</p>	<p>*رفع المستوى الثقافي للراغبين في الكتابات الشعرية. مثلا- وذلك بتعريفهم لخصائص هذه الأساليب بطريقة تكنولوجية متطورة.</p>	<p>5- تحصيل المعلومات التي تخص الأساليب اللغوية النثرية والشعرية وهي بحور العروض الضروريات الشعرية والزحافات والعلل.<sup>2</sup></p>
<p>*الاعتماد على مصطلحات الذخيرة اللغوية، لعدم الرجوع إلى القواميس وقوائم المصطلحات التقليدية والاعتماد على المعجم الآلي. *معرفة ما ينشر في العالم من مصطلحات وألفاظ حضارية مع معرفة التطور الفكري للباحثين ويكون ذلك</p>	<p>* جعل التراث اللغوي في متناول الجميع-خاصة الإسلامي- والعمل على إحيائه. *رفع المستوى الثقافي لجميع الفئات على اختلاف أعمارهم، مستوياتهم الثقافية، عبر وضعه تحت تصرف (المواطنين) كتكملة لما لم يدركه أو تحصيل ما لم يعرفه<sup>3</sup> هذا لمساعدة</p>	<p>6- تحصيل كل ما يخص المفاهيم الحضارية أو العلمية.</p>

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج2، 113.

<sup>2</sup> - ينظر :بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص401.

<sup>3</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص400.

باعتمادهم "على تطورات ودلالات الألفاظ العلمية في داخل الحقول الدلالية عبر الزمان". <sup>1</sup>	الباحثين العرب خاصّة لخلق نظريات وتقنيات جديدة.	
---	---	--

يقدم المعجم الآلي الذخيرة اللغوية حولاً كثيرة، ومنها ما يخصّ المصطلح إذ تمكّنا من الآتي:

- إحصاء المفاهيم: تقوم بإحصاء كل المعلومات التي تتعلّق بالمصطلح مع تقديمها بشكل سريع.
- تصنيف المصطلحات: إعادة ترتيبها على وفق نظام معيّن يشرف عليه أهل الاختصاص.
- تخصيص كل واحد منها في ملفات: وهو تابع للتصنيف نفسه، إذ ترتب المصطلحات وفق ملفات كلّ منها خاصّة بنوع معيّن.

وهنا تبرز أهمية اللسانيات الحاسوبية في البنك الآلي للنصوص وأهميته في صناعة المعاجم العربية بطريقة إلكترونية حديثة؛ فقد أنشأت المعاهد والمراكز البحثية فضلاً عن أقسام خاصة لعلم اللغة الحاسوبي.<sup>2</sup>

وقد توالى المحاولات الجادة لتطويع اللغة العربية ومعالجتها آلياً التي اشتملت على الدراسات الإحصائية لجذور الكلمات، فقد أنشأت معاهد تعنى بدراسة اللغة على وفق التقنية الحديثة (الحاسوب)، وقد بدأ العمل الجاد عندما أنشئ معهد الدراسات والأبحاث في المغرب العربي على يد أحمد الأخضر غزال، فضلاً عن مركز الدراسات والبحوث العلمية في سوريا، كما كان لمعهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر - الذي أنشأه د. الحاج صالح - إسهامه الرائد في هذا المجال.<sup>3</sup> كما ظهرت المعاجم المحوسبة في البلدان العربية (المغرب، تونس الجزائر) بجهود عدد من العلماء العرب في تلك البلدان، فضلاً عن محاولات الإفادة من

<sup>1</sup> - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص402.

<sup>2</sup> - ينظر، عبد الرحمن حسن العارف: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية، ص 36.

<sup>3</sup> - ينظر د. هشام الشيخ عيسى: حوسبة اللغة العربية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط 1، 2011، ص50.

الحاسوب في مجال دراسة الشعر العربي التي تبناها مركز اللسانيات الجزائري في دراساته لعدد من دواوين الشعر الجاهلي.

ولعلّ مساهمة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في إنشاء أول معجم محوسب في الوطن العربي وسمّي (الرصيد اللغوي) مع علماء آخرين هم: الأخضر غزال، وصالح القرمادي من تونس، تعدّ من أهم المحاولات في اللسانيات الحاسوبية.

وفي مجال الإفادة من الحاسوب في الشعر، فقد قام الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بتغذية الحاسوب الآلي في مركز اللسانيات الذي يشرف عليه بخمسة دواوين من الشعر الجاهلي واستطاع أن يستخرج منه قدرا من الألفاظ التي أرادها<sup>1</sup>.

مما تقدّم يتبيّن لنا من هذا العرض لإتجاهات البحث والتأليف عند اللسانيين العرب المعاصرين التي تمثّلت في صور أربع، حاولنا عرضها عند اللغويين المعاصرين مركزين على جهود د.الحاج صالح الذي حاول تمثّل معظم الصور - باستثناء التأليف بكتاب مستقل - إذ له جهود لا يمكن تجاهلها فقد أسهم ببحوث جيدة رفعت من مستوى تلقي (علم اللغة الحاسوبي) عند الدارسين، فضلا عن محاولته لوضع أسس الذخيرة اللغوية العربية (البنك الآلي أو المعجم الآلي)، كما لا يخفى ما له من جهد عظيم في تأسيسه لمعهد العلوم اللسانية والصوتية الذي يعدّ الركيزة الأولى في تطبيق (اللسانيات الحاسوبية)، فجهده هذا مؤشّر حقيقي على نجاح الحاسوب في خدمة اللغة العربية، وتوظيفه في معالجة قضاياها المختلفة، تحليلا، وتوليدا وتعلّما وصياغتها صياغة رياضية دقيقة على وفق علاقة متبادلة بين المقاييس العلمية والمقاييس اللغوية.

وسنرى في الفقرة القادمة كيف تمكّن د.الحاج صالح من حوسبة التراث اللغوي العربي بكافة مستوياته اللغوية، وهذا يرجع إلى قدرة العربية على استيعاب لغة العصر، وتمثّل تقنياته بكلّ كفاءة واقتدار.

<sup>1</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص40.

## ب- حوسبة التراث اللغوي العربي:

تبنى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مشروعاً أسماه (الذخيرة اللغوية العربية) أو ما يطلق عليها (الإنترنت العربي)، وهو مشروع يسعى إلى الاستعانة بالحاسوب، على وفق متطلبات العصر عن طريق ما يدّخره من معلومات.

ولو عدنا إلى معنى مصطلح (الذخيرة) لغويا لوجدناه لا يخرج كثيرا عن المعنى اللغوي الأصلي- التراثي الذي قدّمه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، فهو لغة مشتق من "الذخر والجمع أنذّار، ودّخر لنفسه حديثاً حسناً أبقاه، والذخيرة واحدة الذخائر"<sup>1</sup>. فهو هنا- بمعنى الإبقاء، ووردت بمعنى آخر وافق إلى حد كبير ما هو مترتب عليه عند د.الحاج صالح من تعريف، فجاء في تاج العروس كما يأتي: "ذخره... يذخر ذُخراً بالضم، وإنذاراً، اختاره أو اتّخذَه ، وفي الأساس خبأه لوقت الحاجة"<sup>2</sup>. فبهذه التعريفات اللغوية نجد التوافق مع التعريف الاصطلاحي، إذ عرفها د.الحاج صالح بأنها: "بنك آلي من النصوص القديمة والحديثة (من الجاهلية إلى وقتنا الحاضر)"<sup>3</sup>. أي بنك آلي حاسوبي يسير على وفق التكنولوجيا (اللسانيات الحاسوبية).

إنّ مفهوم الذخيرة العربية من الوجهة الاصطلاحية، هي: نصوص حقيقية محرّرة أو منطوقة، تخصّ تحصيل معلومات الكلمة العربية، والجذور وصيغ الكلم، وأجناس الكلم وحروف المعاني، والمعرب الذي ورد في الاستعمال، وصيغ الجمل، والأساليب الحيّة والجامدة وما يتعلّق بالعروض، والضرورات الشعرية والزحافات، والقوافي، وما يخصّ المفهوم اللغوي أو الأدبي أو الحضاري أو العلمي أو التقني، تقبّل الزيادة والتّقويم حسب تطوّر المعلومات، وهذا

<sup>1</sup> - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 4، ص302. (مادة ذخر).

<sup>2</sup> - الزبيدي: تاج العروس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، 1972، ج11، ص362. (مادة ذخر).

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص113.

ما يطلق عليه العرب ديوان العربية، وهذا الديوان يفهرس بشكل دقيق وواسع وشامل من الجاهلية إلى عصرنا الحاضر.<sup>1</sup>

ومن وجهة تعريف الحاسوبيين، فهي: بنك آلي موضوعي موثّق من المعاجم والنصوص والدراسات القديمة والحديثة، يخصّ الاستعمال الفعلي للغة العربية عبر العصور والبلدان، عن طريق إنشاء بنية قاعدية موحّدة تجمع الإنتاج الأدبي واللغوي والعلمي؛ القديم منه والحديث في شكل بنك معطيات نصيّة تستقى ممّا هو موظف فعلا، ويسمّى: الإنترنت العربية.<sup>2</sup>

عرض د.الحاج صالح فكرة هذا المشروع في الساحة العربية، إذ يقول بهذا الصدد: "كان لي الشرف أنّ عرضت هذا المشروع على مؤتمر التعريب الذي انعقد بـ"عمّان" 1986م، وفكرة الذخيرة اللغوية وفوائدها الكبيرة فيما يخص البحوث اللغوية والعلمية عامة وبالنسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها خاصة<sup>3</sup>. فقد حاول الدكتور تقديم رأيه بفكرة تجسّد هذا المشروع الضخم والمهم، فقام بإرساء خطوات أولى تتعلق وهذا العمل محاولا تقديم كل الدلائل برهنة الأولويات الضرورية لتطبيق الذخيرة اللغوية في الواقع العربي.

ويقوم تصوّر المشروع<sup>4</sup> على إدراج ملايين الكتب والنصوص والمعلومات المهمّة في شتى المعارف والعلوم باللغة العربية، في بنك آلي محوسب يمكن لأي مواطن عربي أن ينهل منه في

<sup>1</sup> - ينظر، صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2010، ص 175-176.

<sup>2</sup> - ينظر، صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، ص 176.

<sup>3</sup> - ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 395.

<sup>4</sup> - نشر المشروع الأول للذخيرة العربية في مجلة "المجمّع الأردني للغة العربية" سنة 1986، وكذا مجلة المجمّع العلمي العراقي لسنة 1988، كما قدّم أيضا في المؤتمر الواحد والسّتين لمجمّع اللغة العربية بالقاهرة، وقد تفضّل المرحوم الدكتور "إبراهيم مذكور" بالتنويه بالمشروع بصفته رئيسا لاتحاد المجامع العربية وأعرب عن ذلك لصاحب هذا البحث في رسالة بعثها له. ثم رحّب به اتحاد المجامع العربية في سنة 1998. وفي جلسة لمجلس جامعة الدول العربية قرّر هذا المجلس الترحيب بالمشروع كمشروع قومي. هذا وقد تبنّاه أخيرا المجلس الوزاري بجامعة الدول العربية بقرار رقم 6457 د.ع (121) بتاريخ 2004/9/14. والجدير بالذكر أنّه صار يتجاوز الجانب اللغوي إلى الجانب الثقافي والعلمي بل أصبح بنك نصوص يحتوي على التراث وعلى معلومات علمية وثقافية حديثة، فسمّي بالذخيرة العربية أو الانترنت العربي. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة اللغوية العربية، ضمن كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية(الهامش)، ص 395-396.

أي علم أو ميدان؛ إذ يقول في هذا الصدد: "...وحاولت إقناع زملائي الباحثين على أهمية الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية، واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية، وإشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية لإنجاز المشروع لامتيازه بأبعاد تتجاوز المؤسسة الواحدة بل البلد الواحد."<sup>1</sup>

ويعد هذا المشروع بمثابة "فوقل" google عربي يحوي جميع المعلومات والمنجزات الفكرية لكل الدول العربية، حيث يوفر قاعدة معرفية وثقافية مشتركة للأمة العربية<sup>2</sup>. ويمكن تقريب مفهوم هذا المشروع على أنه عبارة عن قاموس جامع للألفاظ العربية المستعملة بالفعل، في نص من النصوص من أمهات الكتب القديمة، والحديثة، والآثار الأدبية والعلمية والتقنية منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر، إضافة إلى مقالات ذات القيمة العلمية المنشورة في الإشارة إلى انتماء الكلمة أو العبارة إلى الفصح المسموع عن الفصحاء السابقين أو المولد الذي جاء على قياس كلام العرب، وتتخذ ثلاثة أشكال: شكل تسجيل في ذاكرة الحاسوب: وشكل جاذبة عادية من جهة، ومصغرة (ميكروفيشات تحتوي كل واحدة على 60 صفحة من جهة أخرى) وشكل كتاب عادي، الذخيرة العربية تمثل اقتراحا حضاريا، يسهم في تقدم العلم ويرسم استراتيجياته المستقبلية.<sup>3</sup>

إنّ الهدف الأساس من عمل د.الحاج صالح هو مساعدة الباحثين؛ ولذا فإنّ القصد منه هو خدمة وتوفير كل متطلباته، ذلك "أن يجعل تحت تصرف أي باحث في أي مكان وأي وقت مدونة تحوي الاستعمال الحقيقي للعربية"<sup>4</sup>. وهذا الجهد المتفرد للحاج صالح يندرج ضمن

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص395.

<sup>2</sup> - د. صفية مطهري: أهمية النظرية الخليلية في الدرس اللغوي الحديث، مجلة التراث العربي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 116، نوفمبر 2009، المرجع السابق، ص98.

<sup>3</sup> - د. ضيف الله السعيد: إسهامات الحاج صالح الجزائري في تيسير البحث اللغوي، مجلة العاصمة، المجلد 9، 2017، جامعة تريفندروم، كيرالا، الهند، ص164.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة اللغوية العربية، ضمن كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص148.

الدراسات اللغوية الحديثة التي تساعد على إعطاء التراث اللغوي - وما جدّ من اللغة - حقه في الإدراج والاستعمال والاستغلال، وما قدّمه الحاج صالح هو "تصوّر وضع أنموذج لساني للعلاج الآلي للغة العربية"<sup>1</sup>. إذ تحتاج العربية - فعلا - إلى هذا الأنموذج لكونه استعمالا فعليا ذا خطورة عظيمة - على حدّ تعبير الحاج صالح - فكان لا بدّ من استخدام الحاسوب لما له من ميزات مواكبة للعصر، كسر عنه الهائلة وقدرته الفائقة على التخزين؛ وذلك لإنشاء بنك آلي من المعطيات يحوي على أهم ما يحرر بالعربية ممّا له قيمة علمية وأدبية وتاريخية وغيرها، وأعرّ ما أنتجه الفكر العربي قديما وحديثا، وما سينتجه على مرّ السنين"<sup>2</sup>.

لخص الأستاذ فؤاد المشروع في رفع مستوى المواطن العربي والنهوض باللغة العربية ويتم ذلك عن طريق البحث في التراث ومسحه بالحاسوب: استفادة علماء العرب وباحثهم والطلبة ما يجدّ من جديد في مختلف العلوم: الاطلاع على حياة الناطقين بالعربية وأحوالهم وعلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية بصفة خاصّة، وغير ذلك ممّا يخصّ اللغة قديما أو حديثا عبر العصور والبلدان، ويمكن أن يخصّ جزء من الذخيرة للهجات العربية، إذا وافق على ذلك المشاركون في المؤتمر فيوكلّ إلى بعض المعاهد العربية المتخصصة القيام بمسح كامل لاستعمال العربية في مستواها اللهجي بالمنهجية المتعارف عليها في هذا الميدان، ويمكن تقام على هذه المدوّنة اللهجية دراسات مفيدة جدا بالنسبة للفصحى والعلم عامة منها:<sup>3</sup>

- تحديد القدر المشترك بين الفصحى ولهجاتها القديمة والحديثة.
- اكتشاف أسماء الحيوانات والنباتات في الأقاليم المختلفة.
- اكتشاف المصطلحات العفوية الحضارية والحرفية والصناعية والفلاحية وغيرها الجارية في اللهجات.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن حسن العارف: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية - جهود ونتائج، مجلة البحوث العلمية، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، العدد الرابع، مكة المكرمة، 1426هـ، ص 58.

<sup>2</sup> - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 409.

<sup>3</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: المصدر نفسه، ص 400.

- تحديد أوصاف النطق اللهجي ودراسة ظواهر الخفة في اللهجات.
  - دراسة مقارنة بين الفصحى واللهجات (في جميع مستوياتها).
- يحاول الأستاذ في مجال الحوسبة اللغوية التحاور مع اللغات، بوضع آليات رياضية للغات الطبيعية، وهذا أثناء التطبيقات التي يجريها طلابه بإشرافه في ميدان التوثيق الآلي والترجمة الآلية وتعليم اللغات بالحاسوب والتّركيب الآلي للكلام والتّعرف الآلي لخطأ اللفظة أو التّركيب وهذا بتوظيف الذكاء الاصطناعي ومن هنا نراه يؤكّد على أمور منها:<sup>1</sup>
- ضرورة التحاور بين المهندسين، واللغويين للوصول إلى صياغة نظرية لغوية تعكس تحليل لغة ما بكل مستلزماتها بغية التّعرف على آليات اللغة بشكل بسيط، حيث تكون الآلة وسيلة مساعدة للتّعرف الآلي على الكلام المنطوق.
  - ضرورة البحث في وضع قواميس آلية ناطقة تكون المتن الذي تعتمده الآلة في تحليلها للغات وهو الذي يسهل عملية البحث، والتصنيف وإيجاد المثل، وخاصة في أوزان الكلم.
  - يقرّ بأنّ البحث اللغوي يمكن أن يكون رياضياً إذا لم يبتعد عن التّطورات العلمية التي يشهدها عالم اليوم، فالحاجة ضرورية إلى تحديث المعلومات والمحافظة على مواكبة الصيحات التكنولوجية، ومسايرة المفاهيم، والمعارف الجديدة، وبسبب الطابع الرياضي لكلّ من اللغة والحاسوب، فإنّ مجال الإبداع فيهما متعدّد وواسع، يمكّننا من وضع نماذج كثيرة في برامج مصمّمة لتدريس اللغة العربية؛ فمجال المعالجة الآلية للغة العربية قد شمل مستويات اللغة المختلفة الصّوتية، النّحوية، المعجمية والدّالية.
- ولا بدّ للمعالجة الآلية للغة أن تشمل على شقين أساسيين:<sup>2</sup>
- الشّقّ الأوّل: ويشمل نظم البرمجة المستخدمة في المعالجة الآلية بواسطة الكمبيوتر للفروع اللغوية المختلفة مثل:

<sup>1</sup> عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص404 وما بعدها.

<sup>2</sup> ينظر، د. نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، (سلسلة عالم المعرفة، رقم 265) ص290-291.

- نظام الصّرف الآلي: الذي يقوم بتحليل الكلمات إلى عناصرها الاشتقاقية والتصريفية أو يعيد تركيبها من هذه العناصر مثال: تحليل كلمة "بإيجادها" إلى: حرف الجر "الباء" والضمير المتّصل "ها" وساق الكلمة "إيجاد" الذي يحلّل إلى الجذر "وجد" على صيغة "إفعال".
- نظام الإعراب الآلي: الذي يقوم بإعراب الجمل آلياً.
- نظام التحليل الدلالي الآلي الذي يستخلص معاني الكلمات استناداً إلى سياقها ويحدد معاني الجمل استناداً إلى ما يسبقها وما يلحقها من جمل. وذلك علاوة على قواعد البيانات المعجمية والقواميس الإلكترونية ومنهجيات هندسة اللغة.
- الشقّ الثاني: ويتضمن التطبيقات التي تقوم على النظم اللغوية الآلية السابقة الذكر والتي تشمل على سبيل المثال لا الحصر الترجمة الآلية - التدقيق الهجائي والنحوي - الفهرسة والاستخلاص الآلي - البحث العميق داخل مضمون النصوص - فهم الكلام ونطقه آلياً.
- ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنه لا بدّ من مضاعفة مردود البحث الاصطلاحي، وذلك من خلال مجموعة من الطرائق والوسائل من بينها<sup>1</sup>:
- 1 - الرّجوع إلى الاستعمال الحقيقي، والتّركيز على ما قد وضع من لفظ عربي لنفس المفهوم في جهة أخرى، أو بلد آخر.
- 2 - الحصر الكامل، والمستمر لما يضعه العلماء باستمرار من مصطلحات في سائر أقطار الوطن العربي.
- 3- الرّجوع إلى التّراث العلمي العربي، ومحاولة مسحه مسحاً كاملاً.
- 4- الاعتماد على مدوّنة من النّصوص العلمية، حتّى يتراءى فيها الاستعمال الحقيقي القديم والحديث للغة العربية، في كلّ ميدان من الميادين العلمية، وبذلك تكون المصدر الرئيس للبحث الاصطلاحي، واللغوي بصورة عامة، وتصبح مرجعاً موضوعياً.

<sup>1</sup> - محمد سيف الإسلام بوفلاقة: عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في خدمة علوم اللسان، نقلاً من الموقع: <https://binbadis.net/archives/2286> يوم: 2018-07-30.

- 5- اللجوء إلى الوسائل التكنولوجية الحديثة، وتطوير التّصوّر للعمل الاصطلاحي، وذلك بما يقتضيه العمل على الحاسوب.
- 6- لا يتمّ الاكتفاء بترويج المصطلحات الجديدة فحسب، بل لابدّ من التّدخل، وذلك لنشرها على نطاق واسع بطرائق ناجعة، وعلى نطاق واسع.
- 7- ضرورة خلق هيئة قومية تهتم بالإشراف على جميع الأعمال الاصطلاحية العربية، وذلك بالتخطيط، والمتابعة، والتّقويم العلمي، والتنسيق، وتكون لها صلاحيات مشروعة لتحقيق هذه الأهداف، ويُسمح لها بالتّدخل المباشر.
- 8- السّعي لاستثمار الثروة اللغوية التي تختص بها لغتنا العربية في أبنيتها، وجذورها .
- ومن هنا تكون الذخيرة العربية إضافة علمية؛ لأنّها مشروع علمي حضاري قومي يتعدى طاقة الفرد الواحد أو الجماعة الواحدة أو الدولة الواحدة؛ فهو مشروع جماعي تتعاقد على إنجازه مؤسسات علمية عربية عديدة مثل: المجامع اللغوية والمنظمات الثقافية والتربوية كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب تنسيق التعريب، والحكومات العربية<sup>1</sup> إنّهُ مشروع جدير بأن يشرف عليه لا مركز واحد ولا بلد واحد بل البلدان العربية كلّها وفي أعلى مستوى مادام هناك إجماع على أهميته القصوى وذلك يرفعه للمستوى الثقافي العربي إلى ما يقارب مستوى الغربيين<sup>2</sup> وهذا من الناحية النظرية. يعرّف الدكتور "عبد الرحمن الحاج صالح" الذخيرة العربية بأنّها: "بنك آلي من النصوص، وهي ليست مجرد مدونة أدخلت في ذاكرة الحاسوب، وهي ليست CDROM كما يقولون، بل مجموعة من النصوص أدمجت على الطريقة الحاسوبية، حتّى يتمكن الحاسوب من مسحها كاملة، أو جزئيا، ولها عدد من البرامج الحاسوبية وضعت خصيصا لإلقاء أنواع خاصّة وكثيرة من الأسئلة على الذخيرة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أ.د بشير إبرير: الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 2، ص 36.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة العربية (دراسة)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ص 287.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص 288.

وتكمن أهمية الذخيرة العربية في كونها<sup>1</sup> تنظر إلى اللغة في إطار منظومة علمية واجتماعية وتربوية واقتصادية وسياسية، في إطار ثقافة المعلومات وفي علاقتها بمنظومة المجتمع برمته فاللغة تنبؤاً موقعا بارزا على خريطة المعرفة الإنسانية، فلها علاقة وثيقة بالفلسفة والعلوم الإنسانية والطبيعية والفنون بأنواعها، ولها أيضا علاقة وطيدة مع الهندسة، وذلك من خلال هندسة الذكاء الاصطناعي التي تساهم فيها اللسانيات الحاسوبية Computational linguistic بقسط كبير<sup>2</sup>.

إن مشروع الذخيرة العربية لا ينظر إلى اللغة العربية وآدابها فقط ولا إلى العلوم اللسانية وحدها، وإنما ينظر إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الأساسية والتكنولوجيا على حدّ سواء؛ لأنّ اللغة هي الوسيلة بالنسبة للباحث في أي علم من العلوم أو معرفة من المعارف وهي لسان حاله المعبر عن نتائج علمه المبلغ لأفكاره عبر الزمان والمكان.<sup>3</sup>

تتأسس الذخيرة العربية على معطيات أساسية لسانية خيلية في الوصف والتحليل والبحث من مثل الأصل والفرع والباب والمثال والوضع والاستعمال والقياس واللفظة والعلامة العدمية. وفي التركيز على المخزون التراثي والاستعمالي كما تبرزه النصوص المكتوبة وفي التركيز على المنجز الحدائي كما تبرزه النصوص المعاصرة في شتى ميادين المعرفة والعمل على جعله ذخيرة عربية يتم استثمارها وتوظيفها في البحث العلمي والتربوي بصفة عامّة، ولهذا فإنّ الذخيرة العربية بما أنّها ستكون مدوّنة نصية كبرى ستمكّن الباحث من الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية، ولا يكتفي بما في القواميس ولا في كتب القواعد وأن يسمح هذا الواقع كما يشاء ويستقره كما ورد في سياقاته الاستعمالية الأصلية ومقاماته التبليغية وأحوال الخطاب<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر، أ.د بشير إبرير: الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد2، ص37.

<sup>2</sup> - د.نبيل علي: اللغة العربية وعصر المعلومات، ص239-240.

<sup>3</sup> - ينظر، أ.د بشير إبرير: الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، ص37.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة العربية، ص267.

وللدكتور الحاج صالح جهود فذة في المعالجة الآلية للغة العربية شملت العديد من المستويات اللغوية وهي كالاتي: المستوى الصوتي، النحوي، والمعجمي. وقد اعتمدت على هذه المستويات خاصة عنده؛ إذ نلاحظ غياب المستوى الصرفي في هذا الفصل لأسباب عدة ومن أهمها : عدم تناول الحاج صالح له بصورة مستقلة، فنجده يُشير إلى أمور صرفية في المستوى الصوتي أو النحوي، لكنّه لا يُفرد له موضوعات مستقلة، ويبدو أنّ الدكتور الحاج صالح كان متأثراً بالنظرية التوليدية التي حاولت إبعاد المكوّن الصرفي من أنموذجها بانصرافها إلى المعجم.

### 1. المستوى الصوتي:

إنّ أهمّ ما يميّز النظرية الخليلية هو هذه الرّكائز الأساسية التي بني عليها الدرس اللساني العربي، حيث نجد الخليل قد أبدع في جميع ميادين اللغة بصفة عامّة، وفي الدراسات اللغوية العربية بصفة خاصة؛ من ذلك مثلاً، اختراعه للشكل واختراعه للنظام الصوتي العربي الذي بنى عليه معجم العين الذي يعدّ أول معجم قائم على فكرة رياضية<sup>1</sup>.

إنّ اللسان كما يرى القدماء "هو المَقُول يذكّر ويؤنث... واللسان، اللغة مؤنثة لاغيرواللسن: الكلام واللغة"<sup>2</sup>، واللغة كما قال ابن جنّي: "أصواتٌ يُعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"<sup>3</sup> أو كما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأن اللسان "نظام من الرموز الصوتية الموضوعة لغرض التبليغ"<sup>4</sup>، كما يرى أيضاً أنّ الصوت "هو اضطراب اهتزازي

<sup>1</sup>- ينظر، د. صفية مطهري، المرجع السابق، ص84.

<sup>2</sup>- علي بن إسماعيل بن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج8، ط1 2000، ص497.

<sup>3</sup>- ابن جنّي: الخصائص، ج1، ص87.

<sup>4</sup>- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص43. (ينظر أيضاً: قول ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق، محمّد حسّان الطيّان، ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1982، ص56-58).

للهواء، بل ولكلّ مادة، أو كما قال علماؤنا قديما إنه تموجّ الهواء دفعة وبقوة أو كيفية تعرّض للهواء عند التّموج.<sup>1</sup>

ولكن دراسة الصّوت اللّغوي بالطّرق العلمية الحديثة لم تر النور في أوروبا إلا في القرن التاسع عشر، على يد دارسي علم اللّغة المقارن، ورائدهم في ذلك اللّغوي السّويسري "دي سوسير"؛ إذ له الفضل في إرساء أسس اللّسانيات الحديثة على ركائز علمية ثابتة .

وقد تمخضت عن تلك الدّراسات ولادة علمين يدرسان الصّوت اللّغوي، ولكنهما يختلفان من حيث التّنظير، هما:

1 - phonetics . علم الأصوات العام أو النطقي.

2 - phonology . علم الأصوات التّشكيلي أو الوظيفي.

أمّا الدرس الأوّل فمعنيّ بالأصوات من جهات متعددة، كالجهة النطقية، والسّمعية والفيزيائية والتجريبية، في حين يُعنى الدرس الآخر بالتشكيل الصوتي في مقاطع وأبنية، ويعرض لما يأتلف من الأصوات وما يختلف. وقد تطوّرت هذه الدّراسات في عصرنا، حتّى شملت مراحل إنتاج الصّوت، وانتقاله، وتلقّيه، وتخصّص لدراسة كلّ مرحلة من مراحلها الثلاث فرع من فروع علم الأصوات.

وكان الدّكتور عبد الرحمن الحاج صالح على اطلاع واسع على الفكر اللّغوي ولاسيّما الصّوتي عند العرب وعند الغربيين، فهو يجلّ العلماء القدماء ويعجب بأرائهم كالخليل وسيبويه وابن جني وابن سينا وعلماء القراءات والتّجويد كمكي بن أبي طالب القيسي وأبي عمرو الداني وغيرهم.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج1، ص270.

يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "إنّ المستوى الصوتي وإحداث الكلام هو الجانب الذي يتسابق فيه الباحثون منذ القرن العشرين إلى استخدام الآلات فيه"<sup>1</sup>؛ إذ تتمّ المعالجة آليا بواسطة تحليل طيف الصّوت، وتوليد (إنتاج) الكلام، وتخزين الأنماط الصّوتية للشخص المتكلم، وتبعاً لهذا فقد صمّمت أجهزة تخليق الكلام وتحليله، وتوليد الكلام المنطوق آليا بتحويل النّصوص المدخلة في جهاز الحاسوب إلى مقابلها الصوتي، وعلاج عيوب النطق.

وقد حاول الدكتور الحاج صالح حلّ بعض المشاكل الصّوتية في معهد العلوم اللسانية والصوتية الذي يديره؛ إذ استخدم كثيراً من الآلات التي تتخصّص في تحليل الكلام وتركيبه وإدراكه<sup>2</sup>، فضلاً عن "آلات أخرى للفحص الفيزيولوجي ولرؤية ما يحدث في داخل الحنجرة وداخل تجاويف الجهاز الصوتي الإنساني كمجواف الحنجرة laryngoscope والسّيما المجوافية وهي التي تمكنا بالأشعة السينية أن نبصر ما يحدث... من الحركات العضوية المحدثة للأصوات اللغوية، وكذلك الآلات التي تقيس وترسم حركات الأوتار الصوتية وسكناتها وخفقاتها Electroglottograph والتي تقيس ضغط الهواء Manometer أو الطاقة العضلية في الحركة العضوية Electromyograph. وقد استعملنا في مخبرنا في معهد العلوم اللسانية بجامعة الجزائر آلة قياس تمدد الأغشية المخاطية عند نطقنا بالحروف المهموسة والمجهورة"<sup>3</sup> كما يشير د. الحاج صالح إلى أنّه يمكن ببرنامج خاص في الحاسوب من برمجة تشمل التحليل التصنيفي في الفولولوجية (حسب الحروف الشفوية العربية)، ومثّل لها بالتمثيل النحوي الآلي<sup>4</sup>:

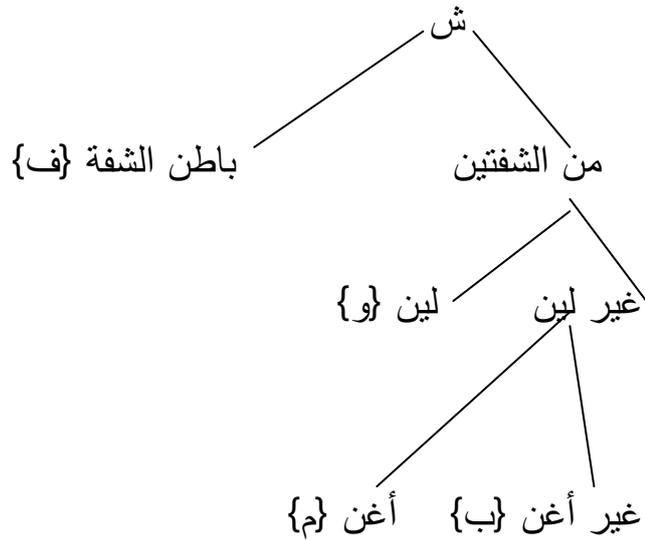
<sup>1</sup> - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص270.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص276.

<sup>3</sup> - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المصدر السابق، ص277.

<sup>4</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص211.

{(ب / م) / و / ف}



ولأجل ذلك نجد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، قد بنى فكره اللساني على التراث اللغوي العربي القديم، وجعله يُعجب بفكر الخليل وبآراء من سار على نهجه من القدماء فقد تبين له أنّ الخليل وهو المؤسس الحقيقي للنظرية اللغوية العربية، قد أدرك بعبقريته الفذة أنّ اللغة تتألف من مجموع المفردات، والمفردات تتألف من أجزاء، وهذه الأجزاء هي الحروف، والحروف ينتجها الجهاز النطقي، فكان ترتيبه للحروف بحسب مدارجها في الحلق إلى الشفتين ترتيباً علمياً، اعتمد فيه على الملاحظة الذاتية، فوجد مثلاً أنّ العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أوّل الكتاب، وكان الخليل إذا أراد أن يحدّد مرتكز الصّوت أو مخرجه فتح فاه بألف ثم أظهر الحرف نحو: أف، أخ..، واستطاع بذلك الحصول على كثير من النتائج العلمية الدقيقة، التي انتهى إليها المحدثون بالاستعانة بالتطور العلمي للمختبرات والآلة، وفي هذا الصّدّد قال الدكتور مهدي المخزومي: "ومن الطّريف حقاً أن نرى مصطلحات علم الأصوات الحديث تتفق أكثرها مع المصطلحات التي وضعها الخليل وهي قريبة منها كل القرب، بل كان كثير منها

يشير إلى أنّها مصطلحات الخليل ترجمت ترجمة تكاد تكون (حرفية) ( فمثلاً : مصطلح (المجهور) يقابله بالإنكليزية مصطلح (voiced) "ومصطلح المهموس يقابله مصطلح (voiceless)"<sup>1</sup>، وفي النظرية الخليلية التي طوّرها ورأى أنّها تمثل أهم الملامح الرئيسية لدراسة القدماء للأصوات اللغوية، وهي دراسة نالت إعجاباً كبيراً لدى المستشرقين وحظيت من المعاصرين بالثناء والتقدير البالغين.

ومن المبادئ الأساسية التي تميّز بها الخليل فضلا عن سيبويه عن غيره من العلماء في هذا المجال - المباحث الصوتية- وأخذ بها عبد الرحمن الحاج صالح:<sup>2</sup>

- ارتباط الدرس الصوتي العربي مع بداية تدوين اللغة ومعرفة قواعدها؛ إذ أنّ أول معجم وضع في العربية وهو العين للخليل قامت منهجيته على أساس صوتي. ومعنى هذا الأساس أنّ ترتيب ألفاظه وعباراته قد تمّ وفق عمق مخارج الحروف، فكان ترتيبه لها بحسب مخارجها من الحلق إلى الشفتين ترتيباً مبنياً على أساس علمي واضح، وصار هذا الوصف أول نظرية صوتية وضعها في معجم العين، ويمكن تصنيف المادة الصوتية الواردة في مقدمة كتاب العين وفق الدرس اللساني العربي الحديث، ويمكن عدّ الخليل- وبدون منازع - رائداً في مجال علم الأصوات وفي غيره من العلوم اللغوية التي تتوافق والدرس اللساني العربي الحديث، إذ كان ومازال الباحثون يعتمدون في دراساتهم أدوات وإجراءات كان قد أرسى سبلها الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه في القرن الثاني الهجري<sup>3</sup>.

- رأى الدكتور الحاج صالح أنّ الدراسات المرتبطة بالقدماء ظلت تشكو الدقة على الرغم من أنّ المتتبع لها، والناظر إليها بعين الإنصاف يشعر باطمئنان أنها جمعت بين أمرين أولهما: العمل اللغوي النقدي الاستدراكي، وثانيهما: العمل المعجمي الإحصائي، وبإحاطة عالية في

<sup>1</sup> - د. مهدي المخزومي: الفراهيدي، عبقري من البصرة، ص41.

<sup>2</sup> - معالي هاشم: المرجع السابق، ص196-197.

<sup>3</sup> - د. صفية مطهري: المرجع السابق، ص93.

علوم اللغة كافة، ومنها العمل الصوتي؛ فقد اهتدى الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني الهجري إلى وضع أشكال خاصة بنقط الإعراب، استوحاها من شكل بعض الحروف لأنه كان يرى أنّ الضمة من الواو، والفتحة من الألف، والكسرة من الياء؛ فوضع واوا صغيرة بين يدي الحرف، وألفا صغيرة فوق الحرف، وياء صغيرة تحت الحرف، لأنّ الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو.<sup>1</sup>

لقد اعتمد الخليل بن أحمد في هذه العملية على آلية النطق دون أن يعرف فيزياء الصوت وتشريح الأعضاء ونحوها من المعارف المستحدثة. وليس في معرفتهم لأعضاء الجهاز النطقي نقص إلاّ الحنجرة ولا سيّما الوترين الصوتين.<sup>2</sup> ويبدو أنّ عدم ذكر الحنجرة في أثناء حديث الخليل وسيبويه عن المخارج كان يؤدّي بقولهم (أقصى الحلق)، وهو المخرج الذي حدّده سيبويه تحديدا نهائيا ونسب إليه خروج صوتي الهمزة والهاء. وهما صوتان حنجريان فعلا كما أثبتت الدراسات الحديثة.<sup>3</sup>

- يجد المنتبّع أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، قد ارتكز في منهجه الصوتي على الأساس النطقي (الфизиولوجي)، ونعني به ملاحظة تكوّن الصوت بواسطة أعضاء النطق وهو بذلك متأثر بالخليل (رحمه الله) الذي كان مرهف الأذن، دقيق الحسّ بالأصوات؛ إذ أنّ هذه الطريقة الرائدة التي ركيزتها الأساسية مخارج الحروف، تحتاج إلى أذن ذات حسّ مرهف أذن موسيقية،<sup>4</sup> كما أنّ في هذه الطريقة عسرا ومشقة على الباحث.

<sup>1</sup>- أبو الفتح عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هندواوي، ط1993، 2، دار القلم، دمشق، ج1، ص17.  
<sup>2</sup>- وسبب ذلك هو جعلهم الحنجرة جزء من الحلق لا استقلال له أو مرادفا للحلقوم والبلعوم، مع أنّ كلمة (حنجرة) معروفة لديهم وقد وردت بصيغة الجمع في القرآن الكريم مرتين (في سورة الأحزاب، الآية 10، وسورة غافر، الآية 18). ينظر، أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008، ص77.  
<sup>3</sup>- ينظر، أحمد محمد قدور: المرجع نفسه، ص77.  
<sup>4</sup>- د. صفية مطهري: المرجع السابق، ص92-93.

لقد استطاع الخليل بن أحمد بطريقته هذه أن يؤسس مدرسة عرفت بمدرسة "التقليبات الصوتية" وذلك لما يمتاز به من ذكاء وفطنة، وعقلية ناضجة، وعبقريّة فذة؛ إذ كان لديه نظرة علمية خارقة، فهو بذكائه وفطنته استطاع أن يؤسس لعلوم هامة هي محور الدراسات اللسانية الحديثة اليوم؛ حيث وضع أسس علم النحو، وجعله قائماً على أصول وقواعد علمية لا زلنا نحلل شفراتها إلى اليوم من خلال مدارسنا لكتاب سيبويه الذي كان الخليل قد وهبه له باعتباره تلميذه النجيب، والمتصفح للكتاب يجد ذلك واضحاً من خلال نسبة سيبويه العديد من القضايا اللغوية إلى الخليل. كما وضع الخليل علم العروض الذي اكتمل بناؤه على يديه.<sup>1</sup>

- يرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ الجانب التطبيقي للدرس الصوتي عند العرب نضج كثيراً على أيدي القراء والمجودين، الذين حاولوا تطبيق الجوانب الصوتية في القراءات بصورة دقيقة وصحيحة، ثمّ تطبيقها على الأداء القرآني<sup>2</sup>. فقد أسهم علماء القراءات القرآنية في إضافة تفصيلات صوتية إلى ما أثر عن الخليل وسيبويه؛ فهم قد سعوا إلى وصف تلاوة القرآن الكريم حسب القراءات المختلفة فسجّلوا خصائص صوتية تتفرد بها التلاوة القرآنية، ووضعوا رموزاً كتابية تمثل هذه الخصائص<sup>3</sup>.

وقد أكد اللسانيون المعاصرون أنّ الحرف صوت، ويؤيد ذلك ما أثبتته العلماء العرب القدماء إذ قال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "التفت النّحاة العرب منذ الخليل إلى الجانبين الصوتي والتلفظي في تحليل أصوات اللغة؛ فتحليل الصوت اللغوي من الناحية الأكوستيكية فقط، غير كاف، أو هي جديرة بأن يعتدّ بها بجديّة في المخابر، أمّا لفظة حرف فهي مناسبة جداً، لأنّهم يريدون به العنصر من اللغة الذي لا يدل على معنى، وقد يستعمل كذلك لما يدلّ

<sup>1</sup> - ينظر، د. صفية مطهري، المرجع نفسه، ص 93.

<sup>2</sup> - ينظر، ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج 1، ص 205-220.

<sup>3</sup> - د. محمود السّعران: علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 96.

على المعنى من العناصر وهي الكلم، وعلى ما يسمونه بالهجاء أي المكتوب منه، وكان السياق كافياً لرفع اللبس في كتب العلماء القدامى.<sup>1</sup>

ويتحدث كذلك عن الفرق بين الحروف الصوتية والحروف الخطية أي الفرق بين الصّوت اللغوي وبين ما يقوم مقامه ويمثله من الرموز الخطية إذ قال: " فالأول أي الصّوت اللغوي هو الأصل لأنّ الكتابة تابعة للفظ، لأنّها رموز له، والصّوت اللغوي هو الذي بنيت عليه الكتابة الهجائية، فكان يجب أن تناسبه مناسبة تامة، ولهذا قيل في قياس الكتابة إنّ حق كل حرف صوتي أن يصوّر بحرف خطي يختصّ به، وحقّ كل حرف خطي أن ينفرد بحرف صوتي واحد".<sup>2</sup>

ويجري مقارنة بين المصطلحين عند الأوروبيين وعند العرب فيقول: "أمّا علماء أوروبا قديماً فكانوا يستعملون لفظتين مختلفتين كما في الفرنسية الحرف الصّوتي (letter) و (caractère) الحرف الخطي، ولما صارت الأولى تلتبس في الاستعمال بالثانية وضعوا كلمة جديدة لمعنى الأولى فقالوا (phonème) عوض (lettre)، وأمّا العرب قديماً فما كان يشتبه عليهم هذا الأمر، وكلّما أراد اللغوي منهم، الجانب الخطي نبّه على ذلك وقال مثلاً أمّا صورة الحرف في الخط... أو هذا موجود لفظاً وخطاً، ولهم تمييز آخر فقد استعملوا للدلالة على اسم الحرف كالباء والميم والياء مثلاً لفظة الهجاء، ولهذا استعمل مفهوم الحرف للدلالة على أصغر القطع اللفظية وأصغر القطع الخطية ممّا يمثلها ويرمز بها إليها".<sup>3</sup>

## 2- المستوى النحوي:

تتم المعالجة الآتية في المستوى النحوي من خلال تشخيص مجموعة أمور، منها<sup>4</sup>:

### 1- أزمة النحو العربي.

<sup>1</sup> - د. عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، المصدر السابق، ص 214.

<sup>2</sup> - د. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 50 .

<sup>3</sup> - د. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المصدر السابق، ص 51-50.

<sup>4</sup> - ينظر، د. نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب، ص 388-391.

2- إدراك خصائص النحو العربي وتحديد أنسب النماذج النحوية التي تتلائم مع هذه الخصائص.

3- الكشف عن هذا النحو بإبراز النظريات الحديثة، وخاصة نظرية تشومسكي؛ لأن تشومسكي هو أول من وضع نظرية الأثناء الصورية (formal Grammars)، وهو من اللغويين الذين تزودوا بالمعلومات الرياضية في أحدث صورها<sup>1</sup>.

وقد أشار الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى معالجة النحو العربي آلياً، على أن تكون الانطلاقة من التراث اللغوي العربي الأصيل، وخص بالذكر الخليل ومن جاء بعده، فقد ذكر مجموعة مفاهيم في النظرية النحوية العربية يمكن اكتشافها من جديد وتطويرها، واستغلالها الاستغلال الأمثل في مجال اللسانيات الحاسوبية؛ وذلك لما تتميز به من أفكار رياضية.<sup>2</sup>

وخير دليل على ذلك ما ذكره د. الحاج صالح عند تطبيقه لمفاهيم النظرية الخيلية الحديثة إذ نسج لأفكار علمية رياضية في نحونا العربي. فقد عرض الحاج صالح لبعض المفاهيم العربية التي خلفها الخليل وسيبويه، ومن تبعهم من النحويين، مع ربطها بما جاء به المنطق الرياضي<sup>3</sup>؛ وذلك ليؤكد على علميتها ودقتها من جهة، وأيضاً ليؤكد على الفرق المنهجي بين ما تبعه النحاة العرب القدماء، وما أتبعه اللسانيون الغربيون في تحليلهم النحو، وإثبات النحو العربي الأصيل قد بني على التحليل المنطقي الرياضي والعلمي، مما يحقق له صلاحية تطبيقه في هذا المجال الحديث، وهو العلاج الحاسوبي للغة العربية.

مما تقدم نخلص إلى أنه يمكن تطبيق اللسانيات الحاسوبية على اللغة العربية، إلا أن هذا التطبيق يحتاج إلى منطق دقيق جداً، على قدر الدقة التي تمتاز بها التكنولوجيا الحديثة، وهذا

<sup>1</sup>- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، 87.

<sup>2</sup>- ينظر، المصدر نفسه، ص240. فما بعدها.

<sup>3</sup>- سبق وأن تعرضت لهذه الأفكار عند د. الحاج صالح فيما يخص المفاهيم العربية للنظرية الخيلية، ولا أرى حاجة لذكرها مجدداً، فمن هذه المفاهيم التي يمكن علاجها حاسوبياً: مفهوم المثال، مفهوم الأصل والفرع، القياس، مفهوم العامل، مفهوم الابتداء والانفصال، وغيرها.

يتطلب أن تكون النظرية اللغوية التي يعتمد عليها المعالج (اللغوي - الحاسوبي)، دقيقة هي أيضا، لها لغتها واضحة التي لا غموض فيها.

وتتضح المعالجة الآلية للنحو العربي من خلال الثنائيات اللغوية - ولاسيما في المستوى النحوي - في النظام العام للغة، وقد ذكر الحاج صالح بعضا منها، وهي - على سبيل المثال:

#### 1- ثنائية القياس والسماع:

وهي من الثنائيات الوثيقة الصلة بالنظرية النحوية العربية، ويمكن أن يبرمج الحاسوب بالظواهر اللغوية المقيسة على قليل من المسموع، باعتبار أن حصرها أيسر من حصر الظواهر المقيسة على كثير من المسموع.<sup>1</sup>

#### 2- ثنائية الأصل والفرع:

وهذه الثنائية مهمة جدا، فالصورة الذهنية للغة - مثلا - أصل، ونطقها فرع، وقد ذكر الحاج صالح هذه الثنائية في المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة؛ فالأصول تكوّن ضوابط كلية للظواهر اللغوية المختلفة، والفروع ضربا من النمو لتلك الأصول. "والأصل عند العرب هو ما يبني عليه ولم يبن على غيره."<sup>2</sup>

ويشبهه الحاج صالح ثنائية الأصل والفرع" بما نسميه البيولوجيا الحديثة بالـ "génotyp" والـ "phénotype"؛ فقد حدّد الأوّل بأنه مجموع المميزات الوراثية (génétic) والتكوينية لسلسلة من الأفراد. أمّا الثاني فهو مجموع الصفات الظاهرة لهؤلاء الأفراد التي اكتسبها بتكيف الأصول التي ينتمون إليها وردّ فعله إزاء الظروف الخاصة التي وجدوا فيها فجأة، فهذه أيضا

<sup>1</sup>- ينظر : منطوق العرب في علوم اللسان ، ص 102 فما بعدها.

<sup>2</sup>- ينظر :بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 217.

صفات الأصل والفرع في اللغة.<sup>1</sup> " فالأصل والفرع يمكن أن يتأولا من الناحية المنطقية الرياضية فضلا عن تأويل النمو البيولوجي".<sup>2</sup>

### 3- ثنائية العلاقات العمودية والأفقية:

وهي من الثنائيات المهمة في عمل الحاسوب، ويمكن توظيفها في التوزيع والتصنيف عند العمل في الدرس اللغوي، كما توظف في سائر البرمجيات الحاسوبية.<sup>3</sup>

ويذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ "التحليل العربي أفقي وعمودي معا، يقع على المحورين في آن واحد"<sup>4</sup>، كما يذكر أنّ من أظهر العلاقات الأفقية في النحو العربي التي تجدها في العلاقة بين المسند والمسند إليه؛ فهي علاقة أفقية ذات وجهين، أحدهما إسناد الحدث أو الصفة إلى المسند إليه، كما في إسناد الفعل إلى الفاعل، وإسناد الخبر إلى المبتدأ، والآخر افتقار المسند إليه إلى المسند، إذ لا يتم المعنى بوجود المسند إليه وحده، فلا بد من المسند. وأمّا العلاقات العمودية فمثل احتواء الجملة الاسمية المركبة جملتين تصنف كل واحدة منهما في فئة، ثم توزع مكونات كل واحدة منهما على حدة.<sup>5</sup>

ويمكن أن يترجم الحاسوب العلاقات الرياضية التي تظهر عموديتها أو أفقيتها جبريا، ترجمة يمكن أن نفيد منها في التحليل اللغوي عامة، والنحوي خاصة.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ ثمة مبدأ لساني ارتبط وتداخل مع نظرية العامل العربية؛ وهو نمط التبعية النحوية الذي استغلته اللسانيات الحاسوبية أيما استغلال<sup>6</sup>، وهو مبني على فكرة مفاده أنّ جميع الألفاظ البشرية تابعة لما قبلها أو متبوعة، " فهذه النظرية أي التبعية هي

<sup>1</sup> - منطق العرب في علوم اللسان، ص 150.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 150.

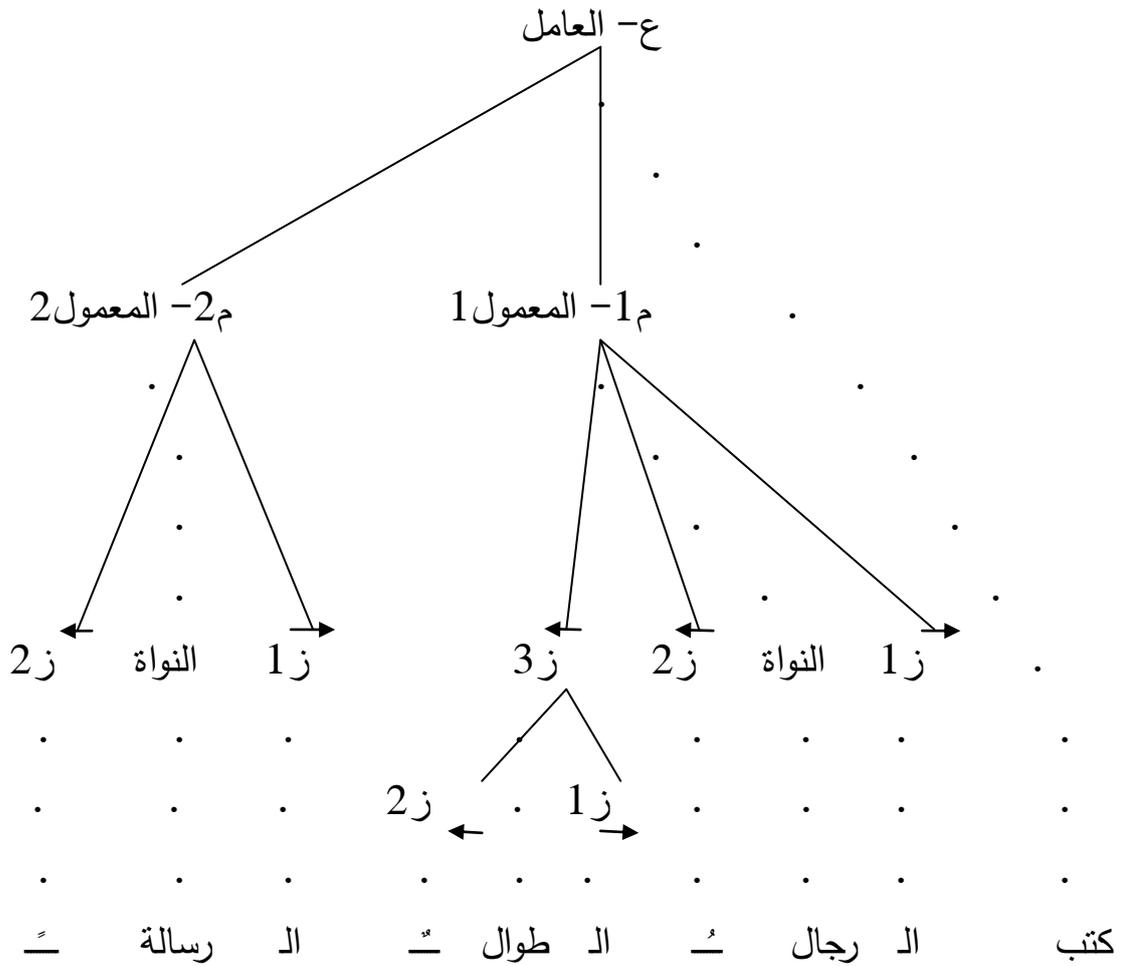
<sup>3</sup> - ينظر، استثنائية: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، ص 559.

<sup>4</sup> - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 89.

<sup>5</sup> - ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 90.

<sup>6</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص 255.

أقرب بكثير إلى نمط النحاة العرب وخاصة إلى مفهوم العمل<sup>1</sup>؛ فالفعل مثلاً هو المتبوع بالنسبة للفاعل والمفاعيل، والاسم هو الأول بالنسبة للوازمه، وقد مثل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لهذا المبدأ بشبه شجرة<sup>2</sup> لجملة عربية:



<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص257.

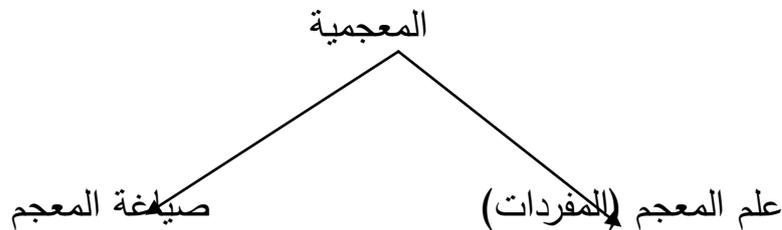
<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص256.

### 3- المستوى المعجمي:

يعدّ علم المعجم أحد العلوم اللسانية التي تعالج قضايا المعجم في إطار نظري عام يصلح للتطبيق على لغة بعينها.<sup>1</sup>

ويمكن تقسيم اللسانيات المعجمية على قسمين<sup>2</sup>، كلّ قسم منهما علم قائم بذاته، أحدهما يدرس معجم اللغة؛ أي المفردات التي يستعملها أبناؤها الناطقون بها، ويدرس التطورات التي ألمّت بهذه المفردات أو بعضها، فضلا عن دراسته للمعاني المتعدّدة للفظ الواحد، كما يرسى المبادئ النظرية التي على أساسها توضع المعاجم والأدوات الأساسية لإثبات مفردات اللغة ومعرفتها، ويسمّى هذا العلم علم المفردات lexicology، ويستعمل بعض اللغويين العرب المحدثين مصطلح "المعجمية"، وأمّا الآخر فيدرس قضايا الصناعة المعجمية، وتحديد طرق جمع البيانات اللغوية اللازمة لبناء المعجم، وكيفية اختيار المداخل وترتيبها، وإعداد التعريفات والحدود والشروح، وغير ذلك ممّا يحتاج إليه في صناعة المعاجم، ويسمّى هذا العلم علم الصناعة المعجمية lexicographie.

ومن هنا، فإنّ المعجمية هي علم ينضوي تحته علم المفردات الذي يعنى بالبحث في معجم اللغة العربية ومنتها، وهي ما يسمّى بعلم المعجم، كما ينضوي تحته علم صناعة المعجم التي تختص بكيفية صناعة المعجم<sup>3</sup>، ويمكن توضيح ذلك بالرسم الآتي:



<sup>1</sup> - استيتية: اللسانيات، المجال، والوظيفة، والمنهج، ص 299.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - حولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص 150.

ويشير الحاج صالح إلى إن علماءنا العرب القدماء سمّوا هذا العلم "علم متن اللغة" معتمداً في ذلك على ما ذكره القزويني ابن يعقوب المغربي في "مواهب شروح الفتاح": "علم متن اللغة أو معرفة أوضاع الصفة ويسمى هذا العلم علم المتن وهو ظهر الشيء ووسطه وقوته"<sup>1</sup>. إذ يمكننا أن نخلص من هذه التحديدات أن متن اللغة أي مفرداتها يقابلها نحوها أي قوالها وقوانين نظامها البنوي الذي يحدّد كيفية تركيب مفرداتها وتركيباتها.<sup>2</sup>

وأما علم صناعة المعاجم فهو علم معروف منذ القدم، عرفته الشعوب منذ أن بدأ العلماء في جمع لغاتهم وحفظها في قواميس ومعاجم.

وقد ازدهر هذا العلم كثيراً عند العرب؛ إذ اعتنى به عدد من اللغويين القدماء فوضعوا المعاجم والقواميس ولعلّ أشهرها وأقدمها- في الوقت نفسه- معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وقد تبعه واقتفى خطاه عدد من العلماء فوضعت معاجم لا تزال إلى يومنا هذا من الأدوات الهامة التي لا يستغني عنها أي باحث دارس للغة العربية، على سبيل المثال: الصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي.<sup>3</sup>

وتعدّ مساحة المعاجم واسعة في إمكانية الإفادة من الحاسوب، وبسبب هذا ظهر ما يسمّى بالمعاجم الحاسوبية أو المعاجم الآلية؛ إذ يعدّ قاعدة معطيات مهمة جداً لا يمكن الاستغناء

<sup>1</sup> - ابن يعقوب القزويني: مواهب الفتاح: ج1، ص210.

<sup>2</sup> - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص150.

<sup>3</sup> - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص117. لمزيد من التفصيل والإيضاح ينظر: محمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1966، ود. حسين نصار: المعجم العرب نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط2، د. علي القاسمي: اللغة وصناعة المعاجم، مطبوعات جامعة الرياض، الرياض، 1975 م، د. عبد الله درويش: المعاجم العربية، ونظرة عامة في المعجم العربي، نشأته ومراحل تطوره وكيفية الإفادة منها، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط 1، 2006، د. عبد القادر الفاسي الفهري: المعجم العربي، نماذج تحليلية، دار طويق، الدار البيضاء، 1986...

عنها. وعلى هذا الأساس عمل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح جاهدا لتطبيق مشروعه (الذخيرة اللغوية العربية).

إنّ مشروع الذخيرة اللغوية العربية قطاع عام يدخل تحت دائرته معاجم لا حصر لها سواء أكانت هذه المعاجم للناطقين بالعربية، أم معاجم للمصطلحات العلمية، أم معاجم تاريخية أم معاجم مفهومة... إلخ، فضلا عن تميّزه بميّزات هائلة لا تتوافر في المعاجم التقليدية كالشمول والانتظام، والاطراد، والدقة، والوضوح، والقابلية للتوسع والتعديل.<sup>1</sup>

ولهذا المعجم الآلي عدّة أشكال فهو يتقسم قبل كل شيء إلى مجموعات مرتبة لألفاظ الذخيرة ثمّ إلى معجم موسوعي لغوي يخصص لكل لفظة دراسة علمية مستفيضة. أمّا المجموعات المرتبة فهي عبارة عن جاذبات آلية كل واحدة منها تختص بترتيب معين وهي حسب الترتيب كالتالي:<sup>2</sup>

1- ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من اللفظ).

2- ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني).

3- ترتيب بحسب تردد الكلمة (عدد المرات التي ظهرت في النصوص).

وتجزأ إلى ترتيبات بحسب العصور وفي مرحلة أخرى بحسب المؤلفين وأصحاب النصوص.

4- ترتيب بحسب شيوع الكلمة أي ذبوعها في البلدان العربية في الوقت الراهن وفي كل حقبة (خمسین سنة) ممّا مضى.

5- ترتيب بحسب العلوم والفنون.

وهناك عنصر آخر للمعجم هو الخرائط الجغرافية التي تبيّن فيها ذبوع الكلم العربية في مختلف الأقاليم (وكذلك في مرحلة أخرى ذبوع التنوعات الصوتية في الأداء وغير ذلك).

<sup>1</sup> - ينظر، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ص 396-400.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة اللغوية العربية وأبعاده العلمية والتطبيقية، مجلة الآداب، العدد 3، المجلد 1 قسنطينة، الجزائر، جوان 2014، ص 15.

أما المعجم المحرّر فسيكون على غرار ما وضع من الذخائر اللغوية للفرنسية أو الإنجليزية فهو موسوعة يحرّر فيها العلماء بحثاً حول كل لفظة فكل باب أو مدخل من هذا المعجم يحتوي على مايلي:<sup>1</sup>

1- تحليل دلالي للفظه انطلاقاً من السياقات وحدها ثمّ تحديدات علماء اللغة القدامى إن وجدت، وذلك ب:

- التوضيح الدقيق:

• للمعنى الوضعي للمادة الأصلية (الجزر)

• للمعنى الوضعي والمعاني الفرعية لكل كلمة اشتقت من تلك المادة (بالتمييز بين المعاني الفنية وغير الفنية).

- ذكر المقابل الإنكليزي والفرنسي لكل كلمة إن وجد، أو ما يقرب منه مع بيان الفوارق التصويرية.

2- تعليق نحوي صرفي وجيز (وصوتي وهجائي إن اقتضى الحال)

بالإعتماد على ما ذكره علماء اللغة والنحو قديماً (مع ذكر المراجع)

3- تعليق تاريخي للمادة وفروعها (انطلاقاً من تحليل النصوص أو المقارنة بينهما)

• بيان أصل الكلمة إن كانت من الدخيل وتفسير تكييفها.

• ذكر تاريخ أو ظهور الكلمة في النصوص التي لديها (الأصلية والدخيلة)

• ذكر تاريخ أول تحوّل دلالي للكلمة (والسياقات التي ظهرت فيها المعاني المستحدثة).

• ذكر تاريخ آخر ظهور لها إن اختلفت في الاستعمال

• وصف إجمالي تفسيري للتطور اللفظي والدلالي للكلمة.

• بيان نظائر الكلمة في اللغات السامية (مع ذكر المواد الأصلية)

4- ذكر درجة تردد الكلمة حسب العصور والبلدان وبالنسبة للآثار العلمية أو الأدبية إن

اقتضى الحال.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة اللغوية العربية وأبعاده العلمية والتطبيقية، ص16.

- 5 - بيان شيوع الكلمة الجغرافي (حسب العصور أيضا)  
 6- ذكر التجانسات والمترادفات والأضداد إن وجدت للكلمة.  
 7- ذكر الدراسات التي خصصها العلماء لها قديما وحديثا إن وجدت.

إن مساهمة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في العمل المعجمي لا تتفصل عن مساعيه التي تسعى إلى إيجاد أفضل الطرق لنشر اللغة العربية المستعملة بالفعل؛ لذلك رأى في الاستعمال مقياسا موضوعيا "لا يستغني عنه اللغوي أو الاختصاصي المهتم بميدان المصطلحات"<sup>1</sup>، بعد أن لاحظ أن الباحثين اللغويين لا يكثرنون إطلاقا بالاستعمال الحقيقي للعربية؛ لاعتقادهم أن في ذلك خدمة للعاميات، وأن الفصحى هي العربية المكتوبة فقط<sup>2</sup>، وبعد أن اقتنع بأن المعجم العربي في زماننا هذا يعاني "تأخرا كبيرا في العناية باللغة المستعملة بالفعل - القديمة والحديثة-"<sup>3</sup>، على الرغم من أن العلماء العرب القدماء قد أظهروا اهتماما فائقا بالسماع<sup>4</sup>، ولم يدخروا جهدا في تدوين كلام العرب من شعر ونثر، ولم ينصرفوا عن البحث في كميّات الاستعمال اليومي للكلام، ودرجة تواتره ومدى توسّعهم فيه، وتواصلوا إلى وضع أوصاف غاية في الدقة والموضوعية. وقد أبدى استغرابه - الحاج صالح - من عدم التأثر بالغربيين المحدثين في هذه المسألة؛ لأنهم يعتمدون على المطرد في الاستعمال، وينطلقون من عينة كبيرة منه، ويخضعونها إلى القواعد المتعارف عليها في تأليف لمعجمات، ويعطي مثلا

<sup>1</sup> - حوسبة التراث العربي والانتاج الفكري في ذخيرة محوسبة واحدة كمشروع قومي، من كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص149.

<sup>2</sup> - ينظر: المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، من كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج2، ص138.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه: ص137.

<sup>4</sup> - السماع المباشر وسيلة اعتمدها علمائنا العرب القدماء كوسيلة لجمع اللغة العربية من أفواه العرب الفصحاء ولأهميته العلمية في التراث اللغوي العربي وضع الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح كتاباً عنوانه "السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، درس فيه باستفاضة مفهوم الفصاحة العربية ومعاييرها المكانية والزمانية، والسماع اللغوي من حيث المحتوى والمقاييس والشواهد، ثم التحريات الميدانية ومناهجها. صحح فيه كثيراً من المفاهيم وعلى رأسها ما أسماه بأسطورة اللغة المشتركة الأدبية.

بذخيرة اللغة الفرنسية (Trésor la langue française) التي تغطي ما استعمله الناطقون بالفرنسية مدة قرنين من الزمن<sup>1</sup>، يقول: "منذ عشرات السنين كنت أتساءل باستمرار لماذا يقلد العرب في عصرنا الغربيين في كل شيء- من دون تمحيص غالبا- إلا في ميدان واحد وهو صناعة المعاجم ووضع المصطلحات؟"<sup>2</sup>.

إنّ الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي هو شرط ضروري في صناعة المعجمات في نظر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي يعدّه أصل الأصول في أي بحث يسعى إلى ترقية استعمال العربية، ويعني بمحتوى هذا الاستعمال "كلّ النصوص أو أكبر عدد منها، المحررة أو المنطوقة بالعربية الفصحى من مؤلفات، ومقالات وبحوث ودراسات وأشعار وخطابات مسجلة وغير ذلك ممّا نشر وذاع بين الناس"<sup>3</sup>.

وجدير بالذكر أنّ د. الحاج صالح قد أشار إلى إمكانية وضع معجم تاريخي يسعى إلى حوسبة التراث العربي فتكون بذلك التغطية الشاملة لاستعمال اللغة العربية، فيحكم الفهرسة الآتية للنصوص يمكن معرفة سياقات كل لفظة من ألفاظ تلك النصوص، ونسبة شيوع كلّ منها ممّا طبع من نصوص على مستوى الوطن العربي، وعليه فإنّه يسهل وضع معجم شامل للغة العربية المستعملة بالفعل.<sup>4</sup>

فضلا عن إسهاماته في تطوير العمل المعجمي، وذلك بتوجيه الباحثين والطلبة إلى مجال خصب للدراسة يعود بالنفع العظيم وهو ما يطلق عليه بـ(معجمات المعاني)، وهي مؤلفات في دلالة الألفاظ ابتكرها علماء المعجم العربي قديما، وذلك بإعادة تنظيم معانيها وترتيب ألفاظها

<sup>1</sup>- ينظر : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص139.

<sup>2</sup>- ينظر ، عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص139.

<sup>3</sup>- ينظر :المصدر نفسه، ص118.

<sup>4</sup>- ينظر :المصدر نفسه، ص112.

وفهرستها على وفق الترتيب الأبجائي<sup>1</sup> ومن أمثلتها: (تهذيب الألفاظ) لابن السكيت (ت244هـ)، و(الغريب المصنّف) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ)، وغيرها كثير. وقد ضمّت هذه المعجمات موضوعات متعدّدة، كأسماء الخيل، وخلق الإنسان والمطر... الخ، وصنّفت حسب ترتيبات مختلفة متباينة، وليس من العيب إعادة هيكلة هذا الزاد اللغوي التاريخي بطريقة حديثة، بل يتوجب علينا ذلك، وهذا ما دعى له د.الحاج صالح في الذخيرة اللغوية، إذ يقول: "ولا مانع أن نقوم في زماننا بمثل ما قام به هؤلاء العلماء بالاعتماد على قاعدة المعطيات النصية (الذخيرة) إلاّ أنّه يجب أن ينتهج في ذلك النهج السليم الذي اتبعه العلماء الغربيون"<sup>2</sup>. لكن مع اتباعنا هذه الطريقة علينا احترام خصائص اللغة العربية ليصبح العمل في أحسن وجه وأكمله، كما لا ننسى أنّه ضمن معجمات المعاني هذه تدخل معجمات "خاصّة بالمترادفات والأضداد وهو أيضا مفيد"<sup>3</sup>.

مما تقدّم يتضح أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد سعى جاهدا لبيان أهميّة اللغة العربية وذلك عن طريق الاستعمال الفعلي للغة الذي يعدّ المنطلق الأساس لكلّ بحث لساني. كما وضع الأسس العلمية- النظرية منها والتطبيقية- في صناعة معجم عربي آلي ينهل منه الجميع هو (الذخيرة اللغوية العربية)، إذ إنّ للعرب نظريات وطرائق لغوية يحفل بها تراثهم العلمي اللغوي، ويبين عن مكنوناتها مسارهم العلمي والعملي، وخاصّة في القرون الهجرية الأولى، التي بينت أنّ الدرس اللغوي العربي كان يخضع لمنهج علمي قويم بكلّ مقوماته من دقة ووضوح وثبات، وأنّ مسارنا اليوم أصبح يعتمد التراث اللغوي العربي قاعدة علمية للوصول إلى غايات لغوية جديدة متطورة. كما يعدّ مشروع الذخيرة اللغوية بمثابة غوغل عربي يحوي جميع المعلومات والمنجزات الفكرية لكلّ الدول العربية، إذ يوفر قاعدة معرفية وثقافية مشتركة لأبناء العربية.

<sup>1</sup> - ينظر د. الشّريف بو شحان: د.عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، ص41.

<sup>2</sup> - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص168.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص123.

إنّ مشروع المعجم اللغوي العربي التاريخي ومعجم الموسوعات العربية متعددة الموضوعات يسهم في الترويج للثقافة ولغة العربية بوصفها مشروعاً حضارياً وعالمياً؛ إذ يتعرّف من خلاله على الكنوز التي يحويها من مختلف مناهل العلم والمعرفة، ولا يخفى دور د. الحاج صالح في توظيفه التكنولوجيا الحديثة في البحث اللساني بمختلف تطبيقاته وخاصة الحاسوب، فحصر اللغة لن يكون تاماً بالمعنى التقني الدقيق إلا بوجود نظام أو آلة حاسوبية معجمية لا تختلف جوهرياً عن نظام القواعد أو النحو، وهو أيضاً آلة حاسوبية.

إنّ نجاح أي مشروع هدفه العلاج الآلي للغة العربية متوقف أساساً على كفاءة الباحث وهذا يقتضي بالضرورة أن يكون الباحث ملماً بالنظريات اللغوية القديمة والحديثة، وبأساليب الصياغة الرياضية للمعطيات اللغوية الحديثة.

ونستطيع أن نقول إنّ التّقدم الذي يراود تحقيقه في اللسانيات النظرية والتّطبيقية لن يتمّ إلا بتحقيق شيئين اثنين هما:

1- الرّجوع إلى التّراث، مع مواصلة البحث انطلاقاً ممّا تركه علماءنا القدماء المبدعون.

2- الاختبار المتواصل لجميع النظريات بالتكنولوجيا الحديثة.

وهذا ما حاوله الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في أعماله كافة، وقد وقفنا عند أبرز هذه الأعمال في اللسانيات الحاسوبية وغيرها.

وختاماً وبعد هذه الإطلالة على جهود الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اللغوية، اتّضح أنّ ما قام به يتمّ عن روح علمية اتّسمت بالموضوعية، وحب العمل الجماعي؛ فأبحاثه اللغوية حاول فيها من خلال آرائه رفع مكانة الدّرس اللغوي العربي وإحيائه بطريقة منهجية، وتقريب مصطلحاته إلى الباحثين المهتمين بهذا المجال.

## المبحث الثاني:

### تعليمية اللغات.

## توطئة:

إنّ مساهمة الحاج صالح في العمل المعجمي لا تنفصل عن مشروعه الرامي إلى إيجاد أفضل السبل لنشر اللغة العربية وجعلها اللغة المستعملة بالفعل، لذلك رأى في الاستعمال مقياساً موضوعياً لا يستغنى عنه اللغوي أو الاختصاصي المهتم بميدان المصطلحات<sup>1</sup>، بعد أن لاحظ أن الباحثين اللغويين في زماننا لا يكثرثون إطلاقاً بالاستعمال الحقيقي للعربية لاعتقادهم أن في ذلك خدمة للعاميات، وأن الفصحى هي العربية المكتوبة فقط، وبعد أن اقتنع بأن المعجم العربي في زماننا هذا يعاني تأخراً كبيراً في العناية باللغة المستعملة بالفعل القديمة والحديثة<sup>2</sup>. إنّ النظرة الضيقة للعربية وتعليمها وحصرها في مجال محدّد من الاستعمال هي التي دفعته إلى أن يولي الجانب التعليمي أهمية كبيرة؛ إذ أنجز دراسات معمقة كثيرة، كشف فيها العيوب الحقيقية التي يعانيها تعليمنا للعربية. وتلك العيوب كانت كافية لتهميش العربية وتقليص مجال استعمالها، بل وإحلال العامية واللغات الأجنبية محلّها.

وفي بحث قدمه إلى اتحاد الجامعات العربية في ندوة خاصة بتدريس اللغة العربية، وسمه ب: «الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية» أكد الدكتور على أن انخفاض المستوى في استعمال العربية يعد من المشكلات العويصة في مجتمعاتنا، وتتقاسم المسؤولية في ذلك عدة مؤسسات، فمنها ما يرتبط بكيفية استعمال الناس للعربية في المدارس، وفي الجامعة، وفي الحياة العامة، ثم مدى مشاركة العاميات، واللغات الأجنبية إياها في مختلف المستويات والبيئات، ومنها ما يتصل بالمحتوى اللغوي، ونوعيته في مناهج التدريس، أي بحجم الدخيرة اللغوية الصالحة للاستعمال، الموجهة للاكتساب في كلّ مرحلة من مراحل التعليم<sup>3</sup>.

لقد اهتم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في مسيرته العلمية بموضوع تدريس اللغات وأثر التحكم اللغوي فيه؛ وذلك من خلال نشره مجموعة من الأبحاث والمقالات، فقد كتب في

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 2، ص 149.

<sup>2</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص 137-138.

<sup>3</sup> - ينظر، محمد سيف الإسلام بوفلاحة: عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في خدمة علوم اللسان (مقال من الأنترنت).

سنوات السبعينيات مقالاً موسوماً ب: «أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية» سلط فيه الأضواء على مختلف أطوار الكلام «بتحليل المادة اللغوية، وإظهار البنى النحوية والتحويلية وصولاً بالطالب إلى اكتساب ملكة اللغة عن طريق المران، أي القدرة على إنتاج التعبير السليم عن طريق التجريب، والدرية، وفي مقالة أخرى تحدث فيها عن (التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية)، وهو بحث في مستويات الدلالة وجماليات الصياغة الأدبية للغة، ويساعد الطالب كثيراً على فهم طبيعة الكلام الأدبي الإيحائية وبنيتها التركيبية البلاغية المعقدة، كما تحدث عن «علم تدريس اللغات» بصفة عامة، وكيف راجت فيه الأبحاث بأوروبا، وما ينبغي له من العتاد المخبري لتمييز الأصوات اللغوية، وأشار كذلك إلى ما قدّمه «معهد العلوم اللسانية» -والذي كان يُشرف عليه شخصياً- من البحوث في هذا المجال .

والملاحظ أنه منذ تأسيسه لمعهد اللسانيات أخذ " يؤسس فرق بحث في مجال الديدانكتيكا Didactique، مستخدماً فيها طرائق تبليغ النحو العربي القديم، بتطبيق مبادئ النظرية الخيلية وخطواتها الإجرائية في الدرس اللغوي الحديث... إن الباحث أسهم في بناء النهضة التعليمية للصغار والكبار وللموظفين، وقد وضع أهم طرائق تناسب سنهم وأعمالهم، والتي أهلت لأن يكون على رأس اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية عام 2001 م، وهذا نتيجة الخبرة والدراسة التي ميّزت أعماله التربوية على وجه الخصوص...وفي الأخير يتأسّف على ما أصاب الفصحى خلال القرون الأخيرة من الضعف والهزال وما أصاب شتى القطاعات في وسطنا العربي<sup>1</sup>.

إن كلمة تعليمية (Didactique) مصطلح قديم جديد، قديم حيث استخدم في الأدبيات التربوية منذ بداية القرن السابع عشر، وهو جديد بالنظر إلى الدلالات التي ما انفك يكتسبها حتى وقتنا الراهن؛ فالتعليمية في اللغة العربية مصدر صناعي لكلمة تعليم، وهذه الأخيرة مشتقة من علم أي وضع علامة أو سمة من السمات للدلالة على الشيء دون إحضاره، أمّا في اللغة

<sup>1</sup> - صالح بلعيد: مقاربات منهجية، ص152.

الفرنسية فإنّ كلمة (Didactique) صفة اشتقت من الأصل أي يعلم بعضنا بعضا من اليوناني القديم (κτικόςακτικός ، " didaktikós الموهوبون للتدريس ، المشتقة من الفعل ( didásko " يعلم " ، "يرشد". وتعني يعلم بعضنا بعضا، و يكون التركيز في ذلك على العلاقة المعرفية<sup>1</sup>، وقد استخدمت هذه الكلمة في علم التربية أول مرة سنة 1613 م من قبل كل من كشوف هيلفج (Helwig .K) وراتيش (w.Ratich) وقد استخدمنا في بحثهما حول نشاطات التعليمية، هذا المصطلح كمرادف لفن التعليم، وكانت تعني عندهم نوعا من المعارف التطبيقية والخبرات، كما استخدمه كامنيسكي (Kamensky) سنة 1657 في كتابه "الديداكتيكا الكبرى"؛ حيث يرى أنه يعرفنا بالفن العام للتعليم في جميع مختلف المواد التعليمية ويضيف بأنها ليست فن التعليم فقط بل للتربية أيضا<sup>2</sup>.

يشير العديد من الباحثين إلى تعدد المصطلحات التي تقابل المصطلح الأجنبي didactique، ويرجعون ذلك إلى تعدد مناهل الترجمة، وأيضا إلى ظاهرة الترادف في اللغة العربية؛ ففي الوقت الذي اختار بعض الباحثين استعمال ديداكتيك تجنباً لأي لبس في مفهوم المصطلح، كما نجد باحثين آخرين يستعملون علم التدريس وعلم التعليم وباحثين قلائل يستعملون مصطلح التعليميات مثل لسانيات، رياضيات...إلخ.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>-Du grec ancien διδακτικός, didaktikós (« doué pour l'enseignement»), dérivé du verbe διδάσκω didásko (« enseigner », « instruire »).Étymologiquement, dans «didactique», l'accent est plutôt porté sur la relation au savoir à transmettre–. **Saïd Tasra:** Pédagogie, didactique générale et didactique Disciplinaire, HAL Id( Sciences de l'Homme et de la Société) Pédagogie, Laboratoire de recherche en Langues, Littérature, Communication et Didactique (2LCD) ، 2 Jun 2017 ، p2.

<sup>2</sup> -عابد بوهادي : تحليل الفعل الديداكتيك - مقارنة لسانية بيداغوجية - دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت المجلد 39 ، العدد2، 2012، ص368.

<sup>3</sup> -سبع فاطمة الزهراء: المصطلح التعليمي عند عبد الرحمن الحاج صالح في ظل النظرية الخليلية الحديثة، مجلة آفاق للعلوم الجلفة، العدد4، 2016، ص187.

وأما مصطلح تدريسية فهو استعمال عراقي، ولم يشع استعماله، غير أنّ المصطلح الذي يشاع في الاستعمال أكثر من غيره هو تعليمية.<sup>1</sup> كما يتّجه البعض إلى القول بأنّ التعليم هي: "مجموع الطرائق والتقنيات والوسائل التي تساعد على تدريس مادة معينة"<sup>2</sup>.

ورغم ما يكتنف تعريف الديداكتيك من صعوبات فإن معظم الدارسين المهتمين بهذا الحقل، لجئوا إلى التمييز في الديداكتيك، بين نوعين أساسيين يتكاملان فيما بينهما بشكل كبير وهما:<sup>3</sup>

- الديداكتيك العام **Didactique générale**: يهتم بكل ما هو مشترك وعام في تدريس جميع المواد، أي القواعد والأسس العامّة التي يتعيّن مراعاتها من غير أخذ خصوصيات هذه المادة أو تلك بعين الاعتبار. تعدّ من التخصصات التي تتعامل مع التدريس، تعلّم محتوى معين (التعليم العام) ، وتعلّم المعرفة الخاصة المرتبطة بنظام محدد (علم تعليمي متخصص أو تأديبي) وعلاقاتهم المتبادلة.<sup>4</sup>

- الديداكتيك الخاص **Didactique spéciale** أو ديداكتيك المواد: يهتمّ بما يخصّ تدريس مادة من مواد التّكوين أو الدراسة، من حيث الطرائق والوسائل والأساليب الخاصة بها.

<sup>1</sup> - ينظر، رشيد إبرير: تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، دار الكتب الحديثة، ط، 2007، ص9.

<sup>2</sup> - فريدة شنان ، ومصطفى هجرسي: المعجم التربوي doxique pédagogique ، ملحقة سعيدة الجهوية، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، 2009، ص44.

<sup>3</sup> - بنعيسى احسينات: حول مقارنة المنهاج الدراسي في مجال التربية والتعليم(من البيداغوجية والديداكتيك إلى المنهاج الدراسي) نقلا من الموقع: [www.ahewar.org/debat/show.art.asp](http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp) يوم: 2018/08/05.

<sup>4</sup> -La didactique est une discipline qui s'occupe de l'enseignement-

Apprentissage d'un certain contenu (la didactique générale), et de l'enseignement apprentissage des connaissances déterminées relevant d'une discipline déterminée (Didactique spécialisée ou disciplinaire) et de leurs interrelations. -Saïd Tasra: Pédagogie, didactique générale et didactique Disciplinaire, idem , p3.

- وقد تعدّد مفهوم مصطلح التعليمية عند الكثير من العلماء، وعلى الخصوص العلماء الغربيين، فقد عرف جان كلود غانيون (J.C.Gagnon) في دراسة له أصدرها سنة 1973م بعنوان: "ديداكتيك المادة" التعليمية كما يلي: إشكالية إجمالية ودينامية، تتضمّن<sup>1</sup>:
- تأمّلا وتفكيراً في طبيعة المادة الدّراسية وكذا في طبيعة وغايات تدريسها.
  - إعداداً لفرضياتها الخصوصية، انطلاقاً من المعطيات المتحدّدة والمتنوّعة باستمرار لعلم النفس والبيداغوجيا وعلم الاجتماع...إلخ.
  - دراسة نظرية وتطبيقية للفعل البيداغوجي المتعلق بتدريسها.
- أمّا مصطلح التّعليم Enseignement فقد عرّفه التّربويون بأنّه: "عملية تحفيز وإثارة قوى المتعلّم العقلية ونشاطه الدّاتي، بالإضافة إلى توفير الأجواء والإمكانيات الملائمة التي تساعد المتعلّم على القيام بتغيير في سلوكه النّاتج عن المؤثّرات الدّاخلية والخارجية ممّا يؤكّد حصول التعلّم".<sup>2</sup>
- وبعدّه آخرون بأنّه "عملية تلقين التّلاميذ معلومات مختلفة وتدريبهم على أداء العمليات أو التجارب المنصوص عليها في المنهج الدّراسي"<sup>3</sup>. وجملة القول هو: "نقل المعلومات منسّقة إلى المتعلّم".<sup>4</sup>
- أمّا مصطلح التّعلّم فكما عرّفه البعض فهو: "عملية اكتساب الوسائل المساعدة على إشباع الحاجات والدّوافع وتحقيق الأهداف، وهو كثيراً ما يتخذ صورة حلّ المشكلات".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - رشيد بناني: من الديداكتيك إلى البيداغوجيا، الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص39. نقلاً عن: لطيفة هباشي: تعليمية اللغات واللّغة العربية، إشكالات وتحديات، مجلة تواصل في اللّغات والآداب، جامعة عّابة، العدد 37، مارس 2013، ص171.

<sup>2</sup> - فريدة شنان، ومصطفى هجرسي: المعجم التربوي، ص55.

<sup>3</sup> - رشيد نبيل وآخرون: الأسس العامة للتّدريس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص29.

<sup>4</sup> - محسن علي عطية: الكافي في أساليب تدريس اللّغة العربية، دار الشروق للنشر والتّوزيع، ط1، 2006، ص52.

<sup>5</sup> - صالح بلعيد: دروس في اللّسانيات التّطبيقية، دار هومة، الجزائر، ط1، 2000، ص55.

لقد تعددت النظريات اللغوية التي تناولت عملية اكتساب الطفل لغته الأم، وبحثت عن أهم الطرق والأسس التي ارتكزت عليها هذه العملية، وقد برزت من جملتها ثلاث نظريات هامة تتمثل في:

- **النظرية السلوكية:** تركزت النظرية حول مفهوم السلوك وعلاقته بعلم النفس، وبالتالي ينبغي لنا أن نعرض لمفهوم هذا المصطلح الذي منه جاءت تسمية النظرية فهو "مجموعة من الاستجابات الناتجة عن مثيرات المحيط الخارجي طبيعياً كان أو اجتماعياً"<sup>1</sup>.
- **النظرية المعرفية:** في نقيض النظرية السلوكية ظهرت النظرية المعرفية والتي انتقدت المدرسة السلوكية التي اختصرت العملية المعرفية في المشير والاستجابة. وتعد الدراسات الميدانية التي تقام بها بياجى "J.piaget" حول الاكتساب اللغوي عند الطفل همزة وصل بين الدراسة النفسية والدراسات اللغوية. فتمو المعرفة لدى الطفل يحدث نتيجة تمكنه من التكيف والتلاؤم مع البيئة لذا فهي نظرية قائمة على مبدأ الذكاء.<sup>2</sup>
- **النظرية اللغوية:** ظهرت على يد تشومسكي "N.homsky" صاحب النحو التوليدي التحويلي والذي عالج اللغة من منطق أنها مكوّن من مكوّنات العقل الإنساني ونتاج عقلي خاص بالإنسان<sup>3</sup>، أي أنّ سلوك الإنسان يمليه العقل ولا يخضع لمبدأ المثير والاستجابة الذي اعتمد عليه السلوكيون بتركيزهم على السلوك ظهر المنهج العقلي والذي انتقل الاهتمام فيه من "البيئة" و"العوامل الخارجية" إلى الطفل ذاته، أو إلى المتعلم ذاته، حيث إنّ التعلم يجري وفق قدرة فطرية في الإنسان.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، ص 90-91.

<sup>2</sup> - ينظر، بن قطاية بقاسم: دور اللسانيات في تعليم اللغة العربية وتطبيقاتها في الطور الأول الابتدائي، مذكرة ماجستير جامعة ورقلة الجزائر، 2010، ص 75.

<sup>3</sup> - ينظر، عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعلم العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995، ص 19.

<sup>4</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 20.

ينبغي أن ننبه إلى أنّ عملية تعليم العربية تختلف عن دراسة اللغة، فإذا كان همّ دراس اللغة الإحاطة بنظريات دراستها، فإن المدرّس لا يهتم إلا بما يخدم المتعلم، أي إنّنا بصدد معرفتين: عملية نظرية أو عالمة (Savante)، ومعرفة عملية وظيفية.<sup>1</sup>

إنّ أكبر مشكلة تواجه المناهج التعليمية عامّة هو تزايد المعارف وتراكمها. فكان لأبد من إيجاد الأساليب المناسبة لمعالجة محتوى المناهج وربطها بالتطوّرات التي تمس المجالات المعرفية والمهنيّة المختلفة. ومعنى ذلك أنّ أيّة تقنية أو إجراء تعليمي قد لا يكون ذا فائدة إذا لم توجّه العناية أيضا للمادة العلمية واللغوية، وإكساب قدرة على التفكير والإبداع والممارسة؛ فمن دون معارف منظمة لا يتمكّن الفرد من اكتساب القدرات والمهارات.

#### ❖ جهود عبد الرحمن الحاج صالح في مجال التّعليمية:

لا ينفصل مجال تعليم اللغات في الجزائر ومنه تعليم اللغة العربية بظروفه وبمشكلاته عن ميدان التعليم العام والجامعي، فبرغم الجهود التي تبذل من أجل تطوير تعليم اللغة العربية لأبنائها بإصلاح المناهج وتعديل البرامج وتغيير محتوى الكتب والدروس، وبرغم ما عقد من ندوات علمية وما أقيم من دورات تكوينية للمعلمين والمشرفين التربويين فإنّ الواقع يثبت أنّ النتائج هزيلة والمشاكل اللغوية متفاقمة. وقد يعزى ذلك إلى أسباب عديدة أهمّها:<sup>2</sup>

1- عجز المناهج الدّراسية الحالية عن تحقيق ما وضع من أهداف كانت نتيجته اتّساع الفارق بين الأهداف المعلنة والأهداف المحقّقة.

<sup>1</sup> - د. نوارى سعودي: البحث اللساني وتعليمية اللغة العربية، مقارنة لسانية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة الآداب جامعة قسنطينة، العدد 11، ص 306.

<sup>2</sup> - الشريف بوشحان: النّظرية الخليلية الحديثة وسبل ترقية اللغة العربية فيما قبل الجامعة، مجلة التّواصل في اللغات والثقافة والآداب، ع 31، سبتمبر 2012 م، ص 105-106.

2- عدم ربط المنهاج المدرسي بالواقع، فلا يعالج المشكلات الحقيقية، ولا يستجيب للحاجات الراهنة، ولا يلتفت إلى جهود العلماء ولا إلى ما توصلت إليه دراستهم اللسانية التربوية من نتائج تستحق العناية والتطبيق.

3- تقيّد واضعي برامج اللغة العربية في الوطن العربي ومنها الجزائر بطريقة نحاة العرب المتأخرين - لا الأوائل الذين عاشوا في القرون الأربعة للهجرة - في تحليل اللغة. وكانت نتيجته ابتعاد الدراسة النحوية عن المنهج القويم للعلماء القدامى في دراسة العناصر المشكلة لبنية اللغة العربية وتراكيبها.

فناه يكتب في الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، وفي الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، وفي علم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي، وفي حركة التعريب في النظام التعليمي في الجزائر".<sup>1</sup> لقد كان لعبد الرحمن الحاج صالح " مساهمات جادة في الكشف عن مشكلات تدريس العربية وتعليمها في مختلف مراحل التعليم من الابتدائي إلى الجامعي، ولطالما دعا إلى تغيير الوضع التعليمي بشكل جذري، وذلك بانتهاج الأسلوب العلمي في البحث عن الأسباب وجمع الحقائق الميدانية وتحليلها وإيجاد الحلول المناسبة بكل موضوعية"<sup>2</sup>.

وقد ابتداء عبد الرحمن الحاج صالح حديثه في هذا المجال عن الشروط التي ينبغي توفّرها في مدرّس اللغة، وبحصّرها في<sup>3</sup>:

1- **الملكة اللغوية:** فهو يشترط في مدرّس اللغة " أن يكون قد تمّ اكتسابه للملكة اللغوية الأساسية التي سيكلف بإيصالها إلى التلاميذ ( والمفروض أن يكون قد تمّ ذلك قبل الدخول في طور التّخصّص". )

<sup>1</sup> - صالح بلعيد: مقاربات منهجية، ص 151.

<sup>2</sup> - د. الشريف بوشحان: الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، ص 29.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 199-200.

2-الإمام بمجال بحثه: فمدرّس اللغة حسب رأيه يجب "أن يكون له تصوّر سليم للغة حتّى يحكم تعليمها، ولا يمكن أن يحصل على ذلك إلا إذا اطّلع على أهم ما أثبتته اللسانيات العامّة واللّسانيات العربية بصفة خاصّة ( وهي امتداد لبحوث المدرسة الخليلية ) وفي هذا الجانب نجد عبد السّلام المسديّ يشير إلى فضله في لفت انتباه المؤسّسات التربوية إلى ضرورة اللّسانيات في تطوير تدريس اللّغة العربية؛ إذ يقول: " لقد كان للعالم اللّساني عبد الرّحمن الحاج صالح الفضل في لفت انتباه المؤسسة التربوية في الوطن العربي إلى أهمية اللّسانيات وتطوّرها في بلورة رؤية تعليمية جديدة تطوّر بها آليات تدريس اللّغة العربية.<sup>1</sup>"

فقد أكد الحاج صالح على ضرورة الإمام بما جدّ في صعيد البحث اللّساني؛ حيث أنّه لا يمكن لمدرّس اللّغة اليوم، أن يجهل ما أثبتته العلم في عصرنا الحاضر من حقائق وقوانين ومن معلومات مفيدة، كمناهج ناجعة في التحليل اللّغوي؛ فمن شروط النّجاح في تعليمية اللغة أن يتمتع المدرس بالكفاءة المعرفية (علميا وتربويا)، والمعرفة بطبيعة المتعلّم وهذا يعني إمام المدرس ببعض العلوم كعلم النفس التربوي، والاجتماعي، واللغوي، والبيداغوجيا، واللّسانيات والتّعليمية، والنوروبيولوجي أو بيولوجيا الدماغ، وعلم النّفس المعرفي إذا كانت اللغة العربية لغة ثانية للمتعلّم<sup>2</sup>. فاللسان البشري يمكن أن تحلّل عناصره الصّوتية بآلات إلكترونية لتشخيص أنواع الأداء الصّوتي بمقاييس موضوعية، وأيضا يمكن أن ترتّب وتحصى بالرتّابات (الأدمغة الإلكترونية) جميع ما يرد في نص من النّصوص مفرداته، تراكيبه، وموادّه الأصليّة، أبنيته وسياقاته، وقد أدّى ذلك إلى اكتشاف علاقات ثابتة بين العناصر اللّغوية لفظا ومعنى، كأنّه يمكن أن تصاغ صياغة رياضيّة.

3- ملكة تعليم اللّغة: إذ يقول أنّه ينبغي لمدرّس اللّغة " أن يكتسب أثناء تخصّصه ملكة كافية في تعليم اللّغة، ولا يمكن أن يحصل على ذلك...إلا إذا استوى الشّرطين السّابقين أولا ثم هذا

<sup>1</sup> - عبد السّلام المسديّ: مباحث تأسيسية في اللّسانيات، ص 198.

<sup>2</sup> - الشارف لطروش: الاستراتيجيات الحديثة في تعليم اللّغة، مجلة العربية للناطقين بغيرها، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم السّودان، العدد19، يونيو 2015، ص304.

الشّروط الآخر اللازم : وهو الاطّلاع على محصول البحث اللّساني والتّربوي، وتطبيق إيّاه في أثناء التّخصّص بكيفية عملية منتظمة ومتواصلة"، و"بما أنّ البحث العلمي النّظري والتّطبيقي لا يمكن أن ينقطع وينتهي فإنّ جميع المدرسين ... مجبرون مبدئياً على تطوير معلوماتهم النّظرية والمنهجية بالاطّلاع المتواصل على ما يوجد في صعيد البحث العلمي والتّطبيق بكيفية معقولة".

إنّ النظرة الضيّقة للعربية وتعليمها وحصرها في مجال محدّد من الاستعمال هي التي دفعت به إلى أن يولي الجانب التعليمي أهمية كبيرة، إذ أنجز دراسات معمقة كثيرة، كشف فيها عن العيوب الحقيقية التي يعانها تعليمنا للعربية، وتلك العيوب كانت كافية لتهميش العربية وتقليص مجال استعمالها، بل وإحلال العامية واللغات الأجنبية محلّها. ويمكن إجمالها فيما يلي:<sup>1</sup>

أ- **المادة اللغوية** : وهنا نجد عبد الرحمن الحاج صالح يطرح عدة أسئلة هي: "ماذا يقدم الآن بالفعل في مدارسنا للمتعلم من مادة لغوية من حيث النوع ومن حيث الكم، وبالنسبة لكل مرحلة من مراحل التعليم؟ هذا بالإضافة أيضاً إلى مختلف مستويات اللغة، مفرداتها وتركيباتها وقواعدها؟ ثمّ ما هي الأشياء التي أخذها المتعلم من المعلم وهضمها بالفعل وأصبحت من مكتسباته، وما هي الأشياء التي اكتسبها من غيره".<sup>2</sup>

وهو يرى "أنّ المعايينة والمشاهدة الموضوعية للممارسات التّعليمية التّعلمية ومنها الدّراسات التي أنجزها الباحثون القائمون على إنجاز الرّصيد اللغوي، أفضت إلى أنّ ما كان يقدّم للناشئة من مادة لغوية يتّصف بسلبيتين هما: الغزارة في المادة الإفرادية من جهة، والخصاصة في مدلولاتها من جهة ثانية، ومع غزارة هذه الألفاظ فإنّ الكثير من مدلولاتها غريب على الطفل ويعرض في تراكيب أقلّ ما يقال عنها أنّها غريبة"<sup>3</sup>، وفي هذا الصّدّد يقول عبد الرحمن الحاج

<sup>1</sup> - د. الشريف بوشحان: الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، ص31.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص201.

<sup>3</sup> - د. الشريف بوشحان : الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، ص 31. وينظر : الشريف بوشحان: النظرية الخيلية الحديثة وسبل ترقية اللغة العربية فيما قبل الجامعة، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، ع، 31 سبتمبر 2012 م، ص 108.

صالح: "إنّ اطلعنا على الحصيلة من المفردات التي تقدّم للطفل في المدارس الابتدائية أظهر لنا -معشر اللسانيين في المغرب العربي- عيوباً ونقائص في هذه الحصيلة لا يكاد يتصوّرها المربي؛ فمن حيث الكم : تقدّم للطفل غالباً كمية كبيرة جدّاً من العناصر اللغوية لا يتمكّن بحال من الأحوال أن يأتي عليها جميعاً، ولذلك تصيبه ما نسمّيه بـ"التخمة اللغوية"، وقد يكون ذلك سبباً في توقف آليات الاستيعاب الذهني والامتثالي، وهذا ما نلاحظ في تنوّع المفردات في النّص الواحد مع وجود صعوبات أخرى تخصّ غرابة التركيب بل غرابة المفاهيم. ومن حيث الكم والكيف: الكلمات التي يحاول المعلم تلقينها تكاد تشتمل على جميع الأبنية التي تعرفها العربية ونلاحظ ذلك أيضاً في النّص الواحد، وهذا يسبب تخمة أخرى في مستوى البنى"<sup>1</sup>.

وقد لاحظ في هذا الصّدّد باحث في مكتب التعريب بالمغرب الأقصى نقصاً كبيراً في حجم المعارف التي تقدّم إلى التلميذ في العالم العربي قياساً بمثيلتها المقدمة إلى أطفال أوروبا، وذكر أن حصيلة المصطلحات، والمدرجات في جميع الكتب المدرسية (الابتدائية في الوطن العربي) لا تتجاوز ثمانمائة مدرّك، بينما يتجمع في ذهن التلميذ في الغرب ألف وخمسمائة مصطلح، أو مدرّك، ويمكن أن يُقاس على هذا الفارق ما يُقدّم في مراحل التعليم الأخرى، فتتبين بذلك أسباب انخفاض المستوى عندنا كما صرح الباحث.<sup>2</sup>

وقد بين "الأستاذ الأخضر غزال" أنّ الكتب العربية في السنتين الأوليتين قد يبلغ عدد مفرداتها الألفين تقريباً ولا تغطي هذه الكلمات إلا ستمائة مفهوماً تقريباً، فهذا يدل في الوقت نفسه على وجود حشو مهول يتمثل في كثرة المترادفات، وعلى الفقر المدقع الذي تتّصف به مجالات المفاهيم الملقنة للطفل<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص205.

<sup>2</sup> - ينظر، محمد سيف الإسلام بوفلاحة: عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في خدمة علوم اللسان، (مقال من الأنترنيت).

<sup>3</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص205.

والملاحظ على "معادلة الغزارة والخصاصة أن المادة اللغوية المقدمة لا تستجيب لحاجات الطفل التبليغية، وخاصة إذا تعلّق الأمر بالتعبير عن المفاهيم الحضارية المستحدثة في عصرنا الحاضر كالكثير من أسماء الملابس وأجزائها والمرافق وغيرها"<sup>1</sup>.

ليس كل ما في اللغة من الألفاظ والتراكيب وما تدل عليه من المعاني يلائم الطفل أو المراهق في طور معيّن من أطوار ارتقائه ونموّه، بل تكفيه الألفاظ التي تدلّ على المفاهيم العادية وبعض المفاهيم العلمية أو الفنية أو الحضارية، ممّا تقتضيه الحياة العصرية، أمّا اللغة التقنيّة التي سيحتاج إليها بعد اختياره لمهنة معيّنة ثم الثروة اللغوية الواسعة، فهذا سيكون من مكتسباته الشخصية يتحصّل عليها على ممرّ الأيام في مسيرته الثقافيّة، وفي تلقّيه لشتّى الدروس غير دروس اللغة.

وعن هذه الحقيقة يعبر عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: "ثم قد لاحظنا أيضا عيبا آخر خطيرا وهو عدم مطابقة المحتوى الإفرادي المقدّم للطفل لحاجياته الحقيقية؛ فهناك مفاهيم حضارية لها علاقة بعصرنا الحاضر لا يجد الطفل ألفاظا عربية يعبر بها عنها"<sup>2</sup>. إنّ الحاصل أيضا من معادلة الغزارة والخصاصة أنّ الكثير من التلاميذ في المدارس والثانويات وحتى الجامعات تجدهم قد أصيبوا بما يسمى بمرض اللفظية " **verbalisme** " حيث تجدهم على العموم يتكلمون بكلمات يجهلون معانيها أو لا يعرفونها بمدلولاتها المحددة بدقة"<sup>3</sup>. وقد يجدون لذة في استعمالها، فإذا ما سألتهم عن معانيها كانت إجاباتهم مضطربة يسودها التعميم اللفظي المبني على حصيلة لغوية جوفاء، فعلى المهتمين بشؤون المعجمية العربية كالباحثين في اللسانيات التطبيقية العمل باستمرار على انتقاء الألفاظ المساهرة للتطور

<sup>1</sup> - الشّريف بوشحدان : الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، ص 32.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح ، المصدر السابق، ص 205.

<sup>3</sup> - د .أحمد معتوق: ظاهرة اللفظية، أسبابها، نتائجها، وسائل علاجها، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، المجلد الخامس

الاجتماعي والاقتصادي للأفراد والمجتمعات، وإيجاد أفضل السبل لتنظيمها وعرضها على المتعلمين لتكون لهم معينا على الفهم و التّواصل العلمي.<sup>1</sup>

ب- **الجهل بكيفية تأدية اللغة العربية:** لا ريب أن اكتساب اللغة العربية في مدارسنا قائم على تلقين المعارف النظرية والتركيز على سلامة اللّغة وجمال التّعبير، وإن كان هذا من الأمور الإيجابية، فإنّ في الاقتصار علي إخلالا كبيرا بحقيقة الاستعمال الفعلي للغة العربية بكلّ ما يتطلبه التعبير اللغوي من وقت واقتصاد في الجهد والوقت.

وبهذا الصّد يدري عبد الرحمن الحاج صالح أنّ معلمي اللغة العربية في زماننا ومنذ مئات السنين يحكمون على كثير من المفردات والتراكيب الفصيحة بالخطأ لمجرد أنّها موجودة في العامية، وهم في الواقع يجهلون حقيقة التخاطب اليومي الذي يتصف باختلاس الإعراب والحركات غير الموقوف عليها واختزال الحروف (المشاكله والتقريب)<sup>2</sup>، وبذلك صار المعلم " شيئا فشيئا مقتنعا بأن كلّ ما هو مستعمل في العامية فهو خطأ في العربية الفصحى، حتّى ليحكم على الكثير من المفردات والتراكيب الفصيحة أنّها عامية محضة، وهذا وهم قد عمّ

1- الشّريف بوشحدان: النظرية الخليلية الحديثة وسبل ترقية اللغة العربية فيما قبل الجامعة، ص108.

2- الشّريف بوشحدان: الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية، ص32. لفظة **المشاكله** تتصرف إلى معنى الموافقة أو المماثلة أو المشابهة ومن هذا يمكن إطلاق لفظة **المشاكله** في اللغة العربية على الظاهرة التي يراعى فيها توافق أو تشابه أو تماثل شيئين، أيّا ما كانا، صوتيين أو لفظيين أو لفظا ومعنى أو غير ذلك، فيجرى إحداهما مجرى الآخر وإن كانا مختلفين. فمثال الصوتيين: اظلم والأصل اظلم، صراط وسراط، صيام والأصل صوام،...ومثال اللفظيين: كقوله تعالى: ((وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم))<sup>5</sup>، وقول العرب: هذا حجر ضبّ خرب. ومثال اللفظ والمعنى كقوله تعالى: ((إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)) وقد بدت ملامح مصطلح **المشاكله** على أيدي البلاغيين، فأطلقوه على لون من ألوان البديع ويعني: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا. ينظر، ماهر خضير هاشم: **المشاكله** في اللغة العربية (صوتيا وصرافيا)، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل، العراق، المجلد 18، العدد 3، 2010، ص146-147. وينظر: الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن جلال الدّين: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، المحقق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 2003، ص 363.

المشرق والمغرب منذ زمان بعيد<sup>1</sup>. وكان يمكن أن يتقادی ذلك" لو أبقیت الدراسة للقراءات القرآنية وأخص من هذا لو أدخلت في مناهج المدارس العليا للمعلمين دراسة الأداء العربي كما وصفه علماؤنا الذين شافهوا فصحاء العرب ودونوا مباشرة مخاطباتهم. فهؤلاء تركوا لنا ذخرا عظيما من المعلومات حول هذا الأداء العفوي الذي تأباه الناس - لاعتقادهم الراسخ أن العاميات هي وحدها جديرة أن تقوم بدور اللغة المنطوقة في المخاطبات اليومية فظلموا الفصحى - بإماتة مستواها العفوي<sup>2</sup> وإبقائها على مستوى واحد وهو الأداء الترتيلي<sup>3</sup>.

كما تجدر بنا الإشارة إلى نقطة مهمة جدا ألا وهي أن أحادية الاستعمال الممارسة في تعليم العربية في مدارسنا والتي هي بذاتها كارثة برأي الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: " فالكارثة التي أصابتنا هو انزواء العربية وابتعادها عن الميادين النابضة بالحياة ألا وهي التخاطب اليومي؛ لأنه تشترك فيه الخاصة والعامّة... (والحلّ) وألا تبقى لغة أدب ولغة تحرير بل أن تدخل البيوت وتنزل إلى الشارع والمصانع والحقول وغيرها.<sup>4</sup>

إذاً فذلك السبب في ركون الفصحى إلى زاوية الأدب والكتابة من جهة، ومن جهة ثانية الابتعاد باللغة العربية الفصحى عن لغة التخاطب اليومي. و ربّما كان هذا الانحصار عن ميادين الاستعمال الواسع هو الذي فتح الباب على مصراعيه لإحلال العامية مكان الفصحى - مع الأسف - تاركا لها مجالا ضيقا لا يتجاوز بعض المناسبات وما توفره بعض الخطب والمحاضرات، والندوات، والنشرات الإخبارية، وفرص الاستعمال، وتعزيزا لذلك يرى الحاج

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص75.

<sup>2</sup> - فرّق عبد الرحمن الحاج صالح بين المستوى الترتيلي وهو اللغة الفصيحة و الإعراب والنطق الصحيح ببنية الكلمة، وهو ما أسماه بـ "الإجلالي" أو "الاسترسالي" وهو ما يسمّيه "الجاحظ" في بيانه بـ "موضع الانقباض" أي انقباض المتكلم وسدّة عنايته بما يتفوّه به من ألفاظ، وبين المستوى العفوي للغة وهو ما أجازته العرب من تسهيل للهمزة وإدغام الكثير من الحروف بين كلمتين وإخفاء الحركات واختلاصها وتسكين بعض المتحرّكات، وقد تجاهل الناس هذا المستوى المستخفّ من التعبير العفوي لشدة غيبتهم على الصّحة اللغوية حتّى أداهم ذلك إلى اللّحن (فرط التّصحیح). ينظر: الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص75.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص75.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص161.

صالح أنه من يجرؤ على استعمال الفصحى خارج هذه الأطر الضيقة يكون عرضة للسخرية والاستهزاء<sup>1</sup>، كما أن النظرة الضيقة للعربية وتعليمها وحصرها في مجال محدد من الاستعمال هي التي دفعت الحاج صالح إلى أن يولي الجانب التعليمي أهمية كبيرة، إذ أنجز دراسات معمقة كثيرة كشف فيها عن العيوب الحقيقية التي يعانها تعليمنا بالعربية. "ومن هنا يأتي نقدنا للواقع اللغوي والكشف عن مشكلات تدريس العربية رغبة منّا في تطوير تدريسها وتيسير استعمالها ونشرها بين الناس مرتكزين في ذلك على ثلاثة ميادين هي:<sup>2</sup>

- **الميدان الأول:** ويبحث في كيفية اكتساب لغة المنشأ عند الطفل ونموها أو اللغة الثانية عند الراشد غير لغة الأم.

- **الميدان الثاني:** خاص بأفات التعبير كالحبسة أو الحصر، وهي بسبب صعوبة كبيرة في إخراج الحروف أو الكلم، والحكلة<sup>3</sup> والفأفة وغيرها، وهي تلك التي تعيق الطفل أو المتعلم على التعبير أو على فهم ما يتلقاه من خطابات منطوقة ومكتوبة (وسمي علم اللسان المرضي).

- **الميدان الثالث:** لغوي تربوي وفيه يتم معاينة طرائق التدريس المختلفة وممارسات المعلمين وكيفية اكتساب المعلمين للغة أو بالأحرى الملكة اللغوية، ومن هنا يتبين لنا بأن الاستعمال الفعلي للغة عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هو الخيط الممتد بين ميادين البحث اللساني الواصل بين أجزائه والجامع لعناصره المختلفة لذلك، فإنّ البحث الموضوعي الشامل في نظره يقتضي عدم الفصل بين هذه الميادين لهذا يقول: "ولهذا فإنّ النظر في تطوير تدريس هذه اللغة

1- ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص74-75.

2- عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 214.

3- يقال في لسانه: حبسة، إذا كان الكلام يتقل عليه ولم يبلغ حدّ الفأفة، وإذا قالوا في لسانه حُكْلة، فإنّما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ، حتّى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال. ينظر الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، المصدر السابق، ص39-40. والحبسة تسمى الأفازيا عند الأطباء الغربيين (Aphasia)، وهي غير العاهات التي تصيب آلة النطق في ذاتها (بسبب شلل يعترى بعض الأجزاء بعض الأجزاء المحركة للجهاز الصوتي) وهي خاصّة بالآفات التي تصيب المراكز العصبية (في لحاء الدماغ) كالتلافيف الجبينية التي هي حيّز التحريك، والتلافيف الصدغية اليسرى التي هي حيّز الإحساس السمع وغيرها. أمّا "الفأفة" فهي تعسر خروج الكلام، فيحدث ترديد فاء العطف خاصّة. ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في علوم اللسان ص220. (الهامش).

ينفصل عن النظر في كيفية استعمال الناس للعربية في الجامعة، والحياة اليومية، ومدى مشاركة العاميات واللغات الأجنبية إيّاها في مختلف المستويات والبيئات، كما لا ينفصل كل ذلك عن البحث في المحتوى اللغوي أي في المادة اللغوية التي تُلقن في المدارس للأطفال، والمادة اللغوية التي يلتقطها المواطن من خلال وسائل الإعلام وبصفة خاصة الإذاعة، والتلفزة والسّينما وغيرها.<sup>1</sup>

وفضلا عن ذلك كلّه، يؤكّد عبد الرحمن الحاج صالح على ضرورة التّركيز على مجموعة من الحقائق العلمية فيما يخصّ صناعة تعليم اللغة وهي<sup>2</sup>:

### 1- التّركيز على المتعلّم:

ويشير الحاج صالح في هذا الصّدّد إلى أن سر النجاح في تعليم اللغات ينحصر في التّركيز على المتعلم، لا على المادة اللغوية على حدة ومعزولة عنه، أي على معرفة احتياجاته الحقيقية، وهي تختلف باختلاف السنّ والمستوى العقلي، وكذلك المهنة وأنواع الأنشطة المنوطة بالفرد في حياته، ولا يحصل هذا إلا بالنّظر في أحوال الحديث، وهي غير متناهية العدد لا لحصرها في ذاتها ولكن لاستنباط مثلها وقوانينها ومقاييسها، وعلى هذا الشّكل فقد تتم الإطاحة بها وبالتالي ضبط العبارات التي تستجيب لها.

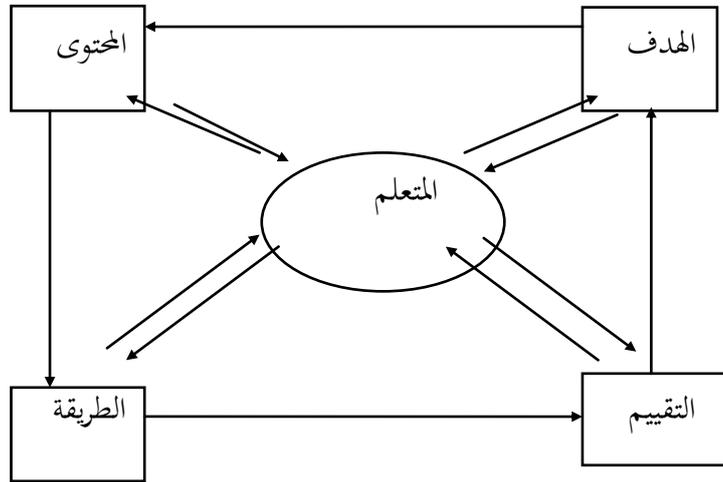
يعد تحليل احتياجات المتعلمين - في التعليمية الحديثة - خطوة أساسية ومرحلة أولية لا بد منها، فتحديد محتوى التدريس تحديدا علميا لا يكون بتحليل المادة التعليمية فحسب، بل يتعداها إلى تحليل جمهور المتعلمين وقدراتهم واستعداداتهم وأهدافهم، والأهم من ذلك كله تحليل احتياجاتهم اللغوية (les besoins langagiers) ؛ فتدريس النحو، بل اللغة بشكل عام إلى

<sup>1</sup>- عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص159-160.

<sup>2</sup>- عبد الرحمن الحاج صالح ، المصدر نفسه، ص185-186-187-188.

س و ع ( زيد وعمر ) يقتضي قبل كل شيء معرفة من هو (س) ومن هو (ع) وماذا يريد كل منهما أن يتعلم من اللغة ؟ ولماذا <sup>1</sup>؟

إنّ تحديد الأهداف التعليمية ومحتوى التدريس والطريقة التي يعرض بها ذلك المحتوى يستلزم تحديداً أولاً لمركز الاهتمام وبؤرة العملية التعليمية، ألا وهو المتعلم، والشكل البياني التالي يوضّح هذا الاقتراح <sup>2</sup>:



## 2 - التّركيز على اكتساب اللغة (اكتساب مهارة معيّنة):

وفضلاً عن ذلك كله أكد الحاج صالح في هذا الصدد على ضرورة إكساب متعلم اللغة لمهارة معيّنة، وهي مهارة التصرف في البنى اللغوية بما يقتضيه حال الخطاب وليس إكساباً لعلم النحو أو علم البلاغة، ويعتمد في ذلك على وسائل تعليمية متنوّعة، فالمعرفة العلمية للغة لا تنحصر في إحداث الكلام بل تتجاوزه إلى إدراك في السّماع والقراءة، ثم التّرسّخ ليس فقط محصوراً على تحصيل المعطيات في حدّ ذاتها بل في خلق القدرة على التّصرف فيها.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد صاري: تيسير النحو ترف أم ضرورة؟، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الثالث، العدد الثاني، يوليو-سبتمبر، السّعودية 2001، ص 156.

<sup>2</sup> - د. محمد صاري: تيسير النحو ترف أم ضرورة؟، ص 157.

وعلى هذا فالمعرفة العلمية للغة من حيث هي جهاز تتحصر في إحكام الانتقال من كلمة إلى أخرى، ومن صيغة إلى أخرى، ومن تركيب لآخر ومجموعة هذه المثل هي الأصول التي يفتنيها المتعلم بكيفية لا شعورية بممارسته المتكررة العملية للخطاب وبالتمارين البنيوية من جهة أخرى.<sup>1</sup>

### 3- التخطيط للمادة اللغوية:

ما من شيء يدخله التنظيم إلا ولا بد أن يخضع لنوع من الترتيب، والتدرج، والانتقاء وتسلسل العمليات التعليمية، أما تخطيط المفردات وانتقاؤها، فأفضل نمط تضبط به المثل التركيبية هو النمط النحوي الذي وضعه النحاة الأولون، ويجب أن يعتمد أساسا في بناء المناهج وألا تدرج الموضوعات النحوية التي توجد في كتب المتأخرين، لأنها صورة مشوهة للنحو الأصيل البديع الذي نجده عند الخليل وأتباعه، ويتفادى في ذلك الكثير من التحليلات التي يتغلب عليها طابع الفلسفة والمنطق كالتصنيفات التي تعسف إيجادها هؤلاء المتأخرين.<sup>2</sup> وكذلك هو الأمر بالنسبة للتدرج وتسلسل العمليات التعليمية. فإن التجربة بنيت أن الشاذ عن القياس إذا بُدئ به وكان كثيرا، عاق ذلك المتعلم بحيث يصعب عليه أن يرسخ في سلوكه اللغوي المطرد الذي شدّ عنه هذا العنصر.<sup>3</sup>

يحظى تعليم اللغة العربية وتعلمها في عصرنا بأهمية متزايدة لدى الدارسين والمربين في العالم العربي والإسلامي، ومما لا شك فيه أن نمو هذا الاهتمام لدى القائمين على الميدان يعود

<sup>1</sup> - وهي التمارين التي تعتمد على استبدال شيء بشيء أو تقديم شيء على شيء أو تحويله بأي طريقة كانت، وهو جد مفيد في اكتساب هذه الآليات، بشرط ألا تكون مجرد حكاية أو تكرار، بل تحو يلا حقيقيا على مثال سابق يتطلب التأمل العقلي والتصرف المحكم وبالتالي في البنى اللغوية. ينظر عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص186.(الهامش)

<sup>2</sup> - المنطق ضروري في كل تحليل لأن المادة اللغوية يجب أن تخضع للمنطق، بل تحليلها - بما أنه حاصل بأعمال الفكر - هو الذي يجب أن يخضع للمنطق لا ذاك الذي وضعه أرسطو، بل هذا الذي وضعه العلماء العرب الأولون وهو المنطق الرياضي غير الفلسفي الذي يعتمد العلماء في زماننا. ينظر عبد الرحمن الحاج صالح، المصدر نفسه، ص187.(الهامش)

<sup>3</sup> - ينظر عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص188.

إلى أسباب متعددة؛ حضارية وثقافية واجتماعية وعلمية واقتصادية ... الخ، غير أنّ هذا الميدان يواجه مشكلات تربوية حادة، لعل من أبرزها تعقيدا وتذبذبا مسألة القواعد النحوية وتدريسها؛ فقد ظلت هذه المسألة قضية جدلية ساخنة في تعليم العربية بشكل عام، فهي لا تكاد تهدأ حتى تعود إلى الواجهة من جديد . والدليل على ذلك أننا حين نلقي نظرة تاريخية على القواعد النحوية في مناهج تعليم اللغة العربية منذ مطلع النهضة نكتشف اختلافا كبيرا حول أفضل وسيلة لتيسير تدريس النحو، ولا غرابة أنّ نجد في حقل وليد وحيوي مثل اللسانيات التعليمية هذا التنوع الهائل الذي يشبه الرياح المتغيرة والرمال المتحركة ، بعض يناقض الآخر مناقضة كاملة في أسسه النظرية والتطبيقية.<sup>1</sup>

لقد لقي موضوع إصلاح النّحو وتسييره لدى المتعلّمين حيّزا كبيرا في السّنوات الأخيرة، ولا سيّما بعد النتائج الإيجابية التي حقّقتها الدّراسات اللّغوية الحديثة على صعيد البحث اللّساني النظري والتّطبيقي، وقد بحث فيه العدد من اللّغويين والتّربويين، وعقدت من أجله الكثير من المؤتمرات والندوات واللقاءات في انحاء مختلفة من الوطن العربي، وبالرّغم من ذلك ظلّ مفهوم التّيسير<sup>2</sup> يشغل تفكير الباحثين، ويثير عددا من الإشكاليات النّظرية والتّطبيقية ولا سيّما لدى من نقد التراث وزعم أنّ في النّحو العربي عيوباً ونقائص تجعل من إصلاحه وإعادة النّظر فيه ضرورة ملحّة، ومهمّة أساسية خاصة في عصر يتلقّى فيه التّلميذ العربية الفصحى صناعة وتعلّما لا طبعاً واكتساباً.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ينظر، محمد صاري: تيسير النّحو ترف أم ضرورة ؟ ص 144.

<sup>2</sup> - هناك مجموعة مصطلحات شاعت في العصر الحاضر لتدلّ على مفهوم التيسير، لكن المعاصرين لم يتفقوا على مدلولاتها وثمة فرق بين مدلول كل مصطلح، وإن كانت تصب كُلاًها في معنى ومفهوم تيسير الدرس النحوي، ومن هذه المصطلحات: التيسير، والتجديد، والإصلاح، والإحياء، والتعديل، والتقريب، والتبسيط، والوضع وغيرها، وأورد الدكتور حسن منديل مفهوم كل مصطلح يخص تيسير الدرس النحوي، يُنظر تفصيل ذلك: د .حسن منديل العكيلي: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2007، ص 79-82.

<sup>3</sup> - معالي هاشم: الاتجاه التّوافقي بين لسانيات التراث واللّسانيات المعاصرة، ص 152.

ومن خلال تحليل الكثير من المحاولات التي اشتهرت في الوطن العربي ، تبين وقوع أغلبها في الكثير من الهنات؛ ذلك أن أصحابها انطلقوا في قراءاتهم النقدية للتراث من منطلقات قاصرة، تتم عن غياب تصوّر واضح للعلم وما تقتضيه من التطبيقات التربوية من مبادئ أساسية في مجال التعليم وصناعته؛ إذ تحوّلت خاصية الوضوح والبساطة والسهولة إلى مقاييس يُعتمد عليها في تقييم التراث النحوي، وأصبح - في نظر بعضهم - كل أصل من أصول النحو أو مسألة من مسائله، أو باب من أبوابه، لا يفيد مباشرة في التعلّم أصبح ترفا لا فائدة منه ولغوا ينبغي تحجّبه، وقد اقتنعوا أنّ نظام العوامل هو المسؤول عن ذلك، وافترضوا ما عاب به اللسانيون الغربيون وتراثهم اللغوي ينسحب انسحابا كلياً على النحو العربي الأصيل، وكانت حاجة اللغات العربية - في زعمهم - إلى منهج وصفي تماثل حاجة الأنحاء الأوروبية القديمة.<sup>1</sup>

إنّ محاولات التيسير النحوي جعلت الكثيرين يخلطون بين مقتضات البحث اللغوي ومقتضيات التدريس، وربما كان هذا الخلط هو الذي دفع ببعضهم إلى نقد مفاهيم النحو الإجرائية، واعتبار نظام العوامل مجموعة من الأحكام المسبقة، والمسلمات التي فرضت على الدرس اللغوي، وفي هذا الجانب نجد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يقول (بخصوص العامل): "إنّ نظرية العامل هي من أروع ما أبدعه الخليل بن أحمد وأصحابه (رحمهم الله) ومن أخطر النظريات التي سيكون لها دور عظيم في تطوير معلوماتنا حول الظواهر اللغوية وذلك لأنّ مفهوم العمل<sup>2</sup> هو المفهوم الدينامي الذي يبنني عليه المستوى التركيبي للغة... فنظرية

<sup>1</sup>- ينظر، عزّ الدين المجذوب: المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، ص 11-48.

<sup>2</sup>- مفهوم العمل عند عبد الرحمن الحاج صالح، هو ما يتفرع عليه من مفهوم العامل ومفهومي المعمول الأول والمعمول الثاني فلا سبيل إلى وجود كل ذلك إلا عند الخليل وسيبويه وما تابعهما؛ فالعامل هو العنصر اللغوي الذي يؤثر لفظاً ومعنى على غيره كجميع الأفعال في العربية وما يقوم مقامها مثل حروف النصب، أمّا المعمول الأول في العربية فهو المعمول الذي لا يمكن أن يقدم على عامله أبداً (وإنّ قدّم عليه تغيّر بناء الكلام) وهو دائماً اسم أو ما في حكمه، وحكمه الإعرابي أن يكون فاعلاً لفعل أو اسماً مبتدأً أو ما يقوم مقامه كاسم كان وأخواتها واسم إن وأخواتها، وكل ما زاد على ذلك فهو عنصر تخصيص. ينظر الرّحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص288. (كنا أشرنا إلى هذا المفهوم عند الحديث عن مبادئ النظرية الخيلية في الفصل الثاني/المبحث الثاني)

العامل يستطيع بها اللغوي أن يمثل بها أبسط الكيفيات وأنجعها في التراكيب المعقدة التي تتداخل فيها العناصر اللغوية؛ لأنها تصوغ التركيب في قالب رياضي دقيق وترتقي بها من مستوى مادي معقد إلى مستوى صوري مجرد قابلة للصياغة ومن ثمّ قابل للاستخدام في الحاسبات الإلكترونية<sup>1</sup>، فالواقع أنّ اللغة العربية بحاجة ماسة إلى هذا النظام لترتيب مادتها وانسجامها وإطرادها والسيطرة على شتات المعطيات اللسانية، واقتصاد وصفها وصياغتها فضلا عن أنّ الصعوبة والسهولة ليستا دليلا علميا على عدم كفاية هذا النظام، وعلى عدم قدرته على وصف اللغة وتفسير ظواهرها.<sup>2</sup>

ومما هو جدير بالذكر إشارة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ أيّ حذف عشوائي (غير مدروس) لأيّ باب من أبواب النحو، أو جزء من أجزائه، سيؤدّي دون شكّ إلى إفساده وأنّ أزمة النحو التي تشكّلت في الميدان التربوي التعليمي، في منظور النظرية الخليلية الحديثة لا تكمن في النحو ذاته من حيث هو علم، وإنّما في تجاهل المناهج المدرسية للطرق الحديثة في الانتقاء والتخطيط والعرض والترسيخ، وإهمال التمرس اللغوي، والجانب الترسخي المنظم في تعليم العربية، واقتصار أكثر المربين والمعلمين على الأنواع القليلة جدا من التمارين، ولا سيّما التحليلية (التي تخص الإعراب)، وفق ذلك كله، اتخاذ النحو والصرف في صورتيهما النظرية البحتة وسيلة مجردة من كل تكليف لإكساب المتعلمين الملكة اللغوية، وإعراب هذا الجانب من القواعد النظرية، والتعليق عليها حصة الأسد.<sup>3</sup>

إنّ تيسير النحو العربي على الناشئة والمتعلمين سيظلّ واجبا قائما في الحاضر والمستقبل كما كان قائما في الماضي، ولا سيّما ونحن في عصر تتجه فيه اللسانيات التعليمية إلى

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص170-171.

<sup>2</sup> - ينظر، عزّ الدين المجذوب: المنوال النحوي العربي، ص15-16-17.

<sup>3</sup> - ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص181.

التجميع المستمر والافادة من الخبرات والدراسات النظرية والميدانية الحديثة التي أثرت مجالها بشكل لافت للانتباه.<sup>1</sup>

وبذلك وجب تحديد المفهوم الإجرائي لمصطلح تيسير النحو، وهذا المفهوم يحدده الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأنه : "تكييف النحو والصرف مع المقاييس التي تقتضيها التربية الحديثة عن طريق تبسيط الصورة التي تعرض فيها القواعد على المتعلمين، فعلى هذا، ينحصر التيسير في كيفية تعليم النحو، لا في النحو ذاته".<sup>2</sup>

وقد فرّق بين نوعين من النحو العلمي (النظري)، والنحو التعليمي (التربوي)؛ فالنحو العلمي هو ممارسة للبحث العلمي في ميدان خاص، أمّا التعليمي فهو تعلّم واكتساب لمهارة معينة.<sup>3</sup> وهما ميدانان مختلفان، والذي يربطهما هو محاولة استثمار التعليم لما يأتي به البحث العلمي في اللغة (أي النحو العلمي) من جديد المعلومات، ويتم ذلك بتكييف هذه المعلومات الجديدة بما تقتضيه قوانين تعليم اللغات؛ فما يبحث عنه الباحث ويحاول إثباته شيء، وما يقوم به معلّم اللغة لإكساب المهارة في اللغة شيء آخر.

<sup>1</sup>- لقد طبقت هذه الدراسات على نحو اللغات الأجنبية فنجحت في تيسيره إلى حد كبير، وعليه، لقد حان الوقت ليستتير معلم اللغة العربية بما تمده به اللسانيات، وإنّ إطلاعه على ما يبثته اللسانيون باستمرار في حقل تخصصهم واجب حتمي للارتقاء بالتعليم وليس من قبيل الترف. ينظر، محمد الأوراغي : اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص257-286.

<sup>2</sup>- ينظر : بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 236. تجدر الإشارة إلى أنّه تمخضت عن النظرية الخيلية الحديثة مجموعة مهمة من الأبحاث التي تناولت رؤية الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية التجديدية في أساليب التعليم للغة العربية، لعلّ أهم هذه البحوث هي: اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، وعلم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي، وأثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، والأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، و العلاج الآلي للنصوص العربية والنظرية اللغوية، والكتابة العربية ومشاكلها، والأسس العلمية واللغوية لبناء منهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي فضلاً عن عدد من البحوث اللسانية والصوتية باللغتين الفرنسية والإنجليزية جمعت في كتبه: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية بجزئين وبحوث ودراسات في علوم اللسان.

<sup>3</sup>- ينظر : منطوق العرب في علوم اللسان، ص13.

فهذا النحو العلمي وهو جزء مما يستعين به المعلم في عمله، يجب أن تتحسن طرائقه باستغلال ما يكتشفه النحو العلمي وهو جزء مهم من علوم اللسان، وتعليم اللغات هو صناعة فعندما تجري بحوث في كيفية استثمار ما أثبتته علم اللسان تصبح هذه الصناعة علما تطبيقيا هو علم تعليم اللغات (language Teaching) أو (Didactique des langues).

فالنحو العلمي التحليلي (Grammaire scientifique analytique): يقوم على نظرية لغوية تنشد الدقة في الوصف والتفسير، وتتخذ لتحقيق هذا الهدف أدق المناهج، فهو نحو تخصيصي ينتمي أن يكون عميقا مجردا يدرس لذاته، وذلك طبيعته، وهذا المستوى من النحو كما يذكر عبد الرحمن الحاج صالح- يعدّ نشاطا قائما برأسه- أهدافه القريبة خاصة به هي الاكتشاف المستمر والخلق والابداع، وهذا هو الأساس والمنطلق في نحو تعليمي تراعى فيه قوانين علم التدريس.<sup>1</sup>

أما النحو التربوي التعليمي (Grammaire Pédagogique): فيمثل المستوى الوظيفي النافع لتقويم اللسان، وسلامة الخطاب، وأداء الغرض، وترجمة الحاجة، فهو يركز على ما يحتاجه المتعلم، يختار المادة المناسبة من مجموع ما يقدمه النحو العلمي، مع تكييفها تكييفا محكما طبقا لأهداف التعليم وظروف العملية التعليمية.

إنّ النحو التربوي يقوم على أسس لغوية ونفسية وتربوية، وليس مجرد تلخيص للنحو العلمي فعلى هذا المستوى ينبغي أن تنصب جهود التيسير والتبسيط. إذن، فالنحو العلمي شيء آخر ونمط خاص، يتكوّن من مادة تربوية مختارة على غرار أسس ومعايير موضوعية، تراعى أهداف التعليم، وحاجات المتعلمين، وظروف العملية التعليمية<sup>2</sup>، لذا فقد أخطأ كثير من المعلمين حين غالوا بالقواعد، واهتموا بجمع شواردها والإلمام بتفاصيلها، والإثقال بهذا كله على

<sup>1</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص137.

<sup>2</sup> - للمزيد من المعلومات حول هذين المستويين (النحو العلمي التخصصي والنحو التعليمي التربوي) يُنظر، د. محمود فهمي حجازي: البحث اللغوي، مكتبة غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1994، ص142-145.

كاهل التلاميذ ظنا منهم أنّ في ذلك تمكينا لهم من لغتهم، وإقدارا لهم على إجادة التعبير والبيان".<sup>1</sup>

يفرّق الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بين النّحو العلمي والنّحو التّعليمي عند القدماء، إذ كان "النّحو عند نشأته علميا وتعليميا في الوقت نفسه"<sup>2</sup>، فقد كان علميا؛ لأنّه كان تدوينا - لأول مرّة في التّاريخ - لأصول العربية، ولأنّ الذين وضعوه قاموا باستقراء النصّ القرآني لاستنباط هذه الأصول بمجرد ما تم إثباتها بهذه الكيفية، ثمّ احتاج الباحث فيه أن يبرّر ما يجيزه من الكلام فاضطر أن يأتي بأدلة علمية من قبيل التّفسير العلمي، وظهر ذلك في زمان عبد الله بن أبي إسحاق<sup>3</sup> حتّى بلغ الغاية في كتاب سيبويه: وما جاء في هذا الكتاب يدلّ على وجود نشاط علمي سابق واسع وعميق استمر ثمانين سنة بعد انتهاء الفترة الأولى وهي فترة تأسيس النّحو".<sup>4</sup>

أمّا النّحو التّعليمي "فهو ما كان يعلم الصبيان وكل من كان يرغب في تحسين مهارته اللّغوية، وكان لهم اهتمام كبير جدا بتعليم أبنائهم العربية، وكان مرجعهم، كأصول مدونة، ما وضعه النّحويون واعتمدوا على ما تعوّدوا عليه منذ القديم من وضع أولادهم في بيئات فصيحة ومن تحفيظهم الشعر خاصة".<sup>5</sup> ونجد الجاحظ (ت255هـ) يتحدّث في البيان والتبيين عن النّحويين بقوله: "وكما سمّى النّحويون فنكروا الحال والظروف وما أشبه ذلك، لأنّهم لو لم

<sup>1</sup> - عبد العليم إبراهيم: الموجّه الفنّي لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة، ط 14، ص 203.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 14.

<sup>3</sup> - هو عبد الله بن زيد بن الحارث بن أبي إسحاق الحضرمي البصري، (أبو بحر بن أبي إسحاق) مشهور بكنية والده؛ أحد الأئمّة في الفراءات والعربية. أخذ القرآن عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، وروى عن أبيه عن جده، عن عليّ وتناظر هو وأبو عمرو بن العلاء. وهو الذي مدّ للقياس، وشرح العليل. قال السيرافي: وكان أشدّ تجريدا للقياس، وأبو عمرو أوسع علما بكلام العرب ولغاتها. قال: وسئل عنه يونس، فقال: هو والنحو سواء؛ أي هو الغاية فيه. وهو الذي مدّ للقياس وشرح العليل، توفي عام 127هـ. عن ثمانين سنة أو قيل عام 117هـ، ينظر، جلال الدين السيوطي: بغيّة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، ج 2، ط 2، 1979، ص 42.

<sup>4</sup> - منطق العرب في علوم اللسان، ص 14.

<sup>5</sup> - منطق العرب في علوم اللسان: 14.

يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو، وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم بينهم.<sup>1</sup> إذن لقد كان القدماء على وعي تامّ بضرورة وجود مؤلفات نحوية تعليمية تناسب الفئات المختلفة من الناشئة والمتعلمين، ممّا دفعهم إلى إعداد المؤلفات والمختصرات بغية تقريب النحو من المتعلمين، ومن أمثلة ذلك: كتاب الجمل للزجاجي (ت 238 هـ) والواضح للزبيدي (ت 379 هـ)، قطر الندى لابن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) وغيرهم كثير. حاول عبد الرحمن الحاج صالح أن يفيد من النظرية الخليلية في مجال تسيير النحو، وتجديده فضلا عن تعليميه، وهذه الإفادة تكمن في المبادئ الآتية:

### 1- التمييز بين الملكتين:

يُميّز بين ملكتين في كيفية اكتساب اللغة وهما "الوضع والاستعمال"<sup>2</sup>، فالملكة اللغوية هي ملكتان: "القدرة على التعبير السليم، والقدرة على تبليغ كلّ الأغراض الممكنة في أحوال خطابية معينة، ولكل واحدة منها قوانين تختص بها."<sup>3</sup> ولا بدّ من الاهتمام بكلا الملكتين والآ تطغى إحداهما على الأخرى.

إلى مثل هذا الذي ذهب إليه الحاج صالح نجد "ابن خلدون" يميّز بين هذين النوعين، إذ قال: "ملكة هذا اللسان غير العربية صناعة النحو"<sup>4</sup>، فالملكة عنده هي الصفة الراسخة أو المهارة المكتسبة في استعمال اللغة فهي القدرة التي يكتسبها الإنسان التي يحكم بها أفعاله

<sup>1</sup> - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص140.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص54.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص54.

<sup>4</sup> - ابن خلدون: المُقدِّمة، ص579.

الكلامية وهي غير علم النحو، "لمعرفة المتكلم للغة التي ينطق بها هي معرفة عملية غير نظرية، أما علم النحو قائم بذاته فهو نتيجة لإعمال الفكر في بنية اللغة وأوضاعها".<sup>1</sup>

## 2- اكتساب ملكة السلامة اللغوية:

ويعني بها الحاج صالح التَّحَكُّم في القواعد والمعجم، ويبني على إحكام التَّصَرُّف في مثل اللغة، والذي يكون بإكساب القدرة على الانتقال من الأصل إلى الفروع، والعكس<sup>2</sup> ومثاله (اللَّفْظَة)، فهي عبارة عن أصل تتفرع عليه كلّ الفروع التي تقتضيها اللفظة الاسمية أو الفعلية وإحكام التَّصَرُّف فيها معناه تطبيق القواعد بعد أن تكتسب، والذي يتمّ في وقت قصير بالنسبة للدرّس النحوي الذي ينطلق من القاعدة وتطبيقها، أو العكس.<sup>3</sup>

وقد أكّد على إصلاح الملكة اللغوية، ورأى أنها لا تتحقّق إلاّ عن طريق التَّعْلِيم، وذلك بأن يتمّ فيه التمييز بين مرحلتين لتعليم اللغة العربية، أما المرحلة الأولى فيتمّ فيها اكتساب الملكة اللغوية الأساسية وهي القدرة على التعبير السليم، والتَّصَرُّف العفوي في بنى اللغة ويتطلّب ذلك وضع التدرّج لاكتساب التراكيب، والبنى الأساسية للعربية، والانتقال من الأصول إلى الفروع والعكس<sup>4</sup>، وفي المقابل يحرص على تجنب كل أنواع التَّعْلِيم الفنّي الذي يستخدم المحسنات البديعية و الصّور البيانية.

أما المرحلة الثّانية فيتمّ فيها اكتساب المهارة على التبليغ الفعال، على ألاّ يتمّ الانتقال إليها إلاّ بعد أن يكون المتعلّم قد اكتسب الملكة اللغوية الأساسية<sup>5</sup>، ليكون التَّصَرُّف في البنى والمثل اللغوية استجابة لما يقتضيه المقام أو حال الخطاب، والواقع كما يرى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن اكتساب ملكة العربية لا يتمّ لقواعد السلامة اللغوية ولا لمعرفة قواعدها

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص166.

<sup>2</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ج2، ص54.

<sup>3</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص55.

<sup>4</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص54.

<sup>5</sup> - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص225.

البلاغية، وإنما بالتركيز على الاستعمال الفعلي في واقع الخطاب فيقول: "وعلى هذا فالاستعمال العقلي للغة في جميع الأحوال الخطابية التي تستلزمها الحياة اليومية ينبغي أن يكون المقياس الأول والأساسي في بناء كل منهج تعليمي، وأسرار هذا الاستعمال ينبغي أن يلم بها المربي كما يلم بها اللغوي."<sup>1</sup>

وقد يكون من أسرار هذا الاستعمال تأكيد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في معظم محاضراته وأبحاثه على ضرورة أن يميّز القائمون على شؤون التعليم بين النحو العلمي، والنحو التعليمي، حيث يقول في هذا السياق: "وعلى هذا، فالنحو كهيكل للغة- وهو بذلك صورتها وبنيتها - شيء والنظرية البنيوية للعربية التي هي علم النحو شيء آخر، وكذلك هو الأمر بالنسبة للبلاغة، فهي تقابل النحو في أنها كيفية استعمال المتكلم للغة والنحو فيما هو مخير فيه لتأدية غرض معين، فهي بهذا امتداد للنحو ولها مثله قواعد وسنن معروفة، فالبلاغة بهذا المعنى شيء، والنظرية التحليلية لكيفية تخيير المتكلمين للألفاظ بغاية التأثير شيء آخر، فالذي يقصده المربي هو إكساب المتعلم القدرة على إجراء القواعد النحوية والبلاغية في واقع الخطاب ليس إلا، وهذا لا سبيل إلى تحصيله إلا بطرق خاصة، لا بحفظ القواعد أو دراستها على حده."<sup>2</sup>

### 3- اكتساب القدرة على التبليغ:

هي عملية مكملة للتصرف في البنى والمثّل بما يقتضيه المقام أو حال المخاطب، فالانتقال من غرض إلى آخر - مع حصر الأغراض - مع التصرف في محتوى المثّل يضمن اكتساب

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: "الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي"، ألقى هذا البحث في ندوة بناء المناهج التعليمية جامعة الإمام محمد بن سعود الر ياض، ونشر في المجلة العربية للتربية الأليكو، سبتمبر 1985م، المجلد الخامس، العدد الثاني، ص 19-30. وورد ضمن كتابه بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص176.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص182.

هذه الملكة في وقت أقصر بكثير من تطبيق قواعد النحو والبلاغة<sup>1</sup> فضلا عن أنّ هذه النظرية- الخليلية الحديثة- يمكن تطبيقها على ميادين مختلفة مثل شرح النصوص وتحرير المقالات وبصفة عامة التعبير والفهم الشفاهي والكتابي<sup>2</sup>.

لقد أكد عبد الرحمن الحاج صالح على ضرورة العناية بالنحو والبلاغة معا، وأنّ تفضيل أحدهما على الآخر هو إجحاف بحق اللغة وتعقيم لتعليمها، فهما متلازمان في عملة الخطاب الطبيعي فيقول: "سبق أن قلنا بأنّ اللسان وضع واستعمال أي نظام من الأدلة من جهة واستثمار لهذا النظام في الحياة من جهة أخرى، فما هي مكانة النحو والبلاغة منهما يا ترى؟ للإجابة عن هذا السؤال لا بدّ لنا أن نميّز في بداية الأمر بين النحو وعلم النحو، وكذلك بين البلاغة وعلم البلاغة، فالذي نقصده من تعميم اللسان هو إكساب المتعلّم من القدرة العملية لا النظرية على استعمال اللسان، وليس أن نجعل منه عالما متخصصا في علوم اللسان كعلمي النحو والصرف وعلم البلاغة<sup>3</sup>."

ومن جملة الاقتراحات التي قدّمها عبد الرحمن الحاج صالح فيما يخصّ العملية التعليمية<sup>4</sup>:

- تتخذ الأصول في البحث السابق مبادئ عامّة لبناء المناهج التعليمية.
- أصل الأصول هو العناية بالمتعلم، والتفطن إلى حاجاته التعبيرية الحقيقية: ماهي اهتماماته وماهي الألفاظ والعبارات التي تستجيب لهذه الحاجات. ويجب أن تبنى المناهج برمتها على هذا المبدأ العام.
- يدرج في المناهج الأداء الصوتي كدرس مستقل ويعتمد في ذلك على الأوصاف العلمية لمخارج الحروف والظواهر الصوتية العربية عامّة كالوقف والإدغام وغيرها وكذا على الأداء للنص

<sup>1</sup>- ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص55.

<sup>2</sup>- ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسه.

<sup>3</sup>- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص182.

<sup>4</sup>- ينظر عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص188-189.

القرآني في الكتب القديمة التي ظهرت في العصور الأولى. وتوكل إلى علمائنا في الصّوتيات الملمّين بالتراث العربي اللّغوي دراسة وافية حول هذا الموضوع.

- يدرج في المناهج مجموع القواعد الخاصّة بالمستوى المستخف من التعبير الفصيح (الذي استعمل في التخاطب اليومي والمعاملات العادية ودوّنه العلماء) ويوكل إلى فريق من العلماء استخراج هذه القواعد من كتب النّحو التي ألفها النّحاة الأولون من الذين شافوها فصحاء العرب.
  - يعتمد الرصيد اللّغوي الذي تشرف على إنجازهِ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في انتقاء المادة اللغوية وتدرّجها، ولهذا الرّصيد مزياء التربوية واللغوية أهمّها هو أنّه يمدّ المتعلم بكل ما يحتاج إليه في واقع حياته ولا يتجاوز ذلك، ومدار اختيار الألفاظ هو الاطراد في القياس والاستعمال وكثرة الدوران في أغلب الصّور (إلا المولد حديثاً).
  - وتعامل التراكيب مثل ما عوملت المفردات فتدرج في المناهج والكتب المدرسية البنى النّحوية المطردة في القياس والاستعمال وكذلك المسموع غير القياسي الكثير الدوران ويهمل غيرها كما تهمل التعليقات والتفاسير العلمية النظرية.
  - يدرج في المناهج درس البلاغة لا كقواعد، بل كأنماط أيضاً وتدمج مع الأنماط النّحوية في درس واحد يتناول الخطاب بجميع أركانه.
  - يعتمد في تحرير الأنماط النّحوية، وخاصّة التّركيبية منها، على نحو الخليل وسيبويه والنّحاة الأولين، وتراجع كل المفاهيم والتّحديدات التي جاءت في كتب المتأخرين في ضوء المدرسة الخليلية التي هي أقرب إلى ما تتطلبه العلوم اللّسانية الحديثة.<sup>1</sup>
- والنتيجة التي نخلص إليها في هذا المبحث أنّ الدّكتور عبد الرحمن - قد اتّبع منهجاً حدائياً تجديدياً وتيسيرياً، إذ ساير الحدائّة، فضلاً عن التّيسير في النّحو العربي، ممّا يجعلنا نصنّفه ضمن رواد التّجديد والتّيسير في النحو العربي، وقد اختلف منهجه عن كثير من معاصريه ممّن ضربوا في أصالته بدعوى التّجديد والتّيسير فيه.

<sup>1</sup>- ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 189.

فعلى العكس من ذلك وجدناه- الدكتور عبد الرحمن- قد استند إلى التراث النحوي العربي الأصيل، ليلبور أفكاره النحوية التجديدية فيه والمحافظة عليه بإعادة إحيائه من جديد، فكانت النظرية الخليلية التي أسسها، والتي تبنت أفكار ومبادئ النظرية الخليلية القديمة- والتي تعني نحو الخليل وسيبويه ومن تبعهم كسيرورة لهذه النظرية، فضلا عن كونها حركة من حركات التجديد والتيسير في النحو العربي.

ونجد الحاج صالح في تجربته (النظرية الخليلية الحديثة)، والتي لم يهدف فيها إلى إصلاح النحو العربي القديم وما علق به من شوائب وتعتيدات، بأن يجعله مختصرا أو يعيد ترتيب أبوابه على غرار ما وجد عند بعض النحاة المحدثين فقط، ولكن نجده يحيي مفاهيم عربية أصيلة، ويصحح أخرى طمس معناها نتيجة قصور فهمنا لما قصده منها الأوائل، فضلا عن تنبيهه إلى الكشف عن نظريته اللغوية الحديثة التي منبعاها النموذج العربي الأصيل، في محاولة منه خلق هذا التمازج بين الفكر النحوي العربي القديم، والفكر اللساني الحديث، والتطور العلمي المعاصر، بجعله الأفكار النحوية للخليل وسيبويه ومن تبعهم كأصل يستند إليه في كل هذا، مع موازنتها بما أتى به الغرب من نظريات لغوية حديثة، هذه النظرية التي قامت في ذهنه بعد القراءة المتأنية لمفاهيم النحو العربي، فضلا عن سعيه إلى إعطاء منهج حدثوي تجديدي تيسيري لدراسة النحو العربي؛ إذ إن نظريته أسهمت بشكل كبير وفعال في (تيسير تعليم النحو) فضلا عن (تيسير النحو)، فقد وجد في ذلك ضرورة ملحة تقتضيها حاجات المتعلمين في كل زمان.

كما أنه لا يخفى في أثناء دراسته أن كشف لنا عن منهجه في تصور الحلول اللازمة لمعالجة تعليم النحو العربي من خلال اهتدائه إلى فكرة جديدة حاول فيها أن يحصن النحو العربي ويحميه من أن يقف جامدا في مكانه، وهذا خير دليل على قدرته على التحويل فضلا عن التفريق بين (النحو العلمي، والنحو العملي).

يعدّ عبد الرحمن الحاج صالح لغويا لسانيا أحدث فاعلية كبرى على القارئ الجزائري بصفة خاصة، والقارئ العربي بصفة عامة، لقد تبيّن له بأن الاستعمال العقلي للغة في جميع الأحوال الخطابية التي تستلزمها الحياة اليومية ينبغي أن يكون المقياس الأوّل والأساسي في بناء أي مجتمع تعليمي، وشدّة عنايته القصوى بالجانب التعليمي، جعلته ينجز في ذلك دراسات معمّقة حاول فيها الكشف عن العيوب الحقيقية التي يعانيها تعليمنا للعربية، لقد تبيّن له بفضل عبقريته الواسعة بأن جلّ معلّمي اللغة العربية يجهلون في زماننا هذا حقيقة التّخاطب اليومي ولا يراعونه في تدريسهم لأساليب اللغة العربية.

وفي سبيل خدمة اللغة العربية وتطوّر دراساتها، لم يتوان عبد الرحمن الحاج صالح في هذا الشأن؛ فله ما له منها الكثير وعلى سبيل الاختصار لا الحصر مشروع الذخيرة اللغوية وحوسبة اللغة العربية ليبقى ملاذ كلّ العرب والباحثين العرب وغير العرب، وممّا نعترف به في حق عالم العرب هذا دوره في ترقية اللغة العربية، وإحياء التّراث العربي، ومواكبة اللغة العربية لمتطلبات العصر، كلّ هذا نادى به في كلّ دراساته، كما نادى بمواكبة اللغة العربية للتطوّر العلمي والمعلوماتية والتكنولوجيا الحديثة، وثورة الاتصالات، والانفجار المعرفي.

# الخاتمة:

عندما نعود إلى التاريخ الثقافي والعلمي للجزائر، ونفتح صفحات البحث في اللغة العربية عامة، والدراسات اللسانية على وجه الخصوص، نجد الكثير من الأسماء التي خدمت لغة القرآن الكريم وأنجزت الدراسات القيمة في مجال البحث اللساني، ويأتي اسم الأستاذ المحترم "عبد الرحمن الحاج صالح" رحمة الله عليه في صدارة هذه الأسماء؛ ذلك أنه خدم اللغة العربية خدمة جليلة، طالت مدة طويلة من حياته، في محاولة منه ردّ بعض الاعتبار لها، دون يأس أو ملل، وانشغل في حياته عن أمور كثيرة إلا الاجتهاد العلمي؛ إذ يقول حين سئل عن رأيه في السياسة والشعر: "لم أهتم بالسياسة الاجتهاد العلمي شغلني عن السياسة، ولم أهتم بالأدب لست شاعرا"<sup>1</sup>.

إنّ هذه الوقفة التي توقفت عندها من خلال التبحر في جزء بسيط من تفكير عبد الرحمن الحاج صالح اللساني، إنّما انبنت على غاية أساسها الرغبة في تبيان هذا التفكير الفذ الذي كما قال عنه الزواوي أمين الزاوي: "الحاج صالح ذخيرة في الجامعة الجزائرية ومؤسس الدرس اللساني".

وقد خلصنا من خلال وقفنا هذه إلى مجموعة من النتائج التي يمكن حصرها على النحو الآتي:

1- إنّ تكوين الباحث عبد الرحمن الحاج صالح بين الأزهر والجامعات الغربية كان له الدور الفعال في توجيه مساره في البحث والأثر الكبير في تفكيره اللساني، ممّا جعل جهوده اللغوية تصنّف ضمن لسانيات التراث، هذا الاتجاه الذي يهدف إلى قراءة التراث اللغوي العربي، وربطه باتجاهات البحث اللساني الغربي الحديث بمختلف نظرياته.

2- لقد كشف البحث أنّ الاتجاه التوافقي هو من أكثر الاتجاهات حضورا في قراءة التراث العربي إذ تقوم قراءة التراث على اتجاهات ثلاثة، هي:

❖ استحسان التراث اللغوي ونبذ المعاصرة، وهو موقف تعصبي إلى حدّ ما.

❖ نقد التراث إلى حدّ الاستهجان، ويمثّل اتجاه القطيعة مع التراث.

<sup>1</sup>- سعاد شرفاوي: الجهود اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح، ص 237.

❖ محاولة التوفيق بين التراث اللغوي واللسانيات المعاصرة، وقد مثل هذا الاتجاه لسانيون عرب كثر منهم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح والدكتور أحمد المتوكل والدكتور نهاد الموسى والدكتور مازن الوعر وغيرهم.

3- كشف البحث عن أهم الإشكاليات في الدرس اللساني العربي؛ إذ لا تخلو قراءة التراث عامة واللغوي خاصة من معوقات وإشكاليات تقف حائلا دون قراءته بطريقة صحيحة والقراءة التي يستحق، ومن أهمها وليس جُلّها إشكالية الانفصال بين النظرية والتطبيق، الترجمة والمصطلح إضافة إلى اختلاف وجهات النظر إلى التراث العربي، ولكن يجب ألا نغفل أنّ بين الثقافتين والحضارتين فرقا شاسعا، والقراءة المستعصية للتراث أو النظريات اللسانية الغربية ستجرنا حتما إلى نتائج تناقض ما نسعى إليه.

4- كان للحاج صالح فضل سبق في تسمية "اللسانيات"، أو "علم اللسان" بهذا المصطلح، الذي أقتنع به الكثير من الباحثين، ولقيت إجماعهم بعد ذلك في تعميم هذه التسمية، بعد ندوة اللسانيات في تونس.

5- لقد جمع بين الأصالة والحداثة، فالأصيل عنده في الواقع هو المبدع الذي يأتي بشيء جديد لم يسبق إليه مهما كان الزمان الذي يعيش فيه، والأصالة في زماننا هذا وعلى هذا الأساس هي الامتناع من تقليد الغربيين خاصة، وقد أكدّ رئيس المجلس الأعلى للغة العربية "صالح بلعيد" في شهادته "أنّ المرحوم عبد الرحمان حاج صالح إنسان جمع بين الأصالة والحداثة، وكان يوصيهم- تلاميذه- بأنّه من أراد أن يتحكّم في الحداثة عليه أن يضع رجلا في الأصالة ومن لم يضع رجله في الأصالة فهو أعرج.<sup>1</sup>

6- توقّف البحث عند (النظرية الخليلية الحديثة) التي تعدّ امتدادا مباشرا للفكر الخليلي، فضلا عن أنّها من أهمّ تجارب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح؛ فقد عدت هذه النظرية من أهمّ التجارب التيسيرية للسانيات وتقريبها من المتخصّصين في الدراسات اللغوية العربية، فقد بنى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح نظريته على مفاهيم عدّة، منها: الاستقامة، والانفصال والانفراد واللفظة، ومفهوم المثال، والأصل والفرع، والقياس والعامل... إلخ وغيرها من المفاهيم التي

<sup>1</sup> - جريدة الشروق الجزائرية: الجزائر تفقد "أبا اللسانيات" البروفيسور عبد الرحمان الحاج صالح الجراح الذي تحدّى الفراهيدي

وناصر نعوم تشومسكي، نقلا من الموقع : [www.elheddaf.com/article](http://www.elheddaf.com/article) يوم: 2018/08/12.

استطاع الدكتور عبد الرحمن الحاج أن يقرأ التراث اللغوي قراءة جديدة موازنا إياه بالمفاهيم العلمية في العلوم اللسانية الحديثة، وبالمنطق الرياضي العلمي، كما نتج عن موازنته هذه أن اتّضحت العلاقات الوثيقة القائمة بين المفاهيم العربية ومفاهيم المنطق العربي كالقياس والباب والمثال وغيرها.

7- إنّ النظرية الخليلية الحديثة لصاحبها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، قد تضمّنت منهاجا ثبت أنه أكثر صلاحية للدراسة العلمية للغة العربية مقارنة بالمناهج الغربية التي حاول الكثير من الباحثين العرب تطبيقها حرفيا دون اعتبار لخصوصياتها الصوتية والصرفية والتركيبية تلك المناهج التي تصلح أكثر لتحليل اللغات الأروبية، ولم توضع خصيصا لدراسة غيرها من اللغات.

8- بفضل البحوث التطبيقية التي أنجزها بعض الباحثين أتباع النظرية الخليلية الحديثة<sup>1</sup> تمّ اقتراح تصوّرات لتعليم اللغة العربية للناطقين بها وبغيرها من اللغات انتقاء وترتيبيا وعرضا وترسيخا في ضوء المبادئ التربوية الحديثة، والهدف العام لا يخرج عن معرفة دقيقة باللغة العربية وتحكم في استعمالها، والذي نرجوه أن يعتمد أسس النظرية الخليلية الحديثة، لوضع برامج تعليم العربية في جميع مراحل التعليم ما قبل الجامعي، على أن يتمّ تكوين متخصصين ومكوّنين في تعليم العربيّة في ضوء تلك الأسس.

9- أعطت النظرية الخليلية الحديثة منهاجا حداثيا تيسيريا لدراسة النحو العربي؛ إذ أسهمت بشكل كبير في تيسير تعليم النحو، كما أعطت الحلول اللازمة لمعالجة تعليم النحو العربي؛ فقد ينفر الطّلبة من كتب العلماء العرب القدماء بسبب طريقة طرح المعلّم لها، ونبه الحاج صالح على إحياء التراث اللغوي بجعل أبواب أساسية من كتاب سيبويه - على سبيل المثال - مع جعل شروحه في متناول يد الطلبة، فضلا عن التّنبية إلى المناهج اللسانية الحديثة ومدى التقارب والابتعاد بينها وبين الدّرس اللغوي العربي وبيان أصالته في كل ذلك.

<sup>1</sup> - لقد أنجز في السنوات الأخيرة وفي بعض الجامعات الجزائرية عدد من البحوث الجامعية (ماجستير، دكتوراه) حيث قام أصحابها بتطبيق أسس النظرية الخليلية الحديثة، في نقد المقررات الدراسية كبرامج تعليم العربية في مختلف مراحل التدريس العام وقد توصل معظمهم إلى نتائج جديرة بأن يعتنى بها. ينظر، د. الشّريف بوشحان: النظرية الخليلية الحديثة وسبل ترقية تعليم اللغة العربية فيما قبل الجامعة، ص116.

10- تميّز منهج الدكتور عبد الرحمن صالح بالتنوّع بين المناهج اللسانية والعودة إلى التراث اللغوي العربي والتّطبيق على اللّغة العربية، ( المنهج التّأصيلي التّوفيقي) وتنوّع هذه التّوجيهات في طرح موضوعاتها من خلال تنوّع النّظريات والمناهج التي يقوم المؤلّف في كلّ مرة بسبر أغوارها، حيث تمثّل الحاج صالح في هذه العلاقة بوادر تشكيل اللسانيات العربية الحديثة موضوعا ومنهجاً.

11- فضلا عن تميّزه في طرح موضوعاته بلغة بسيطة واضحة ومباشرة، وهي في أغلب مؤلّفاته لغة مختصرة تميل بشكل واضح إلى استخدام المخططات وتلخيص المسائل اللّغوية واستنتاج القواعد وصياغتها، وهو ما يؤكّد اتّجاهه التّوافقي التّأصيلي والتيسيري، وبين البحث أنّ خطابه التراثي يتحدّد بكونه محصلة تقاطع مجموعة من الخطابات: الخطاب التراثي، والخطاب اللّساني الغربي، وخطابه الخاصّ المتمثّل في تحليلاته واستنتاجه وموازناته التي يقيمها بين المفاهيم العربية والمفاهيم الغربية. فضلا عن أنّ الاتّجاه التّوافقي يظهر واضح المعالم عند الحاج صالح في جهوده في التّرجمة والمصطلح، إذ سعى دائما إلى إحياء المصطلح العربي القديم لأنّه أنسب للسياق الذي يرد فيه ولدقة المصطلحات التي استعملها القدماء.

12- أكّد البحث أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لم يكن مقلّدا أو اجتراريا- وإن كان يتكئ على التراث اللغوي العربي- فقد أبدع النّظرية الخليلية الحديثة التي أفادت في مجالات حديثة كتيسير تعليم النحو، والمعالجة الآلية؛ إذ أبدع الحاج صالح نحو حدائثي جذوره عربية أصلية.

13- بيّن البحث أنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يعتمد على المنطق الرياضي في تجربته النّحوية؛ إذ اتّبع منهجا علميا لإثبات القضايا المتداولة في المناهج اللسانية المعاصرة.

14- أبان البحث أنّ متابعة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في أغلب مؤلفاته وبحوثه لعلمائنا العرب القدماء ولا سيّما الخليل وسيبويه في الحانب النظري، وعلماء القراءات والتجويد كان في الجانب التّطبيقي في كثير من أسس وخطى منهجيتهم، مختلفا عنهم فيما أورده من بحوث واستدراكات خضعت إلى التجارب المخبرية والآلات، مع اعتماد العرض والتوضيح والتحليل لكثير من المسائل الصوتية، ووقف البحث على بعض مصطلحات القدماء التي تبنّاها الحاج صالح وتفضيله إيّاها على غيرها من مصطلحات علم اللغة الحديث، كمصطلح اللسان.

15- لا يفسر التراث إلا التراث، فكتاب "سيبويه" لا يفسره إلا كتاب "سيبويه"، ومن الخطأ أن نُسقط على التراث مفاهيم وتصوّرات دخيلة تتجاهل خصوصياته النوعية.

16- أثبت البحث أصالة النحو العربي، وقد ردّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الشبهات القائلة بتأثير النحو العربي بالمنطلق الأرسطي؛ وذلك بما استدل عليه بشهادة العقل والتاريخ؛ فالنحو العربي أصيل في ابتدائه، صدر عن عقلية عربية، ولما اتّصلت هذه العقلية بثقافات أمم أخرى، كان من الطبيعي أن يتأثر، فالتأثر أمر مقرّر سلفا بين اللغات والآداب المختلفة، وهذا لا يقلل من قيمة لغة من اللغات إن أخذت من اللغات الأخرى.

17- كشف البحث عن الخصائص التي ميّزت السماع اللغوي العربي، وجعلته سماعا علميا وعرفه د. الحاج صالح بأته "مدوّنة لغوية" واعتمده العلماء في مختلف العصور.

18- صرّح الدكتور عبد الرحمن الحاج بأنّ نظرية العامل هي من أروع ما ابتكره العلماء العرب- ولا سيّما الخليل وسيبويه- فوجد أنّ نظرية الربط العاملي لتشومسكي لها جذور عربية فالعامل عنصر نحوي ذو طبيعة توليدية، تجعله قادرا على توليد العناصر النحوية الأخرى في الجملة. وأظهر البحث في نظرية العامل العربية أنّ العلماء العرب قد انطلقوا من المبنى إلى المعنى، وهذا لا يعدّ خلا منهجيا في درس النحوي، بل هو ظاهرة لعناية النحاة بنظام المباني والمعاني، إذ إنّ النحوي على علم بأنّ الملتقي في عملية الاتصال اللغوي يبادر إليه المبنى أولا ثمّ المعنى.

19- توّصل البحث أيضا إلى ارتكاز الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في اللسانيات التطبيقية على التراث اللغوي العربي، محاولا توظيفه بما يخدم اللغة العربية، كحوسبة اللغة العربية وعمله في الذخيرة اللغوية العربية، والمعالجة الآلية للغة العربية، وهذا يدل على طواعية لغتنا للحاسب الإلكتروني وإمكانية تطبيق التكنولوجيا على اللغة العربية. وبيّن البحث إمكانية إعداد بنك آلي يوفر قاعدة من المعطيات تخزن كل المثل الإفرادية واللفظية والتركيبية فضلا عن الأوزان.

20- وقد برهن في معظم بحوثه أنّ الاستعمال الفعلي هو المنطلق الأساس لكل بحث لساني بل هو مبدأ عام لا يمكن لأيّ باحث أن يهمله، وإلا عدّ ذلك البحث مفصّولا عن واقعه.

21- إنّ فضل الأستاذ كبير في توظيف التكنولوجيا الحديثة في البحث اللساني بمختلف تطبيقاته وخاصة الحاسوب، وقد استطاع أن يلفت أنظار الباحثين والعلماء وحتى المسؤولين إلى أهمية

إنجاز مشروع الدّخيرة العربية وحملهم أمانة عظيمة يحاسبهم عليها التّاريخ إذا لم يحققوها على أرض الواقع، وعليه فإننا ندعو إلى تّمتين هذه الجهود بمواصلة النّهج الذي رسمه الأستاذ الجليل إثراء للبحث اللّساني العربي الأصيل، وخدمة للغة العربية اجتماعيا وحضاريا.

22- حاجة البحث اللساني العربي الحديث إلى تصحيح مساره، بأن يفتح الدراسون على عطاءات الدرس اللساني الغربي في مختلف اتجاهاته، دون الغفلة عن المنجز من التراث العربي الذي لا يحتاج إلّا للمراجعة والغرلة، ليكون قاعدة انطلاق في بناء نظرية لسانية عربية معاصرة.

23- أنّ البحث اللساني يشهد تعدّد مجالاته التي تسهم بأفساط متباينة في تعليم اللّغات عموما والعربية على وجه الخصوص، لا سيّما اللسانيات التطبيقية، التي خرجت التّعليمية من تحت عباءتها في مرحلة ما من تاريخها، مع كونها تخلقت أيضا في رحم البيداغوجيا وميتودولوجيا اللغات.

24- العودة إلى العاميات وتصفية ما فيها من مواد لغوية وأصول فصيحة، واستعمالها في المتون التعليمية والمستندات التربوية الموجة للمتعلّمين، لما للألفة من دور في تسريع عملية التّعلم، وهذا لا يعني، مطلقا، الدعوة إلى العامية، بل يعني تفصيح الدراجة في كل بلد، والتركيز على المشترك بين مختلف البيئات اللغوية العربية.

25- اعتماد مبدأ التدرّج في تقديم المادة اللغوية الوظيفية ممثلة في المعجم اللغوي، وفي المادة النظرية وجملة قوانين اللسان، من باب تجزيء صعوبات التّعلم، لئلا تكون صفة الكلية سببا في النّفور.

26- لقد وقف الحاج صالح على عقبات تخلف البحث اللساني العربي الحديث، ولعلّ أهمّها التّقليد الأعمى للمناهج الغربية، وإسقاطها على اللّغة العربية دون نقد أو تمحيص مسبق، حتّى التي تجاوزها الزمن، ويقصد البنوية.

27- اهتم الحاج صالح ببعض القضايا النّحوية التاريخية في مؤلّفاته اللّسانية، كأصالة النّحو العربي، والخلاف النّحوي بين البصريين والكوفيين، ومع ذلك نعدّها قليلة؛ إذ الغلبة كانت للقضايا اللسانية، ولكن هذه القضايا التاريخية استدلتّ بها الحاج صالح على قضية لسانية في

اللغة العربية، وهي منطوق اللغة العربية، وقربه وبعده عن المنطق الأرسطي، قبل الوقوف على ما يثبت المنطق الرياضي في النحو الخليلي خاصة.

28- تعدّ أغلب القضايا اللسانية التي اشتغل بها الحاج صالح في بحثه، دراسات نقدية للسانيات العامّة والعربية، وإن كانت للسانيات العربية هي الغالبة، وأكبر دليل على ذلك المصطلحات المهيمنة مثل كلمة "العرب" وما اشتق منها، والتي ميزت جل عناوين مؤلفاته.

29- ومن هذه القضايا أيضا نقد التراث اللغوي العربي، وربطه باللسانيات الحديثة، والعلوم العصرية، حيث تمثل الحاج صالح في هذه العلاقة بؤادر تشكيل اللسانيات العربية الحديثة موضوعا ومنهجيا.

30- يعتقد الحاج صالح أنّ مفاهيم النحو العربي (النحو الخليلي خاصة) قد التبتت بالمنطق الأرسطي وطمس معناها الحقيقي، وقد اجتهد في كشف جوهرها الرياضي والعلمي، لتهيئة صورتها واستغلالها في الميدان التقني والعلاج الآلي للغة العربية.

31- واهتم الحاج صالح كذلك بقضايا اللغة العربية العصرية، خاصة مشكلة الثنائية اللغوية في الوطن العربي، ووضع اللغة العربية الفصحى، وكان تركيزه على الجانب المنطوق خاصة ودعا إلى إحياء المستوى المسترسل، الذي يميز اللغة العربية، بالإضافة إلى تميّزها بجانب منقبض يصلح للخطب والمعاملات الرسمية. وأكّد صلاحية هذا المستوى (وهو الجانب العفوي) لاستعماله في المحافل الرسمية، وقدّم تدابير تعطي للغة العربية الفصحى مكانتها اللائقة في الاستعمال.

32- كما اهتم الحاج صالح أيضا بقضايا ترقية اللغة العربية من خلال مجالات حيوية فيها كالتعليمات والترجمة والمصطلح والمعاجم، بالوقوف على مشاكل عرقلتها، واقتراح أسس وقوانين لتحريك عجلة تنميتها. وإيجاد سبل وآفاق عصريتها، وربطها بالتكنولوجيا الحالية لضمان حيوية اللغة العربية في جانبيها النظري والتطبيقي.

33- دعم الحاج صالح مقترحاته وحلوله النظرية لترقية اللغة العربية، بضرورة الاستفادة من التجارب الغربية الناجحة في ميادين اللغة المختلفة، بالإضافة إلى تأكيده على ضرورة التكوين للقائمين على هذه الميادين لتحسين الأداء فيها.

34- إنّ منهج الحاج صالح في بحثه اللساني، هو ما يعرف بمنهج القراءة، أو إعادة القراءة للتراث اللغوي العربي، وربطه بالنظريات اللسانية الحديثة، وهو منهج صحيحي، وقد صحح الكثير من الأخطاء التي وجدها في أفكار المتأخرين والمستشرقين والمحدثين في فهم التراث النحوي العربي؛ حيث تمثل الحاج صالح في هذه العلاقة بوادر تشكيل اللسانيات العربية الحديثة، موضوعاً ومنهجاً.

35- ما يميّز منهج الحاج صالح، توخّي المنهج العلمي عن طريق انفتاحه على المنطق، والعلوم العصرية الدقيقة، الرياضيات خاصّة، وانفتاحه على النظريات اللسانية الغربية الحديثة بالإضافة إلى ما عرف به من معرفته الغزيرة والعميقة للتراث اللغوي العربي، وإعجابه الشديد به.

36- ما يميّز تفكير ومنهج عبد الرحمن الحاج صالح في البحث اللساني أنّه لم يكن منصهراً في المناهج اللسانية الحديثة، ولا منبهاً بها، ولا رافضاً لها أيضاً، بل كان له منهج انفتح من خلاله على هذه النظريات، وراعى في ذلك خصوصية اللغة العربية، محاولاً تطبيق ما أثبتته العلم الحديث والمنطق، من أجل برهنة أحكام، أو إثبات وجهات نظر. تعامل مع اللغة العربية بمنظور علمي وبدون عقدة مستعملاً منهج اللسانيات الحديثة مثلما هو في الغرب، ولكن في المقابل لم يكن متلقياً سلبياً لهذه النظريات والمناهج، بل ناقداً ومناقشاً لها دائماً، كان صاحب مشروع علمي حقيقي لم يجد الأرضية في الجزائر.

37- لقد كانت للحاج صالح إضافة واضحة في الدرس اللساني العربي الحديث، وهي إضافة تخصّ جانب التنظير للنظرية اللغوية العربية، من خلال النظرية الخليلية الحديثة، وتأسيس نظرية الخطاب العربية.

38- من المشاريع اللسانية العربية الحديثة مشروع الذخيرة العربية وهو أنترنيت عربي، من شأنه أن يساهم في تقدّم البحث العربي، وقد نجح صاحبه -الحاج صالح- في إقناع الحكومات العربية، وقبله الباحثين العرب، بفائدته وضرورة تعميم إنجازه عربياً؛ إذ أصرّ على التّفاؤل في تجسيد مشروع الذخيرة العربية في بيئة كل ما فيها يدعو إلى الإحباط وتثبيط العزائم، ولكنّه آمن بمشروع لم يكن لشخص ولا لمؤسسة ولا حتى لبلد أن ينجزه بمفرده، لهذا سعى إلى إدخاله تحت لواء الجامعة العربية؛ لأنّه كان يفكّر بعقل أمّة كاملة، لكن للأسف لم يجد من يستوعب

ولا من يفهم أبعاد هذا المشروع، فواجه عراقيل إدارية سعى دائما لتجاوزها بعزيمة الباحث وصرامة الأستاذ وإصرار العلماء، فهو صاحب النظرية الخليلية الثانية وأبو اللسانيات في الجزائر - إن صحّ التعبير -.

39- إنّ مؤلفات الحاج صالح اللسانية ثرية ومتنوعة، وإن شملت اللسانيات العامة، فإنّ أغلب مواضيعها يخص اللسانيات العربية، لذلك نعدّها إضافة تثري المكتبة العربية بمراجع قيّمة.

40- إنّ مشروع النظرية الخليلية الحديثة، ومشروع الذخيرة العربية، ورغم تميزها النظري، إلّا أنّ تطبيقها في الميدان مازال لم يحقق أهدافه المرجوة، خاصة النظرية الخليلية الحديثة وتطبيقها في حوسبة اللغة، والتعليمات، وعلاج أمراض الكلام.

41- إنّ دراسة الجهود اللسانية العربية الحديثة عند بعض الباحثين لها أهميتها في تقييم الدرس اللساني العربي الحديث، بالوقوف على أهمّ الإنجازات التي يمكن أن يعتد بها، وكذلك النقائص والعراقيل التي تحول دون تقدم اللسانيات العربية.

42- إنّ جهود الحاج صالح في المصطلح اللساني العربي الحديث متناثرة في مؤلفاته، ويمكن أن يفرد لها دراسة أكاديمية مستقلة، بكشف علاقتها بالمصطلح اللساني العربي، والمصطلح اللساني العام، ومساهماتها في تطوّر اللسانيات العربية.

43- استطاع الحاج صالح أن يضع أسسا وقوانين في التّعليمات من خلال بحوث لسانية قيّمة غطت نقائص الدراسات العربية الحديثة، والتي ركزت على الجانب التربوي دون اللّساني، لذلك يمكن الاستفادة منها واستغلالها في تسطير المناهج الدّراسيّة، وبرامج تكوين المعلمين في المدرسة الجزائرية والعربية عموما.

44- يعدّ أوّل من أسهم فيما يسمّى بالرّصيد اللغوي الوظيفي بمعية كل من "لخضر غزال" من المغرب و"أحمد العايد" من تونس، وغرض المشروع هو جمع الكلمات المشتركة بين الدّول المغاربية وإدراجها ضمن مقررات التّربية لتصبح لغة مشتركة بين التّلاميذ وتنتشر في المغرب العربي.

لقد فقدت الجزائر برحيل عبد الرّحمن الحاج صالح هرما من أهرامات العلم والمعرفة، ليس من السّهل تعويضه ولا إعادة إنتاج مثيل له، قالت الدكتورة خولة طالب الإبراهيمي عن رحيل أستاذها عبد الرحمن الحاج صالح: "إنّ رحيل الحاج صالح خسارة فادحة للجزائر والجامعة

والبحت العلمي عموماً، فهو المرّيّ والباحث والمتخصّص صاحب النّظرية الذي لم يدّخر جهداً في سبيل تحقيق مشروعه الذي آمن به إلى آخر لحظة... هو عالم جليل كرّس حياته في خدمة اللّغة العربية، متّخذاً المنهج العلمي سبيلاً له، وقد نجح عبد الرّحمن الحاج صالح في أن يزرع روحه المتوثبة للبحث في أجيال من الطّلبة والباحثين يعولّ عليهم في مواصلة مشواره وتجسيد مشروعه.<sup>1</sup>

وختاماً نقول إنّ الدّكتور "عبد الرّحمن الحاج صالح" قد أسهم إسهاماً متميّزاً في خدمة اللّغة العربية، ويظهر ذلك جلياً في البحوث الكثيرة التي أنجزها في إطار النّظرية الخليلية الحديثة ومشروع الدّخيرة العربية، أو من خلال جهوده الرامية لتطوير تدريس العربية وجعلها اللّغة المستعملة بالفعل في جميع ميادين الحياة الاجتماعية، والتي أبانت عن تفكير لساني عميق مؤسس تأسيساً علمياً دقيقاً، بالرغم من الضّغوطات التي تعرّض إليها في مسيرته العلمية حتّى إنّّه قال عن نفسه " لقد عانيت كثيراً في كفاحي ونضالي من أجل نصره اللّغة العربية، لكنني لم أياس، فقد كابدت الأمرين، وتعرّضت لكثير من الظلم؛ هناك من لم يعجبه كفاحي، وهدم كثيراً ممّا بنيت في خمسين عامّاً، كم مؤسسة أسستها زوّلوها، أو ذوّبوها، منها معهد اللسانيات، وقد أعيد المعهد بعد ذلك من جديد في صورة المركز ( مركز تطوير وترقية اللّغة العربية)، ولكن أبعدت أنا! " <sup>1</sup>

ومن هذا كلّه نفهم أنّ الدّات العربيّة لن يكون لها قيمة في هذا الواقع المعولم إلّا بالعلم الصّحيح الذي يفكّ أسرها من أيّ تبعيّة أو تماهٍ، ويجعلها تسهم في إضافات تكسبها تميّزاً وتعطيها قيمة، وأعتقد أنّ في إحياء النّظرية الخليلية التي جاء بها عبد الرّحمن الحاج صالح محافظة على هذه الدّات، إذ تنبّهنا إلى أنّ العقل المنتج ليس حكراً على الأوربيّ أو الأمريكي فقط، بل يمكن للعربي أن ينتج ما لم ينتجه غيره.

نسال الله أن يوفّقنا إلى ما فيه صلاحنا وصلاح أمّتنا العربية، وأن يوفّق كلّ من هو على درب البحث والتّقيب في المجال المعرفي على اختلاف فروعه وتخصّصاته، كما نساله الصّبر والتّأني والفلاح في الدّنيا والآخرة، والله من وراء القصد.

<sup>1</sup> - سعاد شرفاوي: الجهود اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح، ص 237-238.

## فهرس المصادر والمراجع

# فهرس المصادر والمراجع:

✓ القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1985.

## ❖ المصادر والمراجع العربية:

- ✓ \_الحاج صالح، عبد الرحمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2012 م.
- ✓ الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال عند العرب سلسلة علوم اللسان3، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012.
- ✓ بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر 2007.
- ✓ منطق العرب في علم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، ط 2012.
- ✓ السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر الجزائر، ط2007.
- ✓ إبراهيم، عبد العليم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف، ط 14، القاهرة.
- ✓ إبرير، رشيد: تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، دار الكتب الحديثة، ط2007.
- ✓ ابن الأنباري، كمال الدين: الإعراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971.
- ✓ ابن الأنباري، كمال الدين: المسألة الزنبورية بين سيويه والكسائي في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ج 2، دار الفكر.
- ✓ ابن التواتي، التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012.
- ✓ ابن النديم، أبو الفرج: الفهرست، تحقيق أحد أساتذة الجامعة المصرية، دارالمعرفة بيروت- لبنان.
- ✓ ابن جنّي، أبو الفتح عثمان : الخصائص، تحقيق محمّد علي النّجار، المكتبة التوفيقية، مصر ط1، ج1، 2015.
- ✓ ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: سرصناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، ط2 1993 دار القلم، دمشق، ج1.

- ✓ ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2004.
- ✓ ابن سيده، علي بن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هندراوي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج8، ط1، 2000.
- ✓ ابن سينا، أبو علي: رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق، محمد حسن الطيّان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1982.
- ✓ ابن عقيل، بهاء الدين: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج1، دار التراث، القاهرة، ط201980.
- ✓ ابن مالك، جمال الدين: شرح التسهيل، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج1، ط1، 2001.
- ✓ ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج4.
- ✓ إستيتية، سمير شريف: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب للنشر والتوزيع الأردن، ط2، 2008.
- ✓ آل ياسين، محمد حسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
- ✓ الإبراهيمي، خولة: مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2000.
- ✓ الإستراباذي، الرّضي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1/القسم الثاني، ط1، 1975م.:
- ✓ الأوراعي، محمد: اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت ط1، 2010.
- ✓ الأوراعي، محمد: نظرية اللسانيات النسبية- دواعي النشأة - منشورات الاختلاف، الجزائر الدار العربية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- ✓ الجابري، محمد عابد: تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، 1984.
- ✓ الجرجاني، محمد بن علي: التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ط2004.
- ✓ الحلواني، محمد خير: أصول النحو العربي، الناشر الأطلسي، المغرب، ط2، 1983.

- ✓ الخالدي، كريم حسين ، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع عمّان، الأردن، ط1، 2006.
- ✓ الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، المحقق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- ✓ الدّاني، أبو عمرو عثمان: المحكم في نقط المصحف، تحقيق د.عزة حسن، دار الفكر، ط2، 1997.
- ✓ الرّاجحي، شرف الدّين علي: في علم اللّغة عند العرب ورأي علم اللّغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط 2002 .
- ✓ الرّاجحي، عبده: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النّهضة العربية بيروت 1979 م .
- ✓ الرّاجحي، عبده: علم اللّغة التطبيقي وتعلّم العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر ط1995.
- ✓ الرّافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط1- 1424هـ/2003.
- ✓ الزّبيدي، أبو بكر: تاج العروس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت 1972 ج11.
- ✓ السّعران، محمود: علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النّهضة العربيّة للطباعة والنّشر بيروت، لبنان.
- ✓ السيّوطي، جلال الدّين: بُغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، ج2، ط2، 1979.
- ✓ الشّايب، محمّد: أهم المدارس اللّسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس 1986م.
- ✓ العكيلي، حسن منديل: الخلاف النّحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، دار الضياء للنشر والتّوزيع، عمّان، ط1، 2007.
- ✓ العلوي، شفيقة: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنّشر والتّوزيع ط1، 2004، بيروت، لبنان.

- ✓ الغزالي، أبو حامد: معيار العلم، تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف المصرية، ج 1.
- ✓ الفارابي، أبو نصر: كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان 1970.
- ✓ الفراهيدي، الخليل بن أحمد: معجم العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 2003.
- ✓ الفهري، عبد القادر الفاسي: حوار اللّغة، دار أبي الرقراق، الرباط، ط1، 2007.
- ✓ القزويني، ابن يعقوب: مواهب الفتاح: ج1.
- ✓ المتوكّل، أحمد: اللّسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط2010.
- ✓ المتوكّل، أحمد: الوظائف التّداولية في اللّغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
- ✓ المتوكّل، أحمد: المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي- الأصول والامتداد - مكتبة دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.
- ✓ المخزومي، مهدي: عبقرى من البصرة، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، ط2، 1989.
- ✓ المسديّ، عبد السّلام: الأسلوبية والأسلوب، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط3، 1982.
- ✓ المسديّ، عبد السّلام: التّفكير اللّساني في الحضارة العربية، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986.
- ✓ المسديّ، عبد السّلام: اللّسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنّشر، ط، تونس، 1986.
- ✓ المسديّ، عبد السّلام: قاموس اللّسانيات، الدار العربية للكتاب، بيروت.
- ✓ المسديّ، عبد السّلام: مباحث تأسيسية في اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت لبنان، ط1، 2010.
- ✓ المعجم الفلسفي، مجمّع اللغة العربية جمهورية مصر العربية، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، 1983.
- ✓ الملح، خميس سعيد، نظرية التّعليل في النّحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2000.
- ✓ الموسى، نهاد: نظرية النّحو العربي في ضوء مناهج النّظر اللّغوي الحديث، دار البشير الأردن، ط2، 1987.
- ✓ الميساوي، خليفة: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013.

- ✓ الهاشمي، التهامي الراجي: توطئة لدراسة علم اللغة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2 1984.
- ✓ الوعر، مازن: أزمة اللسانيات واللسانيين العرب، ندوة انعقدت بالرباط، المغرب 1982.
- ✓ الوعر، مازن: نحو نظرية لسانية عربية لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق سوريا، ط1 1989.
- ✓ مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سورية ط1، 1989 .
- ✓ برجشتراسر، جوتهلّف: التطور النحوي للغة العربية، صحّحه وعلّق عليه د. رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994.
- ✓ بقادر، عبد القادر: محاضرات في النّحو الوظيفي، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، 2013-2014.
- ✓ بگّوش، فاطمة الهاشمي: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ايتراك للنشر والتوزيع، ط1 مصر الجديدة، 2004م.
- ✓ بلعيد، صالح: دروس في اللسانيات التّطبيقية، دار هومة، الجزائر، ط1، 2000.
- ✓ بلعيد، صالح: في الأمن اللّغوي، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2010.
- ✓ بلعيد، صالح: مقاربات منهجية ، دار هومة، الجزائر، 2004.
- ✓ بهنساوي، حسام: أهمّية الربط بين التّفكير اللّغوي عند العرب ونظريات البحث اللّغوي الحديث مكتبة الثقافة الدّينية، ط1994.
- ✓ حجازي، محمود فهمي: البحث اللغوي، مكتبة غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1994.
- ✓ حجازي، محمود: البحث اللّغوي، دار غريب للطباعة والنّشر، الفجالة، مصر 1994.
- ✓ حسّان، تمّام: مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة، ط 1990.
- ✓ حسّان، تمّام: الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللّغوي عند العرب: النّحو، فقه اللغة البلاغة، عالم الكتب، أميرة للطباعة، 2000 م، القاهرة.
- ✓ حسّان، تمّام: اللغة بين المعيارية والوصفية، القاهرة، دار الكتب، ط4، 2001م.
- ✓ حساني، أحمد : مباحث في اللّسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1999.

- ✓ حساني، أحمد: السّمات التفرعية للفعل في البنية التركيبية، مقارنة لسانية، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، 1993.
- ✓ حساني، أحمد: مباحث في اللسانيات، نسخة إلكترونية، سلسلة الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط2، 2013.
- ✓ حنون، مبارك: مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1987.
- ✓ درّاج، أحمد عبد العزيز: الاتّجاهات المعاصرة في تطوّر دراسة العلوم اللّغوية، مكتبة الرّشد الرياض، السّعودية، ط 2003.
- ✓ دي سوسير، فردينان: دروس في الألسنية العامّة، تعريب صالح القرمادي، محمّد الشاوش محمّد عجينة، الدار العربية للكتاب، ط1985، تونس.
- ✓ دي سوسير، فردينان: علم اللّغة العام، ترجمة د. يوثيل يوسف عزيز ومالك يوسف المطلبي دار آفاق عربية، بغداد 1985.
- ✓ روبنز، ر. ه: موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت نوفمبر 1997.
- ✓ زكريا، ميشال: الألسنية التوليدية والتّحويلية وقواعد اللّغة العربيّة، (الجملة البسيطة)، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنّشر والتّوزيع، ط1986.
- ✓ زكريا، ميشال: مباحث في النّظرية الألسنية وتعليم اللّغة، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت ط2، 1985م.
- ✓ زوين، على: منهج البحث اللّغوي بين وعلم اللغة الحديث، دار شؤون الثقافة العامّة، بغداد ط1، 1986.
- ✓ سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، ط1992.
- ✓ سيبويه، أبو بشر عمرو: الكتاب، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ✓ شمس الدين، جلال: التّعليل اللّغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين، دراسة إستمولوجية، مؤسّسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1994.
- ✓ شنان، فريدة و هجرسي، مصطفى: المعجم التربوي doxique pédagogique، ملحقة سعيدة الجهوية، المركز الوطني للوثائق التّربوية، الجزائر، 2009.

- ✓ ضيف، شوقي: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1992.
- ✓ طليمات، غازي مختار: في علم اللغة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط2  
2000.
- ✓ عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2 2000.
- ✓ عبد اللطيف، محمد حماسة: من الأنماط التحويلية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1990.
- ✓ عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994.
- ✓ عبد المعطي، عبد الباسط: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة المعرفة، العدد44  
المجلس الوطني للفنون والآداب، 1998 .
- ✓ عز الدين المجذوب: المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي  
تونس، ط1 1998 م.
- ✓ عطية، محسن علي: الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع  
ط1، 2006.
- ✓ علوي، حافظ إسماعيلي، العناني وليد أحمد: أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، الدار العربية للعلوم  
بيروت- لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان الرباط، ط1، 2009.
- ✓ علوي، حافظ إسماعيلي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة نقدية تحليلية في قضايا  
التلقي وإشكالاته، دار الكتب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2009م.
- ✓ علوي، حافظ إسماعيلي: النحو العربي واللسانيات الوصفية، مجلة فكر ونقد، ع92  
أكتوبر 2115م.
- ✓ علوي، حافظ إسماعيلي، الملاخ، أحمد: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات منشورات الاختلاف  
الجزائر مطابع الدار العربية، بيروت، ط1، 2009.
- ✓ علي محمد، يونس: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الوطنية، ليبيا، دار الكتاب الجديدة  
المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- ✓ علي، نبيل: الثقافة العربية وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب  
الكويت، 2001، (سلسلة عالم المعرفة).
- ✓ علي، نبيل: اللغة العربية والحاسوب، مؤسسة تعريب، الكويت، 1988.

- ✓ عمارة، حليلة أأمد: الأآبأهأ النأوية لى القءماء، دار وائل للنشر والأوزيع، ط1، 2006م.
- ✓ عمارة، آليل: العامل النأوي بين مؤيبيه ومعارضية وءوره فى الأليل اللأوي، المآلة العربية للعلوم الإسلامية، ءمشق، ط1، 1982.
- ✓ عمارة، آليل: فى الأليل اللأوي، منهآ وصى آليلي، ط1، مآبة المنار، مصر 1987.
- ✓ عمر، أأمء مآآار: البآآ اللأوي عنء الهنوء وأآره على اللأويين العرب، دار الأآافة، بيروء 1972.
- ✓ عمر، أأمء مآآار: ءراسة الصوء اللأوي، عالم الكآب القاهرة، 1997.
- ✓ عمر، أأمء مآآار: البآآ اللأوي عنء العرب، عالم الكآب القاهرة، ط6، 1988 .
- ✓ عمر، أأمء مآآار: البآآ اللأوي عنء الهنوء وأآره على اللأويين العرب، دار الأآافة، بيروء 1972.
- ✓ عيء، سلمان عباس: آقويم الفكر النأوي عنء اللسانيين العرب، دار الكآب العربية، ط1 لبنان 2016.
- ✓ عيسى، هشام الشآآ: آوسبة اللغة العربية، دار الشؤون الأآافية، بآءاء، ط1، 2011.
- ✓ آلفان، مصطفى: فى اللسانيات العامة آاريخها، آبيعتها، موضوعاتها، مفاهيمها، دار الكآب الجءيء المآآءة، بيروء، لبنان، ط1، يناير، 2010.
- ✓ آلفان، مصطفى: اللسانيات العربية أسئلة المنهآ، دار وءء للنشر والأوزيع، الأءرن، ط1 2013.
- ✓ قءور، أأمء مآء : أصالة علم الأصوء عنء الآليل من آلال مقءمة كآاب العين، دار الفكر، ءمشق، سوريا، ط2، 2003.
- ✓ قءور، أأمء مآء : مباءئ اللسانيات، دار الفكر، ط3، ءمشق، 1429هـ - 2008م .
- ✓ ليونز، آون: نظرية آشومسكى اللأوية، آرآمة وآعليق: آلمي آليل، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1995م.
- ✓ موسى، عطا مآء: مناهآ ءرء النأوي فى العالم العربي فى القرن العشرين، جامعة الأءرن ءيسمبر (كانون الأؤل) 1992.
- ✓ مومن، أأمء: اللسانيات النشاء والأآور، ءيوان المآبوعات الجامعية، الآزائر، ط3، 2007.

- ✓ نبيل، رشيد وآخرون: الأسس العامة للتدريس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1  
1983.
- ✓ نحلة، محمد أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ط  
2002.
- ✓ نصر الدين، بن زروق: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر  
والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.
- ✓ ولد اباه، محمد المختار: تاريخ النحو في المشرق والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان  
ط2، 2008.
- ✓ ياقوت، محمود سليمان: منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، ط 2003م.

### ❖ المصادر الأجنبية:

- ✓ Hadj Salah, Abderrahmane, linguistique arabe et linguistique générale:  
essai de méthodologie et d'épistémologie du àllm al-Arabiyya, thèse  
de doctorat, université Paris 4, Volume 1, 1979.

- ✓ Martinet, Andret : Elément de linguistique générale, imprimerie moderne de l'est, Paris, 1980.
- ✓ Shomsky, Noam ,syntactic structures , the hague, paris,10 print , mouton, 1972.
- ✓ Tasra, Saïd: Pédagogie, didactique générale et didactique Disciplinaire, HAL Id( Sciences de l'Homme et de la Société) Pédagogie, Laboratoire de recherche en Langues, Littérature, Communication et Didactique (2LCD), 2 Jun 2017.

### ❖ المقالات الإلكترونية:

- ✓ أحسينات، بنعيسى: حول مقارنة المنهاج الدراسي في مجال التربية والتعليم (من البيداغوجية والديداكتيك إلى المنهاج الدراسي) نقلا عن الموقع: [www.ahewar.org/debat/show.art.asp](http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp)
- ✓ بعيطيش، يحيى: الأصول اللسانية للمناهج النقدية الحديثة- المنهج البنوي نموذجاً- الموقع الإلكتروني: [www.benhedouga.com](http://www.benhedouga.com)
- ✓ بودرامة، الزايدى: النظرية الخليلية الحديثة، أسسها وحدودها المائزة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر، نقلا عن الموقع الإلكتروني: <https://boudramazaidi.blogspot.com/2015/>
- ✓ بوفلاقة، محمد سيف الإسلام: عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في خدمة علوم اللسان، نقلا من الموقع: <https://binbadis.net/archives/2286>
- ✓ بوقرة، نعمان عبد الحميد : اللسانيات التوليدية واتجاهاتها الحديثة، مقال نشر بتاريخ: 13-03-2011، الموقع الإلكتروني: <http://www.araafid.ae/p12.html>

- ✓ جريدة الشروق الجزائرية: الجزائر تفقد "أبا اللسانيات" البروفيسور عبد الرحمان الحاج صالح الجراح الذي تحدّى الفراهيدي وناظر نعم تشومسكي، نقلا من الموقع: [www.elheddaf.com/article](http://www.elheddaf.com/article)
- ✓ خضر، مجد: مفهوم النظرية لغة واصطلاحاً، <http://mawdoo3.com> مقال نشر يوم 21 سبتمبر 2016.
- ✓ كنائي، وجدان محمد صالح: اللسانيات الحاسوبية العربية: الإطار والمنهج، مقال من المؤتمر الدولي للغة العربية، دبي، من 1-10 ماي 2013. نقلا من الموقع: [www.alarabiahconference.org](http://www.alarabiahconference.org)
- ✓ المسدي، عبد السلام: علم اللغة أم اللسانيات؟ جريدة الرياض، المملكة العربية السعودية، 28 أبريل 2005، العدد 13457، [www.alriyadh.com](http://www.alriyadh.com).

## ❖ المجلات:

- ✓ إبرير، بشير: الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية العدد 2.
- ✓ الحاج صالح، عبد الرحمن: مجلة المجمع الجزائري للغة العربية مساهمة المجامع اللغوية في ترقية اللغة العربية ع8، الجزائر 2008.
- ✓ الحاج صالح، عبد الرحمن: كراسات مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية العدد 4، 2007.
- ✓ الحاج صالح، عبد الرحمن: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، العدد 4، 1973-1974.
- ✓ الحاج صالح، عبد الرحمن: أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 6، 2007.
- ✓ الحاج صالح، عبد الرحمن: مجلة اللسانيات، المجلد الثالث، 1972.

- ✓ الحاج صالح، عبد الرحمن: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية جهود ونتائج، مجلة البحوث العلمية، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، العدد الرابع، مكة المكرمة، 1426هـ.
- ✓ الحاج صالح، عبد الرحمن: مجلة اللسانيات، العدد الثامن سنة 2003
- ✓ الحاج صالح، عبد الرحمن: مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، الجزائر 1971.
- ✓ الحاج صالح، عبد الرحمن: مجلة اللسانيات، المجلد الأول، الجزائر 1971.
- ✓ الحاج صالح، عبد الرحمن: محاضرات بمركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية الجزائر 2004.
- ✓ السعيد، ضيف الله: إسهامات الحاج صالح الجزائري في تيسير البحث اللغوي، مجلة العاصمة، المجلد 9، 2017، جامعة تريفندروم، كيرالا، الهند، ص 164.
- ✓ السيد، عبد الحميد: دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2004.
- ✓ العارف، عبد الرحمن حسن: توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية "جهود ونتائج"، مجلة اللسانيات، العدد 13، المجلد 12، مركز الأبحاث العلمية والتكنولوجية لتطوير اللغة العربية، الجزائر، جوان 2017.
- ✓ العلوي، شفيقة: العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعوم تشومسكي حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد السابع، 2007 م .
- ✓ الفهري، الفاسي: أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني، مجلة الكرمل، العدد 18 فلسطين، أكتوبر 1985.
- ✓ الفهري، عبد القادر الفاسي: اللسانيات العربية- نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق- وقائع ندوة جهوية، أبريل 1987: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1991.
- ✓ بلجيلالي، خيرة: إسهامات عبد الرحمن الحاج صالح في ترقية اللغة العربية، مجلة حوليات التراث - العدد 17، 2017، جامعة مستغانم، الجزائر.

- ✓ بوشحدان، الشّريف: الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح وجهوده في ترقية استعمال اللّغة العربية مجلة الآداب والعلوم والإنسانية والاجتماعية، بسكرة، العدد7، 2010.
- ✓ بوشحدان، الشّريف: النّظرية الخليلية الحديثة وسبل ترقية اللغة العربية فيما قبل الجامعة مجلة التّواصل في اللّغات والثّقافة والآداب، ع 31، سبتمبر2012.
- ✓ بوشحدان، الشّريف: منطق اللّغة ومنطق العقل، مجلة الموقف، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق ع482، جوان 2011.
- ✓ بوشليق، وهيبة: ظاهرة التّحويل بين النّحو التّحويلي والتّراث النّحوي البلاغي العربي، مجلة العمدة في اللّسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة، العدد2، 1997.
- ✓ بوعمامة، محمّد: التراث اللغوي العربي بين سندان الأصالة ومطرقة المعاصرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمّد خيضر، بسكرة، العدد3/2، جوان2008.
- ✓ بوهادي، عابد: تحليل الفعل الّديداكتيك - مقارنة لسانية بيداغوجية - دراسات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، المجلّد 39، العدد2، 2012.
- ✓ توامي، عبد الجبار: اللسانيات المغربية المعاصرة بين التراث والدرس الحديث، مجلة الدّراسات اللغوية، المجلّد السابع، العدد الرابع، نوفمبر- ديسمبر 2005.
- ✓ سبع، فاطمة الزهراء: المصطلح التّعليمي عند عبد الرّحمن الحاج صالح في ظلّ النظرية الخليلية الحديثة، مجلة آفاق للعلوم، الجلفة، العدد4، 2016.
- ✓ سعودي، نواري: البحث اللّساني وتعليمية اللّغة العربية، مقارنة لسانية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، العدد11.
- ✓ شريط، مسعود: ترجمة المصطلح اللّساني إلى اللّغة العربيّة: أزمة تمثل المفاهيم أم موضحة اختلاف؟ مجلة إشكالات؛ دورية نصف سنوية محكمة تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتامنغست - الجزائر، العدد الثاني عشر، ماي2017.
- ✓ صاري، محمّد: المفاهيم الأساسية للنّظرية الحديثة، مجلة كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، العدد الثامن، 2010.
- ✓ صاري، محمّد: تيسير النحو ترف أم ضرورة؟ مجلة الدّراسات اللّغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلّد الثالث، العدد الثاني، يوليو - سبتمبر 2001.

- ✓ صدّقي، عبد الوهاب: أوراق لسانية نقدية، قراءة في تصوّرات اللّسانيين العرب المعاصرين لطبيعة العلاقة بين لسانيات التراث واللّسانيات الحديثة، مجلة اللّسانيات العربية، العدد 1 يناير 2015، ربيع الأول 1436هـ، المملكة العربية السعودية.
- ✓ عثمانى، عمّار: تلقّي التراث البلاغي بين النهج التّاريخي والوصف اللّساني، مجلة روى فكرية جامعة سوق أهراس، العدد الثالث، فيفري 2016.
- ✓ علي جاسم، جاسم: تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، مجلة التراث العربي، إتحاد كتاب العرب، العدد 116، دمشق 1430هـ-2010م.
- ✓ عويقب، فتيحة: النّظرية الخيلية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة، مجلة التّعليمية، سيدي بلعباس، المجلّد 4، 11 جوان 2017.
- ✓ قزعوط، سليم: جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي في التّعليل النّحوي، مجلة التّعليمية، م5 جامعة غليزان، عدد 14 ماي 2018.
- ✓ لطروش، الشّارف: الاستراتيجيات الحديثة في تعليم اللّغة، مجلة العربية للناطقين بغيرها جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم السّودان، العدد 19، يونيو 2015.
- ✓ مطهّري، صفيّة: أهمية النّظرية الخيلية في الدرس اللّغوي الحديث، مجلّة التّراث العربي اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 116، نوفمبر 2009.
- ✓ معتوق، أحمد: ظاهرة اللّفظية، أسبابها، نتائجها، وسائل علاجها، مجلة جامعة الملك سعود الرياض، المجلّد الخامس، 1993.
- ✓ منصورى، ميلود: الفكر اللّساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة العلوم الإنسانية - جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الثامن، سبتمبر 2005.
- ✓ مومني، عيسى: رؤية نقدية للكتابات العربية المعاصرة، مجلة العلوم الإنسانية كلية الآداب واللّغات الجزائر، العدد ، 41 جوان 2014.
- ✓ هباشي، لطيفة: تعليمية اللّغات واللّغة العربية، إشكالات وتحديات، مجلة تواصل في اللّغات والآداب، جامعة عنّابة، العدد 37، مارس 2013.

## ❖ رسائل الماجستير والدكتوراه:

- ✓ أبو المعالي، معالي هاشم علي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجاً، أطروحة شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، جامعة بغداد، 2014.
- ✓ بن قفاية، بلقاسم: دور اللسانيات في تعليم اللغة العربية وتطبيقاتها في الطور الأول الابتدائي، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، الجزائر، 2010.
- ✓ زكموط، بوبكر: الاتجاه التوليدي في النحو العربي الحديث، دراسة في فكر د. خليل أحمد عمارة من خلال كتابه "في نحو اللغة وتراكيبها"، رسالة ماجستير، تخصص الفكر النحوي واللسانيات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2011-2012 .
- ✓ سخري، وردة: الجهود اللسانية عند الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح من خلال بحوث ودراسات في علوم اللسان، شهادة ماجستير، جامعة باتنة 1، 2015-2016.
- ✓ شرفاوي، سعاد: الجهود اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح- قراءة في الآثار، المنهج ومواطن الاجتهاد، رسالة دكتوراه في العلوم، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة 2016-2017.
- ✓ معزوز، عبد الحليم: تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسّان وعبد الرحمن الحاج صالح- دراسة إبستمولوجية في المرجعية والمنهج، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة 1، 2016-2017.

الفهرس

الفهرس

---

## \*المقدمة:

\*المدخل: الإطار التاريخي للسانيات عند عبد الرحمن الحاج صالح ..... 10-53.

\*الفصل الأول: واقع الدراسات اللسانية العربية.

\*المبحث الأول: إشكاليات الدرس اللساني العربي ..... 55-78.

- توطئة..... 57.

أ- أزمة الانفصال بين النظرية والتعليق..... 60.

ب- إشكالية ترجمة المصطلح اللساني وتوحيده..... 64.

ج - اختلاف المواقف من التراث العربي..... 71.

\*المبحث الثاني: المناهج اللسانية العربية الحديثة..... 79-125.

توطئة..... 80.

أ - المنهج البنوي..... 83.

ب- المنهج التحويلي..... 98.

ج- المنهج الوظيفي..... 115.

\*الفصل الثاني: التفكير اللساني عند الحاج صالح بين الأصالة والإبداع.

\*المبحث الأول: المنطلقات اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح..... 127-163.

- توطئة..... 128.

أ- موقع الخليل في الدراسات اللسانية العربية..... 130.

ب- المنطلقات اللسانية عند الحاج صالح..... 138.

ج- منهج عبد الرحمن الحاج صالح..... 155-163.

\*المبحث الثاني: النظرية الخليلية الحديثة..... 164-220.

- توطئة..... 165.

● النظرية الخليلية الحديثة:..... 169.

أ- التعريف بالنظرية (المنطلقات-المحفّرات-الغايات)..... 171.

- ب- أصالة النظرية.....187.
- ج- المفاهيم الأساسية.....197
- \*الفصل الثالث: إسهامات عبد الرحمن الحاج صالح في ترقية اللغة العربية.**
- \*المبحث الأول: اللسانيات الحاسوبية (حوسبة التراث اللغوي العربي).....264-222**
- توطئة.....223
- أ- اتجاهات البحث والتأليف في اللسانيات الحاسوبية.....229
- ب- حوسبة التراث اللغوي العربي.....237
- \*المبحث الثاني: تعليمية اللغات.....296- 265**
- توطئة.....266
- جهود عبد الرحمن الحاج صالح في مجال التعليمية.....273
- \*الخاتمة:.....307-297**
- \*فهرس المصادر والمراجع:.....323-308**

**الملخص:** تتطرق الكتابة اللسانية العربية الحديثة بمختلف اتجاهاتها من نظرة خاصة إلى التراث اللغوي تستند في عمومها على قضية التأثير بالمناهج اللسانية الغربية، ويتولد عن ذلك آراء ومواقف متباينة اتجاه هذا التراث، وتتجلى من خلال محاولات لإعادة تقديم تلك القضايا في اللغة العربية بثوب جديد يستجيب لروح العصر الحديث، وتحتاج تلك الكتابات اللسانية بدورها إلى وقفة تقييمية تشمل مراجعة الحصيلة العربية فيما يخص الكتابة اللسانية، وتوجهات أصحابها ومساهماتهم في تقديم اللسانيات في الأقطار العربية، وكذلك محاولة استجواب تلك المحاولات للاستفادة من إيجابياتها وتقويم هفواتها.

جاء هذا البحث خدمة لهذا الهدف من خلال التطرق إلى جهود أحد هؤلاء اللسانيين الذين لا يختلف اثنان في تميزه في حقل الدراسات اللسانية العربية، وهو "عبد الرحمن الحاج صالح" أحد أهم أعلام الجزائر، وذلك بالبحث في أعماله وكتبه لإبراز تفكيره اللساني.

**الكلمات المفتاحية:** التفكير، اللسان، الحداثة، التراث، اللغة.

**Résumé** : L'écriture linguistique arabe moderne, avec ses différentes orientations, commence par un regard particulier sur le patrimoine linguistique, qui repose en général sur la question de l'influence du programme linguistique occidental, ce qui se traduit par des points de vue et des attitudes divergentes à l'égard de cet héritage, qui se traduisent par des tentatives de réintroduction de ces questions en langue arabe. .

Ces écrits linguistiques, à leur tour, nécessitent une pause d'évaluation incluant un examen de la production arabe en termes d'écriture de la langue, des instructions de leurs propriétaires et de leur contribution à la présentation de la linguistique dans les pays arabes, ainsi qu'une tentative de remise en question de ces tentatives pour tirer parti de leurs avantages et évaluer leurs résultats.

Cette recherche a pour but de servir cet objectif en abordant les efforts de l'un de ces Lassanis dont la distinction dans le domaine des études de la langue arabe n'est pas différente, à savoir Abdel-Rahman Al-Hajj Saleh, l'un des Lassanis les plus importants de l'Algérie, en effectuant des recherches dans ses travaux et ouvrages pour mettre en valeur sa pensée linguistique arabe dans ses diverses orientations.

**Mots-clés:** pensée, langue, modernité, patrimoine, langue.

**Summary** : The modern Arabic linguistic writing, with its different orientations, starts with a special look at the linguistic heritage, which is based in general on the issue of being influenced by the Western linguistic curriculum. This results in different views and attitudes towards this heritage. This is reflected in attempts to reintroduce these issues in the Arabic language. .

These linguistic writings, in turn, need an evaluation pause that includes reviewing the Arabic output in terms of writing the language, the directions of their owners and their contribution to the presentation of linguistics in the Arab countries, as well as an attempt to question these attempts to take advantage of their positives and evaluate their achievements.

This research came to serve this purpose by addressing the efforts of one of these Lassanis who are no different in their distinction in the field of Arabic linguistic studies, namely, Abdel-Rahman Al-Hajj Saleh, one of the most important flags of Algeria, by researching his works and books to highlight his Arabic linguistic thinking in his various orientations.

**Keywords:** thinking, tongue, modernity, heritage, language.